

٧

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسله ثانيا صلوة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين
واستخيره سبحانه وتعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين واتندب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل المتغالي في
من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة
ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال
ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من
اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر واحترازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله
تعالى بعلمه ولعمري انه لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر
اد والخطب جد والاخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص
لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم
العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد
بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى
الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام
او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الاخرة وما
درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار
نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين
وايضاحا لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين رضوان الله عليهم اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات
وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان
بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر
عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب
العلم كتاب قواعد العقائد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة كتاب اسرار الزكوة كتاب
اسرار الصيام كتاب اسرار الحج كتاب آداب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد
في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب
الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة والعشرة مع اصناف الخلق كتاب العزلة كتاب
آداب السفر كتاب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب آداب المعيشة واخلاق
النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجايب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين
شهوة البطن وشهوة الفرج كتاب آفات اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل
ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر والعجب كتاب الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب الخوف والرجا كتاب الفقر والزهد كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها

٢

ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها فهي مما لا يستغني متدين عنها فاما ربع المهلكات فاذكر فيها كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته
وتزكية النفس عنه وتطهير القلب عنه واذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب
ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار فاما ربع المنجيات
فاذكر فيها كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة
حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها
من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه
الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت
على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل
عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب
مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تأسيس الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم
كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة
ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها في الكتب وان كانت هي غاية
الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة
فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول
عن نهج التأسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عادة
او عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين
ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم
ومحمود فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام الباعث الثاني اني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه
الذي صلح عند من لا يخاف الله المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي
بزي المحبوب محبوب فلم استبعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب
الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم فسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة
والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حيوة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم
طب القلوب والارواح المتوصل به الى حيوة تدوم ابد الآباد فاين منها الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب
الآماد فنسأل الله تعالى التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد كتاب العلم وفيه سبعة ابواب
الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان
حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا الباب الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه
بيان العلم المذموم وقدره الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل
الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة
بين علماء الدنيا والآخرة الباب السابع في العقل وفضله واقسامه وما جاء فيه من الاخبار
الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل فضيلة العلم اما شواهدها من القرآن فقوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بالملئكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا
وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه
بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها
وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع
الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم

وريشا يعني الزينة ولباس التقوى اي الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **الاخبار**
قال صلى الله عليه من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف
فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات
والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك
حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال عليه السلام خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت
ولا فقه في دين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وادنى درجات الفقيه
ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذي
ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال عليه السلام اقرب
الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به
الرسل وقال لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
وقال عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم
كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال عليه السلام من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما وقال عليه السلام
من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم
وقال عليه السلام العالم امين الله في الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس الامراء والفقهاء وقال اذا اتى علي يوم لا ازداد
فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة
التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال يشفع يوم
القيامة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال ما عبد الله
بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال خير دينكم ايسره
وافضل العبادة الفقه وقال النبي عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال عليه السلام انكم اصبحتم
في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه
قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين
سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل اي الاعمال تريد قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم
فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول
يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم **الآثار** قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم
خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا
العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء ... ووزن كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمان بن داود
صلوات الله عليهما بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك
قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس عن سائر البهائم هي العلم
والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان
السبع اشجع منه ولا بالاكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال
بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب
والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان
غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف

قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق
عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال
الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن
رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر
العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله تعالى آتنا في الدنيا حسنة هي العلم
والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك
يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف
بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن
وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه
فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف
كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني
فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب
الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمن لابنه وقال يا بني
جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم
بكاه الحوت في الماء والطير في السماء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال **في فضيلة التعلم**
اما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
واما الاخبار فقال صلى الله عليه من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب
العلم رضا بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي ركعة وقال باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال
طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزائن مفاتيحه السؤال فسلوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل
والعالم والمستمع والمحب لهم وقال لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس
عالم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع القرآن
الا بالعلم وقال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة **الآثار** قال ابن عباس
ذللت طالبا فعززت مطلوبا ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرب
الناس لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض
الحكماء اني لا ارحم رجلا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة
احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او
مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد قائم الليل
والنهار اهون من موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت
عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية
وقال ابو الدرداء من رأى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله **فضيلة التعليم** اما الآيات فقوله تعالى
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن
يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه ما آتى الله تعالى عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال
تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة **اما الاخبار** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال من تعلم بابا من
العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات
وقال النبي عليه السلام اذا كان يوم القيامة يقول الله للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا

فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم
الذي لا يتعدى وقال ان الله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعا بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب
عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهال ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام
من النار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر
ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المؤمن
فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني
يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم
وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت
منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا
للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما وقال عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال الدال على الخير كفاعله
وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقال على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي
ويعلمونها عباد الله **الآثار** قال عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر
وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفين الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يسأله انسان فقال
اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب
وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال
الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان
تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من
نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من جهل وتعلم ممن يعلم فانك
اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية
وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة
والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة
تقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى
حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه
يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء **الشواهد العقلية** اعلم ان المطلوب من هذا الباب
معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد
ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا
تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار
بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل
لان تلك زيادة في الجسم ونقصان من المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف
عليك ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم
فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال لله تعالى وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الفرس خير من البليد
فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب
لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان
الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانت والحصباء بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى
والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوب من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها والتوصل الى

المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة
الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن
يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل
الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة
الملأ الاعلى هذا في الآخرة فاما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف
العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان
لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها
اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه
ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة
ومنزلا ولم يتخذها مستقرا او وطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلثة اقسام احدها
اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتاليف والاجتماع
والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها الثاني ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة
وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة
والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها
ثلثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها
ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح
ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه
الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى
وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة
جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى
الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابع الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات
الاربعة بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد
بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل
الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل
الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر الميتة وليس يخفى ان
العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي اذ به قبل امانة الله تعالى وبه
يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر
ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى
القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص
صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في
تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة

العلم الذي هو فرض عين

قال صلى الله عليه طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل
التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله تعالى
وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون
الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم
هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن

وذلك يجب على الاعيان مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما تضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام
وهو قوله عليه السلام بني الاسلام على خمس الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به
المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم
المعاملة والعلم الذي كلف العبد العاقل البالغ ما ثلثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول
واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر
والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وقد يحصل ذلك بمجرد التقليد والسماع
من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب
الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا
لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما في الفعل
واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة
فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول
الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا
في بقية الصلوات فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب
فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة
ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذلك في سائر الاصناف فاذا
دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض
على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم
يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب
اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الافعال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك
يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك
ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير
او جالسا في الغصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى
اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات
واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك
فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات
على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام
وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه
لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية
العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن
في حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا
اليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام ثلث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب
واخواتهما تتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع
فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد
تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر
حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله
ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه وليله
لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه

عن القريب غالبا فاذا تبين انه عليه السلام اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين
لا غير فقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه

في العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة
الى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه
مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو
مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما
فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي
العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب
من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم
للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد
فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها
وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه اما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية
وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول
الاصول وهي اربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في
الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم
عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه
مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها
العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا
او جائعا او متألما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق
بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا
الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول الضرب الثالث
المقدمات وهي التي تجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية
في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة
ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى
عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات
ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة
الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول
السنة ايضا واما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم وباسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة
والعلم باحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم لتمييز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها
محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب
واخرج ذريته من سلالة ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا
مبدأهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى
قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان
ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة
الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم
وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق

بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا
ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة
طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير
أو مأمور أو متكلف فالأمير هو الإمام وكانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كانت الصحابة
يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئل عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي
فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود
والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان
الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلثة الإسلام والصلوة والحلال والحرام وإذا تأملت منتهى نظر
الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلثة فهي في غيرها أظهر أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه
وما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان أما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف
والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام
تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف
ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأقوال
بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام أو الطب وكان خارجا عن فنه وأما الصلوة
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا في جميع صلوته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في
السوق إلا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة
الأمر وانقطع به عنه القتل أو التعزير فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا
من فنه وأما الزكوة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته وحكي أن أبا يوسف كان يهب
ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لإسقاط الزكوة فحكي لأبي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته
في الآخرة من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار وأما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب الأولى الورع الذي يشترط
في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج به الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين
وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال الإثم حزاز القلوب الثالثة
ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام قال صلى الله عليه لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل
التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن أكل الحلال خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات
الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي
إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم
في الآخرة قال صلى الله عليه لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل
فيما يقدح في العدالة فقط فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في الإثم وصفات القلب وأحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفين
الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف تظن أنه علم اللعان
والظهار والسلم والإجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بتعاطيها إلى الله فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات
والشريف هو علم تلك الأعمال فإن قلت فلم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به
أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فإن الفقه أشرف منه من ثلثة أوجه أحدها
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فهو ليس من علم الشرع والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا
الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح
ومصدر الأعمال ومنشأها صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم

وليس

وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشأهما صفات في المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما
أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم الآخرة تفصيل مشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء
تفاصيله فاعلم أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب
من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم
بدعة أو كبر وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يرزق منه وهو علم الصديقين
والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف في ذلك النور أمور كان يسمع
من قبل أسماءها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق
الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان
للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود
الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب
ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب
منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم
البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات
فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع
الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى
معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي أمورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى إليه اعتقاد جميع
العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى يتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا
يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وإنما نعني
بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيته وتطهيره
بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا
بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه منها بشيء إلا مع أهله
وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار وهذا العلم الخفي هو الذي أراده صلى الله عليه بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فإن الله تعالى لم يحقره إذ آتاه العلم وأما
القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة
المنة لله في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال
وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة وأما ما يذم
فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء
والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء
والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب
والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل
وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله في سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر
والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء
والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة وأضدادها وهي الأخلاق
المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء
الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء
الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص
مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق

فان قلت فصل لي

والامر ليس يرد عليك بما كان من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤونة التعب فيها
فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس
على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات
فكم من بلد ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على
علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال
بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام
وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله
المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن
وارباب القلوب كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي
فيقول ان هذا وفق لما اغفلنا وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال
صلى الله عليه لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا في السنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر
زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ
من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا
صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام
العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه
وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها
ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية
من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك
المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره
في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف
عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لها قد خرجوا منها الى البدع فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر
خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي يندب الى مخالطتهم والثاني
المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات فهو بحث عن ذات الله وصفاته
وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل
اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع
والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى نورده في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها
وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث
تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة
على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وحدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم
العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة
على ما عهد في عصر الصحابة فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم
ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين
الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهو من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة واما معرفة
الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما الوصول
اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم
الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون
الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء

عدوانهم

والمتكلمون

المتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في
متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل
عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل
بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلوة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره
كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس على تفخيمه
وتعظيمه لاسباب ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله عن الاف من الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله ولم يكن فيهم احد يحسن
صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي
تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود
مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة
الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في
تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله
شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة
وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله تعالى في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره
فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر
لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة
فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما
والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله
لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل
مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك لتكون
يوم القيامة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما هذا اهم لك من التقليد لمجرد الاشتهار شعر
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم
ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وشوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الآخرة كما سيأتي في باب
علامات علماء الآخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس
فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى
ذكرها ونحن الآن نورد من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم
في علمهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان
الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس
خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة
الواحدة تصلح للدنيا وللآخرة ان اريد بها الآخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة
بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربعة فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعي فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان
يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للعلم وثلث للصلوة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة
وكان البويطي احد اصحابه يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد
على خمسين آية فاذا اكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه
وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي
ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر
الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ ترك الشبع لاجلها وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رضي الله عنه ما حلفت
بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك

ضبيعا خ

الله

فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضا تسلطا على الفقها واعصاها على الضبط والقهر وبه تستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد ابن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شي في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الف درهم فضرب خباء في موضع خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر من ان تحكى وراس الزهد السخا لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي انه روى له سفين بن عيينة حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل لسفين قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتوضا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت نعم قال من كن فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما يخشى الله من عباده العلما ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الآخرة المستخرجة من القران والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه كما روي انه سئل عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلما فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي رضي الله عنه اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسال الشافعي عن مسايل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبيا ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم ثم مكنه وامتحن موسى عليهما السلم ثم مكنه وامتحن ايوب ثم مكنه وامتحن سليمن ثم آتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القران واطلاعه على مقامات السايرين الى الله من الانبيا والاوليا وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير العلوم فنظر فيما فاته فقيل لجالينوس انك تامر للدا الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منه واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة واما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب الي منه شي فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه متجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله جل وعز وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله

بالفقه

بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤن مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلما في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضا لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتدا بهؤلا ولكثرة دعايه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعا فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربع سنين الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب الشافعي رضع واما مالك رحمه الله فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشا وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي ويدل عليه قول الشافعي اني شهدت مالكا سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلما فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر من الخلفا منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يساله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين ساله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن عليه السلم في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رضع انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انا استحيي من الله عز وجل ان اطا تربة فيها نبي الله عليه السلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رضع فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلوة وروى حماد بن ابي سليمن انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزاينه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة الف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجا رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضا فقال انا لا اصلح لهذا فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح

له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء. واما علمه بامور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقد
قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس
وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة. واما
احمد بن حنبل وسفيان فاتباعهما اقل من هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما
واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة وتأمل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل تثمرها
مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او تثمرها علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في
دعواهم ام لا والسلم.

الباب الثالث

فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليست منها وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض
العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم
منها. بيان علة ذم العلم المذموم. لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما
مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثة. الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم
السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وسحر رسول الله صلى الله عليه ومرض بسببه حتى اخبره
جبريل عليه السلم واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك
الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في المطالع وتقرن بحركات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل
بها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث
انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع
وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد
وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر. الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه
غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الكواكب محسوب اذ قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال
الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه
اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة والايمان
بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه مضر
باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة لانها جواهر شريفة
سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر
نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس
عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة
الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منها الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق
مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن النجوم. وثانيها ان احكام النجوم
تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك
معجزة لادريس صلوات الله عليه فيما يحكى وقد اندرس ذلك وقد انمحى ذلك العلم فانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض
الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة
وان لم تقدر اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار
بالشمس ويذهب الغيم ويكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على
ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن
النجوم ايضا. الثالث انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران
فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال
علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة

من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا
لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه. السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم
قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء
فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله
احسن في الدين منه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض
الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكى الى طبيب عقم زوجته وانها لم تلد فجس الطبيب نبضها وقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين
الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا
تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب فقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك
قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك
على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع
وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك
وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك
ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبياء
اطباء القلوب والعلماء باسباب الحيوة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى
تنبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب
الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة فهي دقائق سنن الشرع وآدابها وفي عقائدها التي تعبد الناس بها اسرار
ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غاب عن اهل الصنعة حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب
المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وزكائها واصلاحها للترقي لجوار الله وتعرضها
لنفحات رحمته وفضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول
تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليه لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال
المقبولة النافعة المقربة الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه
ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان
العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم فقال عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما
اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والسلم.

بيان ما بدل من الفاظ العلوم

اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم
الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه
والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصارت القلوب
تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم. اللفظ الاول الفقه وقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة
الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال
هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا
وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار
والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب
وينزع الخشية منه كما تشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان
لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله
واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم علماء حكماء فقهاء
للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى
والاقضية وقال صلى الله عليه الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله
ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس

لحب الى من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد
الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال عليه السلم
لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه
فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها
بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن
اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن
كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم على علم الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض
عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه
والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع به اللفظ الثاني العلم
وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وبآياته وبافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنهما مات تسعة اعشار العلم فعرفه
بالالف واللام وفسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية
وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا
ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وبافعاله وصفاته وصار الآن يطلق على من لا يحيط من
علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك
سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات
الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي
المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح ابواب
الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن
هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته
عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية
الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال
الطبيب امرضني وقول آخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسياتي شواهده في كتاب التوكل وكان
التوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر
الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره
القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق
والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وان
يعبده عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
وقال صلى الله عليه ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ
نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوف احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات
اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر
قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة
ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص
فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون
المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في
اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر
السموات والارض وهذه الكلمة هو خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم وليس المراد بالقول القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب

فهو معدن التوحيد ومنبعه اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلم
اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق اذا راوا مجالس
الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في الزمان
يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في
زمان رسول الله ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت
وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى
الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص فيقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص
يا شيخ الا تستحيي قال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله عنه القصاص
من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر
الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة
واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس
علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا
بالقصص التي تتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر
وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فعن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج
الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية
احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي
عليها فان العامي يعتصم به في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصي
فلا غرو ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع
القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان
قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكره الله سبحانه ورسوله غنية عن الاختراع
في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت
حاجتك ابدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور
المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح فاستهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه
اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون
وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم
الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار
من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان
يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص
الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان ذلك لا يضرهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل
ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين
وحضر جماعة على باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هولاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به
صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي
قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج
الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من
الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة في الاعمال
مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك

لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق
فهذا وامثاله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشي منه فقتله افضل في دين الله من احيا عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح
عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان
ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رايقة وفيها عبارات هايلة وليس وراها
طايل وذلك اما ان يكون غير مفهومة عند قايلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما
ان يكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمه وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا
فايده لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريد بها ويكون فهم كل واحد على
مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه
عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قايله فان كان يفهمه القايل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى صلى الله عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها
ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدوا في مواضع الدا وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة
حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر اخر يخصه وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة
الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام كداب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط منه منفعة
كلام الله وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من
البدع الشايعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى
هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال
تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان
وفي قوله والق عصاك اي كل ما يتوكا عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه السلم تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار
بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلما وبعض هذه التاويلات تعلم
بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار
وليس من جنس الشياطين والملايكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه
يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغدا المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا
يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل من ذلك شي عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري
مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون
غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم
منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معاني وستة وسبعة ونعلم ان
جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه فانها تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم
انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع
كمن يضع في كل مسلة يراها حقا حديثا عن رسول الله وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت
كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علما السو بتبديل الاسامي فان اتبعت هولا اعتمادا على الاسم
المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ
اللفظ الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق
والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي
كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علما السو فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين
اذ الشيطان بواسطتهم يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سيل رسول الله صلى الله عليه عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرر عليه

ثم على السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه
بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه بدا الاسلام غريبا
وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا فقيل ومن الغربا فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر
هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغربا ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث
يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقا فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة**
اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية
ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصا فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسو الخلق
ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة وكذلك العلم **فالقسم المذموم
قليله وكثيره** ما لا فايده فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايده فيه اصلا وصرف العمر الذي هو
انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه يحصل به من قضا وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد
به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه **واما القسم المحمود** الى اقصى غايات الاستقصا فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في
ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي
لا يدرك غوره وانما يحوم الحايمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبيا والاوليا والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم
بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علما الاخرة
كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيه بانبيا الله واوليايه
ليتضح منه لكل ساعي الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم
التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص** فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصا
ورا الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك
قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة
من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة
من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلا ظاهر
البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال فحشوية العلما يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية
من الاطبا بطلا ظاهر البدن وعلما الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع
الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلا الظاهر من يستصعب شرب
الادوية المرة المقرة فلا يزال يتعب في الطلا ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد
فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب
اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض
الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت
بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك
وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج فيها فابتدي بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ثم بعلم التفسير وساير علوم القران من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم
والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم على ما يتسع له
العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصا فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم الات ومقدمات وليست
مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب
وتنطق به ومن غريبه على غريب القران وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار
واقتصاد واستقصا ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف
القران في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة اضعاف القران كما صنفه من الوسيط فيه وما

وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا العمر. واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث. واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة. واما الاقتصاد فيه فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم. واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد منه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات. واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه. ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسده وينزعه عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم. اما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا هو عاجز عنه وانما انت تلبس عليه بقوة المجادلة. واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتدت وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من افات علماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل وتقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس. واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تخوض فيها وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وافاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال. وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك فيما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام. وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيه وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل. وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون. وفي الحديث في معنى قوله تعالى واما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله واحذرهم ان يفتنوك. وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل. وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل. وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم. وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل.

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل افات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا

لطلب

١٢

لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليها الى الان وليس ندري ما الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام اخر من الائمة او الى علم اخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس اليه بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطا كما نقل من اجهاض امراة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة في نفسه ويتجر في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي به ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله عصى به ولا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب **الثاني** ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقع قام بها جماعة الفقهاء وهو يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهرت الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في ارذالكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواب عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تتسع مجال الجدل كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبول ولا يطول فيها

الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول **الخامس** ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر
والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا
وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس
الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه
ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فانه كان يشكره او
لا يذمه وكان يكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال
اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم
واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله
فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعيد واعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب
الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى ما قال هكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال
اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته
باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيهه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال
من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره
وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات
والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك
ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك
ابراز ما تدعيه ورآه ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتخذ مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف
ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه
بدعواه معرفة هو خال منها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه
وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي
في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما
كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من
دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما خطر لهم كما خطر وكانوا ينظرون فيه
الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على السنتهم
ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم
بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب
او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل
والتشرف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس
ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من
الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش
في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق
المذمومة وهذه الاخلاق ستأتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة **فمنها الحسد** وقد
قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه واخرى يحمد
كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد وان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف
الوجوه والقلوب عنه والحسد نار محرقة من بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث
وجدتم ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة **ومنها التكبر والترفع على الناس** فقد قال صلى الله عليه
من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبر ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر
على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر
والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه
فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم
وغيرهما **ومنها الحقد** فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر
حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية
تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عنه ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان
جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى تشبيب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى آخر العمر **ومنها
الغيبة** وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغايته ان يتحفظ عن الصدق
عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ
لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة **ومنها تزكية النفس** قال الله
تعالى ولا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران
ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما
يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم شرعا وعقلا **ومنها التجسس وتتبع عورات الناس**
وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن
احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه
فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف
التسبيب ولا يمتنع من الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم **ومنها الفرح
بمساءة الناس والغم بمسارهم** ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما
يسوء اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت
فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه شاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس والاسترواح
الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي العلم بين اهل العقل رحم متصل
فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينشأ الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات
وناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين **ومنها النفاق** فلا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم
مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب
والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم
رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة **ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته** والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان
خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا
وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور
اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل وقال من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا
في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه **ومنها الرياء**
وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا
الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات فواحش الباطن سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى
الضرب واللكم وتخريق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين
وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او
بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منه مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى

لم اطول بذكر تفصيل اجاده مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين
والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج
الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلوته ما الذي يقراه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق
العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون
يتفاوتون فيها على درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه
الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى
اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك
الابد او يحييه حيوة الابد ولذلك قال صلى الله عليه اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس
وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم تتفق الاصابة
لم يطمع في سلامة الارذال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة
لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك
لا يدل على ان الرغبة فيه محمود ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن
كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه واما اذا كان
يدعوا الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما
مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعوا الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره
وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم
والعمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة منه ان شاء الله عز وجل

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا يصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر
عن الاحداث والاخباث فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه بني
الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس
فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات
الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة
ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو
مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل
من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما
عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق
بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك
العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره ولا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا
غرضا للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره عن غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء
الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهو السبعية
واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ
المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على
صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد ورد بذلك
الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي
النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه

من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور
يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين
معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت
اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت
علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا
اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من
اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق
الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
صلى الله عليه وقال صلى الله عليه ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف من الاستفادة
الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل
وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب
للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون
قابلا للعلم فهما ثم لا تغنيه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كلما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن
المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا
مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق تستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته
بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى صلوات الله عليهما حيث قال الخضر انك لن
تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم
يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد
قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع
الخضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان
السؤال عنه وقال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا
ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت
القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم
الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم
بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر
من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار
ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظائف
الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن
وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ان اضعاف
هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فينقلب النجاسة باستيلائه
الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي عليه السلام ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة
العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس

المسلكة بالجادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلوم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم
ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونه وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك
عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم • قال الشاعر •
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا • فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب
والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة
السادسة** ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو
اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقفه
العامي وراثة وتلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في
قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث منتهى رتبته ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه فما عندي
ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر
الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان
ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك
في الطلب • واعلم ان اشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم
وقد روي انه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى
وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة**
ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما
الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب الحساب
الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين
ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة**
ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به
الرياسة والمال ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى المقصود وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين
الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي
هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله
فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم
وكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات • وقال هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم
بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين
على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة** ان يعلم نسبة العلوم الى
المقصد كيلا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم
الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال
سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر
الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي
علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك
في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة
وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل • والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا
بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحقاق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخره
ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة
ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما

يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها
الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطريق البوادي دون سلوكها لا يغني
لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن • وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته
وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة • واما
الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة
كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم
ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم • واعلم
ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع
وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة
وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة
وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى الملبس والمطعم
والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه • واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال
العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد
الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من
لطائفه تارة تعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة
وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق
وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا
بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية
الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه مصدره واليه مرجعه • واما البدن فمطيته التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في الطريق آلة كالناقة للبدن في
طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية • ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه
في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه تفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش
وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما
اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب
تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال
الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح
قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق
عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل الى علم المكاشفة كنسبة
اولئك الى سالكي طريق الحج او ملابسي اركانه وتامل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراءة تامة على مباينة
الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف التعلم **بيان وظائف المرشد المعلم** اعلم ان للانسان في علمه اربعة
احوال كما له في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون
منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل تغني عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس
تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره
ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عريانة وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل • شعر • ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق
ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال
صلى الله عليه انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم

من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية ولولا المعلم السابق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية
الدايمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابنا
الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض
ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابنا الآخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين
المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين
ابنا الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما
المومنين اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه
فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد جزا ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل
يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة منفعتك بها تزيد على منفعة
صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله قال الله تعالى
قل لا اسئلكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان
كمن مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض
الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم
فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو
تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجته ومسخرا بين يديه
في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس
نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان
يمنعه من التصدي لرتبة قبل الاستحقاق والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة
ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان
كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله
فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه
الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة
للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يرده الى الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ
ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهو متوقع في هذه
العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا
في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد
تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله اعلم وقد راى سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا
او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق
التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت
البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحوا وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لك لتكون سمرا بل لتتنبه به على سبيل العبرة
ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب
عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته
تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض
النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان يجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره
فان كان متكفلا بعلوم ينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله
فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر حيث قال نحن معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه
الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى

صدره ان هاهنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار ولا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
يفهم المتعلم ولم يكن من اهل الانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير وكذلك
قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل
اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني
وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق
شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له
ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويوهم اليه البخل به اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو
راض من الله في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقايد الماثورة
من السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه
لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا ماردا يهلك
نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي هم بصددها ويملا
قلبه من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي
ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة** ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب
قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه
فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشيا والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل
النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه شعر وكيف استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل
بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضايل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة
العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال
صلى الله عليه ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم
علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال
ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه من كتم علما عنده الجمه الله
بلجام من النار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال ايمة مضلون وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى
لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى صلى الله عليه الى متى تصفون طريق المدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر
العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة **واما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب في العمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع
علم العلماء وطرايف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له
وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال
الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه ورجل لا يدري
ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا
ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر
وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب **وانشدوا** عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
وقال صلى الله عليه ان العالم يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول يوتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك
فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك

من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل
الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سوا اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات
وقال عيسى مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها
جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين لك ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد
عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا
وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما
اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجح احديهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين
احدهما مملو فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلي يفرغ الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو
فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان
فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرايع الانبيا كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى
آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته
وفي اخبار داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسئل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق
محبتي اولئك قطاع طريق عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك
قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة
اذا طلب الدنيا بهما وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض
الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن
نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم
كسروية واثوابكم طاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا
وراعي الشاة يحمي الذيب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذياب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد
وقيل لبعض العارفين اترى ان من يكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال ما اشك ان من يكون الدنيا آثر عنده من الآخرة انه لا يعرف الله وهذا
دون ذاك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت
الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث
ولو ذهب عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه
الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد
من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال
سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون
مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب
المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلم
كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن
حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر بالسنة روى ابو هريرة انه عليه السلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله
ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في
علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل
فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدردا انه عليه السلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبيا قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل
ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون
وبي يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله

للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا
شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي
مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس
واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده
موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا
الخنزير فقال موسى يا رب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه
ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله قال
من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلما
من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلما من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شي من علمه او تهون
بشي من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلما من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا
فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلما من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلما
من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلما من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك
السادس من النار ومن العلما من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه
تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثنا ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله
جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال
يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس
مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى
خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي الآية الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الآخرة
على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشي ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله
واسمعوا وقال الله تعالى لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه هلاك امتي عالم فاجر
وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلما وخير الخيار خيار العلما وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما السو
انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلما يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدردا ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل
سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا
كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال
مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب
انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله
وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ من آيات الله وقال ابراهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب
وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا
فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلم مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر
فحملت وظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان
قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث بهن ينهدم الزمان احدهن زلة عالم
وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان يملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمائهم مثل السباخ من
ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله

ينابيع الحكمة وتطفى مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بيّن في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب
فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علّموا لغير الله والمتعلمين تعلّموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم
وقال حذيفة انكم في زمان من ترك منه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي فقد
قال عليه السلم القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء
يزهّدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوّفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون ويؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقرّبون
الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله
عليه انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوّفا حتى يموت
وما عمل وقال السري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رايت في النوم قائلا يقول لي الى كم تضيع العلم ضيّعك الله
فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن
اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن
اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ولا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا
وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى
ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغّب
في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة
وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به
وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله وقال علّمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب
قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلّمك غرائب
العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما تعلمت مني
في هذه المدة فقال ثماني مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب
فقال هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه
فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله تعالى عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت
كل من معه شيء له قيمة ومقدار عنده رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى
لي عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا
واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله
وتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله سبحانه ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت
كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه
الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته
وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي
قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهو يدور على هذه الثمان فمن استعملها فقد
استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه
ويهملون امثال هذه العلوم التي بعث بها الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام
ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه
بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة درجته ويشهد لذلك ما
حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس

معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان
اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما
جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم
متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي فسال وحاتم قائم فاوما اليه ابن مقاتل
ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال ما هي قال مسئلة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستو حتى اسالك فاستوى قال حاتم علمك هذا من
اين اخذت قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله قال واصحاب رسول الله عمن قال عن رسول الله قال ورسول الله عمن قال عن جبريل
عن الله سبحانه وتعالى قال ففيما اداه جبريل عن الله تعالى الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل
سمعت في العلم من كان في داره اميرا وسعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة الكبرى قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب
في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله عز وجل المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين
رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة
لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا ان الطنافسي بقزوين اكثر
شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضا للصلوة قال نعم
وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا فقال حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك
فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال
غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل البيت
ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن عجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال
معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اتجاهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله
ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم
وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت كذا اسلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة
رسول الله قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كانت لهم
قصور انما كان لهم بيوت لاطئة فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك
قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة وقد قال الله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله عليه ام بفرعون وهو اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسياتي
من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق
تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب يلزم في الغالب من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخر هي
محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع
القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي فقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على
الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطايا وارتحل اليك الناس فاتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك
وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلم فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس
الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب امتعك الله تعالى بالتقوى وجزاك بالنصيحة
خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل
ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول
فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلم فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا
ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله
ذلك على المراءات والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية
وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد

الى القراء عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلوا عن تكلف في طلب
مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى
تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع
في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها
وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى
السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله
قيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هو
قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال صلى الله عليه العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من يأخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث
يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق وثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل وقال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء
فاحترزوا عنه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه شرار العلماء الذين يأتون
الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في
نار جهنم بعدد خطاه وقال سحنون ما اقبح بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم
يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربته اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة
والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني
اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم
وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل كان له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال كان لا يغشى
السلطان وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن
استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن
خصمهم والله اذ علم ان التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان
وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء
وذريعة صعبة للشيطان اليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم
عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه
هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى
الحسن رحمه الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك
بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف
يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل بن عياض وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط
يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم للسلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا
ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان
سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر
العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف
بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه
وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطأها اصيبت مقاتله قال ابراهيم بن ادهم ليس شيء
اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم
ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام
ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول
تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا في جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من اين

شرار

اجبت وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم والثوري وابراهيم بن ادهم رحمهم الله يتكلمون
على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلام ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن
خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل وسأله وقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق وكان ابن عمر يسأل عن
عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول
ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسأل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها
الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم رأس مشوي وهم في غاية الضر فاهداه الى الآخر واهداه
الآخر الى الآخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد
الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى
وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال الله تعالى لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأي من الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه
من الرأي والفتوى فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابو حصين ان احدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها
اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة
وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون ويقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل
احد يغترف منه ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما
وقال ابو سليمان الداراني المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد آخى بينهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان
ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن
المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيره فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيره حديثا حديثا فتعجبوا
من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن
ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقائق علم
القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال
الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم
طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم متوفر في العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم
الارضين من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم
من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تنفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال
رسول الله صلى الله عليه قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء افضل من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فان سألني اعطيته وان استعاذني اعذته
الحديث وفي بعض الروايات فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا بي يسمع وبي يبصر الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب
المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان
ذلك من تنبيهات القلوب الزكية المقبلة الى الله تعالى بالهمة المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملات ودقائق خواطر القلوب
فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي
رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين

بدان يكسب الطاعة في حيوته وجميل الاجر بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احيا والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغري بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكا وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة • ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين • قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين معناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل • قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار • وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه • وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات • فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه • فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات • الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى شكا • الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا • الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو اخطر بالبال تابى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر له امكان خطاء امامه نفر عن قبوله • الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة • ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام • ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمودي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا وهو محال اذ يؤدي الى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك • الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد

له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت • وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين المعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء • فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني • واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال • واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر فلذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به الشرع وقد يكون قوي اليقين في بعضه • فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وقلته وكثرته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه • فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال منه الغضب على الوسائط والرضى منهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى • الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخر القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله تعالى في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها • واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك • فاما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على علانيته فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله تعالى الكالئة اشد من مبالغته في تزيين علانيته لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن • ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع • وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء • فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بامر الله لا بايام الله

وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون
والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك
عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء
فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله تعالى
زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في
الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع
سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف
ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل من نفاقك
شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى النبي قل له الآن وافقت رضاي
وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا
يمقته هذا احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال خير قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب
خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس
اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء
اذا فسدوا وقال صلى الله عليه ان اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة
اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس
من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله رجل قمش علما اغار به في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما بكر فاستكثر
مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المهمات هيأ حشو الرأي
من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس
قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام ولا ملي باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات
وحقت عليهم النياحة والبكاء ايام حيوة الدنيا وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بالهزل فتمجه القلوب وقال بعض
السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة
به على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة الاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة
وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يوقف
عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده
وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون
القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة
وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهوم من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد
اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع
فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما نزل على رسول الله صلى الله عليه قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل ما هذا الشرح
فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسد الاعمال ويشوش القلب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر
ولذلك قيل شعر عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها
المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس
الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع
صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل
والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق

ممقوت

للرسول

العاملين

على القرب من الله وشرها في ان تسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه
بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه
الناس كلاما بكلام النبي صلى الله عليه واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمات في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك فمن اين اخذته قال من حذيفة بن اليمان
وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه كان الناس يسألونه عن الخير وكنت
اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول
الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة
قد خص ايضا بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة
والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر
اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله هو دأب علماء الآخرة لان
القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين
فاين التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد
وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات
القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل
منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل كان في البصرة مائة وعشرون
متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التستري والصبحي وعبد الرحيم رحمهم الله وكان
يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعوام فامره
قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب
الشرع صلوات الله عليه فيما امر به وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه ثم اذا قلد صاحب الشرع
صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول صلى الله عليه فعله فالرسول
صلى الله عليه لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك
كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار
في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وقد كان تعلم من زيد بن
ثابت الفقه وقرأ على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلعم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا من الصحابة
فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا
ادركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطأ واذا كان
الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر
التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا
نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وخافوا اتكال
الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة
القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر رضي الله عنه
لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك بن انس تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف
في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص
في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب

والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقصاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعه عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابه وعلومهم ظاهره عندهم حتى كانوا يعرفون به مباينة هولاء لهم فاستمر عليهم اسم العلما وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخره مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فيقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدره على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفه فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبه الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابه وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابه وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظره والقضا والولايه وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشره او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهده ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن وتعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابه واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه فان الناس راوا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنه فادعوا انه لا سبيل الى الجنه سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنه لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن افعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثه بدعه وان كل بدعه ضلاله الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصيه وخالط اهل الفقه والحكمه طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنه ولم يعدها الى بدعه وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفه اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابه اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجديدها وانفاق الاموال العظيمه في دقايق عمارتها وفرش البسط الرقيقه فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعه وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل والمناظره من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التقشف في النظافه والوسوسه في الطهاره وتقدير الاسباب البعيده في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمه وتحريمها الى نظاير لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلما يقولون حرام وحلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهيه والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروه يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنه فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآرا قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفا القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعه فقال انها ليست ببدعه هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقا على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملايكه والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعه يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنه بالنسبه الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبه الى من خالف امر الملك في خدمة معينه وذلك قد يغفر واما قلب الدوله فلا وقال بعض العلما ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفا وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل

من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلاله لها حلاوه في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال ايضا افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابه مما جاوز قدر الضروره والحاجه فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابه فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هولا ما نصيب منهم شيا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جا التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هولاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولا شيا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولا قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوايهم كيف شيتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سياتهم حسنات قال فجا قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهوا وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعدا وقادهم اين شاوا فان قلت من اين عرف قايل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقه وتاره في اليقظه على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثله كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوه العاليه كما ان الرويا الصادقه جز من سته واربعين جزا من النبوه فاياك وان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلما الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاوليا الله ومن انكر ذلك للاوليا لزمه انكاره للانبيا وكان خارجا عن الدين بالكليه وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علما الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علما وقال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامه واستماع كلام اهل الغفله وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاه اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلما لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايل الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم للدين المحتاط العزله والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزله بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفه المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصيه وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبه او عن سماع غيبه او عن سكوت عن منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل عالم المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا ومهيا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانه على قطع الطريق فهذه اثنا عشر علامه من علامات علما الاخره يجمع كل واحده منها خلقا من اخلاق علما السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلما الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فيها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرويه من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعاده في الدنيا والاخره او كيف يستراب فيه والبهيمه مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوه واقواها سطوه اذا رات صورة الانسان احتشمته وهابته لشعورها باستيلايه عليها بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمه صلى الله عليه هابوه وترايا لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوه وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضروره وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات والآثار في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحيوه فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمه اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزله رث الهيه وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزله حسن الهيه

[illegible] والقرده والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب • فان قلت هذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه لا يتحيز • فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة • وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي عليه السلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم • وعن عمر انه صلى الله عليه قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله • وقال صلى الله عليه ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس • وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه قال لكل شي دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير • وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد قال العقل • وعن البرا قال كثرت المسائل يوما على رسول الله فقال ايها الناس ان لكل شي مطية واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة افضلهم عقلا • وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي عليه السلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم • وعن البرا بن عازب انه صلى الله عليه قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المومنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم عقلا • وعن عايشة قالت قلت يا رسول الله باي شي يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي آلة وعدة وان آلة المومن العقل ولكل شي مطية ومطية المرء العقل ولكل شي دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راعي وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امري عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المومنين العقل • وقال صلى الله عليه ان احب المومنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح • وقال صلى الله عليه اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

نياتهم

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معاني مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطا فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معاني كما يطلق اسم العين مثلا على معاني عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي به يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشيا ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجرا العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار وساير البهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجرا العادة فانه لو قدر الحمار جمادا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة اختصت بها يعبر عنها بالحيوة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر [...] هذه الغريزة • الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود

الا هذه العلوم • الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بها يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا • والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما تقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب • ولذلك قال علي رضي الله عنه شعر

العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضو العين ممنوع • والاول هو المراد بقوله عليه السلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه السلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه لابي الدردا ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز • وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلم ان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشي بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشي وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الما في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شي جديد وكذلك الدهن في اللوز وما الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشيا على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر • وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكان التذكر ضربان احدهما ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان تكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال تعالى ما كذب الفواد ما راى • وقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى وقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا • وهذه الامور التي كشفت للانبيا بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت الناس في العقل

اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والمبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص في مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل ما يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك • فاما الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلا القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة

وكثيرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان
فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما
رجعت التسمية اليه وقد يكون لمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد ◦ واما القسم الثالث وهو علوم التجارب
فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده
فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله
نور الصبح فان اوايله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين
الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة بغتة بل تظهر شيا شيا
على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ◦ ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه مثل
عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما
انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل ينبعث من نفسه حقايق الامور دون التعليم يكاد زيته
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبيا صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن
مثله عبر صلى الله عليه حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما
شيت فانك مجزي به ◦ وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبيا يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة
البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات
الوحي يستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شي ووجود
المعلوم شي ولا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا او وليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا ◦ وانقسام الناس الى من يتنبه
من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الما ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا
والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا اختلاف النفوس في
غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملايكة
قالت يا رب هل خلقت شيا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك
فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ◦ فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات
وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى
به عندهم ◦ فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمها وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم ذلك فما الذي يحمد
فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين
ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهايم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا
الحقايق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ ◦ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم ◦

تم كتاب العلم ◦ والحمد لله حمد الشاكرين والصلوة على سيدنا محمد وآله اجمعين وحسبنا ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم ◦ كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول

فنقول وبالله التوفيق **الفصل الاول** في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام ◦

الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد ◦ المنعم عليهم بعد شهادة
التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات التشكيك والترديد ◦ السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه واقتفا صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد
والتسديد ◦ المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد ◦ المعرف اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا
مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له ◦ لم يزل
ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا ◦ بتصرم الآماد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والباطن والظاهر **التنزيه** وانه
ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله
الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شي ولا هو مثل شي ◦ وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه

السموات وانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استوا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال
لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا
الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل
الوريد فهو على كل شي شهيد ◦ ولا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام ◦ وانه لا يحل في شي ولا يحل فيه شي تعالى عن ان يحويه
مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في
سواه ذاته ◦ وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله
مستغنيا عن زيادة الاستكمال ◦ وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم
بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة** انه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور وعجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فنا ولا موت ◦ وانه ذو الملك
والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر السموات مطويات بيمينه والخلايق مقهورون في قبضته وانه المتفرد بالخلق
والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور
لا يحصى مقدوراته ولا يتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس
الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة**
وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران
زيادة او نقصان طاعة او عصيان كفرا او ايمان الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شا كان وما لم يشا لم يكن ◦ لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا
فلتة خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه فلا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته
الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته
في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشيا في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم وتاخر
بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل وتغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى
سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رويته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رويته ظلام يرى من غير
حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته
ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هوا او اصطكاك اجرام
ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقرو بالالسنة مكتوب
في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق ◦ وان موسى سمع
كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما بالحيوة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من
عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها ◦ وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك
غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسما وارض وحيوان ونبات
وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشا بعد ان لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق
بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته ◦ وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن
وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم
بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما ◦ وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق
واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيايه لا بمجرد العقل ولكنه
بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاوا به **معنى الكلمة الثانية** وهي
شهادة الرسول وانه تعالى بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله
على ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم
الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه من امر الدنيا والآخرة ◦ وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يومن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان

هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة بعد الموت وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عنده بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون إلى دار القرار وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الأعمال ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل ذلك على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله ولا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقي إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيآتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء أن تقوى وذلك بأن تكثر أجزاؤه وربما يفتتها ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى إذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في قلب أبي بكر الصديق حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وأن العبد إن لقي الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال أبو عبد الأعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة

يقول

لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث وقال أحمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه هلك المتنطعون هلك المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه ويعلم طريقه ويثني على أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن المحذور من الكلام إن كانت هي لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن أين تحرم معرفة الله بالدليل وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه فكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان أي حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم إلى قوله فبهت الذي كفر وذكر احتجاج إبراهيم ومجادلته والمحاجة خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وقال تعالى يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين إلى قوله أولو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة إلى غير ذلك من الأدلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن والصحابة أيضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس إلى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون من إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيتم عائشة في يوم الجمل فوقعت عائشة في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروي أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن أبي طالب رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الإيمان قال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكوة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أنا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فيه فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر المحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخاطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين فإن قلت فما المختار فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل واعلم أولا أن الشيء قد يحرم

لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا نلتفت
الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما حرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار
والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة
كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت
فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
حلال او مندوب او واجب كما تقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد
وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله
ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب
الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو
اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه
ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا
هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره ● واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق
ومعرفتها على ما هي عليها وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته
من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة
المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن
كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها
على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد
يدفعه ● والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام لما فيها من صلاح
دينهم ودنياهم من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب اذ وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي
ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشغولون
بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم
اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح ● واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق باللطف
لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير فان ذلك انفع
من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين
من مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذلك مع من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة
البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود
الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا دواء الجدل
فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد يقل فيها البدعة ولا يختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص
وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب
الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره
فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه
في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان
اقنعه ذلك كف عنه وان لم يشفه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فيتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله
فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه وتعالى او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من
المصنفات هو الذي يرجى نفعه ● فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان وعن الادراكات
والخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت بكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب
عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة ● والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة وذلك ايضا

استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ● ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات
والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين
وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة التي تذم فيها
والحالة التي تحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع ● فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت
الحاجة فلا بد وان تصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق بالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر
ذلك بالتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا
من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة ما كانت ماسة اليه ● فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة
التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب ان يدرسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء
وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال احدها التجرد للعلم
والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم
لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه ● والثالث ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق
بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون
ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة
المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها
صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا
عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود
في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها
فاما ازالة الشبه وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليها ودرك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة
وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق
وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك هو البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله **مسئلة** فان قلت هذا الكلام مشير الى ان هذه
العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال
الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد ● فاعلم ان انقسام هذه
العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوائل الصبي شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلى ومقامات
العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا ● وقال علي رضي الله عنه ان ههنا علوما جمة لو وجدت
لها حملة وقال عليه السلام نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ● وقال صلى الله عليه ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث
الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام
عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ● وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر ● وقال صلى الله عليه ما فضلكم ابو بكر بكثرة
الصيام والصلوة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره
على غيره ● وقال سهل التستري للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره
لاحد ● وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ● وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو
اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان
الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه ومدارك الورع النبوة **مسئلة** فان قلت فهذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف
الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة
عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي
واحدا ● فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي

ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان نتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف
به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف
الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة
او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم
ترجع الى خمسة اقسام **الاول** ان يكون الشي في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله فيصير ذلك
فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركها وتقصر الاوهام
عن تصور كنهها ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان
يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون باداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه وتعالى من
الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم
وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شي لم
يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته
وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كانت له من
قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله تعالى ما هو ثابت
لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيره من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص
الرب تعالى به من الجلال • ولذلك قال صلى الله عليه لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو
اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله • ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله • وقال الصديق الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته
الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض
صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره **القسم الثاني**
من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكره ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين
وسر القدر الذي منع اهل العلم به عن افشايه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر
رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضا الله عز وجل وارادته ومشيته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم
اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطايفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم
عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم • ولو قال قايل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان
مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت
قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث**
ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم
وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق
الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك
ومن هذا قول الشاعر • رجلان خياط واخر حايك ... متقابلان على السماك الاعزل • لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل •
فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله
عليه السلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه
معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله اما يخشى من يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس
حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل لخاصيته وهو البلادة والحمق
وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتدا وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر على خلاف
الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي • اما العقلي بان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن
صدور المومنين فلم نجد فيها اصابع • فعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم
تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا

مع الشي قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس
في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه • واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراوه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الما هو القران ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتملت شيا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها
لم يحتمل والزبد مثل الكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الما فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة
من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراوه على الظاهر غير محال فيجب اجراوه على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك
الانسان الشي جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر
والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما
ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه
ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة • الاول
تصديقه بوجوده قبل وقوعه والاخر عند وقوعه والاخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما
يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق
وليس في شي منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر **القسم الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده
نطقا والبصير بالحقايق يدرك السر فيه وهذا كقول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورايي وهذا تعبير عن
لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حيوة وعقلا
وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف فتقول اتينا طايعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه نبا عن
كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله وان من شي الا يسبح بحمده • فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بصوت
وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى
كما يقال وفي كل شي له شاهد ... يدل على انه واحد • وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات
والحال فكذلك ما من شي الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك
شهادته ذوو البصاير دون الجامدين على الظواهر • ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون
فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق
بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصاير في علمه ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات
اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة
في قولهم افيضوا علينا من الما زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا اخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان
خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله عليه السلم الحجر
الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب
الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح
الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم
كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سيل عن الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وذهب
طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة
عليهم حتى اولوا من صفات الله تعلق الروية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط
وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها
على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوه الى الام عقلية وروحانية
ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهولاء هم المسرفون
وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت
لهم اسرار الامور على ما هي عليها نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه • فاما من ياخذ معرفة

مطلقا

الزجر

ينبه

هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وانه غير مخالف له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة واذا رأينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي هذه

الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم يتحقق الاحاطة بما يدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول

الركن الاول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد

الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة

الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه ثابتة مؤيدة بالمعجزات

الركن الرابع في السمعيات وهو اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة

فالركن الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تأمل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتأخره فاختصاصه بوقته دون ما بعده وما قبله يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم نشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف تعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة

الاصل الثاني العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه

الاصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث

الاصل الرابع العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمي جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر فيستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم جاز ان تعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف عن الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم

الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته

الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين او شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منتكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وسمي الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار جهة بعد ان لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه وتعالى عن ان يكون له فوق اذ تعالى عن ان يكون له رأس والفوق عبارة عما يلي جهة الرأس او تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل فكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

واضطر اهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر اهل الباطل الى تأويل قوله وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك

على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما
يؤدي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والاقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار
الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى لن تراني وليت
شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهوا من الجهلة
الاغبيا اولى من الجهل بالانبيا واما وجه اجرا اية الرؤية على الظاهر هو انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم
فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان
يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع
واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له فيساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه
انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته
كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا **الركن الثاني** العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول**
العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج
والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك
اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض والسموات صادق
في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في
دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى
في الهداية والتعريف **الاصل الثالث** العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا
لجاز ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات
الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدي المعيد والفعال لما يريد وكيف
لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين
والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت
الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده **الاصل الخامس** انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته
هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما وكيف لا يكون سميعا بصيرا
والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص
والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة ابرهيم صلى الله عليه على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاصبحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وكما
عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم
بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما
وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبيا ولم يلتبس على جهلة الشعرا
حتى قال قائلهم ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث
فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان البا قبل السين في قولك بسم الله
فلا يكون السين المتاخر عن البا قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع
موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر وكمية
وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات
هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظا في مقدار ذرة من القلب
ومرئيا في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا
في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبة اسمه في الورق
ولاحترق **الاصل السابع** ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات

من القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها
عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير
وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل
قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب لصار مامورا بذلك الطلب
الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك بذات الله ومصير موسى مخاطبا به بعد
وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل الثامن** ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما
حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس
لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت
باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا
تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيف ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو
جاز ان تحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع
وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم
متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم
بلا عالم بل هذه الثلثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم
اذ لا فرق بين هذه الاوصاف **الركن الثالث** العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه
واختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله
تعالى خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر
العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها
وهي متعلقة بحركات ابدان العباد فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون
الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت
هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك
والملكوت جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله سبحانه وتعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب
بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب
ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا
وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزا
الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر
من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع
حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث** ان فعل العبد وان كان
كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضا الله وقدرته وبارادته
ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك
والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشا ويهدي من يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء
كان وما لم يشا لم يكن وقوله تعالى ولو يشا الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرايم
ان كان الله يكرهها ولا يريدها فانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته
فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما
يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند
المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله
تعالى صح انها مرادة له وان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه

فاعترض بمرد بحيرة عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان
فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان متمهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع**
ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من
مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي
في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي
الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى المحال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله المعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به
المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر
بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب
وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله سبحانه وتعالى ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة
ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان
يامره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان لله ايلام
الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن
التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما
صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسيها من الالام ويجب
ذلك على الله سبحانه فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف
الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب
الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة نفرضها عليهم وهو ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي
وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند
المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد
فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول الله تبارك وتعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح
لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات اللظى ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا
رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال
فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون
الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض
الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك
عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته
وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء او في الآخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به آفة وكل
ذلك على الله محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله وطاعته واجب بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان
يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبه لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض
والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف
عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليه مع ان الطاعة والمعصية في حقه متساويان
اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق
المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا
يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول
قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت
صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه

للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا حذركم وتعرفوا صدقي
بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين
فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى
كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات
فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه
ضرر في الآخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال
المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة
الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة
والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن
فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا
مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه في الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه
البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول
الملك فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك
نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع** السمعيات وتصديقه صلى الله عليه فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد
ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كالابتداء الانشاء قال الله تعالى قال
من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو
ممكن كالابتداء الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من الاجزاء
التي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه
من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان يسمع رسول الله صلى الله عليه كلام جبرئيل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين الاستعاذة
من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب
من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال
تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلوما للعباد
حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف
قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على
الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه ابو بكر ثم عمر ثم عثمن ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين ولم يكن نص رسول الله صلى الله
عليه على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس
حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وخرق
الاجماع وذلك مما لم يستجر على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله
عليه عليهم وما جرى بين معوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمن مع
كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فرأى التاخير اصوب وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم
يوجب الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي
الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع

عليه الا رسول الله وقد ورد في الثناء على جميعهم اخبار وانما يدرك المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الاحوال دقائق التفضيل فلولا فهمهم
ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف
خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات
فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن
تصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد
على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو
البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة
والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة
والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده **الفصل الرابع من قواعد العقائد في الايمان والاسلام وما
بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه مسائل ثلث مسئلة**
اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل عنه يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان
وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير
تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما
في الدنيا والآخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق
قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد
وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم
وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص فكان
الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد
ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي
حديث جبريل لما ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال ما
الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له
سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه سعد فاعاد رسول الله وروي ايضا انه سئل وقيل له اي الاعمال افضل
فقال الاسلام وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب
واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل
الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة
عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد
المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان
وعلى هذا الوجه جرى قوله قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فصل احدهما عن الآخر ويريد بالاختلاف تفاصل المسميين واما
التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب
وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل
لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل
ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق
الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه
ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث الثالث** عن الحكم الشرعي والاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي

فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا
يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قائل يقول انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان
ونحن نكشف الغطاء ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة **الدرجة الثانية** ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول
والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فقال المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين
المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره **الدرجة الثالثة** ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه
فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ
هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه
لا يكفر احد الا بجحوده بما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق
بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت
صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا
في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات
التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد التصديق
بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا
مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل
للايمان الا التصديق بالله وملائكته واليوم الآخر كما سبق **الدرجة الخامسة** ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها
ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان
الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق
الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليست كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام
والاول اظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم **الدرجة السادسة**
ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم
الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه وانما نشك في امر ثالث
وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب
حالة موت القريب والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال
احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه
وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر كان يراعي
ذلك فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا في جملة ما يجب لله كالصلوة وليس هذا مناقضا
لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ
والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع
فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن اما المرجئة
فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وكقوله تعالى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقوله كلما
القي عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله عز وجل والله يحب المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا
حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان بهذه الآيات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب
والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على

الاقسام وقوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فتخصيصه بالكفر تحكم وقوله عز وجل الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه • وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا • وقوله تعالى كلما القي فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الاية وقع للاشعري ولطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها • واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وان منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى ذلك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب • فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر من السلف قولهم الايمان قول وعقد وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض • وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج من الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية.

مسئلة فان قلت اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان • فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه • الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال الله تعالى فزادتهم ايمانا وقال زادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقائد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل • وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر • وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه • وقال

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر •
فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر •

ولنرجع الى المقصود فان هذا الغرض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا قوله تعالى

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون • **الاطلاق الثاني** ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه مؤثر فيه • **الاطلاق الثالث** ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة • وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت •

مسئلة فان قلت فما وجه قول السلف انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه • فقال سفيان الثوري رضي الله عنه من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله عز وجل كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله • وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول آمنا وبين ان يقول انا مؤمن • وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله تعالى كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا اقبل لك عملا فانا اعمل في غير معمل • وقال ابرهيم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة • وقيل لعلقمة امؤمن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان لا يستندان الى الشك ووجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله • الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب • وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج النفس عن تزكيته فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء • الوجه الثاني التادب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله تعالى فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون • واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف كان الامر • الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال • اما العمل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات • وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقال هم درجات عند الله • وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال • واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر • وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب • ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين

قلب عليه حكم لهما وفي لفظ آخر غلب عليه ذهب به. وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها. وفي حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النملة على الصفا. وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات. وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء منه. وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه. وهذا النفاق مضاد لصدق الإيمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق. وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض. وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة. وقال أيضا شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. وقيل للحسن إن قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهبا. وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج. وقال رجل لحذيفة إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن النفاق. وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينا هم كذلك إذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة يعني سوادا من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم فقال انظروا إلى سفعته خبر من نيته السفعة علامة من سواد والأسفع الذي أصاب خده علامة سوداء. وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات. وقال سري السقطي لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه جميع الأشجار عليها من جميع الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها. فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت. وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله. فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار. والثاني يفضي إلى النار إلى مدة أو ينقص من درجات العليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء وأصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصديقون.

الوجه الرابع وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدري أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا فإن ختم له بالكفر حبط الإيمان السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر بعد ذلك تبين كذبه إذ كانت صحته موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان أكثر بكاء الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى. وقيل في قوله عز وجل وجاءت سكرة الموت بالحق أي بالسابقة يعني أظهرتها. وقال بعض السلف إنما توزن من الأعمال خواتيمها. وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلب. ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك. وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء. وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد إلى باب الدار. وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد. وفي حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل. وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك. وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الأمور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب

فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله المعين والموفق للصواب وحسبنا الله ونعم المعين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله أجمعين وسلامه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أسرار الطهارة ومهماتها

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلاة على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة. أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة. وقال مفتاح الصلاة الطهور. وقال الله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين. وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الإيمان. وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم. فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله الطهور نصف الإيمان عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وتخريب الباطن وإبقاؤه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات. فالطهارة لها أربع مراتب. الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث والفضلات. والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. والرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الأنبياء والصديقين. والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال تعالى قل الله ثم ذرهم لأنهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني. وهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالصفات المحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا. نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشر الأخير بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في أمر الظاهر حتى إن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء. قال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر. وقال عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها. ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه أربعة المناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة مع النعلين أفضل إذ رسول الله صلى الله عليه لما نزع نعله في صلاته إذ أخبره جبريل عليه السلام أن عليه نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم. قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها. وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة. فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه. فإن قلت أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التكلف والتنظف بإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى إذ صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فليفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف

وأما مصيره منكرا بأن يجعل ذلك أصل الدين وتفسير قوله صلى الله عليه بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل تساهل الأولين وأن يكون القصد به
تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه مباحا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزيين
وأن لا ينكر على من يترك ذلك منه ولا يؤخر بسببه الصلوة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن تربية علم أو غيره فإذا لم يقترن به شيء
من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا
يعني فيصير شغلهم به أولى لأن التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر وإسراف وأما أهل العلم والعمل
فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به
ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ
التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال إني إذا لفارغ فهذا لا أرى للعالم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل
الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم الفرق بين
المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا
يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا
إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف فالناظر إليه معين له على الإسراف وكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال
النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل
نفسه الأمارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم
صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرف إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله
فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات
العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أموال الدنيا بحذافيرها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أنا
في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الأولى وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر
ثلثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيرها

القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة **الطرف الأول** في المزال وهي النجاسات فالأعيان ثلثة جمادات
وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل مسكر والحيوانات طاهرة إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما
فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل إليه الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة
كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها وأما أجزاء الحيوانات فقسمان أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس
بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط
وما له مقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن هذه
النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة الأول أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار الروث
في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة الثالث ما على أسفل الخف
من نجاسة لا يخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك
فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد دلك ابن عمر بثرة على وجهه وخرج منه الدم وصلى ولم يغسل وفي معناها لطخات الدماميل
التي تدوم غالبا وكذا أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الإنسان عنها في أحواله ومسامحة
الشرع في هذه النجاسات الخمسة تعرفك أن أمر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها **الطرف الثاني** في المزال به وهو إما جامد أو مائع
أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها إلا الماء ولا كل ماء
بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغني عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريبا من مائتي
وخمسين منا وهو خمسمائة رطل بالعراقي لم ينجس لقوله صلى الله عليه إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الماء الراكد
أما الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس
موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جري الماء أقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما تسفل عنها نجس وإن تباعد وكثر
إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت أود مذهبه كمذهب مالك في

في لب

أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من
جربه وتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بعسر الطهارة مكة والمدينة ولا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن
أول عصر رسول الله إلى آخر عصر الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء
والذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضي عمر بماء في جرة نصرانية كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالب يعلم بظن قريب
فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله الإناء للهرة وعدم
تغطيتهم الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الآبار والرابع أن الشافعي نص على أن
غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل إن قوة الورود
تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجانة فيها ثوب نجس أو
طرح الثوب النجس في الإجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني الخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة
ولا خلاف في مذهب الشافعي أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضي به وإن كان قليلا وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على
عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أيجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم يجر فما الفرق وإن جرى فما الفرق
بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذ يقضى
بأن ما جرى عليها وإن لم يتغير نجس إلا أن يجتمع في مستنقع قلتان وأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من الجوار السادس أنه إذا وقع
رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز تغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة
كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها السابع أن الحمامات لم تزل في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون
الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس
أنهم كانوا ينتظرون إلا عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أو ريحه وفيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب
إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جنسه فكما نرى الكلب يقع في الملح فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال الصفة الكلبية عنه فكذلك الخل
يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا هو
المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة فهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب غيره فيطهره كما صار
كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي إصغاء الإناء للهرة ولا تظنن أن ذلك عفو إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء
الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور الماء القليل وأما قوله لا يحمل خبثا في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن
يقال أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله
لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب إلى صفته وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة
في الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فإن قيل
فقد قال خبثا ومهما كثرت حملها حمدا انقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها أيضا حملا كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين
جميعا وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات إلى المساهلة فيها من سير الأولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه
من هذه المسائل **الطرف الثالث** في كيفية الإزالة فالنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت
عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص وأما الرائحة فبقاؤها
يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متوالية يقوم مقام الحت والقرص في اللون
والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها النجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباطات
إلى تقدير النجاسات **القسم الثاني** طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين
بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **آداب قضاء الحاجة** ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء
إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والعدول عنها في البناء أيضا أحب وإن استتر في
الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله وأن يتقي الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر وأن يتقي الموضع الصلب
ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في
الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني عليه السلام وأنا أبول قائما

في الحلية

ان غلب

فقال يا عمر لا تبل قائماً فما بلت قائماً بعد وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام بال قائماً فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس
منه قال ابن المبارك ان كان الماء جارياً فلا باس ولا يستصحب شيئاً عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله
من الخبث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع
الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلثاً وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس
من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي
صلى الله عليه فعله اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة امرنا
ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال
بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون
بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه مع شدة حيائه ليبين للناس **كيفية الاستنجاء** ويستنجي لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعة فان انقى استعمل
خامسة لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة
الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة
او المؤخرة اجزأه ثم يأخذ حجرة كبيرة بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلثاً في ثلث مواضع او في ثلثة احجار او في
ثلث مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة
استحبت الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمين على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر تدركه الكف
بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات
الباطنة ما لم يظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم
طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله
تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء
والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء قال رسول الله صلى الله عليه ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي
عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلوة وقال صلى الله عليه صلوة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك
وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحاً استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة
مراراً وعن ابن عباس انه قال لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي بن
ابي طالب السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره من
قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضاً وطولاً وان اقتصر فعرضاً ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وان لم يصل عقبه
وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه
لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملاً ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثاً قبل ان يدخلهما
الاناء ويقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلوة ويستديم النية الى غسل الوجه
فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثاً ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائماً فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك
وكثرة الذكر لك ثم غرفة لانفه فيستنشق ثلثاً ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم اوجدني رائحة
الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف
غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان
على طرفي الجبين فهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع
طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران
لانها خفيفة في الغالب والعذاران ما يوازي الاذنين من مبتدأ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم
العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثاً ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل
وينقيهما فقد روي انه عليه السلام فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض

وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثاً ويحرك الخاتم
ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل غرته فليفعل
وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني
كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمرهما الى القفا ثم
يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثاً ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح
اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهاراً ويكرره ثلثاً
ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان
من الغل ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثاً ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ
بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي
على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً
عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءاً وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً شكوراً واجعلني اذكرك كثيراً واسبحك بكرة واصيلاً يقال ان من قال هذا
بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في الوضوء امور ان يزيد على الثلث
وان يسرف في الماء توضأ عليه السلام ثلثاً وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل
ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن ادهم يقال اول ما يبتدأ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطاناً يضحك من الناس في الوضوء يقال له الولهان
وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطماً وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلام مسح
وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كان له منشفة ولكن طعن في الرواية عن عائشة وان لا ينفض اليد فيرش الماء وان يتوضأ من اناء صفر وان يتوضأ
بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة الاناء الصفر قال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ ونقل كراهيته
ذلك من ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلوة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله من غير
تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب التوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكاً الى بيته
فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره بالتعرض للبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه
وقال ايضاً الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم
الرباط وتوضأ صلى الله عليه مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين آتاه الله اجره مرتين
وتوضأ ثلثاً ثلثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي ووضوء خليل ابراهيم وقال صلى الله عليه من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر
منه الا ما اصاب الماء وقال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا
توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه
فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت
الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال صلى الله عليه من توضأ
فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء
وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فان الارواح
تبعث على ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلثاً ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه
من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب
الماء على شقه الايمن ثلثاً ثم على شقه الايسر ثلثاً ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه او خف
وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل
فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيد بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما
عداه من المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران النية واستيعاب

البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين
والترتيب • اما الموالاة فليست واجبة والاغسال الواجبة اربعة الغسل لخروج المني ولالتقاء الختانين وللحيض والنفاس وما عداه من الاغسال
سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر
اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الماء بفقده بعد الطلب او بمانع له عن
الوصول اليه من سبع وحابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان
به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه
تراب خالص طاهر لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة ولا
يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف او كثف • ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على
عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون
اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده
اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك
ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه وغرض هذا التكلف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة • فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب
بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم
القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية
الاول ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للشعث • وكان رسول الله صلى الله عليه يدهن
الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ • ودخل عليه رجل ثاير الراس اشعث اللحية
فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان • الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما
يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع • الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة
الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار • الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما
الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط • وفي الخبر المشهور انه عليه السلم كان لا يفارقه
المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه كث اللحية وكذلك كان ابو بكر
وكان عثمن طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية قد ملات ما بين منكبيه • وفي حديث اغرب منه قالت عايشة اجتمع قوم بباب رسول الله فخرج اليهم
فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما
يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملايكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان
يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في
تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه
الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة
بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رايج عليه بحال • وكم من
جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو ملبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير وترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون
ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السراير ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند
ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر • السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب
لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فتجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه بغسل البراجم • السابع تنظيف الرواجب
امر صلى الله عليه العرب وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها اوساخ فوقت
لهم رسول الله قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة كل اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار • وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه استبطا
الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف
وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى ولا تقل لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما تتاذى بما تحت الظفر •
الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه

حمامات الشام فقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بيس البيت
بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا • فهذا تعرض لآفته وذاك لفايدته ولا باس بطلب فايدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظايف من
السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك
من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة • وفي اباحة ما ليس بسواه لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذا لحق مس السوأتين في التحريم بالنظر
فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني الفخذين • والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر
ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق
المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر • فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو القلب عن التاثر بسماع الانكار
واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول
الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة
وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام • قال بشر بن الحرث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام وروي ابن عمر في الحمام ووجهه
الى الجدار وقد عصب عينيه بعصابة • وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه • واما السنن فعشرة
الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما
يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين
للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحيا وهو مذكر للتامل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف
في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق
في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علم الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه
تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من
فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان
المرء ينظر بحسب همته • فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحايك دارا معمورة تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحايك ينظر الى الثياب
يتامل نسجها والنجار الى السقف يتامل كيفية تركيبه والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من
الاشيا الا ما يكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر الى شي الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان
نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر به نفخة الصور • وان راى شيا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول
في سوق او دار تذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات
الدنيا فاذا انسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته • ومن السنن ان لا يسلم عند
الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتدا
الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشايين وقريبا من الغروب
فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني
في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روي بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه نزل منزلا في بعض
اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على
هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتا من النعيم الذي يسال عنه • وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب
فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام • وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما
في الشتا انفع من شربة دوا وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دوا وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس
ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال • اما النسا فقد قال صلى الله عليه لا يحل للرجل ان يدخل
حليلته الحمام وفي بيته مستحم والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بميزر وحرام على المراة دخول الحمام
الا نفسا او مريضة • ودخلت عايشة حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون
معينا لها على المكروه **النوع الثاني** فيما يحذف من البدن وهي ثمانية **الاول** شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بتركه لمن يدهن

ويرسل الا اذا تركه ورعا فقطعا فهو داب اهل الشطارة او ارسل الذوايب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعار العلوية فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك
تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه قصوا الشوارب وفي لفظ جزوا الشوارب وفي لفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي الشفة
اي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله احفوا يدل على ما دون ذلك
قال الله تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى
شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله وقال المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه
وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون
شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود
في الابتدا نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر
العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها
من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه يا ابا هريرة قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا
يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد كان صلى الله عليه
يامرهم بالقلم وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو امر به لكان فيه فائدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار
في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي انه صلى الله عليه بدا بمسبحة اليمنى الى الخنصر وختم بابهام اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما
يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتدا الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل اليه والذي
لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم اظفار اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها ثم على اليمنى خمسة اصابع
والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدى بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت
ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى
الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار تجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي
ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على
الكف حتى تصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك
لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبدا بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها
لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدا من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على
الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب ينكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتدا ربما لم يخطر لنا
واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وترتيبه ربما تيسر لنا باعانته صلى الله عليه بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه
في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي يتردد الفاعل فيها بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد
معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اوليا الله وكلما
كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركه سدى ابعد كانت قربه الى رتبة الاوليا والانبيا اكثر فكان قربه من الله اظهر اذ القرب
من النبي وهو قريب من الله لا بد وان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية
الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات بالكحل صلى الله عليه فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدا باليمين لشرفها
وتفاوته بين العينين ليكون المجموع وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله وتر يحب الوتر ولا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف
الرب ولذلك يستحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهو وتر في الاكتحال لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب
اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين افضل فهو بالزيادة احق فان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى
وهو زوج فلا بد اذا فاعلم ان الضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة
الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل واحد ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت
استقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه في حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة
حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله
واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة

الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتدا الا الانبيا ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيا السادسة
والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى
ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه الختان سنة للرجال مكرمة للنسا وينبغي ان لا يبالغ في خفض المراة قال صلى الله عليه لام عطية وكانت تخفض
يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لما الوجه ودمه واحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى اشراق
نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف
ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وعلى آله اجمعين الثامنة ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق
بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منه فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس قد
فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية احب لقوله عليه السلام اعفوا اللحى والامر في هذا
قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه
على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شي حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل
فصل وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها
والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الريا وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة
والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم
من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب
بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا
وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه انه قال
يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار
في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المومنين وكانوا
يخضبون بالحنا للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلما بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث
تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشبان واظهارا للكثرة العلم
وظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يوثر الشيب فيها ومن كان غريزته الحمق
تطول المدة يوكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسئله دونهم
وقال ابن عباس ما اتى الله عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية
آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن
فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقال او شين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضا وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل
في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حيث ولاه رسول الله صلى الله عليه امارة مكة وقضاها
فافحمه وروي عن مالك انه قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلا اذا رايت طويل القامة صغير الهامة
عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال
علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا ايحسن بالشيخ ان يتعلم من الصغير
قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي تشمه فقال احمد لو عرفت لكنت
تمشي من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها
استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المومن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب
نور الله والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة
وهما جانبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من
كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فلله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم
باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النسا وقيل في غريب التاويل اللحية هو المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال
اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية بعشرين الفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة الف وكيف تكره اللحية

وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هرون اخو موسى صلوات الله عليهما فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا **السادس** تقصيصها كبة على طاقة للتزين للنسا والتصنع قال كعب يكون في اخر الزمان قوم يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم **السابع** الزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحي او ينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح **الثامن** تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد **التاسع والعاشر** النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزا البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من جملة الاحاديث من سنن الجسد اثنا عشر خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالما فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذ كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان قذرات الباطن واوساخها التي يجب التنظف منها اكثر من ان تحصى وسياتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شا الله تعالى وحسبنا الله ونعم المعين

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد واله اجمعين

كتاب اسرار الصلوة

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الرابع من كتب احيا علوم الدين** الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه الذي جعل التنزل عن عرش الجلال الى السما الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبريا بترغيب الخلق في السوال والدعا فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص العباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى اله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الان في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب

الباب الاول في فضايل الصلوات **الباب الثاني** في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة **الباب الثالث** في تفصيل الاعمال الباطنة منها **الباب الرابع** في الامامة والقدوة **الباب الخامس** في صلوة الجمعة وادابها **الباب السادس** في مسايل متفرقة تعم بها البلوى **الباب السابع** في التطوعات

الباب الاول في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان

قال صلى الله عليه ثلثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغا وجه الله وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغا وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه اذا سمعتم الندا فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك مستحب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراه امثال الجبال من الملايكة

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جا بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شا عذبه وان شا ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الما الدرن وقال عليه السلام ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال من لقي الله وهو مضيع للصلوة لم يعبا الله بشي من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين

وسيل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله على خلقه شيا بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب اليه منها لتعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه من ترك صلوة متعمدا فقد بري من ذمة محمد صلى الله عليه وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيية فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسعى فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلى الله عليه يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال فكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفيوها

فضيلة اتمام الاركان

قال صلى الله عليه مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السما والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه لا ينظر الله عز وجل يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها وخضوعها عرجت وهي بيضا مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سودا مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شا الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلم اسوا الناس سرقة من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال عثمان مرفوعا من شهد العشا فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشا وقال صلى الله عليه من صلى صلوة في جماعة فقد ملا نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا اوم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلما وقال النخعي مثل الذي يوم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الما في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني جماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملا اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع الندا ثم لا يجيبه وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب له براتان براة من النفاق وبراة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملايكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد السوال كنا نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشي افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه ادع الله ان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضو وقال صلى الله عليه اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما اسى على شي من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقا الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعا عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا

وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصلي لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته
وقال النبي صلى الله عليه من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ۞ وقال صلى الله عليه انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع
وتباس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصلي اقبل صلوته انما اقبل صلوة من
تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله
فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك ۞ وقال صلى الله عليه اذا صليت صلوة فصل صلوة مودع اي مودع لنفسه
مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف يكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك
بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال ان تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فكلمه بغير ترجمان ۞ وعن عايشه قالت كان
رسول الله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها
قلبه مع بدنه ۞ وكان ابرهيم الخليل صلى الله عليه اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على
لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا
ويقول اللهم زوجني حور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يوذيك الذباب في الصلوة فتطردها
فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون
بذلك فانا قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي
يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة ۞ وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حضر وقت
الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن
علي بن الحسين انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد اقوم ويروى عن ابن عباس انه قال قال
داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلوة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي واتقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري
وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجايع ويوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضي نوره في السما كالشمس ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل
له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا ييبس انهارها ولا تتغير ثمارها ۞ ويروى عن حاتم الاصم انه
سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي
فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجا والخوف
واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام
واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلوة

قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه من بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه
الله عز وجل وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملايكة تصلي على احدكم ما دام في
مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال ياتي في آخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ۞ وقال قال الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد
فانما يجالس ربه فما حقه ان لا يقول الا خيرا ۞ ويروى في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا
يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب اي للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في
ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد بكا عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السما والارض وما
كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطا الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت بها له
يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلوة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت
بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي
عليهم او يلعنهم ۞

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء
والطهارة من الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما

فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلم عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين
في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الاستوا
واما راسه فان شا تركه على استوا القيام وان شا اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه
فان لم يكن مصلاه فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقبض مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود
الخط وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس وقل
اعوذ برب الفلق ليتحصن به من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليوذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في
الظهر مثلا ويقول بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميزه بقوله اودي عن القضا وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وليكن معاني هذه
الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر في
قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس اصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا
بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيهما تفريجا ولا ضما بل يتركهما على مقتضى طبعهما
اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على
ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان يكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض
بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد
ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال وآخره الوضع ومبدا التكبير الالف وآخره الرا فيليق مراعاة التطابق بين الفعل
والعقد واما رفع اليد كالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام دفعا عند الفراغ عن التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما
عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه كان اذا كبر
ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة
ولا يدخل بين الها واللام شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين با التكبير وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم را التكبير ولا يضمه فهذه
هياة التكبير وما معه ۞

القراة

ثم يبتدي بدعا الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي
... وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان
كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد
في الفرق بين الضاد والظا ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراة في الصبح والمغرب والعشاء
الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله
سبحان الله ويقرا في الصبح من السور الطوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشا نحو والسما ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر
قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول
الصلوة ۞

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع
راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون
عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يطمئن ويقول
سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة والعشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمان في
الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد مل السموات والارض ومل ما شيت من شي بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة
الثانية بالكلمات الماثورة ۞

السجود

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير
الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن
جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه وان لا تفعل المراة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن من الفخذين والتفريج
بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذا منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا باس وان لا يفترش ذراعيه
على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمان جالسا
معتدلا ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول
رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي

منه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق
ما بين وسط ارتفاعه عن القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف كلمة اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر في وسط
ارتفاعه الى القيام ويبتدي في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى
ويعيد التعوذ في الابتداء **التشهد** ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه
اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحته يمناه وحده عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما
بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلوة على الآل وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس
مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم
ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي
السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويجزم السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلوة المنفرد **المنهيات**
نهى رسول الله صلى الله عليه في الصلوة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن
صلوة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والمقطب والغضبان والملثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب
ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤوس اصابع الرجلين والركبتين ⊙ واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان
يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد
ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب ⊙ واما
الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضا ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر
فوق القميص في الصلوة وراه من الكف ⊙ واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرته ⊙ واما الصلب فان يضع يديه على خاصرته ويجافي بين عضديه في
القيام ⊙ واما المواصلة وهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قرائته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقرائته وان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه
بتسليمه واحدة بينهما) ان لا يصل تسليم الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما ⊙ واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب
الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع عن قوله صلى الله عليه اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة فابدوا بالعشاء
الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان ⊙ وقال الحسن كل صلوة لا يحضر
فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشيا في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات والعبث
بالشي وزاد بعضهم والسهو والشك ⊙ وقال بعض السلف اربعة في الصلوة من الجفا الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر بين يديه
ونهي ايضا عن ان تشبك اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع ⊙ قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك
فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند
في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل سقط فالاظهر بطلان صلوته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيات والآداب
التي ينبغي ان يراعي مريد طريق الآخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشر النية وقول الله اكبر والقيام والفاتحة والانحنا في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه
مع الطمانينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة
على رسول الله والسلام الاول فاما نية الخروج فلا يجب وما عداها فليس بواجب بل هي سنن وهيات فيها وفي الفرايض ⊙ اما السنن فمن الافعال
اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول ⊙ واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها
فهي هيات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيات القيام وتحسين صورته وجلسة
الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر ⊙
واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة موكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال
عنهما ثم التشهد الاول والصلوة فيه ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من
جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها موثرة في ترتيب نظم الصلوة في اعين الناظرين حتى يعرف بها
انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يوثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود ⊙ واما الاذكار فكلها لا تقتضي
سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما
لان الركوع والسجود صورتهما مخالف للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكون عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فيعدم تلك الاذكار

لا يغير صورة العبادة ⊙ واما الجلسة للتشهد الاول فعل معتاد وما اريدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير ⊙ واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يوثر مع
ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة به وكذلك الدعاء في التشهد الاخير ⊙ والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله
فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا ومعتاد ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز
عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوة ⊙ فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ يفوت الصحة بفوت الفرض
دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على
الكل ما معناه ⊙ فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها ونكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا
موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضا ظاهرة المعنى الباطن هو الحياة والروح الظاهرة اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضا ينعدم الانسان بعدمه كالقلب
والكبد والدماغ وكل عضو يفوت الحياة بفواته وبعضها لا يفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت
بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس
الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضا وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع
وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود
والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح
والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الاعضا ولكن يصير الشخص بسببه مشوه
الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي في الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف ⊙ واما الهيات
وهي ما ورا السنن فيجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما لطايف الاداب في تلك السنن فهي مكملات
الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة
من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان
اسات فعليها ⊙ ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض ولا يعبق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها
فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقو العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجا المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية
فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيات والاداب وكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني
فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها ⊙ **الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب** ولنذكر في
هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلوة
لتكون صالحة لزاد الآخرة **بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب** اعلم ان ادلة ذلك كثيرة من ذلك قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وظاهر الامر للوجوب
والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره للتحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل
لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة
انما للتحقيق والتحقيق وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه من لم تنهه صلوته عن الفحشا والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشا وقال صلى الله عليه كم من قائم حظه من صلوته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل ⊙ وقال ايضا ليس
للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان
عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان
يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة
فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه مجاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او
المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما تمتحن البدن بمشاق الحج وتمتحن القلب بمشقة
اخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث
انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سوال في قوله اهدنا
الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا وان لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في تحركه اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار
بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في
يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه

مالم يكن هو حاضرًا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارًا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعًا ولو جاز ان يكون معظمًا لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظمًا لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظمًا للحائط الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيمًا لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيره بل القرابين والضحايا التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها هذا ما يدل على اشتراط حضور القلب

فان قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطًا في صحتها خالفت فيه اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما انه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل بشر بن الحرث فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدًا وهو في الصلوة فلا صلوة له وروي ايضًا مسندًا وقال عليه السلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبًا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء انه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعًا وما نقل من هذا الجنس من الفقهاء المتورعين عن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق ولا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط فيه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرًا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيًا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالًا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرًا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعًا للمريد الطالب لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به بدم

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونًا بهما ولا يكون الفكر جاريًا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرًا مع اللفظ ولا يكون حاضرًا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورًا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظمًا له فالتعظيم زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبًا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال

واما الرجاء فلا شك في انه زائد فكم من معظم ملكًا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيًا بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اما اسباب هذه المعاني فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلًا بل كان حاضرًا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببًا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئًا اكثر ذكره وذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدًا مسخرًا مربوبًا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة فكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينًا انبعث منه بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينًا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولا نعرفه وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعًا مطمئنًا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وقال بعضهم حضرت الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابرهيم صلى الله عليه كان يسمع على ميل وجماعة كان يصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ويخرج ولو سئل عما حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب يصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لابد وان يكون معظمًا لله وخائفًا له وراجيًا ومستحييًا من تقصيره ولا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء

في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما
الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار
ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه
قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره
ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته
بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا
من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من
تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف
للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه
ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت
اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه لعثمن بن شيبة اني نسيت ان اقول لك خمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل
الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هايج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق
وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فيعاقب نفسه
بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص
عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني
آنفا عن صلوتي واتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك
الخلق وكان عليه السلم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين
سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان طلحة صلى في حائط له فيه شجر
فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه
حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمن وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه
عثمن بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان ما ذكرناه من
التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين
بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان
اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب
الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد
وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على
الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كان قرة عينه في الدنيا
انصرف لا محالة اليه همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته
الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا واذا لا مطمع فيه لامثالنا
وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي
يصب في قدح مملو بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط والسوابق فهي الاذان
والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك
وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا
بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه ارحنا يا بلال
اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب

ثم الى بدنك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل
وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما
رايك في عورات باطنك وفضايح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاخطر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستتر عن عين الله
ساتر وانما تكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين
تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف
لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه
وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها
الى جهاتها استتبعت القلب وانقلب به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا
ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه اذا قام العبد الى صلوته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته
امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطامنا مستكينا وليكن وضع الراس
عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله في هول المطلع عند
التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه
جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرموق بعين كالية من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا
عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين
الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله تعالى فقال صلى الله عليه تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من
اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء
لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر
من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرايصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما
التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد
على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته
فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن
الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك
انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات
والارض فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهممه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة
بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال
صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله تعالى وحمد الناس فكن مستشعرا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من
المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك
بالله منه بترك ما يحبه وتبدله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت
على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان وكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله
بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما
من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا
فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه

وقلبه غافل ورجل يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين • اما العظمة فانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين • ثم اذا فرغت من التعوذ بقولك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فعسى ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله • وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السورة كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء • روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور فخر ميتا وكان ابراهيم النخعي اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا • واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وقد رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله وذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره • قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه • واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله ومتبعا سنة نبيه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار واذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك • واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به

من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة مستأنفا للتحصن بهما ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملئكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع بصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه • كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله يعرف عليه كآبة الصلوة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له منه ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد • واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته • واعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله تعالى واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وتكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كوشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرائي كلها صدئة فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحث المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه وانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه • وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله تعالى الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب فاذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملئكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فانما رزق الملئكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله فيستفيد مزيد قرب وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هو وقف عليها وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم اولا بالفلاح وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته الى هذا الحد ولذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلبهم نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان •

حكايات واخبار في صلوة الخاشعين اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة

وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الما عند قضا الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن
هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السما اربعين سنة حيا من الله وخشوعا له ۞ وكان الربيع بن
خثيم من شدة غضه البصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى فكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك
ذاك الاعمى قد جا فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول
وبشر المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران
تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي
صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول
وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النسا بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله
وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشي قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قال فهل تجد شيا مما نجد من امور الدنيا
فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه
لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو
في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الآخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا ۞ وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلوة بشي من الدنيا قال لا في الصلوة
ولا في غيرها وسيل بعضهم هل تذكر في الصلوة شيا فقال وهل شي احب الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل
دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس ۞ وروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت
يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه قال ان العبد ليصلي الصلوة
لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير
وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلوة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان ۞ وروي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله
تعالى صلوته قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وسيل ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلوتهم ساهون قال
هو الذي يسهو في صلوته فلا يدري على كم ينصرف اعلى شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها
في اول الوقت لم يفرح وان اخرها من الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما ۞ واعلم ان الصلوة قد يحتسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت
الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلوة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان
الفرايض بالنوافل في الخبر ۞ وقال عيسى عليه السلم يقول الله تعالى بالفرايض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه قال الله تعالى
لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه صلى صلوة فترك من قرآنه آية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال
ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون
صلوتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرايل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان
قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراة
السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك
قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد الباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدل هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق
على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله اعلم ۞

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظايف قبل الصلوة وفي القراة وفي اركان الصلوة وبعد السلام ۞ اما الوظايف قبل الصلوة فست فاولها ان لا يتقدم
للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلثة لا تجاوز صلوتهم رؤسهم
العبد الآبق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراه من هو افقه واقرا منه الا اذا امتنع
من هو اولى به فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان
قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلوة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة من الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى به او خوفهم على انفسهم
السهو وخطر ضمان صلوتهم فان الايمة ضمنا ولان من لا يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلوة حيا من المقتدين
لا سيما في جهره بالقراة فكان احتراز من احترز لاسباب من هذا الجنس ۞ الثانية اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل
واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قايلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان

ولقوله صلى الله عليه الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله
ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه عليه السلم قال اللهم ارشد الايمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة ۞ وفي الخبر من اذن في
مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ
واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعمر والايمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه ليوم
من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ايمتكم وفدكم الى الله تعالى فان
اردتم ان تزكوا صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الايمة المصلين لان هولا قاموا بين الله وبين
خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول الله صلى الله عليه دلني على عمل ادخل به
الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازا الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة
وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه ۞ الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله تعالى ففضل اول الوقت على آخره
على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا
ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر
اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر
وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد
تاخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جا النبي صلى الله عليه وهم في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام
للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره ۞ الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله في طهارته وفي جميع شروط صلوته اما الاخلاص فان لا ياخذ عليها
اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلوة فهي اولى بان لا
يؤخذ عليه اجر فان اخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في
الفرايض اشد منها في التراويح وتكون اجرته على مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة ۞ واما الامانة
فهو الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير والاصرار على الصغاير فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي
ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثنا صلوته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل
لياخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه الجنابة في اثنا صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلوة ۞ قال
سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسوق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد آبق ۞ الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف
فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن
يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه
نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشا على العشا طلبا لفراغ القلب ۞ السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات ولا يرفع الماموم صوته
الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم اذا نووا الاقتدا ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة
وليؤخر تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدي بعد فراغه ۞ وظايف القراة ثلث فاولها ان يسر بدعا الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة
في جميع الصبح واولي العشا والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا لا
تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر ۞ الثانية ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب
وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه اولهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراته لدعا الاستفتاح فانه ان
لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلوتهم فان لم يقروا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من
الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي كنصف السكتة الاولى ۞ السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر
ما تنفصل القراة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام فان لم يسمع
الماموم في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراته السورة ۞ الثالثة ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراة الفجر والتغليس
بها سنة ولا يضر الخروج منها مع الاسفار ولا باس بان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون
ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلما قراة بعض اول السورة وقطعها ۞ وقد روي انه عليه السلم قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى

وقرءون قطع فركع وقد روي انه قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرأ من هاهنا وهاهنا
فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل
وآخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه المغرب قرأ فيها بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى سيما اذا كثر الجمع ° قال رسول الله
في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة فاذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ
البقرة فخرج رجل من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله فزجر صلى الله عليه معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرأ سورة
سبح والسماء والطارق والشمس وضحيها **وظايف الاركان ثلث** اولها ان يخفف بالركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي عن انس انه
قال ما رايت اخف صلوة من رسول الله في تمام نعم روي ايضا ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه
بصلوة رسول الله من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن
ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع
سمع الله لمن حمده **الثانية** المأموم ينبغي ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان
اقتداء الصحابة برسول الله ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا ° وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم
الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف في
ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر
للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم **الثالثة** لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع فيقول
اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه فيقول
نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ° واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين
وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها **وظايف التحلل** ثلث اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملئكة
الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله وابو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه السلم
لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام **الثالثة** اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام
قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل
بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة
الصلوات ° اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق
به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت
فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو
ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه
لا يليق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة °

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة اعلم ان هذا يوم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين وقال تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال
بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه ان الله قد فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه من ترك الجمعة
ثلثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره ° واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال
في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره
لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع ° وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه انه قال اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله له
او من ليس له قسم ادخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في
الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى
وجهه وقال صلى الله عليه خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد كذلك يسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة ° وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من
النار وفي حديث انس صلى الله عليه قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد

السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن
الايام الجمعة ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي
فتنة القبر

بيان شروط الجمعة

اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الاول** الوقت فلو وقعت تسليمة الامام
في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف **الثاني** المكان فلا تصح في الصحاري والبراري
وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه
الثالث العدد فلا تنعقد الا باربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلوة لم تصح
الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر **الرابع** الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد
بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر فاذا سلم الامام اتمه ظهرا **الخامس** ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة
فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلوة
خلف الافضل من الامامين وان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يرعى **السادس** الخطبتان وهما فريضتان والقيام
فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلوة على رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة
آية من القرآن وكذا فرائض الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين ° واما السنن فاذا زالت الشمس
واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
بوجهه ويردون عليه السلم فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة كيلا يعبث بهما او يضع
احديهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان
يقرأ آية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط
الصحة ° فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد
البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا ويرخص لهؤلاء
في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تأخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة وان حضر الجمعة مريض او مسافر
او عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل

الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا
لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله فضلا
سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه
من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا ولكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليشتغل
باحياء هذه الليلة بالصلوة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم
حملوا عليه قوله صلى الله عليه رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده
وبهذا يتم آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم ° قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها
من الامس واخسهم نصيبا من اصبح فيقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها **الثاني** اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر
فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه غسل الجمعة واجب على كل
محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل ° وقال صلى الله عليه من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقولون
لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت
وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه كان يأمر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمن وبما روي انه صلى الله عليه قال
من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى
كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال الجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث في
غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في
الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ° ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك **الثالث** الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي
ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة ° قال ابن
مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس والاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب في هذا اليوم

باطيب طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي رضي من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ⊙ واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه قال ان الله تعالى وملايكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة وفي وقت الصلوة وعند صعود الامام المنبر وفي خطبته **الرابع** البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلوة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله عز وجل اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه ⊙ وقد قال صلى الله عليه من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملايكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جا بعد ذلك فانما جا لحق الصلوة ليس له من الفضل شي والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلوة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة ⊙ قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملايكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملايكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحيي المومنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب الاخرة ويقال الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ⊙ ودخل ابن مسعود بكرة فراى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا اياها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد **الخامس** في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال اولم ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال رايتك انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانهم لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله **السادس** ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قرب من اسطوانة او حايط حتى لا يمر بين يديه اعني بين يدي المصلين فان ذلك لا يقطع الصلوة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وشدد في حديث آخر بين المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان ⊙ وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده **السابع** ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلوة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب الانكار فيه فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة ⊙ قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هولاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر

صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلوة غفر لمن وراءه من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه ⊙ وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي عليه السلام قال ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها ان لم يكن مقصورة عند الخطيب مقتطع عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة وراوا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهة تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب كراهة ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعي هذا المعنى ويكره الصلوة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب **الثامن** ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت له اصل في اثر وخبر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يمد الدعا لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه ⊙ وقد روي عن علي وعثمن رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او مه فقد لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر انه سال ابيا والنبي صلى الله عليه يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاوما اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه فقال صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل ويفضي الى هيمنة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان يكره الصلوة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه يكره الصلوة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب **التاسع** ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فروي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشر** ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يامن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله تعالى ومفكرا في آلايه شاكرا على توفيقه خايفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا ⊙ قال صلى الله عليه ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق التي تعم جميع النهار

وهي سبعة **الاول** ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلوة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة روى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلوة الا ان يكون عالما بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة ⊙ قال انس بن مالك في قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من افضل القربات والصلوة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما جازت اقامته فقد قال صلى الله عليه لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا او توسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عايشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده **الثاني** ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه ⊙ وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر

واخر في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل اخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس فكانت فاطمة تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبته وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات • وقد قال كعب الاحبار انها في اخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون اخر ساعة وقد سمعت النبي يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة قال بلى قال فذاك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى ان هذه رحمة من الله للقائمين بحق اليوم وان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما **الثالث** يستحب ان يكثر الصلوة على رسول الله في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضى ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه فان اراد ان يزداد اتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى العرش درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين رب العالمين وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ الصلوة ولو المشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روي ان ابن عباس وابا هريرة قالا من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال • ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلته ان قدر وان يكون ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فان له فضلا عظيما وكان العابدون يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى انه صلى الله عليه كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ في صلوة العشاء الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي انه كان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة السجدة وسورة هل اتى على الانسان **الخامس** الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله بذلك وفي حديث غريب انه صلى الله عليه سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما • ويستحب ان يصلي يوم الجمعة اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص • ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات بكيفيتها روي انه صلى الله عليه قال صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها فالاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار **السادس** الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه • قال صالح بن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل ابي قطعة فلم يعرف ابي تناوله اياها فلم ياخذها منه اي قال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا في مكان من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك

بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه • وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدي فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا باس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي في كتاب الدعوات

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها

فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه **مسئلة** الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب الذي يخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلاثا فقد كثر وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبراغيث في الصلوة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فيشغله عن صلوته فيوهنها قدر ما لا يؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشأ فلا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسئلة** الصلوة في النعلين جائز وان كان نزع النعلين سهلا فليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته • وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه خلع نعليه فاذا قد فعل كلاهما فمن خلع فينبغي ان لا يضع عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من رأى الصلوة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه • وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسئلة** اذا بزق في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه السلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل في صلوته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا او ذلك بعضه ببعض **مسئلة** لوقوف المقتدي سنة وفرض • اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلوته مع الكراهة • اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة فليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط اذا وقف في صحراء على يمين المسجد او يساره وبابها لافظ في المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحراء ثم يصح صلوة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء **مسئلة** المسبوق اذا ادرك اخر صلوة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في اخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة

فلنقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب
له والتكبيرات للانتقالات الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن في الركوع والامام بعد في حد الراكعين
فان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة **مسئلة** من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدا بالعصر
اجزاه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف ◉ فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك
جماعة صلى بالجماعة ونوى صلوة الوقت والله تعالى يحتسب اكملهما فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة
فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة **مسئلة** من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا تلزمه
ولو راى النجاسة في اثناء الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث اخبر جبرئيل ان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه
لم يستانف الصلوة **مسئلة** من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وكان يبطل الصلوة
بعمده او شك فلم يدر صلى ثلثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث
بطلت صلوته فانه لما رغب في السجود كانه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة فلذلك يستانف السلام بعد السجود
وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات **مسئلة** الوسوسة في نية الصلوة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع
لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد
الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل اخر
او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث اخر
سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عليه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد وان تكون معلومة وان
تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية
الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه
العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الاحاد في الذهن بحيث يطالعها النفس ويتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله
بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن
مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للموجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث
بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر
فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ◉ ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في
قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه
فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله في النية كامتثال امر غيره ثم اني ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة ◉ واقول لو لم يفهم الموسوس
النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى اخره بحيث لم يفرغ من التكبير
الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او اخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس
واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة
ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه وقد ذكرنا في الفتاوي وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى
معرفته ◉ واما العامي فربما ضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه **مسئلة** لا ينبغي ان يتقدم الماموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما
وفي سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساوقه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساوقه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم
عليه بركن ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان بسببها كما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف
فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدي ان لا يتقدم فالتقدم
عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس
حمار ◉ واما التاخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلوة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته
على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول **مسئلة** حق على من حضر
الصلوة اذا راى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جهل جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف
خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور ◉ فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود

من راى من يسيء صلوته ولم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة
وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا افتقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان
كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف
من الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد فينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان
رسول الله صلى الله عليه حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم
يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف ويدخل فيه اعني اذا لم يكن بالغا هذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسياتي احكام الصلوات المتفرقة
في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام
سنن ومستحبات وتطوعات ◉ ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيره
لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ◉ ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع
وكالصلوة عند الخروج من المنزل او الدخول فيه وامثاله ◉ ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث
رغب في مناجاة الله بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا وكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا
والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب
والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم
من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والاثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله عليه السلم
عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلوة العيد ثم الكسوف
ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها ◉ واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها
تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر
الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمان خمسة هي رواتب الصلوات الخمس
وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه ركعتا الصبح خير من الدنيا وما
فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران
طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكوكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح
مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات
للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة
اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا
فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم
والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف انقلب الترتيب وبقي اداء ◉ والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي
ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الا ان يصلي المكتوبة فيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة
الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة موكدة واربعة قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين ◉ روى ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له
حتى الليل وكان صلى الله عليه لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب
الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين
قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب ◉ وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه في كل يوم عشر ركعات
فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم تكن ندخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي
ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر اكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال
والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس
ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت
الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ونعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع قبله

ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء وينقص في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم نصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط آ ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا ادراك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر ◉ فهذا القدر لا باس بمعرفته في علم الزوال. **الثالثة** راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله مستحب استحبابا موكدا فان دعوته يستجاب لا محالة ولم يكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر. **الرابعة** راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ◉ واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله السواري يصلون الركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شاء ◉ وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخر وادى قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه اخر عمر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين. **الخامسة** راتبة العشاء الآخرة اربع ركعات بعد الفريضة ◉ قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبعة عشر كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشاء هو الوتر ◉ ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فيه ◉ قال صلى الله عليه الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا يسلم له فريضته من غير جابر. **السادسة** الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه يوتر بعد العشاء بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه كان صلى الله عليه يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة الهاكم التكاثر ◉ وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه بركعة وثلث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلثة عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلوته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه عليه السلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفرد فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشا لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا ◉ فاما اذا اراد ان يوتر بثلثة مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصول الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والآخر ان يصير الاول وترا بما بعده فيكون مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة الثلثة الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوتر بما ثالثة كان له ان ينوي به الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما ◉ والوتر ينبغي ان يكون آخر

صلوة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد. **السابعة** صلوة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات ◉ روت ام هاني اخت علي رضي الله عنه انه صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عائشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربعة ولا ينقص منه وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي عليه السلم كان يصلي الضحى ست ركعات ◉ واما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه كان يصلي الضحى اربعا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلوة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى المغرب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى في الجملة. **الثامنة** احيا ما بين العشاءين سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلوة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ◉ وقد روي عنه صلى الله عليه انه قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلوة الاوابين وقال صلى الله عليه من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله. **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة ◉ اما الايام فنبتدئ فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلوة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر ◉ وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه انه قال وحدوا الله بكثرة الصلوة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته. **الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها ◉ وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة ويستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ. **يوم الثلثاء** يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة. **يوم الاربعاء** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي. **يوم الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة. **يوم الجمعة** روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الجمعة صلوة ما من عبد مؤمن قام اذا استقبلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضأ ثم اسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ◉ ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ◉ ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ◉ ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرا في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له. **يوم السبت** وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات ◉ فاذا فرغ قرا آية الكرسي

كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع
النبيين والشهدا ● اما الليالي فليلة الاحد روى انس بن مالك في ليلة الاحد انه صلى الله عليه قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا في كل ركعة الحمد مرة وقل
هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي مائة مرة وتبرا من حوله وقوته
والتجا الى حول الله وقوته ثم قال ● اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا
حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين ليلة
الاثنين روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرا في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات
وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد
خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه خمسا وسبعين مرة ثم سال الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ما سال وهي تسمى صلوة الحاجة ●
ليلة الثلثا يصلي ركعتين في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشر مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله خمس
عشرة مرة ليلة الاربعا روت فاطمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ست ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك
الى آخر الآية فاذا فرغ من صلواته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار ليلة الخميس قال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات
والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلواته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا بهما واعطاه الله
ما يعطي الصديقين والشهدا ● ليلة الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صام نهارها وقام ليلها ● وقال انس قال النبي صلى الله عليه من صلى ليلة الجمعة
صلوة العشا الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرا في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث
ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر ● وقال صلى الله عليه اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغرا واليوم الازهر
ليلة الجمعة ليلة السبت قال انس قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما
تصدق على كل مومن ومومنة وتبرا من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربعة صلوة العيدين
والتراويح وصلوة رجب وصلوة ليلة النصف من شعبان ● الاول صلوة العيدين وهي سنة موكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي ان
يراعى فيها سبعة امور الاول التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر الى الشروع في صلوة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم
عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرايض آكد ● الثاني اذا
اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرنا في الجمعة والردا والعمامة هو الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجايز التزين
عند الخروج ● الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وكان رسول الله صلى الله عليه يامر باخراج
العواتق وذوات الخدور ● الرابع المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا باس بالصلوة في المسجد ويجوز في يوم
الصحو ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقويا مكبرين ● الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال
ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح
وتاخير صلوة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه ● السادس في كيفية الصلوة فليخرج الناس
مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وليتنفل الناس ثم ينادي المنادي الصلوة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى
سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب
تكبيرة الافتتاح ويوخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوايد في الثانية
خمس سوى تكبيرات القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم خطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلوة العيد قضاها ● السابعة
ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان
يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه بالشاة عن اهل بيته فياكلون
ويطعمون وله ان ياكل من الاضحية بعد ثلثة ايام فما فوق وورد فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد
عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة ● الثاني التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة موكدة

وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وخرج رسول الله فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم
وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل
الفرايض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلوة
الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه فضل صلوة
التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت ● وروي انه قال صلوة في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة
في غيره من المساجد وصلوة في المسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان
الريا والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما راه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيها
الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر ● واما الالتفات الى الريا في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة
الجمع من حيث انه جماعة وكان قايله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الريا فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو
انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في
تفضيل احدهما على الآخر تردد ويستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان اما صلوة رجب فقد روي باسناد عن رسول
الله صلى الله عليه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشا والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا
في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على
النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما
تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه
لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من
اهل بيته ممن قد استوجب النار ● فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنة وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد
لان هذه الصلوة نقلها الآحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها اما صلوة شعبان فليلة الخامس عشر منه
يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان شا صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد
فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات ● كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلوة صلوة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن
انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي عليه السلم ان من صلى هذه الصلوة في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها
المغفرة القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلوة الخسوف والكسوف والاستسقا وتحية المسجد
وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظاير ذلك فنذكر منها ما يحضر الآن الاول صلوة الخسوف
قال رسول الله صلى الله عليه ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلوة
قال ذلك لما مات ولده ابرهيم فكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها ● اما الكيفية فاذا خسفت الشمس في وقت مكروه
او غير مكروه نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوايلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من
قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النسا وفي الرابعة الفاتحة والمايدة او مقدار ذلك من القرآن من
حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلا ويسبح في الركوع الاول قدر
مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما
جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية ● اما وقتها فعند ابتدا الخسوف الى تمام الانجلا ويخرج
وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بان تطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل
كله سلطان القمر وان انجلى في اثنا الصلوة اتمها مخففة وان ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول الثانية صلوة
الاستسقا فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة
والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد
وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهايم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل
الذمة متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحرا نودي الصلوة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيد بغير تكبير ● ثم
يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة

ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين
وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون ارديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في
الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا ۞ اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة
رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعاء اداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي في كتاب
الدعوات **الثالثة** صلوة الجنائز وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه على جنازة
فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر وعذاب النار حتى قال
عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ۞ ومن ادرك التكبيرة الثانية من صلوة الجنازة فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا
سلم الامام قضى تكبيرة الذي فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير
بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول
بايرادها الكتاب وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات انما يصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم
يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم
والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس
قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته
اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتدا وقال السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله
المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ومهما شيع الجنازة فالاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه
وقال اللهم عبدك رد اليك فارفق به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف
له في حسناته وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة** تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة موكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد
وجوب الاصغاء الى الخطيب ۞ ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد
قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات
يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب
لما روي انه صلى الله عليه صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث
فايدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل
ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة الجنازة اذا حضرت
ولا صلوة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا ۞ الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه ذلك ولنا فيه اسوة
حسنة وقالت عائشة كان رسول الله اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلوة ففاته جواب
المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الان لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول
الله صلى الله عليه في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت اخر كيلا تميل نفسه الى
الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه السلام قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت
عائشة عن النبي صلى الله عليه انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركها ملالة
فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه **الخامسة** ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة
فربما يطرى الحدث قبل صلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال
صلى الله عليه دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقال لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او
كما قال **السادسة** ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه ۞ روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا خرجت من منزلك
فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدئ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان
عند الاحرام وركعتان عند السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وكان بعض
الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب

بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبتدا فيها باسم الله قال صلى الله عليه كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر ۞ الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد
النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدرها بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول
القابل الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد ۞ الثالثة ما لا يتكرر
كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول فانه
نوع سفر خفيف **السابعة** صلوة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او في الاقدام عليه فقد امر رسول الله صلى الله عليه
بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك
بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاقدره لي
ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما كنت انك على
كل شي قدير ۞ رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم
بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع
القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة** صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح
دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة فقد روى وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرا
في كل ركعة بام القرآن واية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف المجد وتكرم به سبحان
الذي احصى كل شي بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز
من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسال حاجته
التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله ۞ قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله تعالى **التاسعة** صلوة
التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال
صلى الله عليه للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطاه وعمده وعلانيته
وسره تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع
راسك من السجود فتقولها عشرا قاعدا ثم تقوم الى الركعة الثانية فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم
فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة ۞ وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن
وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة الليل
مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب
شي من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة
فلا لان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية ۞ وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي
الوضوء وهو في نهاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلوة بل الصلوة سبب الوضوء فينبغي ان يتوضا ليصلي لا انه يصلي لانه توضا وكل محدث يصلي في
وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا
كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف ودخول المسجد حتى ينوي
بالصلوة الوضوء بل ينبغي ان ينوي بالوضوء الصلوة فكيف ينتظم ان يقول في وضوءه اتوضا للصلاة وفي صلوته يقول اصلي للوضوء بل من اراد ان يحرس وضوءه
عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلوة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات في اوقات
الكراهية غير مكروه ۞ فاما نية التطوع فلا وجه لها ففي النهي في اوقات الكراهية مهمات ثلث احداها التوقي عن مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز
من انتشار الشياطين اذ قال عليه السلام ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا
زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الاخرة
لا يزالون يواظبون على الصلوة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات تورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت
الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح

والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلوة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب

تم كتاب الصلوة والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وعترته الطاهرين وسلم

يتلوه كتاب اسرار الزكوة ومهماتها بعون الله

كتاب اسرار الزكوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيا واضحك وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى وامر ونهى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسرهم به واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة مبنى ومبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلوة التي هي اعلى الاعلام فقال اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر وقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطأه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي الزكوة وقابضها ونكشف ذلك في اربعة فصول الاول في انواع الزكوات واسباب وجوبها الثاني في ادائها وشروطها الظاهرة والباطنة الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه الرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول في انواع الزكوات واسباب الوجوب والزكوة باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعادن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر **النوع الاول** زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه **فاما المال** فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال **الشرط الاول** كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكوة فيها **الثاني** السوم فلا زكوة في معلوفة واذا اسيم في وقت واعلف في وقت تظهر مؤونته فلا زكوة فيه **الثالث** الحول قال صلى الله عليه لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكوة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول **الرابع** كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده فلو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغني ما يفضل عن الحاجة **الخامس** كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز فهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائه وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون **واما**

البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ثم فيها تبيع وهي التي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع **واما الغنم** فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضأن او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلث شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة واحدة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن بشرط ان يريحا معا ويسقيا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكوة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتان او عشرون درهما ولسنتين اربع شياه او اربعون درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدا ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غرائز المال **النوع الثاني** زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمان مائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمان مائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فجميعهم ثمان مائة من زبيب يجب على جميعهم ثمانين منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر **واما صفة الواجب** فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة **قولنا** ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو نقص من النصاب حبة فلا زكوة ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ويجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا يجب في الحلي المباح ويجب في الدين الذي هو على ملي ولكن يجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا يجب الا بعد حلول الاجل **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدي الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقط الزكوة والاولى ان يؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجب الزكوة فيها بحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعادن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس يبعد لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يختص على الصحيح بالمفلس **واما المعادن** فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرزق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه **النوع السادس** صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله عليه السلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزأه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأه وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم ادى عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كان نفقته آكد وقد قدم رسول الله نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد يعرض له وقايع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيه على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا القدر **الفصل الثاني** في الاداء وشروطه

الباطنة والظاهرة **بيان الشروط الظاهرة** اعلم انه يجب على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستأنف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية ۞ الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيله شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة **الثالث** ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان يكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **القسم الثاني** من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى المستحق باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل ولم يعدل الى النقد والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ان كان الثياب والامتعة كلها في معناهما فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منشأ الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب الظنون فان فعل ذلك اجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكوة ماله بخمسة اقسام متساوية او متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلثة اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد ۞ واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط مال نفسه بما لهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه **بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة** اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكوته وظائف الاولى فهم وجوب الزكوة ومعناه ووجه الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلثة معان **الاول** ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط

تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه له ما ذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ما ذا ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة ۞ وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد ۞ قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك منسوخ باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في الفقه من هذا الباب انه مهما ارهقته حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض وهذا مختلف فيه فالاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه وتعالى عباده ببذل الاموال **المعنى الثاني** التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۞ وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصي منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله عز وجل **المعنى الثالث** شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال ۞ وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او شهر رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق ۞ وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر ۞ وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء ۞ وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ۞ وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي وكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير

وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي فكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه كل ذلك توصلاً الى اطفاء غضب الرب واحترازاً من الرياء والسمعة. ومهما لم يتمكن الا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً وليس في معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكوة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لادغاً وصفة الرياء تنقلب افعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض اطراف العقرب مقوياً للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية. ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأي فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وسيأتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات. **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لأن السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه. فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم سراً وعلانية ندب الى العلانية ايضاً لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال. **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فاختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها. وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسألة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاتها ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسناً اليه ومنعماً عليه وحقه ان يرى الفقير محسناً الى نفسه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهناً به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائباً عن الله تعالى في قبض حق الله. قال رسول الله صلى الله عليه ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله تعالى حقه والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلماً الى الله تعالى ولو كان عليه دين لانسان فأحال به صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلاً فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره. ومهما عرف المعاني الثلثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها لم ير نفسه محسناً الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهاراً لحب الله او تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل او شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً اليه ومهما حصل من الجهل بأن رأى نفسه محسناً اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتعظيم والتوقير والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه. واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة. والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشأه الجهل. اما كراهة تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوى الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله تعالى وللثواب في الدار الآخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكراً لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها. واما الثاني فهو ايضاً جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمس مائة عام ولذلك قال صلى الله عليه هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر ومن هم قال هم الاكثرون اموالاً الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله سخرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله اعداؤه فاذا مهما انتفت الكراهة وتبدل بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في اداء الواجب وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى. فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن

امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسناً فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالأ عدواً له عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك. فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطناً ودواء ظاهراً اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول. واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهته لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة اذا ارسلتا معروفاً الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلوة وثبت ذلك بقوله ليس للمرء من صلوته الا ما عقل وثبت هذا بقوله لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى. واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنه دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة. **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم. ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره. وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله تعالى وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه. واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساكه بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا. **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيباً واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكاً له مطلقاً فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او اهله فيكون قد آثر على الله تعالى غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لا وغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله تعالى وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تأخذونه الا مع كراهة وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوماً جعلوا لله ما يكرهون وقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثم ابتدأ وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار. **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة. **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين. وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من ان اعطي الفاً ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاماً احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالاً وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالاً لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه. **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بمعروفه اهل العلم فقيل له

لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلما فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل
الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطا حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله
وهو ان يرى النعم كلها منه ۞ وفي وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن
ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله
تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي
الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له
نظر الا الى مسبب الاسباب ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثنا غيره وشكره وذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا
الموحد لا يضيع ۞ فاما الذي يمدح بالعطا ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذا واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم بعث
معروفا الى بعض الفقرا وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل
فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك ۞ فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله لرجل تب فقال اتوب
الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه عرف الحق لاهله ولما نزلت براة عايشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله
فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله تعالى فقال رسول الله دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله
ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله ورؤية الاشيا من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن
الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه الصفة الرابعة ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او
يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم
لا يسالون الناس الحافا اي لا يلحون في سوال لانهم اغنيا بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن
بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا
بمرض او سبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة لعيلة او ضيق معيشة او اصلاح
قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب ۞ كان عمر يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما
فوقها وكان عليه السلم يعطي العطا على قدر العيلة وسئل عمر عن جهد البلا فقال كثرة العيال وقلة المال الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوي
الارحام فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين
درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الي من ان اعتق رقبة ۞ والاصدقا واخوان الخير ايضا
مقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقايق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها
فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه
في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فيشوقه الى لقا الله تعالى والاجر
الثاني ما يعود اليه من فايدة دعوة الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها اثار في الحال والمال فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون
الثاني فبهذا يضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي ساير المواضع والله تعالى اعلم الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه
ووظايف قبضه بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية
المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكوة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر
صفات الاصناف الثمانية الصنف الاول الفقرا والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير
ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث يفي بجميع ذلك
كما يليق بالفقرا فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ولا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة لانه
فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسوال فلا يجعل السوال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن
الفقر فان قدر على الكسب بالة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الة وان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال
بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا يعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظايف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب
اولى منه قال صلى الله عليه الكسب فريضة بعد الفريضة ۞ وقال عمر كسب في شبهة خير من مسلة وان كان مكفيا بنفقة ابيه او من يجب عليه نفقته

هذا النوع من الكسب فليس بفقير الصنف الثاني المساكين والمسكين الذي لا يفي دخله بخرجه وقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا
وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا
كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب لا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان
يحتاط في فهم الحاجة فالكتاب محتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة ۞ اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتنا كتب الاشعار
وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطرة ويمنع اسم
المسكنة ۞ واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه التة فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين
وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة ۞ واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره
كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج
لمطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شي
لزمه الفطرة فاذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتا والكتب
بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة له الا الى احدهما فان قال احدهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع
الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احديهما بسيط والاخر وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس
فيحتاج اليهما اذ في كل واحد فايدة ليست في الاخر وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردنا لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره
فان استقصا هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه
الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه برايه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه
والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى
الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجرة المثل فان فضل شي من الثمن على اجر مثلهم رد على بقية الاصناف
وان نقص كمل من مال المصالح الصنف الرابع المولفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطايه تقريره على الاسلام وترغيب نظرايه
واتباعه الصنف الخامس المكاتبون فيدفع الى السيد سهم المكاتب باذنه وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبده الصنف
السادس الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا
كان قد استقرض لمصلحة او لفتنة الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو
الصنف الثامن ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد اخر اعطي قدر بلغته ۞ فان قلت
فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الاخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز الاعتماد على قوله اذا لم يعلم كذبه ۞ واما الغزو والسفر فهو
امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز وان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف
الى كل واحد فسياتي بيان وظايف القابض وهي خمسة الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرفه اليه ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله
الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الاخر وهو المعني بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات
والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون الة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم
لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد
الاغنيا ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفايدته تنصب الى الفقرا فيتجردوا لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم
عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من
فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما ياخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة فليكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر
عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى الثاني ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني
عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية
النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد
انه اواب الى غير ذلك فليقل القابض في دعايه طهر الله تعالى قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهدا ۞ وقد قال
عليه السلم من اسدى اليكم معروفا فكافوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافيتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطا ان كان فيه عيب ولا
يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل

عند القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم متعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس
منه وكذلك لا تناقض رؤية النعمة من الله تعالى فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن
من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذن من اموال الاتراك والجنود
وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل
هذا ان يتصدق به على ما سيأتي في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة عن مؤديه وهو حرام **الرابعة**
ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ الا القدر المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ
بالكتابة او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان
مسافرا لم يزد على الزاد وكرى الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد
وليس له حد وكذا زاد السفر ◉ والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني
عنه بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق
وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا
وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا ينحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا
الى فنون من التوسع هو ممقوت في الشرع ثم اذا تحقق حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة ◉ فهذا اقصى ما يرخص فيه من
حيث ان السنة اذا تكررت تكرر اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين
ولو اقتصر على حاجة شهر او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب
الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن حنظلة انه عليه السلم نهى عن السؤال مع الغنا فسئل عن غناه فقال غداؤك وعشاؤك ◉ وقال
آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنيا فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة
وقال قايلون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود انه عليه السلم قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون
او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه عليه السلم قال من سأل وله اوقية فقد الحف في السؤال
وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيه ويستغني لان هذا هو الغنى وقد قال
امير المؤمنين عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى من افتقر فله ان يأخذ بقدر ما يعود الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله في قرابتك فهو خير لك فاتاه حسان وابا قتادة فحايط من كل
لرجلين كثير مغني واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه ◉ اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على
الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مايل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال
كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك
وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه اذ الاثم حواز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء
الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين
لطريق الآخرة **الخامسة** ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ منه لانه لا يستحق مع شريكيه الا الثمن فلينقص
من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب عن اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السؤال
عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام **الفصل الرابع** في صدقة التطوع
وفضلها وآداب اخذها واعطائها **فضيلة الصدقة** من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بشق تمرة فانها تسد من الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي
الماء النار ◉ وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا طيبا
الا كان الله عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل
بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى
بين الناس وقال الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ◉ وقال صدقة السر تطفي غضب الرب وقال ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي
يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه ◉ وسئل رسول الله اي
الصدقة افضل ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان

وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال عندي آخر قال انفقه في
ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال
ردوا مذمة السايل ولو بمثل رأس الطاير من الطعام وقال لو صدق السايل ما افلح من رده ◉ وقال عيسى من رد سايلا خايبا لم تغش الملائكة ذلك البيت
سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال ليس المسكين الذي ترده التمرة
والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرأوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال عليه السلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل
ما دامت عليه منه رقعة **الآثار** قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قول الله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه فقال وهم يشتهونه ◉ وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولي الحاجات منا
وقال عبد العزيز بن عمير الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين
بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة
فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله ذنبه ورد عليه عمله لسبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة ◉ وقال
يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلثة من كنوز البر كتمان المرض وكتمان المصايب
وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكم وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول
سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن
عمير يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله تعالى اشبعه الله تعالى ومن سقى لله سقاه الله تعالى ومن كسا لله كساه الله تعالى
وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنيا لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض ◉ وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل
صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد بأسا لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة
والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى بثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله تعالى رضي في
الحور العين بالفلس واللقمة **بيان اخفا اخذ الصدقة واظهارها** قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفا افضل ومال قوم
الى الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه **اما الاخفا** ففيه خمسة معاني **الاول** انه ابقى للستر على الآخذ
فان اخذه ظاهرا اهتاك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل به اغنيا من التعفف **الثاني** انه اسلم
لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغنا او ينسبونه الى الاخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة
من الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرايم اولى ◉ وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد ◉ وقال
بعض الزهاد ربما اترك استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا
فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به لما قبلته **الثالث** اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على
اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي ◉ دفع رجل الى بعض العلما شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر
فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفا معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددت عمله واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا
فرده فقال لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك ◉ وقبل بعض العارفين في السر
شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله تعالى بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفا فاعنتك على برك وقال الثوري
لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته **الرابع** ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس له ان يذل نفسه كان بعض العلما يأخذ في السر
ولا يأخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره ذلا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله **الخامس** الاحتراز عن شبهة الشركة
قال صلى الله عليه من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية ◉ قال صلى الله عليه افضل ما اهدى الرجل الى
اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية وانفراده بما يعطى في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة **واما
الاظهار والتحدث به** ففيه معاني اربعة **الاول** الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة **والثاني** اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية
والمسكنة والتبري عن الكبريا ودعوى الاستغنا واسقاط النفس من اعين الخلق ◉ قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك
لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل يزداد في قلبه باظهارك
الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه **الثالث** هو ان العارف
لا نظر له الا الى الله تعالى والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد ◉ قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية

فلومن

والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد ● حكي ان بعض الشيوخ كان يكثر الميل الى واحد من جملة المريدين
فشق على الآخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا
ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ وقال ذلك المريد لم اجد موضعا لا يراني فيه احد فان الله تعالى كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه
لا يلتفت الى غير الله تعالى الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله
وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة احب ان ترى
عليه ● واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في الامور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت
في الملأ فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا
عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم فهو مكافأة فالآن اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من
اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسألة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف
ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس
الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما ● فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه
لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في
النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تألمه بانكشاف اخذه الصدقة
كتألمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك الستر او اعانة المعطي على
الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه
المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخداعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه تعرض لعرض مصون لا من حيث انه تعرض لعرض زيد على الخصوص
ومن لحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي
واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين
الا بان يروج هذا الخبث في معرض السنة ويقول الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما
ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون
في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو
مغرور ● ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصر
على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم
عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل
الوبر وقال في آخر اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ● وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة
في الخير وقال اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا
فكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله تعالى علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه
الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسألة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا
عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملأ والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان
تكمل المعرفة بحيث تستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان ان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة

كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب
واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوة لاثموا ولانه لا منة في الزكوة وانما هو حق
واجب لله رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من
يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنه وهذا تنصيص
على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق
فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير بين هذا وبين الصدقة

فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذ هو فلياخذ الصدقة فان الواجب يصرفه صاحبه الى مستحقه ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين
فان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال

● هذا آخر كتاب اسرار الزكوة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين ●

كتاب اسرار الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب اسرار الصيام ومهماته وهو الكتاب السادس من كتب احياء علوم الدين** الحمد لله الذي
اعظم على عباده المنة اذ دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان
الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة ● والصلوة على محمد قائد الخلق وممهد السنة
وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم كثيرا ● اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله
الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه كل حسنة بعشر امثالها
الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون
التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما
يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصيام لي وانا اجزي به ● وقال صلى الله عليه للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء
الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال
نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه قال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين
ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل
والشرب وقد جمع رسول الله عليه السلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول
ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي ● وقال في الصائم يقول الله عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك
شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم
انما كان له ومشرفا بالنسبة الى نفسه والارض كلها لله كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها لله لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك
وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه
قهر لعدو الله تعالى فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسياتي فضائل الجوع في كتاب شره الطعام
وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى ففي قمع عدو الله
نصرة لله ونصرة الله للعبد موقوف على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله تعالى ولذلك
قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم
فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه
الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلثة فصول **الفصل الاول** في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم
بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة **الاول** مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية
العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ● ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه
لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته بموجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب
الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني** النية فلا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان
دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا
مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ● ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان
لم يجزه لانها ليست جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل فاحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب كالشك

في الليلة الأخيرة من رمضان وذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه
من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان
أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ⊙ ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو
نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها **الثالث** الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط
والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة
تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة لا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا ⊙ فأما ذكر الصوم فأردنا
به الاحتراز عن الناسي فإنه لا يفطر أما من أكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا
ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتهاد **الرابع** الإمساك عن الجماع وحده تغيب الحشفة في الفرج فإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح
جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة **الخامس** الإمساك عن الاستمناء وهو إخراج المني
قصدا بجماع أو بغير جماع فإن ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ولا بأس
بالتقبيل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطر لتقصيره **السادس** الإمساك عن إخراج القيء فالاستقاءة يفسد الصوم
وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه وإن ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند
ذلك ⊙ وأما لوازم الإفطار فأربعة القضاء والكفارة والفدية والإمساك بقية النهار تشبها بالصائمين **أما القضاء** فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك
الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد ⊙ أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف
شاء متفرقا ومجموعا **وأما الكفارة** فلا تجب إلا بالجماع ⊙ أما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فإن أعسر
فصوم شهرين فإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا **وأما إمساك بقية النهار** فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا تجب على الحائض إذا طهرت
بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرطبين ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل أو عدلان يوم الشك والصوم في السفر أفضل من
الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما **وأما الفدية** فيجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل
يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم بمد **وأما السنن** فست تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة
وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في باب الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الأخير
فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله أي داموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنه
في أوتارها وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما
لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر كان صلى الله
عليه لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالأكل
والنوم وغسل اليدين في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه يدني رأسه فترجله عائشة
رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف أيضا لقضاء حاجة فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع
ذلك التجديد ⊙ **الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة** اعلم أن للصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص ⊙
أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله **وأما صوم الخصوص** فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح
عن الآثام **وأما صوم خصوص الخصوص** فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما
سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين فإن ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره
لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا نطول
النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فإنه إقبال بكنه الهمة على الله تعالى وانصراف عن غير الله تعالى وتلبس بمعنى قوله عز وجل قل الله ثم ذرهم **وأما
صوم الخصوص** وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور **الأول** غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى
كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى ⊙ قال صلى الله عليه النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه
وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة **الثاني** حفظ اللسان
عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والتزامه السكوت أو شغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان ⊙ وقال
سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه إنما الصوم

جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم وجاء في الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه
فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه تستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه
ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما أحل الله
لهما وأفطرتا على ما حرم عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم **الثالث** كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل
ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع وآكل السحت فقال سماعون للكذب أكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون
والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال أيضا إنكم إذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه المغتاب والمستمع شريكان في الإثم
الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم وهو كف عن الطعام الحلال ثم الإفطار
على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله ⊙ وتارك الاستكثار من الدواء
خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه
كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو
حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام **الخامس** أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن ملئ من حلال
وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات
بأن يدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا
دفعت المعدة ضحوة النهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت
من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل
ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ⊙ فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب
أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ⊙ ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف
عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو
المراد بقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب
ما لم يخل همته عن غير الله تعالى وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله تعالى **السادس**
أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ
منها فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق
أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف
الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك ⊙ وعن الأحنف بن قيس
أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم
فإن قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة
هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وأمثالها ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين
المقبلين على الدنيا الدخول تحته ⊙ فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله
تعالى وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فإنهم منزهون عن الشهوات والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور
العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق
بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله تعالى
كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى
لتأخير أكله وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه كم من صائم ليس له من صومه
إلا الجوع والعطش ولهذا قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال
الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر
هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ⊙ ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمفارقة الآثام كمن مسح كل عضو من أعضائه
في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره

كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلوته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع **اما في السنة** بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة فكان رسول الله صلى الله عليه يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه في رمضان ۞ وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ولانه ابتدا السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلثين من شهر حرام وفي الحديث من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام ۞ وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجايز فعل ذلك رسول الله مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلثة الا ان يوافق ورداله وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله تعالى من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد الا من عقر جواده واهريق دمه ۞ واما ما يتكرر في الشهر فاوله واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما يكره بشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه عرضت علي مفاتيح خزاين الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت ۞ قال صلى الله عليه افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اطيق افضل من ذلك فقال عليه السلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه ما صام شهرا كاملا قط الا شهر رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلثة من اول الشهر وثلثة من اوسط الشهر وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم فان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقايق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله تعالى اعلم

۞ هذا آخر كتاب الصوم ۞ والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه

كتاب اسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب اسرار الحج ومهماته وهو الكتاب السابع من كتب احياء علوم الدين** الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا ۞ اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضايلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى في ثلثة ابواب **الباب الاول** في فضايلها وفضايل مكة والبيت العتيق وجملة اركانها وشرايط وجوبها **الباب الثاني** في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع **الباب الثالث** في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة ۞ فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان **الفصل الاول** في فضايل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد **فضيلة الحج** قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلم وعلى نبينا ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه وقال عز وجل ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ۞ ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ۞ وقال ايضا ما راي الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتا متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة ۞ وقال ايضا حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال الحاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله عليه السلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطايفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة واغبط عمل تجدونه ولهذا استحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف ۞ وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان ابن موفق حج عن رسول الله حججا قال فرايت رسول الله في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال امير المومنين عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعا لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام ۞ ويروى عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السما عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوا فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال افتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف ۞ وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت

رفيع لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي تتسخى علي وانا خلقت السخا والاسخيا
انا الجواد الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت ومكة** قال صلى الله عليه ان الله
تعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوف وكل من حجها متعلق باستارها
يسعون حولها حتى يدخل الجنة فيدخلون معها ۞ وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن
استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني
لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن
هاهنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المومنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر
فهو يشهد للمومن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي
عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلث
عمر يعدل حجة ۞ وفي الخبر عمرة في رمضان تعدل حجة مشكورة مبرورة وقال صلى الله عليه انا اول من تنشق عنه الارض ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي
ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء
في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طايفا غفر له ومن
رآه مصليا غفر له ومن رآه نايما مستقبل الكعبة غفر له ۞ وكوشف بعض الاولياء قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايتها ساجدة لجدة ويقال
لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كانت سبب
رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس
فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلم يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال
وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم
مرتين ويرفع في الثالثة ۞ وروى علي عن النبي صلى الله عليه انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره ۞
فضيلة المقام بمكة وكراهته كره الخايفون المحتاطون من العلما المقام بمكة لمعاني ثلثة احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يوثر في
تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك
هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت **الثاني** تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى
جعل البيت مثابة اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير
لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى
عبادا يطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل **الثالث** الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله لشرف الموضع
روي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من
الطايفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه ۞ قال ابن مسعود ما من
بلد يواخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال السيئات تضاعف
بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية
احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطايف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند
قضا الحاجة وبعضهم اقام اشهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلما اجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة
لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما
ان يكون افضل من المقام مع الوفا بحقه فهيهات فكيف لا ولما عاد عليه السلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله تعالى واحب بلاد الله
الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما قدمناه **فضيلة المدينة وساير البلاد**
ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول عليه السلم فالاعمال فيها ايضا تضاعف قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه
الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل بالمدينة بالف ويعدل المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمس مائة وكذا ساير الاعمال ۞ وروى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة الف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام بمائة الف
صلوة ۞ وقال صلى الله عليه لا يصبر على شدتها ولاوايها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه

لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلثة المواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا الحديث
في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلما والصلحا وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
والحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة فلا بلد الا وفيها مسجد ولا معنى للرحلة الى مسجد آخر ۞ واما
المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شا
ثم ليت شعري هل يمنع هذا القايل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلم فالمنع من ذلك في غاية الاحالة فاذا جوز ذلك
فقبور العلما والاوليا والصلحا في معناها ولا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلما في الحيوة من المقاصد في الرحلة ۞ اما المقام فالاولى بالمريد
ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين
وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه البلاد بلاد الله والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى
وفي الخبر من رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ
قلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد الملا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت تفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم
اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سو لا يومن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل
ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ۞ وحكي عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن قيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآرا فاسدة
قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع واراد به الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على
المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد
فيختلط بعمله التزين والتصنع **الفصل الثاني في شرط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته** اما الشرايط فشرط صحة الحج اثنان الوقت
والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره **واما الوقت** فهو شوال
وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام
منا فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه للاشتغال باعمال منا واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل
والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما
دم الاشاة وتشترط هذه الشرايط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت ۞ واما شرط وقوع الحج تنفلا عن الحر البالغ براة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام
متقدم ثم القضا لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه ۞ واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام
والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل
عمرة او حج ۞ واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فان يكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو
قاهر ۞ واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وان
يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلته وكراها محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة **واما النوع الثاني** فاستطاعة المعضوب بماله ان يستاجر
من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض
ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له
ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله تعالى عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كساير ديونه ومن استطاع في سنة فلم يخرج
مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر لقد هممت
ان اكتب الى الامصار تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا ۞ وعن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاووس لو علمت رجلا غنيا
وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال
الرجعة الى الدنيا وقرا قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال الحج ۞ اما الاركان التي لا تصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف
والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف ۞ والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن ترك
الاحرام وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيهما الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف
الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب ۞ واما وجوه ادا الحج والعمرة فثلثة الاول الافراد
وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فيحرم ويعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على

المفرد دم الا ان يتطوع ◉ والثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج
الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان
يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة ◉ الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات بعمرة
ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة
لا يقصر فيها الصلوة ◉ الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج
الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة
او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تباعا او متفرقة وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد
ثم التمتع ثم القران ◉ واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم
يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان حرمه في الراس وللمراة ان تلبس كل
مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان حرمها في وجهها ◉ الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة
الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر ◉ الرابع الجماع وهو مفسد قبل
التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة
التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد ◉ السادس قتل صيد البر اعني ما
يوكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه ◉◉

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى
الاحرام وهي ثمانية **الاولى في المال** فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من
الودائع ويستصحب المال من الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه ◉
الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره
ورفقاه المقيمون واخوانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم
عملك وكان صلى الله عليه يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله تعالى التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت **الثالثة** في الخروج
من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص
صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل افة وعاهة اللهم انا نسالك
ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلم ◉ اللهم انا
نعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك
ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك **الرابعة** اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اذل او اظلم
او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك
وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم
به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ◉ اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل
يرحل عنه **الخامسة** في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم
يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك
انت حسبي ونعم الوكيل ◉ فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور **السادسة** في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار
ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما
اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما
ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى
فيه ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ

بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم **السابعة** في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار ولا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند
النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان رسول الله ﷺ ينام في اسفاره فانه ربما
يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا
نام احدهما حرس الاخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله
لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس
وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز ◉ تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك
التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة
ورحمة انك انت ارحم الراحمين **الثامنة** مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد
على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملئكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت
الجملة الثانية في اداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة **الاول** ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي
يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف فيسرح راسه ولحيته ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة **الثاني** ان يفارق الثياب المخيطة
ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه
بعد الاحرام فقد رؤي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام **الثالث** ان يصبر بعد لبس الثياب حتى
تنبعث راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد
الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ◉ وان زاد
قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد **الرابع** اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب
ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وامنوا بوعدك واتبعوا
امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي
وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الاخرة ◉ ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل
فليجتنبها **الخامس** يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب
ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلث
فانه مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله
عليه اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الاخرة **الجملة الثالثة** في اداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة **الاول** ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسال
المستحبة المسنونة في الحج تسعة **الاول** للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلثة اغسال
لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة وطواف الوداع فيعود
الى سبعة **الثاني** ان يقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من عذابك يوم تبعث
عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك **الثالث** ان يدخل مكة من جانب الابطح وهي من ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله عليه السلم من جادة الطريق
اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدا بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا **الرابع** اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على
البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلم ومنك السلم ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته
اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم ◉
الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله عليه السلم فاذا قرب
من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع
يديه وليقل اللهم اني اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس
وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين ◉ اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك واسالك مسالة المضطر الخائف
لعقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك **السادس** ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي
تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد

الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة** في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة **الاول** ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلوة ولكن الله تعالى اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها **الثاني** اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طايفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طايف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي للطواف **الثالث** ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد عليه السلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم عليه السلم اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ◉ ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظله اللهم اسقني بكاس محمد عليه السلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار ◉ فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويمشي في الاربع الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من ساير الاركان روي انه عليه السلم كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو الاولى اذ هو الاشهر في الرواية **الخامس** اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني ◉ اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العايذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى الفاتحة وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ◉ اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عداه فهي سنن وهيئات **الجملة الخامسة في السعي** فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها

على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ◉ اللهم اني اسالك ايمانا دايما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد عليه السلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينته حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف طهارة الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي ان تاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان **الجملة السادسة في الوقوف وما قبله** الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ◉ ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت واجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل ◉ فاذا اتى عرفات فليضرب خباه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة ◉ واما مسجد ابرهيم فصدره في الوادي واخرياته من عرنة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة الا بعد الغروب بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع يرجى اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن الرسول عليه السلم والسلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي وعليك ثوابي ◉ اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوايق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول عليه واكرم مسئول ما لديه اعطني العشية افضل ما تؤتي احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رافع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسالك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني في دار البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شي من امري انا البايس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخايف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه ◉ اللهم لا تجعلني بدعايك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لايم لنفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل

ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا
العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة اللهم ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك
قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع
وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني عن موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سألت
وحقق رجائي فيما تمنيت ۞ الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر بذنبه خاشع لك بذلة
مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح حوائجه راج اليك في
موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك ۞ اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك
املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا وليبتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين
يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج
الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا
هذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر
حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السماء والارضون بادلتك
وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصينا سترت
واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين
لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد
بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام ۞ الهنا انك احببت التقرب
اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا فانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول
والتفضل فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار ۞ وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع
ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسألة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة
رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه وليلح في الدعاء وليعظم المسألة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم
لا ترد الجميع من اجلي وقال لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم **الجملة السابعة** في بقية افعال الحج بعد الوقوف من المبيت
والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس ينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده
بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤوا ضعيفا ولا تؤذوا
مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في
الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن
دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن
يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل
في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض واذا جاز ان يؤدي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم
التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع هذا مفارقة النفل للفرض في جواز ادائه على الراحلة لما اومأنا اليه من التبعية والحاجة
ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن
القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة
ولا بأس ان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في
السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام
والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ۞ ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال
له وادي محسر فيستحب له ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي

تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في
الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا للقبلة
وان استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك
فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل
يرجع الى منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ۞ ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل
بسم الله والله اكبر اللهم هذا منك وبك واليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم عليه السلام والتضحية بالبدنة افضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة افضل
من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضأن افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء
والسوداء قال ابو هريرة رضي الله عنه البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدي تطوع ولا يضحين بالعرجاء والعضباء والجرباء
والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة
الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ۞ ثم ليحلق
بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبدأ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة
حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له ان يمر الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل
له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة
واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء
الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على
سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين ما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفناه ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم
وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلاثة فقد
تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاثة مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف ۞ والسنة للامام في هذا اليوم
ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وفي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة
يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة
بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة
وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلله وكبر ودعا مع حضور
القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى
ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى
الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدا وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل
غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة
دم وليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله يفعل ذلك ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف
فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل
فلا شيء عليه **الجملة الثامنة** في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر قبل حجه او بعده كيف ما اراد فيغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق
في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء
ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته
والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت واذا دخله فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا ۞ قيل لبعضهم ما
دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيته فكيف اراهما اهلا لان اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث
مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل
داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه ماء زمزم لما شرب له اي يشفي ما قصد به **الجملة
التاسعة** في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فليتجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله

وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم
ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى
اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضى والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك
ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة
انك على كل شيء قدير ۝ اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال صلى الله عليه من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال من جاءني زائرا
لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها
قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه
فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا ۝ ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون
الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول قبل ان يزاد فيه المسجد
ثم ياتي قبر النبي صلى الله عليه فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل
القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك
يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القسم ۝ السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير
السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك
يا رسول رب العلمين السلام عليك يا قايد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا
قايد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات
امهات المومنين جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون
وصلى الله عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من
العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت
الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين
وسلم وكرم وشرف وعظم ۝ وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق
رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وراس عمر عند منكب ابي بكر رضي الله عنهما ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه
ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده باموز الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان
بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده
وليكثر من الصلوة على رسول الله صلى الله عليه ثم يقول ۝ اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا
تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين
والانصار واخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ۝ ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر
من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي
كان صلى الله عليه يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ويصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه حتى يخرج
ويعود الى المسجد لصلوة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله ويزور عثمان وقبر الحسن بن
علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله
عليه وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلعم
قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة وياتي بئر اريس يقال ان النبي عليه السلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها
ويشرب من مائها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي سائر المساجد والمشاهد ۝ ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون

موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان عليه السلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به
صلى الله عليه وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه لم يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة
وقال صلى الله عليه من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة ۝ ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم
على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال
السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج
فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي الى اهلي
سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا **فصل في
سنن الرجوع من السفر** كان صلى الله عليه اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ۝ وفي بعض
الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا
بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد
المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر
في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك
علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت **الباب الثالث
في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة** بيان دقائق الآداب وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق
الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله العظيم وتعظيم شعائره ۝ وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس
الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان
تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة
وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل
بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه ۝ وفي مثله ينزل
قوله عليه السلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد
ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا
وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى
فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة كما كانت تاخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون
اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة او الاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه
عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن
الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل الجزية ولا
معنى لقول القائل ان ذلك يوخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يوخذ بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبته
ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق في غير تقتير
ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه
اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله تعالى والدرهم بسبع مائة درهم ۝ قال ابن عمر من كرم
الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع
لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشان الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي
الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تعالى والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق
في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق ۝ وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة
تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله

ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر لمن زعم انه يعرف رجلا
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه **الخامس** ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن
عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم
قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام
من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلما
الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤونة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول
بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان
الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق ۝ وسئل بعض العلما عن العمرة المشي فيها افضل ام يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان
وزن الدرهم اشد عليه فالكري افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنيا فالمشي له افضل فكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه
ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس
ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان
احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه ۝ والثاني اجتناب زي المترفهين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة
خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلما في
وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات
ورواحل وما رايت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين
رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج **السابع** ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر
والتكاثر فيكتب في المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفا والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر رسول الله صلى الله عليه بالشعث والاحتفا
ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاوني شعثا غبرا من
كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاوه بالحلق وقص الاظفار ۝ وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امرا الاجناد
اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشيا وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئات التواضع والضعف وسيرة
السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روي انه صلى الله عليه كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل
فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق بالدابة
فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا
لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك
فهو سنة ۝ وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون
في حسابه ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة وقال ابو الدردا لبعير له عند
الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة لكل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله
ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري وقال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت
فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا **التاسع** ان يتقرب
باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم
شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا لا يغالون في ثلث ويكرهون
المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله ۝ روى ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلب منه بثلثمائة دينار
فسال رسول الله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار
قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله
لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه ما بر الحج
فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه قال ما عمل آدمي
يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله تعالى بمكان قبل ان يقع بالارض

فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا **العاشر** ان يكون طيب
النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران او مصيبة في مال او بدن ان اصابه فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج
تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبع مائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا يضيع منه شي عند الله ويقال
ان من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي وان يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر
واليقظة

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره

اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم
شرا ثوب الاحرام ثم شرا الزاد ثم اكترا الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق
وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرف
اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما تقتضيه صفا قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه **اما الفهم** اعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن
الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين
في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا لله اللذات الحاضرة والزموا انفسهم
المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنه بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه لاحيا طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
ساله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم وشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه
حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فنا حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار
من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه
عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها
النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق
والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى ۝ فاما ترددات السعي
ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال لا حظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتدا للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد
وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه لان كل ما ادرك
العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال
صلى الله عليه في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها ۝ واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق
بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا
يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق ۝ واذا تفطنت لهذا فهمت
ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج **اما الشوق** فانما ينبعث
بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله تعالى وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير
بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار
الدنيا لا تتهيا لقبول نور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقا ونزهت
عن اسباب التغير والفنا استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقا رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقا الله
يشوقه الى اسباب اللقا لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه
لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة
الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره
وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الريا والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص
فان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل

ما فيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير **وأما قطع العلائق** فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أولا تستحيي من أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فإن كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأهله وأولاده فإن المسافر وماله لعلى قلت إلا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على قرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **وأما الزاد** فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر أن يكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسده شوائب الرياء وكدورات التقصير **وأما الراحلة** إذا أحضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل فركوب الجنازة مقطوع به وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن **وأما شراء ثوب الإحرام** فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله تعالى بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط ولا محيط كما في الكفن **وأما الخروج من البلد** فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله تعالى في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله في ارتحاله ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا إليه إذ قال ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله **وأما دخول البادية** إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر **وأما الإحرام والتلبية بالميقات** فليعلم أن معناه إجابة نداء الله تعالى فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته كالغشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله تعالى إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله تعالى ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا **وأما دخول مكة** فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم آمن وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **وأما وقوع البصر على البيت** فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج أن يرزقك الله النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب

الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة **وأما الطواف بالبيت** فاعلم أنه صلوة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله فلا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدي الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة وأن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله **وأما الاستلام** فاعتقد عنده أنك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه أنه قال الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه **وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم** فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل **وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت** فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **وأما الوقوف بعرفة** فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله تعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد **وأما رمي الجمار** فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بإبراهيم صلوات الله عليه حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه ترغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصا إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه **وأما ذبح الهدي** فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدي وأجزاءه وارج أن يعتق بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم **وأما زيارة المدينة** فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه عليه السلام وجعل إليها هجرته وفيها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطأه إلا وهو موطئ قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوت النبي ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا

واحباط عمل من هتك حرمته في

بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا فانك من رؤيته في
الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك لسوء عملك كما قال صلى الله عليه يرفع الى اقوام فيقولون يا محمد يا محمد
فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا ● فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا تامن ان
يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاوك ان لا يحول الله بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان به واشخصك من وطنك
لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له وتشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حايط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد
ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة ● فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله لنبيه ولاول المسلمين
وافضلهم عصابة وان فرايض الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله تعالى حيا وميتا فليعظم املك في الله ان
يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مومن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس
القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي عليه السلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد
فيه مدفون ● واما زيارة رسول الله صلى الله عليه فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما
كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان
المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود ● واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته
الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازايك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من
سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقايه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة
غرته الكريمة وقد قال عليه السلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاوه في الصلوة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ايت منبر
الرسول عليه السلم وتوهم صعود النبي المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قايما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله
بخطبته وسل الله ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف
فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد
ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن
احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه
من سفره العنا والتعب نعوذ بالله منه ●● تم الكتاب السابع

● والحمد لله وحده وصلواته على محمد المصطفى المبعوث بالرسالة الى الخلق الصادع بالدلالة وعلى آله وسلم كثيرا ●

كتاب فضيلة تلاوة القرآن

●● بسم الله الرحمن الرحيم كتاب آداب تلاوة القرآن وهو الكتاب الثامن من احياء علوم الدين

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وكتابه المنزل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طرق
الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار ● واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام
وهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده
عند اهل الفهم تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد ● هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين
فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد
فاز وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام
بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب
الباب الاول في فضل القرآن واهله ● الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة
الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالراي وغيره ● الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة
القرآن قال صلى الله عليه وسلم من قرا القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله ● وقال صلى الله عليه ما من شفيع

افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال عليه السلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال عليه السلم افضل
عبادة امتي قراءة القرآن وقال ايضا ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملايكة القرآن قالت طوبى لامة
ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا ● وقال عليه السلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال يقول الله تعالى من شغله
قراءة القرآن عن دعايي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم
حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال
ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاوها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت ● وقال صلى الله عليه لله اشد اذنا الى
قاري القرآن من صاحب القينة الى قينته الآثار قال ابو امامة الباهلي اقرؤوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله تعالى لا يعذب
قلبا هو وعا القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرؤوا القرآن فانكم توجرون
عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه
الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله ● وقال عمرو بن العاص القرآن
درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي
يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملايكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل
خيره وخرجت منه الملايكة وحضرته الشياطين ● وقال احمد بن حنبل رايت الله تعالى في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك
قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكانهم
لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون حوايج الخلق اليه وقال ايضا
حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري
اذا قرا الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا ماية آية رفع الله تعالى له مثل عمل جميع الدنيا
ويروى ان خالد بن عقبة جا الى رسول الله صلى الله عليه وقال اقرا القرآن علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاي ذي القربى الآية فقال له
اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمعدق وان اعلاه لمثمر وما هذا بقول بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنا
ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهدا ومن قراها حين يمسي ثم مات من ليلته
ختم له بطابع الشهدا وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا احد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره فقال هذا ● وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن في ذم تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن
يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمن الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة
الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلما اذا قرا ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرا قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري
القرآن لانه بلغني ان اصحاب القرآن يسالون عما يسال عنه الانبيا يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس
نايمون وبنهاره اذا الناس يفرطون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكايه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس
يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا ● وقد قال صلى الله عليه اكثر منافقي هذه
الامة قراوها وقال اقرا القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقراوه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملايكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح
سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلما ان العبد ليتلو القرآن فيلعن
نفسه وهو لا يعلم يقرا الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم
الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار ● وقال ابن مسعود
انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرا القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي
حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يوتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها
وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالا يوتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا
زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في
الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شي منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه
من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك

بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه او مات اليدان كفى وها انا ذا مقبل عليك
ومحدث لك وانت معرض بقلبك عنى افجعلتنى اهون عندك من بعض اخوانك **الباب الثانى** فى ظاهر آداب التلاوة
وهى عشرة **الاول** فى حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير
متربع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ فى الصلوة قائما وان يكون فى المسجد
فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا ⊙ قال على بن ابى طالب رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له
بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس فى الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ
على غير وضوء فعشر حسنات ⊙ وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفارى ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام
بالليل افضل **الثانى فى مقدار القراءة** وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم
الى ثلث ومنهم من يختم فى الشهر مرة واولى ما يرجع اليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فى اقل
من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا
سكت وامر النبى عليه السلام عبد الله بن عمر وان يختم القرآن فى سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن
مسعود وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة فى الاقتصار كما
ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احديهما فى الاسبوع مرة ⊙ والثانى فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم
ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمته بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب او بعدهما ليستقبل
بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلى عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسى فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار ⊙ والتفصيل
فى مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغى ان ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب
الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته الى كثرة
الترديد والتأمل **الثالث** فى وجه القسمة اما من ختم فى الاسبوع مرة فيقسم القرآن بسبعة احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فروى ان عثمان
رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى
وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى صاد وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب
وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة
سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وهذا قبل ان
تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث **الرابع** فى الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها
فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروى عن الشعبى وابرهيم كراهية
النقط بالحمرة واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدى الى احداث زيادات وحسما
للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يتطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه
محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى اقامة الجماعات فى التراويح انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة
او يكاد يفضى الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ فى المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسى ⊙ وقال الاوزاعى عن يحيى بن ابى كثير كان القرآن مجردا فى المصاحف
فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا لا باس به يعرف به راس الآية ثم
احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالحمرة فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال
اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذى احدث
ذلك فى زمانه واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلثين جزءا والى اقسام اخر **الخامس** الترتيل هو المستحب
فى هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه فاذا هى تنعت
قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا
زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الى من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا ⊙ وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى صلوة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما
قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما فى الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضا فى

القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال **والسادس** البكا مستحب مع القراءة
قال رسول الله صلى الله عليه اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المرى قرأت القرآن
على رسول الله فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فاين البكا وقال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكا قال صلى الله عليه ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه
احضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى فان لم يحضره
حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكا فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعى حق الآيات فاذا مر باية
سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفى القرآن اربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص
سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم
وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك ⊙ واذا قرأ
قوله ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلنى من الباكين الخاشعين لك وكذلك فى كل سجدة ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلوة
من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل فى كمالها انه يكبر رافعا يديه لتحريم
ثم يكبر للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه
الاسم وتكبيرة الهوى اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغى ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه **الثامن** ان يقول
فى ابتداء قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب
الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العلى وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين استغفر الله
الحى القيوم وفى اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ
يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا ⊙ وقال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه
فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سأل ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه
عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل
والنهار واجعله حجة لى يا رب العالمين **التاسع** فى الجهر بالقراءة ولا شك فى انه لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت
بالحروف ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته ⊙ فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر
ويدل على استحباب الاسرار ما روى انه صلى الله عليه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر
الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق
ما يكفى وخير الذكر الخفى وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشا وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد النبى عليه السلم
عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلوته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس
لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روى انه صلى الله
عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون فى صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان
الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته ومر صلى الله عليه على ثلثة من اصحابه مختلفى الاحوال فمر على ابى بكر وهو يخافت فسأله
عن ذلك فقال ان الذى اناجيه هو يسمع ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا
من هذه السورة وآيا من هذه فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه فى الجمع بين هذه الاحاديث
ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو افضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت
على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر
فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب
احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شى من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه
النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور
ولهذا نقول قراءة القرآن فى المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه ⊙ وقد قيل الختمة من المصحف بسبع

لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة، وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما، فكان كثير من الصحابة يقرءون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف، ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه المصحف، فقال: شغلكم الفقه عن القرآن، إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح. **العاشر** تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم، فذلك سنة، قال عليه السلام: زينوا القرآن بأصواتكم، وقال صلى الله عليه: ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن، وقال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقيل أراد به الاستغناء، وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به، وهو أقرب عند أهل اللغة. وروي أن رسول الله كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال: ما حبسك؟ فقالت: يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه، فقام صلى الله عليه حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله. واستمع أيضاً ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً ثم قال: من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وقال رسول الله لابن مسعود: اقرأ، فقال: يا رسول الله أأقرأ وعليك أنزل؟ فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه عيناه تفيضان. واستمع صلى الله عليه إلى قراءة أبي موسى فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود، فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله لو كنت أعلم أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً. ورأى هيثم القارئ النبي عليه السلام في منامه فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم، قال: جزاك الله خيراً. وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقد كان عمر يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط، فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول: أولسنا في صلاة؟ إشارة إلى قوله تعالى: ولذكر الله أكبر. وقال صلى الله عليه وسلم: من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة، وفي الخبر: كتب له عشر حسنات. ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

الباب الثالث في الأعمال الباطنة في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام، ثم التعظيم، ثم حضور القلب، ثم التدبر، ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، ثم التخصيص، ثم التأثر، ثم الترقي، ثم التبري. **الأول** فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله تعالى إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره، ولولا تثبيت الله موسى صلوات الله عليه لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكاً، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق، ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته، ولكن الله تعالى طوقه ذلك فاستعمله به. ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته، وضرب له مثلاً لم يقصر فيه، وذلك أنه دعا بعض الملوك إلى شريعة الأنبياء فسأله الملك عن أمور فأجاب بما يحتمله فهمه، فقال الملك: أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله؟ فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله تعالى بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس، ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن يشرف الكلام أي الأصوات لشرفها ويعظم لتعظيمها، فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً، فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها، والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل، وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره، وكالشمس العزيزة الظاهرة المكنون عنصرها، وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها، فهو مفتاح الخزائن النفيسة، وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت، ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم. فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام، والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه. **الثاني** التعظيم للمتكلم، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن في تلاوة كلام الله تعالى غاية الخطر، فإنه تعالى قال: لا يمسه إلا المطهرون، وكما أن ظاهر جلد المصحف

وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً من كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول: هو كلام ربي هو كلام ربي. فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله، فإذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والأرضين وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، وهذه غاية العظمة والتعالي، فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام. **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس، قيل في تفسير: يا يحيى خذ الكتاب بقوة، أي بجد واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهم إليه عن غيره. وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن أحدث به نفسي. وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية. وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً له، فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج، والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها. وقد قيل: إن في القرآن ميادين وبساتين وعرائس وديابيج ورياضاً وخانات، فالميمات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصيره، والمسبحات عرائس القرآن، والحاميمات ديباج القرآن، والمفصل رياضه، والخانات ما سوى ذلك، فإذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن في غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه، فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره. **الرابع** التدبر، وهو وراء حضور القلب، فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره، والمقصود من القراءة التدبر، ولذلك سن فيه الترتيل، لأن الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر بالباطن. قال علي رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها. وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد، إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه، وكذلك إذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس، فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال: الوسواس يعتريني في الصلاة، فقيل: في أمر الدنيا؟ فقال: لأن تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي وأني كيف أنصرف، فعد ذلك وسواساً، وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني لكن يمنعه به عن الأفضل، ولما ذكر ذلك للحسن فقال: إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا. وروي أنه صلى الله عليه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة، وإنما رددها لتدبره في معانيها. وقال بعضهم: إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح. وعن أبي ذر قال: قام رسول الله صلى الله عليه بنا ليلة فقام بآية يرددها: إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية. وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية. وقام سعيد بن جبير ليلة يردد قوله تعالى: وامتازوا اليوم أيها المجرمون. وكان بعضهم يقول: كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثواباً. وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها. وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها. وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه. وكان هذا أيضاً يقول: أقمت نفسي مقام الأجراء، فأنا أعمل مياومة ومشاهرة ومجامعة ومسانهة. **الخامس** التفهم، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى، وذكر أفعاله، وذكر أحوال أنبيائه، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار. أما صفات الله فكقوله: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكقوله: الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين، وإليه أشار علي رضي الله عنه بقوله: ما أسر إلي رسول الله صلى الله عليه شيئاً كتمه الناس إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه، فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم. وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن. وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله وصفاته، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها. وأما أفعاله فكذكره خلق السموات والأرض وغيرهما، فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله، إذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله، فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله تعالى باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو، إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله تعالى وبقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات، وبطريق الاستقلال بطلان محض، وهذا أمثلة من مبادي علم المكاشفة. ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله تعالى: أفرأيتم ما تمنون، أفرأيتم ما تحرثون، أفرأيتم الماء الذي تشربون، أفرأيتم النار التي تورون، أن لا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني، بل يتأمل في المني وهي نطفة متشابهة الأجزاء

ثم نظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعرق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتأمل في هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع ◉ واما احوال الانبياء فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو هلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق ◉ واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ◉ ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا فقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فالطابع هي الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه ولا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه ◉ فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم ◉ فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ورابع ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته في نفسه تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات عنه مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال عليه السلام اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي ◉ قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله تعالى الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه

السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والآخرين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء

وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله فكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ◉ واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود وقال تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل قرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

الثامن التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله واني لغفار ثم اتبع ذلك باربع شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ◉ ذكر اربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه لابن مسعود اقرأ علي قال افتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرأ ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني الا التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ◉ ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل والقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام

من علمائهم وكما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه انصرف الرجل وهو فقيه
فاما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب عقيب فهم الآية ● فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان
يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي
تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان
تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار فاللسان يرتل والعقل مترجم والقلب متعظ
السابع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلثة ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله تعالى واقفا بين
يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه
بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى
تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما
قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج من هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه
في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية
على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القرآن ولا
اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله صلى الله
عليه ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه ● وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع
من قراءة القرآن فانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت
به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله تعالى لا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد
راى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله **العاشر** التبري واعني به ان يتبرا
من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين
والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا
ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن
اسباط اذا قرات القرآن بماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته
سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي
يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى
نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت ● قال سليمن بن ابي سليمن الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى
طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة
قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر
اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحيث يتلوا
آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة ويشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع
عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف
والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر
يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم منتقم وكلام
جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل ●

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول
عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه من
فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصرف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القرآن
على خلاف ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره
وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار ● فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير
فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار

تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم
وقال صلى الله عليه ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع
وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه
الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف
علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكريره وقول ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن
وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها
وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف
فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال
عليه السلام اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه في حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة
كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فان فيه نبا ما كان قبلكم ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله
تعالى ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول
الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ثلثا فقال ثلثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة
وقال علي رضي الله عنه من فهم القرآن فسر جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمن بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم
والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا متسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه ● فاما قوله صلى الله عليه
من فسر القرآن برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن براي الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار من النهي
عن تفسير القرآن بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا
ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه ومسندا اليه وذلك مما لا
يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله
وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من
رسول الله صلى الله عليه محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف
التي في اوايل السور سبع اقاويل مختلفة فقيل الر هي حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والرا رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن
فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه صلى الله عليه دعا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا
مثله فما معنى تخصيصه بذلك ● والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما
نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله ●
واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح
بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه
ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون
له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان
في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون
انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع
وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رايهم ومذهبهم على
امور يعلمون قطعا انه غير مراد به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد
الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخص باسم الراي ● الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير
استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم

والتأخر فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر
التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها
على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم
التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يعلم لغة الترك فإن ظاهر التفسير
يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا
غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل أي حب العجل فحذف الحب وقوله إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي ضعف
عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله واسأل القرية
التي كنا فيها والعير والأهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات والأرض معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشيء إذا خفي ثقل فأبدل
اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على ألسنة رسلك
فحذف الألسنة وقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر أراد القرآن وما سبق له ذكر وقال حتى توارت بالحجاب أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله والذين
اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من
سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما أصابك فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله قل كل من عند الله وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية
ومنها المنقول المنقلب كقوله وطور سينين أي طور سيناء وقوله سلام على إل ياسين أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين
ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء إلا الظن وقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا للمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى معناه لولا كلمة وأجل مسمى
لكان لزاماً ولولاه لكان نصباً كاللزام وقوله يسألونك كأنك حفي عنها أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك
بالحق فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أي صارت أنفال الغنائم
لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه
ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال تعالى ضرب الله
مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء أراد به النفقة مما رزق وقوله وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله
فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق وقوله
أم خلقوا من غير شيء أي من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيئاً إلا من شيء وقوله قال قرينه هذا ما لدي عتيد أراد به الملك الموكل
به وقوله وقال قرينه ربنا ما أطغيته أراد به الشيطان وأما الأمة فيطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله وجد عليه أمة من الناس يسقون
وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله إن إبراهيم كان أمة والأمة الدين قوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة والأمة
الحين والزمان كقوله إلى أمة معدودة وقوله وادكر بعد أمة والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة وأمة رجل منفرد بدين
لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد والروح أيضاً ورد في القرآن
بمعان كثيرة فلا نطول بإيرادها وكذلك قد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي
الموريات أي أثرن بالحوافر نقعاً والثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات صبحاً فوسطن به جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله فأنزلنا به الماء يعني
بالسحاب فأخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذي أنزل
فيه القرآن إذ لم يظهر به أنه ليل أم نهار وبان بقوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر أنه أي ليلة فظهر بقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وربما
يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله لا يغني فيه إلا النقل والسماع والقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه
أنزل بلغة العرب فكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحماً لهم ومعجزاً
في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل
أن يفهم الأمة بالمعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة
معانيه فهذا مما يمكن أن يكون منهياً دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ

ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله تعالى قال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فظاهره
تفسير واضح وحقيقة معناه غامض فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه
الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وإن كان الله هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال
فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة
بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو أنفق في استكشاف
أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما
ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي
إلى درجة منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله فيه لا نهاية لها فينفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله فمن
هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثال فهم بعض أرباب القلوب من قوله عليه السلام
في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له واسجد
واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي
إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك ثم علم أن
ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراءها وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى
الاستعاذة من صفة بصفة ومنه وبه وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له
ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نذكره لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله تعالى أعلم
تم كتاب التلاوة بحمد الله ومنه
والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب الأذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من كتب إحياء علوم الدين**
الحمد لله الشامل رأفته العام رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال فاذكروني أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم
فأطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان والصلاة
على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم كثيراً أما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى
ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه
ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة
الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً **الباب الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على النبي صلع
الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها **الباب الرابع** في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة
الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث **الباب الأول** في فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه اذكروني
أذكركم قال ثابت البناني إني أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكراً كثيراً وقال تعالى
فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً
وقال تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وقال تعالى فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم قال ابن عباس أي بالليل
والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال الله تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلاً
وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس
له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات **وأما الأخبار** فقد قال صلى الله عليه
ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلى الله عليه يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني
وتحركت بي شفتاه وقال أيضاً ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال إلا أن تضرب بسيفك
حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك
خطيئة وقال صلى الله عليه لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله تعالى ومن اعطاء المال سحا وقال عليه السلم قال الله تعالى اذا ذكرني عبدي
في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا
واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة ○ وقال صلى الله عليه سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجل ذكر الله في خلا ففاضت
عيناه من خشية الله تعالى وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من
اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله دائما وقال
صلى الله عليه قال تعالى من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين **فاما الاثار** فقد قال الفضيل بلغنا ان الله قال ابن آدم اذكرني
بعد الصبح وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري
توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله تعالى ما احسنه واعظم اجره ○
وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا
على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها ○ **فضيلة مجالس الذكر** قال صلى الله عليه ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة
وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا
لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ايضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي عليه السلم الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال
داود عليه السلم وعلى نبينا الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي ○ وقال صلى الله عليه
وسلم المجلس الصالح يكفر عن المومن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما
تترائ النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترى ما يصنعون
فيقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه يقسم
في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم قال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون
الله تعالى ويقراون القرآن قال فذلك ميراث محمد عليه السلم ○ وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه انه قال
ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا
فيقول الله تعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف
ولو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل راوها فيقولون لا فيقول كيف
لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول كيف ولو راوها
فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول اني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم
جليسهم **فضيلة التهليل** قال صلى الله عليه افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه من قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة
وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ○ وقال صلى الله عليه ما من عبد توضا فاحسن
الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس
على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها
لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال لو جاء قائل لا اله
الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله
هذا للموتى فكيف للاحياء قال هي اهدم واهدم وقال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال ليدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شرد البعير
على اهله فقيل يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي
كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة ○ وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه قال
من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه

عن جده انه صلى الله عليه قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه
احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل
شيء قدير كتبت له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة ○ ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته ولا تمر على
خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي عليه السلم قال من
تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ○ ثم
قال اللهم اغفر لي او اي دعا دعا استجيب له فان توضا قبلت صلوته **فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار** قال صلى الله عليه من سبح دبر كل صلوة
ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو
كان مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر ○ وروى ان رجلا جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون
قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتك الدنيا
راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض
واذا قال الحمد لله الثانية ملات ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل تعطه وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء
رسول الله فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله عن
صلوته قال لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله
والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة
الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر ○ وروى النعمن بن بشير عنه صلى الله عليه انه قال الذي تذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله
وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر صاحبه بصاحبه او لا يحب احدكم ان لا يزال عند الله يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله
عليه قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال
خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن
جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله يملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملان ما
بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها
وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر
قلت لرسول الله اي الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة
واذا قال الله اكبر فمثل ذلك الى اخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر
الله قال قال الفقراء لرسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد
جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة
ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهو له صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايت لو وضعها في حرام اكان عليه فيها
وزر فكذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله
عليه افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر
اربعا وثلثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني
بالشهادة في القيامة ○ وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهد انه عليه السلم
قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي
لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار
وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكتسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا

قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال
صلى الله عليه من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك
رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله
قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين ويقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي ۝ فان قلت فما بال ذكر الله خفيف على اللسان وقليل
التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ۝ فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم
المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب
في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات
بل بها يشرف سائر العبادات وهي غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب
ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة
انس به وانغرس في قلبه حب المذكور فلا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله
عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب
شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب
موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر
الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه
اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا للطبع حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما يتكلف ۝ شعر هي النفس ما عودتها تتعود ۝
اي ما كلفتها اولا يصير طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل
ومال وولد وولاية ولا يبقى الا ذكر الله تعالى فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد
عن ذكر الله تعالى ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال
صلى الله عليه ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من
عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ۝ وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به
العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ننكر بقاء ذكر الله تعالى
معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت
والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله
لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله فقال
يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح
هذا قوله في المشركين ۝ واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه
لا ينافي ذكر الله تعالى وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب
مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه
قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله تعالى وطلب مرضاته فلا تجرد لله
اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى من ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه
لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيى اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ما شئت اعطيكه
فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ۝ ثم القتل سبب الخاتمة على مثل
هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان
القلب وان الزم ذكر الله تعالى فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من
الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في
الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان

يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا
الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصد له سوى الله تعالى وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا
الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشيئة الله تعالى ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك
فضل قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع للترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله
مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير
ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه امور الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة
عليها في علم المعاملة ۝

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة فضيلة الدعاء

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين وروى النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة رضي
انه صلى الله عليه قال ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء وقال صلى الله عليه ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما
خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة
انتظار الفرج

آداب الدعاء وهي عشرة الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور ويوم الجمعة من
الاسبوع ووقت السحر من اوقات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ۝ وقيل ان يعقوب صلوات الله عليه انما قال
سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء الثاني
ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة
المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه الدعاء بين الاذان
والاقامة لا يرد وقال ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب
واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف
الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه انه قال اني نهيت ان اقرا القرآن راكعا او ساجدا فاما الركوع
فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض
ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان
قال رسول الله صلى الله عليه ان ربكم حي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه كان يرفع يديه حتى
يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه السبابتين روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين
فقال رسول الله صلى الله عليه احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح
بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن
عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه لينتهين اقوام عن
رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول
الله صلى الله عليه فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي
تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على
نبيه زكريا عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي
ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب
المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسال ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد
يحسن الدعاء فلذلك في الخبر او الاثر ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا ولا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلمون من العلماء وقد قال
صلى الله عليه اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها

من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي
يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه ٭
وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها
ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة
وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود
والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع من
غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله تعالى **السادس** التضرع والخشوع والرهبة قال تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال
صلى الله عليه لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له وقال إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه
شيء وقال صلى الله عليه ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل ٭ وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم
من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب شر الخلق إبليس إذ قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين **الثامن** أن يلح في الدعاء ويكرره
ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول
دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فسل الله كثيرا فإنك تدعو كريما وقال بعضهم إني أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة
سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال **التاسع** أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ولا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله يستفتح الدعاء
إلا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب وقال أبو سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ثم يسأله حاجته ثم يختم
بالصلاة عليه فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ٭ وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه إذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة
علي فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي **العاشر** وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة التوبة
ورد المظالم والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى
عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله تعالى إلى موسى أني لا أستجيب لك ولمن معك
وفيكم نمام فقال موسى عليه السلام يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله إليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى عليه السلام لبني إسرائيل
توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث فقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا
فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له
فأرسل الله السماء ٭ وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى
الجبال ويتضرعون فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب
لكم داعيا ولا أرحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مرارا
فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلي بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي
عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعدا وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول
اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ٭ وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون
فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة قالوا اللهم نعم قال اللهم إنا سمعناك تقول ما على المحسنين
من سبيل وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا ٭ وقيل لمالك بن دينار
ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة ٭ ويروى أن عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى من أصاب منكم ذنبا
فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا واحد فقال له عيسى أما لك من ذنب فقال والله ما أعلم من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة
فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزت أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى فادع حتى أؤمن على دعائك فدعا فتجللت السماء
سحابا ثم صبت فسقوا ٭ وقال يحيى الغساني أصاب الناس قحط على عهد داود النبي عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم
اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم إنك أمرتنا في توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم
إنا أرقاؤك فأعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك

فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إلي فقال يا عطاء أهذا يوم النشور
أو بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب أرضية أو بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية
فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك
ولكن بالمكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما أسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما
استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا ٭ إذ لمولاهم أجاعوا البطونا ٭ أسهروا الأعين العليلة فيه ٭ فانقضى ليلهم وهم ساهرونا ٭
شغلتهم عبادة الله حتى ٭ قيل في الناس إن فيهم جنونا ٭

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس
يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول
إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليما ذا أناة
يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان قال
ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال ما لي أراك كئيبا فقلت سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه
ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنهما فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا
بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي
لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا
فيهلكوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتخت السماء مثل الحبال **فضيلة الصلوة على رسول الله** وفضله صلى الله
عليه قال الله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ٭ وروي أنه صلى الله عليه جاء ذات يوم والبشرى ترى
في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من
أمتك إلا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر وقال إن أولى الناس بي
أكثرهم علي صلاة وقال بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه أكثروا علي الصلاة يوم الجمعة وقال من صلى علي من أمتي كتب له
عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك
ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه ليس أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وروي أن عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله يبكي
ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه
فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين عليك لما فارقتهم بأبي وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال ومن يطع
الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن أخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك
لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وإبراهيم الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا
بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا
بأعجب من البراق حين سرت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه
الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا ولقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك
فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في
كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفوا لك
ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت
طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم

فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال اما انتم الصلوة علي في كتابك فما كنت بعد ذلك الا اصليت عليه وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رأيت النبي صلى الله عليه في المنام فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ⊙ قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف ⊙ وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار اني لاستغفر في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنوب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير ⊙ وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به ما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية ⊙ وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة الصديقة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي ⊙ وقال صلى الله عليه من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك انا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت **الآثار** قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم ⊙ وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيره اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين ⊙ وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين ⊙ وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي

فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر **الباب الثالث** في ادعية مأثورة معزية الى اسبابها وأربابها مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلوة فمنها دعاء رسول الله بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور ⊙ اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد ⊙ سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا **دعاء عايشة الصديقة رضي الله عنها** قال رسول الله صلى الله عليه لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسألك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين **دعاء فاطمة رضي الله عنها** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغثت لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله **دعاء الصديق رضي الله عنه** علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليهم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسألك باسمك الذي انزلته على موسى عليه السلام واسألك باسمك الذي تثبت به ارزاق العباد واسألك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست واسألك باسمك الذي به استقل عرشك واسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعاء بريدة الاسلمي** روي انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني **دعاء قبيصة بن المخارق** اذ قال لرسول الله علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من غم وجذام وبرص وفالج واما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انه اذا وافى بهن يوم القيامة ولم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء **دعاء ابي الدرداء** قيل لابي الدرداء قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال يا ابا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقول هؤلاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام** كان يقول اذا اصبح اللهم هذا

خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعا فقد ادى شكر يومه **دعا عيسى عليه السلم** كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجوا واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي ولا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني **دعا الخضر عليه السلم** فقال ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله فمن قالها ثلثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق **دعا معروف الكرخي رضي الله عنه** قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمهما الله الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردده عليك كما ردده على بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسو حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسايلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۝ وقد روي عن ابي الدردا انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر اخرته صادقا كان بها او كاذبا **دعا عتبة الغلام** وقد راى في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين **دعا ادم عليه السلم** قالت عايشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على ادم طاف سبعا بالبيت وهو يوميذ ليس بمبني ربوة حمرا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسلك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته لي ۝ فاوحى الله اليه قد غفرت لك ولم ياتني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراكل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **دعا علي رضي الله عنه** رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين ۝ اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم ۝ اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم ۝ اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد ۝ اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور ۝ اني انا الله لا اله الا انا مبدي كل شي والي يعود ۝ اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم ۝ اني انا الله لا اله الا انا الرحمن الرحيم ۝ اني انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين ۝ اني انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر ۝ اني انا الله لا اله الا انا خالق الجنة والنار ۝ اني انا الله لا اله الا انا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ اني انا الله لا اله الا انا الفرد الوتر ۝ اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة ۝ اني انا الله لا اله الا انا الملك القدوس ۝ اني انا الله لا اله الا انا السلام المومن المهيمن ۝ اني انا الله لا اله الا انا العزيز الجبار المتكبر ۝ اني انا الله لا اله الا انا الخالق البارى ۝ اني انا الله لا اله الا انا الاحد المصور ۝ اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال ۝ اني انا الله لا اله الا انا المقتدر القهار ۝ اني انا الله لا اله الا انا الحليم الكريم ۝ اني انا الله لا اله الا انا اهل الثنا والمجد ۝ اني انا الله لا اله الا انا اعلم السر واخفى ۝ اني انا الله لا اله الا انا القادر الرزاق ۝ اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخليقة ۝ فمن دعا بهذه الاسما فليقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين **دعا ابي المعتمر وهو سليمن التيمي وتسبيحاته** روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي ابن المعتمر من الله تعالى بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملا ما خلق وملا ما هو خالق وملا سمواته وملا ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه **دعا ابرهيم بن ادهم** روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعا في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد لا يوم وعيد اكتبا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مومنا وبلقايه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله تعالى فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله تعالى منيبا ۝ اشهد الله واشهد ملايكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاك حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شا الله تعالى ۝ اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر

اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى انبيايه ورسله اجمعين امين رب العالمين ۝ اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سايغا هنيا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا ممقوتين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها والارضون باقطارها وسبحان من سبحت له الجبال باصدايها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السما بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها واوراقها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ۝ سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شي قدير

الباب الرابع

في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله ورضي عنهم يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعا كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الاخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير ۝ وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شي ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسلك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تومني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابو بنعمتك علي وابو بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسلك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقايك من غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم واعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطية او ذنبا لا تغفره ۝ اللهم اني اسلك الثبات في الامور والعزيمة على الرشد واسلك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسلك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسلك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل غيب شهيد اللهم اني اسلك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسلك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسلك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني ۝ فاذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسلك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقايك واعوذ بك من ضرا مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به الى جنتك ومن اليقين ما يهون به علينا مصايب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا منك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعل ذكرك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة ۝ الحمد لله الذي تواضع كل شي لعظمته وذل كل شي لعزته وخضع كل شي لملكه واستسلم كل شي لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شي لهيبته واظهر كل شي بحكمته وتصاغر كل شي لكبريايه اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي الرسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليايك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا عن الحسن اختيارك لنا نسلك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما

ووفقني واستعملني به صالحا تقبله مني اسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا يضره الذنوب ولا تنقصه
المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر
للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين
وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم** اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة
الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا طمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء
لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن
فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك ومنجيات امرك
والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهم والهرم واعوذ بك ان اموت
في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لطلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء
اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك
من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول
اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ
بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك
اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من
المغرم والمأثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا يستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء **الباب الخامس في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث** اذا اصبحت
وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد
فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم
اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء
مرضاتك واسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان
اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم
اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك
واذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر به رسول الله صلى الله عليه فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة
من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك
آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت قل
سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء
الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل
اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي
وخيالي وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت بعد ان تقول سبحان ربي الاعلى ثلث
مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا
قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على

كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او
صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك
الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب
بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واذا رأيت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله
وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله اولا ثلثا فاذا هبت الريح
فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله
وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده
وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد ورأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال كعب فاذا امطرت السماء فقل اللهم صيبا هنيا
وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم
فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت
اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطأت فقل الحمد لله على
كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لي فاذا
اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في
كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال
صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها
ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض
ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الموضع الذي يألم
من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابه كرب فليقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله
الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل
القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك
منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض
ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك
شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها
لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم
اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا منجا ولا ملجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت
وليكن هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك تقربني
اليك زلفا وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان والمنة والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص
ودين نبينا محمد صلى الله عليه وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسألك
ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى
اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما
شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه
كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي

ضوره له وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين ◉ واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه
واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ◉ واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ◉ واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك
الله لك في اهلك ومالك اذ قال عليه السلم انما جزا السلف الحمد والادا فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضو
ذكرناها في كتاب الحج والصلوة والطهارة فان قلت فما فايدة الدعا والقضا لا مرد له فاعلم ان من القضا رد البلا بالدعا فالدعا سبب لرد البلا واستجلاب
الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والما سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان وكذلك الدعا والبلا يتعالجان وليس من شرط
الاعتراف بقضا الله ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضا بالنبات نبت بل ربط الاسباب
بالمسببات هو القضا الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره
بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا ولا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعا من الفايدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور
القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله تعالى الا عند المام
حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعا عريض فالحاجة تحوج الى الدعا والدعا يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو
اشرف العبادات ولذلك صار البلا موكلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله تعالى ويمنع من نسيانه ◉ واما
الغنا فسبب البطر في غالب الامر فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية
الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المرضى وغيرها فسياتي في مواضعها ان شا الله تعالى ◉◉◉

كتاب ترتيب الاوراد

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احيا الليل وهو الكتاب العاشر من كتب احيا علوم الدين** ◉
نحمد الله تعالى على آلايه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ◉ ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ◉
ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم
نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا ◉ اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين
من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة
او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته روس امواله وشهواته
واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقا الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب
الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله تعالى زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى
ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظايف
الاوراد حرصا على احيا الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية
قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول**
في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية احيا الليل وفضيلته وما يتعلق به **فالباب الاول** في

فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى ◉ اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا
نجاة الا في لقا الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقا الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر
المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام
الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزا منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظايف
الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد
اظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت
لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها على الذكر والفكر فلذلك ينبغي ان تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر
والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مايلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا
وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان

والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفوا في طلبه القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص
القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته
فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجا غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده
وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه وتعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى
لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ◉ وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن
الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود ◉ وقال تعالى ان
ناشية الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال تعالى ومن انا الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ◉ ثم انظر كيف وصف الفايزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت انا الليل ساجدا او قايما
يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز من قايل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال الم تر الى ربك كيف
مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور
الدنيا بل لتعرف مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله عز وجل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان اعداد الاوراد
وترتيبها** اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان
وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح
فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به **فالورد الاول** ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى
به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن انا الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ◉ واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من
النوم فاذا انتبه ينبغي ان يبتدا بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعا الاستيقاظ
من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعا وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته من غير قصد ريا ولا رعونة ثم يتوجه الى
بيت الما ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق
ويتوضا مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط
فاذا فرغ من الوضو صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلعم ويقرا بعد الركعتين التي في البيت او المسجد الدعا الذي رواه
ابن عباس ويقول اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعا ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعا الخروج الى المسجد ولا يسعى
بل يمشي وعليه السكينة كما ورد الخبر ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعا الماثور لدخول المسجد ثم يدخل من المسجد
الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعا المذكور بعده
وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في
الصلوة عامة وفي الصبح والعشا خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلوة الصبح من توضا ثم
توجه الى المسجد يصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل
شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل حسنة الفي الف حسنة ◉ ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة
وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي

شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او
قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما
انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا
ثم تشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلوة فتقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ⊙ ثم تصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم تقعد في المسجد الى طلوع
الشمس في ذكر الله كما سنبينه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب
وروي انه كان صلى الله عليه اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى ⊙
وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر
ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع ادعية واذكار يكررها
في سبحة وقراءة قرآن وتفكر **اما الادعية** فكما يفرغ من صلوته فليبدا وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود
السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان
ربي العلي الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة
والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ⊙ ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع
من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراها اوفق بحاله وارق لقلبه واخف على لسانه **واما الاذكار المكررة** فهي
كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلاث او سبع واكثرها مائة او سبعون واوسطها عشرة فليكررها بقدر
فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا
يمكن المواظبة على كثرتها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم قطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالي
فتحدث فيها حفرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات ولا يبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات
عشرة **الاولى** قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير **الثانية** قوله سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله **الثالثة** قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح **الرابعة** قوله سبحان الله العظيم وبحمده
الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة **السادسة** قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد **السابعة** قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين **الثامنة** قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم **التاسعة**
قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد **العاشرة** قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حيالها
وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال **فاما القراءة** فيستحب له جملة من الآيات ورد
الاخبار بفضلها وهو ان يقرا سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم الى آخرها وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا
من آخر سورة الحشر وان قرا المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له
ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة ⊙ فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني
هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابراهيم التيمي قلت افلم تسأل ابراهيم من اعطاه قال بلى فقال
كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا
ولا اشد بياضا واطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك
وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد
سبع مرات وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب [illegible] وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك
سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم
رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية ⊙ فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم

فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه رأى ذات يوم في منامه كان
الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسالت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذي
يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف
مثل ما بين المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه
فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل
يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته
ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله
شقيا ⊙ وكان ابراهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن
او اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرناه في فضله وآدابه في كتاب التلاوة **واما الافكار** فليكن ذلك احد
وظايفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب
نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق
اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين **والفن الثاني** فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر
مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه
ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف
العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد
تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة
والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام
الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف
شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون
على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق
من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لا يحيط بكنه جلال الله
فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحق
ان يسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليه انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون قال صلى الله عليه ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه كل من ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها
ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم عليه السلم في ترقيه فقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا اي وصل
الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان احاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون
ذلك باوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد به ما اريد بقوله تعالى الله نور
السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف
التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه ⊙
فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس
بعد الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن
سبل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى الطلوع كان رسول الله واصحابه يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار
فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة ولو صلى لذلك فلا باس به **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني
بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثني عشر ساعة وهو الربع وفي هذا الربع
من النهار وظيفتان زائدتان احديهما صلوة الضحى وقد ذكرناه في كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت
الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس ⊙ فوقت الركعتين هو الذي
اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على

وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في
الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة بين طرفي وقتي الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح
بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبدا وقت الاذن في الصلوة وانقضاء الكراهية
اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخار الارض وغبارها وهذا
يراعى بالتقريب **الوظيفة الثانية** في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على
بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربعة التي قدمناها من الادعية والذكر
والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظائف
هذا الوقت لمن اراده ۞ واما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل
بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر **الورد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلث
ساعات امر بصلوة فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلثة اخرى فالظهر فاذا مضت ثلثة اخرى
فالعصر فاذا مضت ثلثة اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفترض لانه
وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة وزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور
السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب
على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لوقته فاذا حصل كفاية يومه لوقته فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد
الآخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلث مواطن مسجد
يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان
يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه
الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعين به على صيام النهار وان كان لا يقوم بالليل ولو لم ينم لم يشتغل
بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ في النوم الصمت
والسلامة ۞ وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا
يخلص فيه فكيف بالغافل الفاسق ۞ قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلب السلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة
ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان
ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى
واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل
ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما **الورد الرابع** ما
بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت
الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تعالى
بقوله وحين تظهرون ۞ وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة هذه الصلوة وحدها من بين سائر صلوات النهار هكذا
قاله بعض العلماء ومذهب الشافعي انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر فيه في
باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة او سورة من المئين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله
عليه ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة ولا ينبغي ان يدعها وليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ
كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ۞ ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي اوردناها في
الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب
فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك
سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت

افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار ۞
قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة
فالاعتدال في نومه ثمانية ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم
ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمانية ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام
غذاء البدن وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا
فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس**
اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو
العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض
ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤوس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة تلاوة القران بتدبر
وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض
بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه
قبل الغروب كما ان ذاك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد
تعظيما للعشي منهم لاول النهار ۞ وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة
وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ۞ ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس وضحيها والليل اذا
يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن
ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه
امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها
عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان يكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات
يذهبن السيئات فليشكر على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس
الحيوة ولا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا ايام معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها **بيان
اوراد الليل وهي خمسة** ۞ **الاول** اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي
بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهو آني من الآناء المذكورة
في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي الزناد الى رسول
الله انه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب
آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو ۞ وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وسياتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان
يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** يدخل بدخول
وقت العشاء الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل
فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور **الاول** ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل الفرض احياء لما
بين الاذانين وستة بعد الفرض ركعتان ثم اربع ويقرا فيهما من القران الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها **الثاني** ان
يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء
من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلوة قدر ثلثمائة آية
من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه يكثر قراءتها مثل يس وسجدة الم تنزيل لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل

فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلث احاديث ما كان يقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك
وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلما يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم
ربك اذ في الخبر انه صلى الله عليه كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص
فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا الصلوة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عايشة
رضي الله عنها وعن ابيها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الوتر على ثلثة انحا ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت
شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما
نقض الوتر فقد صح فيه نهي ولا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلم قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض
العلما وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان
له ان يوتر في آخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل
وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما خطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ ولبطل وتره الاول فكونه مشفعا
ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما ووتر
بمعناهما فيحسب وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتران يقول سبحان الملك القدوس رب الملئكة والروح جللت
السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه السلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة
وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنايم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نايما الورد الثالث النوم ولا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه
اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر
الله تعالى دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلما وارباب القلوب الصافية فانهم
يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل
فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيا واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه فقال معاذ افقه منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه
الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا يصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر
والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما
تنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلعم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر لهم
الطهارة فكانوا يستحبون مسح الاعضا بالما فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعا والتفكر في آلا الله وقدرته فذلك يقوم
مقام قيام الليل وقال عليه السلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من
الله تعالى الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم يقال ان من مات بغير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ
الى يوم القيامة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة
تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تايبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم
على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة
بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون
منها خلقنا واليها نرد فكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم
ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا
الليل وقيل لرسول الله ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد
وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال

لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض اليك عبادة الله
السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة
والثاني استقبال اللحد وهو لمن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن الثامن الدعا عند النوم فيقول باسمك رب
وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات الماثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر
البقرة وغيرها ويقرا قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله يعقلون فقال ان من قراه عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف
هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا
المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده وكذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا
من آخره وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا
وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربعة مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ
نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها سماهما توفيا وكما ان المستيقظ ربما كشف له مشاهدات لا تناسب احواله في
النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا يشاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت كمثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمن لابنه
يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد
موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلعم
آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش ربنا ورب كل شي ومليكه
الدعا الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقايه او حب الدنيا
وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب العاشر الدعا عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته
مهما تنبه ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون
آخر ما على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه
فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ الورد الرابع يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه
وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا اوسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار
وبه اقسم الله تعالى وقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه وهدوه في هذا الوقت فلا تبقى عين الا نايمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم
وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسيل رسول الله اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه الهي اني احب ان
اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل
حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوايجك وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل
وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سما الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه
بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضا وضوا كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبريا والعظمة والجلال
والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت
بها السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك
الحق ولقاوك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت
خير من زكيها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسالك
مسالة البايس المسكين وادعوك دعا المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعايك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين
وقالت عايشة رضي الله عنها كان عليه السلم اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم
ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين بتسليمة

تسليمة بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عايشة اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلوة المغرب اوترت صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرا في هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل الورد الخامس السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امراة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله سبحانه فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذه ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عايشة رضي الله عنها الى سايل عنبة واحدة فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير فكانوا لا يستحبون رد السايل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الصبح تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك **بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال** اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما والي واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظايفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلوة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلوة قايما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم معنى الاوراد وسره فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك قال مهليا ييل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه واي ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه الثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة وان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموها على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركهما الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وبعد العصر ربما اضر بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل فاحسن قسمته قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب العالم الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ ويشتغل بالذكر حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت يا مولاي ما تسأل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل من القلب من عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من ساير الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فايدة الغير وتجتذب اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر الخامس الوالي مثل الامام او القاضي او المتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي فقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل ساير العبادات يتعدى فايدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا يرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لايح الا كان لهم فيها عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة من عبادة وهم الذين فروا الى الله تعالى كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي

شهيدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا ولا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظايم الاشغال واني يرزق هذه الرتبة لكل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى ۞ وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ۞ وقال بعض العلما الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا بعدد الانبيا كل مومن على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله تعالى فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يكن يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثاني وثالث على القرب انمحى اثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل ۞ وسئلت عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال عليه السلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك ان يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عايشة رضي الله عنها وام سلمة ۞ فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز من التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل التي تستحب احياوها وفي فضيلة احيا الليل وما بين العشايين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احيا ما بين العشايين قال صلى الله عليه وسلم فيما روت عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله تعالى صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله ذنب عشرين او قال اربعين سنة ۞ وروت ام سلمة عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر ۞ وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الارض لوسعهم ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشا بنى له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكثر وافضل او قال اطيب ۞ وعن انس بن مالك قال قال صلى الله عليه من صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الاية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرا فاتحة الكتاب واية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى اخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر ۞ وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيا اعمله في الليل فقال اذا صليت المغرب فقم الى الصلوة العشا مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرا فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا الدعا ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي عليه السلم وادم عليه السلم حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعا واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعا وهذه الصلوة من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبيا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احيا ما بين العشايين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يامر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشا وقال صلى الله عليه من صلى ما بين المغرب والعشا فذلك صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هو ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشية الليل ويقول فيه نزل قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع ۞ وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر ذلك قال فافطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل اما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الاية وقوله ان ناشية الليل هي اشد وطا وقوله تتجافى جنوبهم وقوله امن هو قانت آنا الليل الاية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس **ومن الاخبار** قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على هامة احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان ۞ وفي خبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام بالليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم حتى تفطر قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السما كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا ۞ وقال صلى الله عليه عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للدا عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه ما من امرئ يكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلوته وكان نومه صدقة عليه وقال عليه السلم لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة الا انبيك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظايم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها ۞ وروي انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلي ويقرا القرآن ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سالت الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل فقال اخبر فلانا ان الله تعالى قد اجاره من النار وادخله الجنة ۞ وروي ان جبريل عليه السلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلوته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن ابي طالب شبع يحيى بن زكريا عليه السلم من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق قال سينهاه ما تقول وقال صلى الله عليه رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها الما ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الما وقال عليه السلم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ۞ وقال عليه السلم افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال عليه السلم من نام عن ورده بالليل فقراه بين صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قراه من الليل **ومن الآثار** وروي ان عمر كان يمر بالاية في ورده في الليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ۞ وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره ۞ وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش ابدا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين ووالله ان في الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله ۞ وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي ۞ وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ۞ وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكما اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة

الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى النخاس فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرة قال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة رحمه الله يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله • ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلته حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار توضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن ان تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة • شعر •

أألهتك اللذائذ والاماني • عن البيض الاوانس في الجنان •
تعيش مخلدا لا موت فيها • وتلهو في الجنان مع الحسان •
تنبه من منامك ان خيرا • من النوم التهجد بالقران

ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكان له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروي عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا لا ينتظر بقيامه صياح الديك

بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا **فاما الظاهر** فاربعة امور **الاول** ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام • كان بعض المشايخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام **الثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم **الثالث** ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على النوم بالليل **الرابع** ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة • قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذلك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا يفوت احد صلوة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد لياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد لياكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلثين سنة اسال عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر **فاما الميسرات الباطنة** فاربعة **الاول** سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم **الثاني** خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم

وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام وقال ذو النون المصري شعر

منع القران بوعده ووعيده • مقل العيون بليلها ان تهجعا •
فهموا عن الملك الجليل كلامه • فرقابهم ذلت اليه تخضعا • **وانشد**

يا طويل الرقاد والغفلات • كثرة النوم تورث الحسرات •
ان في القبر ان نزلت اليه • لرقادا يطول بعد الممات •
ومهادا ممهدا لك فيه • بذنوب عملت او حسنات •
اأمنت البيات من ملك الموت • وكم نال آمنا ببيات

الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والآثار والاخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامراته كانت تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها **الرابع** وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فيحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد له العقل والنقل • فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فيبقى له ايضا لذة في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله تعالى اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات • واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر • وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة • وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين • وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني فاحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة • وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال الاستاذ يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار • واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبعة مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين

تجردوا للعبادة لله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب ابن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم

الرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع القيام في جوف الليل ووسطه فهو الافضل **الرتبة الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والسهر به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الاعلى الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلم **الرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **الرتبة الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم في اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد انه قال راعيت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **الرتبة السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل فهذه **هي الرتبة السابعة** ومهما كان النظر الى المقدار فترتب هذه المراتب بحسب طول الوقت واما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة **بيان الليالي والايام الفاضلة** اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان خمسة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر قال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي عليه السلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله تعالى يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية **واما ليلة النصف من شعبان** ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتي العيد قال صلى الله عليه من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب

واما الايام الفاضلة فهي تسع عشرة يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد بالرسالة ويوم سبعة عشر من شهر رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيد والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء **ومن فواضل الايام في الاسبوع** الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم هذا آخر ربع العبادات من احياء علوم الدين والحمد لله اولا وآخرا

كتاب آداب الأكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم كثيرا اما بعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله سبحانه في دار الثواب ولا طريق للوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا تمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها قدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها

الباب الاول فيما لا بد للآكل من مراعاته وان انفرد بالاكل **الباب الثاني** فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين **الباب الرابع** فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه **القسم الاول** في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سيأتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين **الثاني** غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل بقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلوة **الثالث** ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله من رفعه على المائدة كان رسول الله اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفر وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهية فيه والاربع التي جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشتغلين بامور اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون الايدي ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا **واما المنخل** فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط **واما المائدة**

فيتيسر الاكل وهو ايضا مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه
المتعبات الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهور
قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه
للمعدة ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب
قد تفعله الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابرهيم بن شيبان منذ ثمانين
سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة
ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشره وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم
لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد
ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسنأتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل
في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار
الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر
بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الامام
وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت
الصلوة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو
عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا
على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلم لا ياكل وحده

القسم الثاني في آداب حالة الاكل

وهو ان يبدا ببسم الله في اوله وبالحمد في آخره ولو قال
مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم
ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجيد مضغها وما لم يبتلعها فلا يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان
لا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده فيه قال صلى الله
عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل
من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة
ولا غيرهما الا ما يوكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز قال عليه السلم اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها
وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو
منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع
في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام او يطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس
على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة
واما الشرب فادبه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من
العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه صلى الله عليه نهى عن الشرب قائما وروي انه عليه السلم شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز
حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشى في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه بعد الشرب الحمد لله الذي
جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي
عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناوله الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول
في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دلت
عليه الآثار والاخبار

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات
الخبز والطعام قال عليه السلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع كلما خرج من اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول
اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة فقال من لعق القصعة وشرب ماءها
كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان

اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع وان
كان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان
افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ويكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفي
بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من ياكل ويبكي مثل من ياكل ويلهو وليقل اذا اكل
لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره فليقل اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعا مما خصص به رسول الله
صلى الله عليه اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافيا من كل شيء ولا
يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك الحمد آويت من يتيم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه
كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك واما غسل اليد
بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كف اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به
شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان
اليابس اصابعه ظاهرا وباطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب
الاجتماع والمشاركة في الاكل وهو سبعة الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى
فحينئذ لا ينبغي ان يطول عليهم الانتظار الا اذا اشرابوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة الاعاجم ولكن يتكلمون
بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكله فان ذلك
حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استاذنهم فان قلل رفيقه
نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلثا
لم يراجع بعد ثلث وكان عليه السلم يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف
عليه الرابع ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادبا احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول
ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه
حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على
نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكثر اعطيته بكل نواة
درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني
الى اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تفقده في الاكل وكل ذلك اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تتبين محبة
الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخامس ان غسل اليد في الطست لا باس به وله ان يتنخم فيها ان اكل وحده وان اكل معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك
واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع فقال انس اذا اكرمك
اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ
قال يا ابا معوية تدري من صب على يدك فقال لا قال صبه امير المومنين فقال انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا
باس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد
بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه الى الامصار لا يرفع
طست من بين يدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا بالاعاجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم
والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد
خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي
يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة به ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست سبعة آداب ان لا يبصق فيه وان يقدم به
المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من
يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في اول
نزوله عليه وقال لا يرعك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره
ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد اليه ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان

كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم آخراً فقد فعل ذلك كثير من الصحابة وإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعاً للخجلة عنهم **السابع** أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه وإذا أخرج شيئاً من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسم فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بأسنانه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

فضيلة تقديم الطعام إلى الإخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحيي أن يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الأخبار في الإطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فأنا أحب أن أستكثر مما أقدم إليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان وقال علي رضي الله عنه لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني وقال عليه السلام إذا أتاكم الزائر فأكرموه وقال عليه السلام إن في الجنة غرفاً يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال خيركم من أطعم الطعام وقال من أطعم الطعام حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام **وأما آدابه** فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على الطعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياءً منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت أكله فلا بأس به فقد قصد رسول الله وأبو بكر وعمر صلوات الله عليه وعلى أصحابه منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة فكان إخوانهم معلومهم وبدلاً عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى أو صديقكم ودخل رسول الله دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولاً ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قشبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله أو صديقكم قال فمن الصديق يا أبا سعيد من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وجاء قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد هذه آداب الدخول **فأما آداب التقديم** فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر فإن لم يحضره شيء ولم يملك شيئاً فلا يستقرض لأجل ذلك فيشق على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدمه دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت

مجيئه وملالته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه **ومن التكلف** أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئاً ولا يترك نوعاً إلا وأحضر شيئاً منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي عليه السلام أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً وجز لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه **الأدب الثاني** وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقاً بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وقال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ نصفه في القدح فقلت له إيش هو ذا تعمل أنا أشرب هذا كله في مرة فضحك وقال هذا أفضل لك من حجة وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب **الأدب الثالث** أن يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وقال صلى الله عليه فيما رواه جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الأدب الرابع** أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل أتأكل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهره لهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكل فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة وإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة قال صلى الله عليه وسلم لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء الله أن يمنحه خلقاً حسناً فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله لا أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي فارهنها عنده وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيها دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها **أما الدعوة** فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أكل طعامك الأبرار في دعائه لمن دعا له وقال لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشاً للباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال

السرور على قلوب المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا
من يحب اجابته قال سفيان الثوري من دعا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة
ولو علم ما كان يأكله والطعام التقي اعانة له على الطاعة والطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين
فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة واما انت فمن الظلمة نفسهم **واما الاجابة** فهي سنة مؤكدة
وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب **الاول**
ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا
وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة
العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم
يأكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم
سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم واما قول القائل
ان من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد
بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه كان يحضر لعلمه بان الداعي له تقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا
والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى
التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه
في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا للمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد قال
ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه
فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني **الثاني** انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن
احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع بسببها يقال في التوراة او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر
اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه لو دعيت الى
كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره **الثالث** ان لا يمتنع لكونه صائما بل
يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم واكثر وافضل وذلك في
صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه به فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه لمن امتنع بعذر الصوم
تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق
ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب فقد قيل الكحل والدهن احد القراءين **الرابع** ان يمتنع من الاجابة
ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على سقف
او حائط او سماع شيء من المزامير والملاهي والتشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها
وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة والفخر **الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا
في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت
وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم
من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لامن سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع ذلك زيارته ليكون من
المتحابين في الله اذ شرط رسول الله فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين فيحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه
عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق
اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه
انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه فالنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية
ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المتردد بين وجوه
الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث **واما الحضور** فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ

احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار
اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع
اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر
النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه
صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم
وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل ينتظر ان يدخل من
يأكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصاوير على
الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي
ان يخرج ولم يأذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا رأى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج
اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام فرأى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج
وكل ما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير محرم على الرجال قال عليه السلام هذان حرامان
على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله قل من حرم زينة الله لا سيما في
وقت الزينة اذا لم يتخذه عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجواري
والنساء فالحيطان في معنى النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة **فاما احضار الطعام** فله آداب خمسة **الاول** تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف
وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود
فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التأخير الا ان يكون المتأخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين
والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في
خمس فانها من سنة رسول الله اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في
الوليمة وقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق
في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم
طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فان
جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد
نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى
لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد
عند الغسل قال المأمون شرب الماء بالثلج يخلص الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد
اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية
وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل
فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة
عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا جمع حسن للموافقة **الثالث** ان يقدم من الالوان الطفها حتى
يستوفي منه من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه
حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة ليأكل كل واحد ما
يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد فليذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا الاطيب منها ويحكى عن بعض ارباب المروءات انه كان يكتب نسخة
بما يستحضر من الالوان وتعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم
هذا آخرا فقال وهكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤوس المشوية
طبيخا وقديرا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاء بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا

ان الله تعالى يغفر ان يخلق رؤسا بلا ابدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده
الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضره
او بقي فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن في المائدة التي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال
ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن السنوري وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم اليهم حمل وكان في صاحب المائدة
بخل فلما راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام السنوري يعدو خلف
الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الحمل ● ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم
يستحيون بل ينبغي ان يكون آخرهم اكلا ● كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه
ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه الخامس ان يقدم من الطعام قدر
الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا ان يقدم الكثير
وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدة
فقال له سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالاكثار تكلف قال ابن مسعود
نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه ● وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله فضلة
طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع ● وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع
شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما
بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة
حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يؤخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما
يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله آداب ثلثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من
اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلم ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب
الدار قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين
وانا احب ان اكافيهم ● وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة
الوجه وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا الثاني ان ينصرف الضيف طيب
النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض
السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا
قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية
وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق ● وحكي ان الاستاذ ابا القسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات
الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمانت بالتوحيد
وصار يشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد من الاذلال كما لا يستبشر بما يجري منهم من الاكرام
بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته
وحسابه الثالث ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج
الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه الضيافة ثلثة فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عليه عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان
يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان فصل يجمع آدابا ومناهي
طبية وشرعية متفرقة الاول حكي عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله واسناده غريب وقد نقل على ضده
عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ● وراى بعض مشايخ الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك
فقال ويحك اجوع في السوق فآكل في البيت فقيل له تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع
وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر
اعماله حمل في ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع احواله واعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا الثاني
قال علي رضي الله عنه من ابتدا غداه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلا ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل

كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والعشبارجات تعظم البطن وترخي الاليتين
ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفسا بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن
والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين الثالث قال الحجاج لبعض الاطباء
صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من
الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط
والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد وتعش تمش يعني تمدد كما
قال تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه الرابع في الخبر قطع العروق مسقمة
وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحمة الكاذة يعني الالية ● قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك اي
تتغدى فبه يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال
اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان الخامس الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى
فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال
تاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه السادس يستحب ان
يحمل طعام الى اهل الميت وللمأتم نعي جعفر بن ابي طالب فقال عليه السلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون به فذلك
سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح وللمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم السابع لا ينبغي ان يحضر طعام
ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب
وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلع التزكية او ازكي ولا اكل فلم يجد بدا من تزكيته فتركوه
وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكان له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته
المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع الثامن حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا
فاخرج بشر درهما ودفعه الى احمد الجلا خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي عليه السلم لشيء
اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر
طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما
بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل ● وحكى ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال ادخل
فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع ● واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا
جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها التاسع قال الشافعي رضي الله عنه
الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره ● واربع يقوي البدن اكل اللحم
وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان ● واربع يوهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء البارد على الريق وكثرة اكل
الحموضة ● واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس ● واربع يوهن البصر النظر الى القذر والنظر
الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة ● واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل
الجرجير والنوم على اربعة انحاء نوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلم يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد
ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ● واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك
ومجالسة الصالحين والعلماء ● واربع هن من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن ● وقال ايضا
عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع
في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب ●

آخر كتاب آداب الاكل ● والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

كتاب آداب النكاح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن اوائل بدايعها الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا او قهرا ومن بدايع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لا يستطيع لها الحساب عدا وحصرا وسلم كثيرا اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لساير النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب

الباب الاول في الترغيب وعنه • **الباب الثاني** في الآداب المرعية في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في آداب المعيشة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم اولا ما ورد من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم **الترغيب في النكاح** اما من الآيات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الآية • ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلم تزوج ولم يجامع قيل انما فعله لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلم فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له **واما الاخبار** فقوله عليه السلم النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه من كان ذا طول فليتزوج ومن استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزوج احدهما • وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث فذكر فيه وولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح **واما الآثار** قال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزوج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه • وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا • وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان ابن عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد • وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم اعاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله مني لئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني فقال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال

لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال له اولم وجمع له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر للنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك للتزويج قال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحرث فضل علي احمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا • واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية اخرى قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال • وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء وقال رجل لابراهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي • وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب **واما ما جاء في الترغيب** عن النكاح فقد قال صلى الله عليه خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وقد قيل قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسئل ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث • وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال • قال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط • واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح وفوائده

وفيه فوائد خمس الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن **الفائدة الاولى الولد** وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود بقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا **الاول** موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان **والثاني** طلب محبة رسول الله في تكثير من به مباهاته **والثالث** طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده **والرابع** طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله **اما الوجه الاول** فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لو لم يصرح به الخالق على لسان رسوله عليه السلم بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من

شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية
ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع في إتمام ما
أحب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض
فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا • فإن قلت قولك إن بقاء النفس والنسل محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق
بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم
عن فنائهم فاعلم أن هذه كلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها نفعها وضرها
ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة
والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية • أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال تعالى
ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهيته كالبقاء والله تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي
المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله لا بد له منه من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن
قدرنا بينكم الموت وفي قوله هو الذي خلق الموت والحياة ولا مناقضة بين قوله نحن قدرنا بينكم الموت وبين قوله وأنا أكره مساءته ولكن إيضاح
الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم
وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدسة
عنه ولا يناسب ما ليس جوهرا وعرضا الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه
سر القدر الذي منع من إفشائه ولنقبض عنان الكلام عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح والإحجام عنه فإن
أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلوات الله عليه عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام
من وجود آدم على نفسه فمات أبتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا ألقى الله
عزبا • فإن قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فأقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث
الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار وإنما المتعلق باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل
ما إليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى إن الممسوح الذي لا يتوقع له
ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا في حقه على الوجه الذي يستحب للأصلع إمرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب
الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم
ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث ويزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها
فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني**
السعي في محبة رسول الله ورضاه بتكثير ما به مباهاته إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها
ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ينكح كثيرا ويقول إنما أنكح للولد وما روي من الأخبار في ذم المرأة العقيم إذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير
من امرأة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل
النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** أن يبقي بعده ولدا صالحا يدعو له كما
ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثا وفي الخبر أن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا
لا يؤثر فإنه مؤمن والصلاح هو الأغلب على أولاد ذوي الدين لا سيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا
كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم
وما ألتناهم من عملهم من شيء أي ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم **الوجه الرابع** أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة وفي بعض الأخبار يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك وقال أيضا إن المولود
يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أي ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي فيقال أدخلوا أبويه معه
الجنة • وفي خبر آخر أن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب
الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الخزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه
كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وتعالى

وهو أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوهم
الجنة • وقال صلى الله عليه من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة
بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان • وحكي أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من الدهر قال فانتبه
من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال
رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش
والكرب فنحن كذلك إذا ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد
الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى أحدهم وقلت اسقني فقد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا
فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين • وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم تقديم
الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان
وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر
وإليه الإشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا
المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع لجنده وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه
رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة
والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري
في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان
إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فإحدى فوائد لذات
الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله تعالى • فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة
حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه
اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسير
المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السماوات والأرضين إلا وتحتها
من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار العقول فيه ولكن تنكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها
فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فإن الشهوة إن غلبت ولم تقاومها قوة التقوى جرت إلى
اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله تعالى إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة
الشهوة بغض البصر وحفظ الفرج • فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع
ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين
يدي أخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة
على الصوم لا تقطع مادة الوسواس في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك
الناسك إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما
قالا وخلق الإنسان ضعيفا أنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله • وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه
وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق إذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها
صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة للشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله ما رأيت ناقصات عقل ودين
أغلب لذوي الألباب منكن وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال
أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه كيف يجوز التساهل فيه لغيره • وكان بعض الصالحين يكثر النكاح
حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله عز وجل جلسة أو وقف بين يديه موقفا
في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني
ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطرت على قلبي معصية • وأنكر بعض
الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون

عقيب

قال يشكون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينك وفرجك كما يحفظون لتكحت كما يتكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها ● وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب زوجها فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى ان ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه وروى انه جامع ثلاثة من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ● ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسأل مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنى ● وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلث شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته بكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة اطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وكان ربما عقد على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه السلام للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه ● وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وقال عليه السلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق ● وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه انه قال شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فايدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها لتطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفايدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل

بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا ● وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب يقول ما اعطي احد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء وقال عليه السلام فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة وتضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفائدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال عليه السلام يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ● وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلث احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته ● وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل قد اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيره فقال له اين انت من عمل الابدال قال ما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال عليه السلام من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ● وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال هو والله من غرائب الحديث وغرره ● وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي ثم قال رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤم الذي تومون اليه فقال انت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ادري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله عز وجل وقلت ما انت معاقب لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها ● وفي الصبر على ذلك رياضة للنفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبث باطنه ولا ينكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او عمرة او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال

لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره • فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في
اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة
هو مكفي فيها • واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لساير الخلق من فائدة الكسب
على العيال فهذه فوايد النكاح في الدين التي بها يحكم بالفضيلة **اما آفات النكاح فثلث الاولى** وهي اقواها العجز عن طلب الحلال
فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام
وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته
بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله
ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان
يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه • وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا اسلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال
عليه السلم لا يلقى الله سبحانه احد بذنب اعظم من جهالة اهله • هذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال
يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات
باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال
وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه
فان ملك نفسه فتركه اولى **الآفة الثانية** القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم
فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع
ومسئول عن رعيته قال عليه السلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلوة
ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما
نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان
كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى
لن تسع الفارة في جحرها • علقت المكنس من دبرها • ولذلك اعتذر ابرهيم بن ادهم وقال لا اغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام
بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه ولذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول
دجاجة لخفت ان اصير جلادا على الجسر • ورأي سفيان الثوري على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال افلح
وكان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح • ومسكن تخرقه الرياح • لا صخب فيه ولا صياح • فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون
عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء
بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف
مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الآفة الثالثة** وهي دون الاولى والثانية
ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب
التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعوه الى محظور فان ذلك مما
اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاستغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع
بهن ويتولد من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للفكر في الآخرة
والاستعداد لها ولذلك قال ابرهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمن من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه
ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة
بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معيارا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد
بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد
يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يتمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوائد
واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامر وهو الاغلب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من

اهله

دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات
الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي
لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام او الاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي
بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحيوة نفسه وصونها
عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب رأس المال فلا تقاوم هذه الفائدة
احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على
نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او يأكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر
مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان
اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنى العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف
ايضا افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار
الشاغلة للقلب اولى بترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا
ينبغي ان توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى
اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا
من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وساير اوقات
النهار يسع للتخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى
اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلوات النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال
البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواع من العبادات لا يقصر
فضلها عن نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت
فلم ترك عيسى عليه السلم النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا عليه السلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما
في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل فرسولنا عليه السلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان
مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا
لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته
لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير
السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره • واما عيسى صلوات الله عليه فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته
كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم
باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طلب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى
يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة **الاول** اذن
الولي فان لم يكن فالسلطان **الثاني** رضاء المرأة ان كانت ثيبا بالغا او كانت بكرا ولكن يزوجها غير الاب والجد **الثالث** حضور شاهدين ظاهري العدالة
فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة **الرابع** ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين
مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما **واما آدابه** فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها
ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة **ومن آدابه** الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول
فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا
الصداق وليكن الصداق معلوما وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب **ومن آدابه** ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك
اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما **ومن الآداب** احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين
الذين هما ركنان للصحة ومنه ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوائد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى
والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى • قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد

او ما يجري مجرى

بالرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني عليه السلام في شوال وبنى بي في شوال **واما المنكوحة** فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد **النوع الاول** ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطي شبهة او كانت في استبراء وطي عن ملك يمين **الثالث** ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر **الرابع** ان تكون مجوسية **الخامس** ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده **السادس** ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف **السابع** ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خائف من العنت **الثامن** ان يكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين **التاسع** ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن **العاشر** ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم **الحادي عشر** المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها من قبل او وطيهن بالشبهة في عقد او وطي امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطي او يكون قد نكحها ابوه او ابنه من قبل **الثاني عشر** ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم يمتنع الخامسة **الثالث عشر** ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يحل بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما **الرابع عشر** ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطاها زوج آخر في نكاح صحيح **الخامس عشر** ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان **السادس عشر** ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل **السابع عشر** ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ **الثامن عشر** ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ **التاسع عشر** ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المومنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة **واما الخصال المطيبة** للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة **الاولى** ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتنا فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فراى ما في دوام نكاحه مع دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفي حديث آخر من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكحوا المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكحوا المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له **الثانية** حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض الاعراب لا تنكحوا من النساء ستا لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة **اما الانانة** فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او نكاح المتمارضة لا خير فيه **والمنانة** التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا **والحنانة** التي تحن الى زوج آخر او ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه **والحداقة** التي ترمي الى كل شي بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه **والبراقة** تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام **والشداقة** المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين وحكي ان السائح الازدي

لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز **اما المختلعة** فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب **والمبارية** المباهية لغيرها والمفاخرة باسباب الدنيا **والعاهرة** الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال تعالى ولا متخذات اخدان **والناشز** التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال والنشز وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والاغلب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يودم بينهما اي يولف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر رضي الله عنه ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والاغراء اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمن الداراني الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابنا الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عورا على اختها وكانت اختها جميلة فسال عن اعقلهما فقيل العورا فقال زوجوني اياها فهذه ادب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله فيهن خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء واسعة العين وقال عليه السلام خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه ولا زوج بناته باكثر من اربع مائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلما فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا اباركهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شي للمراة فاعلم انه

لص واذا اهدى اليه فاشى ولا ينبغي ان يهدى ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنيته طلب الزيادة نية فاسدة فاما
التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر
وتحت قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهو طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك
مكروه وبدعة في النكاح تشبه التجارة والقمار وتفسد مقاصد النكاح **الخامسة** ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقم فليمتنع من تزوجها
قال عليه السلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين
السادسة ان تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احديها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر
في معنى الود وقد قال عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى
بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل
على الطبع مهما تذكره وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا
السابعة ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية
ولذلك قال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن فقيل ما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع
الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي
نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما
المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي
ايضا ان يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها
قال عليه السلام النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق
بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار
قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه السلام من زوج كريمته من
فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم
والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي مستحبة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن
ابن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صفية بسويق وتمر وقال عليه السلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن
عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله
عنه انه عليه السلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه
اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه فدخل علي غداة بني
بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه
وقولي التي كنت تقولين قبلها **الادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى وعاشروهن
بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه
ثلث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه فجعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن
عوان في ايديكم يعني اسرى اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل
ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها
كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره
الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله عليه السلام
يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال الى حفصة وقال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب
رسول الله صلى الله عليه وخوفها من المراجعة وروي انه دفعت احديهن في صدر رسول الله فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن
يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عايشة كلام حتى ادخل النبي بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت
برسول الله وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم
انك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت
قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه عايشة وكان
يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس
كان رسول الله صلى الله عليه ارحم الناس بالنساء والصبيان **الادب الثالث** ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب
النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة في العدو
فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت
اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم
فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر وجعل رسول الله
يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلام خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون
في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمن ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير
الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان
الغليظ القلب على اهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا
ولج سكوتا اذا خرج اكلا ما وجد غير سايل عما فقد **الادب الرابع** ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد
خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة
بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا اكبه الله في النار وقال عمر رضي الله
عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها
في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان كما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق
الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين وسمى الزوج سيدا قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل
نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت
يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي اراد به ان
محضت الاكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها
اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر
فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان
يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء
الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال عليه السلام مثل المراة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم
بين مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمن لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا
يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن امراة سوء فانها المشيبة قبل المشيب
وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال عليه السلام في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن
ابا بكر من التقدم في الصلوة ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خير ازواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم تملكهم امراة وزبر عمر امراته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت
ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف
والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس**
الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر قال قبل دخوله المدينة

لعمرة خ

لعائشة خ

قال لا تطرقوا النساء ليلا فخالف رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره ۞ وفي الخبر المشهور المرأة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال عليه السلم غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة ولان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منه وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه وقال عليه السلم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه رأيت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وفيه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله ۞ وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلم ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ومن الخيلاء ما يحب الله ومنه ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل ۞ وقال عليه السلم اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شيء خير للمرأة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله عليه السلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان الى الرجال ورأى معاذ امرأة تطلع في الكوة فضربها ورأى امرأته دفعت الى الغلام تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا نساءكم لا ۞ وكان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المساجد والصواب الآن المنع الا للعجائز بل استصوب ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة

السادس الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط قال صلى الله عليه خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك ۞ وقيل كان لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب ۞ وقال ابن سيرين استحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة ۞ وينبغي ان يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمرأة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستأثر عن اهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فليأكله في خفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال على مائدته فقد قال سفيان بلغنا ان الله تعالى وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح ۞

السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما تقضي منها في الحيض وما لا تقضي فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل الغروب بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج

فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو عليها من الفرائض فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المرأة حكما من احكام الحيض او الاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم

الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه فان ظلم امرأة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال عليه السلم من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت فاما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والتسوية في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب ۞ وقد كانت عائشة احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك فكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة ۞ ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة ۞ وعن انس انه عليه السلم طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار

التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلحا امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد واحسن النية وتلطف في الامر فاصلح ما بينهما ۞ واما اذا كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة للصلوة فله حملها على الصلوة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلم انتن اهون على الله من ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن

العاشر في آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال صلى الله عليه لو ان احدهم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الآية ۞ وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار ثم يرفع به صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل وقال عليه السلم لا يقعن احدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته او زوجته فيصيبها قبل ان يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ۞ ويكره الجماع في ثلث ليال من الشهر ليلة الاول والآخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلتها تحقيقا لاحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربع فجاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت

المطالبة بالوطء وذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في
الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى دائم فهو اشد تحريما
من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم اي اي وقت شئتم وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع
وينبغي ان تأتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها
وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانيا بعد اخرى فليغسل فرجه اولا ۝ وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل
حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد الاكل او النوم فليتوضأ اولا وضوءه للصلوة فهو سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه اينام احدنا وهو جنب
قال نعم اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي عليه السلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه
او لينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه سائر
اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الاداب ان لا يعزل بل لا يسرح الماء الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة
قدر الله كونها الا وهي كائنة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا
بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون
الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح ۝ واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك
فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر وصلوة وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة
ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بينا من الفضيلة في الولد ولما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له
من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه
ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه
لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا
او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يكون بوقوع
النطفة في الرحم وله اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب الماء في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب
من بعض والامتناع عن الرابع كالامتناع من الثالث وكذلك الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاستجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود
حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة فتستعد لقبول الحيوة فافساد ذلك جناية فان
صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيها الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال
حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا
اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض قال بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن
من الرائب وان النطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرائب وكيف ما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد
فيجري الماآن مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع
الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء
المرأة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة
عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي ۝ فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاول في السراري وهو حفظ الملك
عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس بمنهي عنه ۝ الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها
لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه ۝ الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز
من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل
والثقة بضمان الله تعالى حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك للافضل ولكن النظر
للعواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه ۝ الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن
من المعرة كما كانت من عادات العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح
والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وتنزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان
يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح ۝ الخامسة ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز

من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة
فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع
الولادة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي
ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي وهو واذا الموؤدة سئلت
وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما ۝ فان قلت فقد قال
ابن عباس رضي الله عنه العزل هو الوأد الاصغر وان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس
ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهو
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الاخرى
واذا الموؤدة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس في الغوص على المعاني ودرك العلوم
كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل ۝ وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك
نبي الله صلى الله عليه فلم ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى الى رسول الله صلى الله عليه فقال ان لي جارية وهي خادمتنا وساقيتنا في
النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال
قد اخبرتكم انه سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين **الحادي عشر في آداب الولادة** وهي اربعة **الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى
فانه لا يدري الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه من كان
له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال عليه السلم من كانت له ابنتان
او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه من خرج الى سوق من اسواق المسلمين
فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه ۝ وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما
بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلث بنات او
اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله فقال واثنتان فقال
رجل او واحدة فقال وواحدة **الادب الثاني** ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رأيت النبي صلى الله عليه اذن في اذن الحسن حين
ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان
ويستحب ان يلقنه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد فيه خبر **الثالث** ان يسميه باسم حسن
فذلك حق الولد وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال
العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم واما الآن فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته وقد قال صلى الله عليه لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل
ان هذا ايضا كان في حيوته ۝ وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلم ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معوية
بلغني ان السقط يوم القيامة وراء ابيه يقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله كيف ولا يدرى انه غلام او جارية
فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعنبسة وقال صلى الله عليه انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا
اسماءكم ومن له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصي بعبد الله وقال ابو هريرة كان اسم زينب برة فقال
عليه السلم تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في تسمية يسار ونافع وافلح وبركة لانه يقال اثم بركة فيقولون لا **الرابع** العقيقة
عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان او انثى روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه امر في الغلام بشاتين
مكافئتين وعن الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة وهذه رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام
عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ۝ ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه عليه السلام
امر فاطمة يوم سابع الحسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم **الخامس** ان يحنكه بتمرة
او حلاوة وروي عن اسماء انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل
في فيه فكان اول شيء دخل فيه ريق رسول الله عليه السلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا

شيئا لا انهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم **الثاني عشر في الطلاق** وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله عز وجل وانما يكون
مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال الله تعالى فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر كانت تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما اذت
زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة مهما بذت على اهله واذت زوجها فهي فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل
مال ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال الله تعالى لا جناح عليهما فيما افتدت به
فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سالت الطلاق بغير ما باس فهي آثمة قال صلى الله عليه ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح
رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام وقال المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر لم يجامعها
فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنه
في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه لعمر رضي الله عنه مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله
تعالى ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلث
لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة وان طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج
الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اياها اعني زوجة المحلل
بعد ان زوجت منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام
ولكنه مكروه لهذه المعاني واعني بالكراهية تركه النظر لنفسه **الثالث** ان يتلطف في التعلل بطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب
قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب ومهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح
كان الحسن بن علي مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة الف درهم
ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق
الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة
وزعيمها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم اسر مسيري ذاك لكان احب الي من ان يكون لي ستة
عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت الي فكنت
آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز
علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك
فانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي
يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته
ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك
عليا رضي الله عنه فقال
ولو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
وهذا تنبيه على من طعن في حبيبه من اهل
وولد بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد من هذا
بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في الطلاق
ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك منها
فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني من هذا الباب**
النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية
فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل خرج الى سفر
وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه تستاذن في النزول الى
ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها
ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال صلوات الله عليه اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها

دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات
باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال
يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران
الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها اتت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه فقالت يا نبي الله اني فتاة
اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا قال بلى تزوجي
فانه خير وقال ابن عباس اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج فقال ان من
حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها
والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت
لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها
وقال عليه السلام اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلوتها في صحن دارها افضل من صلوتها في المسجد وصلوتها في بيتها
افضل من صلوتها في صحن دارها وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها والمخدع بيت في بيت ولذلك قال صلى الله عليه المراة عورة
فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر
عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا
كان حراما وهكذا كان عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر
ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته
عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما
كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا فاردت
ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان قال وكان ينهاني عن
التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا
كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني
الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات
عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت عن
رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعيشة وآداب العشرة مع الزوج
كما روي ان اسماء بن خارجة الفزاري قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه
فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان
دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا **وقال رجل لزوجته**
خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فانك لا تدرين كيف المغيب
واني رايت الحب في القلب والاذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
والقول الجامع في آداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة
لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع
امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق
محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح شانها
وتدبير بيتها مقبلة على صلوتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على
نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال
ليتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا
وامراة سفعاء الخدين كهاتين امراة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه حرم الله على كل آدمي الجنة
يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها
يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي

قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت
يا هذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما
رضي الله لي فاسكتتني ۞ وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت
ولله مني جانب لا اضيعه وللهو مني والبطالة جانب ۞ ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب
والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي
امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من
حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة
دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم
مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر
من ثلثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى حين العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ۞ ومن
آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء
غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤونته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى
على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه يوما ومعه اصحابه والنوى
على راسي فقال صلى الله عليه اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف
رسول الله اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه ۞ آخر كتاب آداب النكاح
۞ والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين واصحابه المنتجبين وسلم كثيرا ۞۞

كتاب آداب الكسب

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ نحمد الله حمد موحد امحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله
باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ۞ ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد
الارض بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات
انتعاشا ۞ ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون من حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا
وانكماشا وسلم كثيرا ۞ اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب
والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة
الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى
الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن
ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب
الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب ۞ الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه
الباب الثاني في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات ۞ الباب الثالث في بيان العدل في المعاملة
الباب الرابع في بيان الاحسان فيها ۞ الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال
تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال
وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم
من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه جالسا مع اصحابه
ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه لا تقولوا هذا فانه

ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو
في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض
العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل
ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح ۞ وقال صلى الله عليه عليكم بالتجارة فانها تسعة اعشار الرزق ۞ وروي ان عيسى صلى الله عليه رأى رجلا فقال
ما تصنع قال اتعبد قال فمن يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار
الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها
وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ۞ امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه
بمعصية الله فان الله عز وجل لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه الاسواق موائد الله عز وجل فمن اتاها اصاب منها وقال صلى الله عليه
لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله
عليه سبعين بابا من الفقر ۞ ومن الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال
رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته ۞ واعظم من هذه الثلث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق
ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن
اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال ۞
وقال ابن مسعود اني لاكره الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته ۞ وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق احب اليك ام المتفرغ للعبادة
قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري
في هذا قال عمر رضي الله عنه ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن السوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما بلغني عن الرجل يقع
في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال اهل
السفينة لابراهيم بن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى
من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او في مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم
اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله صلى الله عليه حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر
انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان
اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد ۞ وروي ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا
اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني ان من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة ۞ وقال
ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي
يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الغير ومن ليس له مال موروث
فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او
عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول
التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار
المال وادخاره لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم
وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا يمت تاجرا ولا خائنا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر
على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه
سائل بلسان حاله وينادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل
لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما
ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بامورهم كالسلطان والقاضي
والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من
الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه

المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه راه في الابتداء اولى ولهولاء الاربع حالتان اخريان احديهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سؤال وترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم **الحالة الثانية** الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفايدة له ولغيره ◉ فرب شخص تكثر فايدة الخلق وفايدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه بادنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقايق الاحوال فلقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومن له ثلثون يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لخيراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته والله اعلم فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني ◉

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع

◉ اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب محتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عليه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربوا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهو البيع والربوا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

العقد الاول البيع وقد احل الله البيع وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ **الركن الاول العاقد** ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع في ايديهما فهو المضيع له ◉ واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون له في الشرا لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق ◉ واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته ◉ واما الكافر فتجوز معاملته ولكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها لربه ◉ واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل انها حرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني في المعقود عليه** وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الاخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط **الاول** ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من

المشعبذ

الظبية في حالة الحيوة **الثاني** ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفارة والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح للصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهو الببغا والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود ومباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يتغالى به اعجابا بصورته لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار متسامح بها ◉ واما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث** ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف العقد فلا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف رضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجري في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع ◉ والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع **الخامس** ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ◉ اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جايز ◉ واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل والوزن والنظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار ◉ واما العلم بالوصف فيحصل بالروية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رويته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا احد المذهبين فلا يجوز بيع الثوب في المنسوج وقايات خرجان بالفارسية اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلى الرطب في قشريه للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن نجعله اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما يستتر خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله ◉ فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جايز قبل القبض **الركن الثالث لفظ العقد** ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين والنية ترفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما تحتمل ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشرا المنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي اصلا وانعقد عند ابي حنيفة ان كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمه الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا ويجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته ماية دينار مثلا فمن يزيد فيقول هذا على بتسعين ويقول الآخر على بخمسة وتسعين ويقول الآخر بماية فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير ايجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله تعالى البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولا يطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك

من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم
يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع **الاحتمال الثاني** ان يسد الباب بالكلية كما قاله الشافعي رضي الله عنه من بطلان العقد وفيه اشكال من
وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب
لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت ⊙ والثاني
ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد ملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا
كان الامر كذلك **الاحتمال الثالث** ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة رضي الله عنه وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل
وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول الشافعي رضي الله عنه على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا
باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب
عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان
اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدودة في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيها يعد
مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة ⊙ والطرف الثاني الدواب والعبيد
والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة
فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك تنقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة ⊙ واما الثاني وهو
طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود
البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين اطراد جميع العادات لقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف
فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس
بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان
لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه
بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول
فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل
اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقنعون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم ذلك او رآه ايجب عليه الامتناع من الاكل فاقول
يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات ⊙ واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني
اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل
مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريد المشتري
فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه
الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر
المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه فان كان قادرا على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين
ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي دينه
مما سلم اليه فياخذه بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البائع اغمض لان ما اخذه قد يريد المالك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا اتلف عين
طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضى استفاده من الفعل دون القول فاما جانب المشتري
للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق هذا ان الضيف يضمن ما اكله
وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم
عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبهة ⊙

العقد الثاني عقد الربوا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على
الاطعمة اذ لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر
النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير
المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الاغلب ان يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه ⊙ واما الفضل فليحترز منه في ثلثة امور

في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه
في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حجر في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير
المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة
عليه اذا لم تقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منه النقرة وهي مجهولة وان
كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان تقصد استخراجها ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب
من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها
بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي
ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ⊙ ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب
مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها ⊙ واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس
الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه
الغنم ويشتري بها اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ⊙ ومعاملة
العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون ليوخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليوخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر
اجزاء اللبن فهو ايضا حرام فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا
ولا متفاضلا فلا يباع الحنطة بدقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة
لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع
والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال
واقتحم الربوا او اكل الحرام وهو لا يدري **العقد الثالث السلم** وليراع التاجر فيه عشرة شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى
لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين **الثاني** ان يسلم راس المال
في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن
والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة
والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح
والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع** ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة
تفاوتا لا يتغابن بمثله الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع **الخامس** ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا
الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتاخر **السادس** ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويومن فيه عدمه
غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الاغلب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله
ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء **السابع** ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا **الثامن** ان لا يعلقه بعين
فيقول من حنطة هذا النبت او ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك **التاسع** ان لا يسلم في
شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** ان لا يسلم في طعام مهما
كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع الاجارة** وله ركنان
الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان
كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه من امور جرت العادة بها وهو كرا الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة
مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ⊙ ومنها استيجار السلاخ على ان
ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيفة بجلد الجيفة واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله
وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ⊙ ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر الاشهر
الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة **الركن الثاني المنفعة المتعلقة بالاجارة** وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل
فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها
في الفقهيات وانما نشير الى ما يعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه امور خمسة **الاول** ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب

لو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف عليها الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم
وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن جاههم
وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة
الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة
استيفاء عين مقصود فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين لثمارها ۞ ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا
لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانها لا تقصد على حيالها الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا
فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم وغيره وما حرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن
سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه او استيجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش او استيجار زوجة الغير على الارضاع
دون اذن زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات او استيجار الصائغ على صيغة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا
يكون العمل واجبا على الاجير ولا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع
ذلك عن المستاجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى
التصدي للتدريس واقراء القرآن خلاف ۞ اما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة
معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل
ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال
فيسال فان الاستقصا شان المفتي لا شان العوام العقد الخامس القراض وليراع فيه ثلثة اركان ۞ الركن الاول راس المال وشرطه
ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صبرة من الدراهم لان قدر الربح
لا يتبين فيه ولو اشترط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط له الثلث او
النصف او ما شا فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع
الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو اشترط ان يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها
فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشرا وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه
حرف اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه واشترط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او اشترط ما يضيق باب التجارة
فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة المال كله نقد
لم يخف وجه القسمة وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرد الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال
العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راي المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار
راس المال بجنس راس المال لا بنقد اخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم
تعرف قيمة المال لاجل الزكوة وان كان قد ظهر من الربح شي فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس
للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صح تصرفاته ولكنه ضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى ثمن
المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على راس
المال ۞ فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه اجرة
الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة
وغيرهما العقد السادس الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاول شركة المفاوضة وهو ان يقول تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا
وعلينا ومالاهما متمايزان الثانية شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل الثالثة شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما
منزلة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهذا ايضا باطل وانما الصحيح الرابعة المسماة شركة العنان وهو ان يختلط
مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة وياذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير
ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك من الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا
يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب ان يتعلمه كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري ۞ واما معاملة القصاب
والخباز والبقال فلا يستغني عنه المكتسب وغير المكتسب والخلل فيهما من ثلثة اوجه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار

على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما ارى
القضا باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزمه قيمته يوم الاتلاف فيجتمع
في الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضي على مقدار فينبغي ان يلتمس منهم الابرا المطلق حتى لا يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا يجب
القناعة به فان تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول ونقل ثمن كل
قدر يسير منه فيه عسر واذا اكثر كل نوع سهل تقويمه ۞ الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان
المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي مقتضيا فساد العقد
وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو ينقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل القسم الاول فيما يعم ضرره وهو انواع الاول الاحتكار فبايع
الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلا الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين
يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ۞ وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله
منه وقيل فكانما قتل نفسا ۞ وعن علي رضي الله عنه انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه ۞ وعنه انه احرق طعام محتكر بالنار
وروي في فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ اخر فكانما اعتق رقبة وقيل
في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته ۞ وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة
الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه
فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت
وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شي من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقرا البصرة وليتني
انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي ۞ واعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات
فاما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين
على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلما من طرد
التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل
الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في
تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك
ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار ۞ واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى
بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه
ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون
الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات
اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين
رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلا وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا
فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة النوع الثاني ترويج الزائف من الدراهم في اثنا النقد فهو ظلم اذ
يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد
ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان
عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شي وقال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية
واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى
مائة سنة ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه
والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسال عنها الى اخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا
وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار
اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم في الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شي منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد
واياه ان يروجه في بيع اخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز ۞ الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا

يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون
علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره
ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا وانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط الرابع انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله
عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فهو داخل في بركة هذا الدعا ان عزم على طرحه في بير وان كان عازما على ان
يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضا الخامس ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه
اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلما في المعاملة
عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سوا علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان
في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس
فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه
وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ○ فلذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل
عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر
فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست
منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق فرسي فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قايم فرايت في النوم كان الفرس
يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زايفا لا يكون هذا ابدا
قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل
وكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق
عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره ○ وقال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح
له لو اشتراه الا بخمسة دوانق فانه ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته ○ فاما تفصيله ففي
اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من
سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع منه اما الاول فهو ترك الثنا فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه
كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة ○ وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام
لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه
المشتري ما لم يذكر كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده
منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جا باليمين الغموس وهي
من الكباير التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه وقد اسا فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر الله
من غير ضرورة ○ وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه
واذا كان الثنا على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد
وكان خزازا انه طلب منه خز للشرا فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه
وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثنا على السلعة فمثل هولا هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى
بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان
تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا ○ وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك
اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فراى بللا فقال
ما هذا فقال اصابته السما قال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ○ ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة
يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله على النصح
لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثماية درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراه وجعل يصيح به ويقول

يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصه البايع ماية درهم وقال
لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا
الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل وزيادة
المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن
الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما
ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة ○ فقد
حكي ان واحدا كانت له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الما ويبيعه فجا السيل وغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المفرقة التي صببناها
في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة ○ كيف وقد قال صلى الله عليه البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت
بركة بيعهما ○ وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن يعرف الزيادة
والنقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والالاف
المولفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان
الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من
ربح الدنيا وان فوايد اموال الدنيا تنقضي بانقضا العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير
والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي
لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين ○ وفي حديث آخر من
قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه
الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض
التابعين قال لو دخلت الجامع وقيل لي من خير هولا لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت
من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم ○ والغش حرام في البيوع والصنايع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره
لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبه يتخلص وسال رجل حذا ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في
بيع النعال فقال اجعل الوجهين سوا ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين
على الاخرى ○ ومن هذا الفن ما سيل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع
فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي
يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى التلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم
الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري
ابرا اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل
الدين فمن لا يقدر على ذلك فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي
الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا
الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قل ما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك
ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى غيره زاد حبة وكان يقول ويل لمن يبيع
بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب
الحبات حتى يجمعهم ويودي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله عليه السلم شيا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ○ ونظر الفضيل
الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين
حجة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبايع كيف ينجوا يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمن عليه السلم لابنه يا بني كما تدخل الحبة بين
الحجرين كذلك تدخل الخطية بين المتبايعين ○ وصلى بعض السلف على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي
كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالآخر اشارة الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد
والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة ○ وفي قراة عبد الله بن مسعود لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن

التجارة

الصالحين

باللسان اي بلسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو
داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل
والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل
عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما
عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فبذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر
تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا الى الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير
ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه
ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله
فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا ساير التقديرات حتى في الذرع
الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض
صاحبه للويل **الرابع** ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه عن تلقي الركبان ونهى عن النجش ⊙ اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل
الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشرا
منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبايع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد
وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اترك عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت
محرم وفي ساير السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي لانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فايدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو
ان يتقدم الى البايع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر بمواطاة مع
البايع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة ⊙
وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام
المضاد للنصح الواجب ⊙ وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد
اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت
ثلثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه ثلثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال
اني قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات
ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلثين الفا ⊙ فهذه
الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البايع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار
فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث
بعد العقد من عيب ونقصان ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في
الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته **الباب الرابع**
في الاحسان في المعاملة وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان
سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملة الآخرة فلا ينبغي
للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان
وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل
في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور **الاول في المغابنة** فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن
به في العادات ⊙ فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة
على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة
ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن ⊙ يروى انه
كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربع مائة وضرب فيها ما ثمنها مائتان فمر الى الصلوة وخلف ابن اخيه في
الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربع مائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله

يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريتها فقال باربع مائة قال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي ببلدنا خمسمائة وانا
ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال
اما استحييت اتربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فالا رضيت له ما ترضاه لنفسك وهذا ان كان
فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسلين ⊙ وكان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة
ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس
واخفاء سعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن سري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلثة دنانير ربحه وكانه
راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلث وستين فقال الدلال وكان من
الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلثة وستين فقال وانا عقدت بيني وبين الله ان لا
اغش مسلما لست آخذه منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة
الحال ⊙ ويروى عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف
لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت
فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلث خصال اما ان تأخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك
خمسة واما ان ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل محمد بن المنكدر فقال
لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا ⊙ فهذا الاحسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او واحدا على ما جرت به العادة في
مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان علي رضي الله عنه
يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن
عوف ما سبب يسارك قال ثلث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح
الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الف درهم وربح من نفقته عليها ليومه الف درهم **الثاني في احتمال الغبن** فالمشتري ان اشترى
طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلم رحم الله سهل البيع سهل الشرا فاما
اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق
اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبني ولا
يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابي يعني معوية بن قرة والكمال في ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم
من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل
لبعضهم تستقصي في شرايك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله ⊙ وقال بعضهم انما اغبن
عقلي وبصري فلا امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر له شيا **الثالث في استيفاء الثمن** وساير الديون والاحسان فيه
مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال
صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فليغتنم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر
صلى الله عليه رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول
لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم
من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله كل يوم مثل ذلك الدين صدقة ⊙ وقد كان من السلف من لا يحب ان
يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه رايت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض
بثماني عشر فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر النبي صلى الله عليه الى رجل يلازم رجلا
بدين فاوما الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى الطلب فهو في معنى
القرض وروي ان الحسن باع بغلة باربع مائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا با سعيد قال قد اسقطت عنك مائة قال له احسن
يا با سعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل يا با سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا
وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع في توفية الدين** ومن الاحسان فيه حسن القضاء

في المسترسلين

وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه
ولو قبل وقته وليسلم اجود مما اشترط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة
يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ⊙ وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله
باللطف اقتداء برسول الله اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه فهم به
اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين
فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي ان تكون الاعانة للمشتري اكثر فان البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها
والمشتري محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وسلم
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر
بالبيع ولا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال صلى الله عليه من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيامة او كما قال ⊙
السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له
دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرف من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول
احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه
في الدفتر اصلا ولم يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست
والقائم به محيي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل ⊙⊙
لا يغرنك من المرء قميص رقعه ⊙ او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ⊙ ولدى درهم فانظر غيه او ورعه ⊙ ولذلك قيل اذا اثنى على
الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه ⊙ وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك
فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم
الاخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا قال اظنك رايته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن
يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتني بمن يعرفك ⊙

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة
وما يفوته من الربح في الاخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته
على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه
في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقال معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة احوج
فابدأ بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في
الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول**
حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه
على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل
والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في
طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الاخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات
فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على
صناعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات
ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين
مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف به الدنيا فكل ذلك فقد كرهه ذوو الدين
فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة
الصائغ مراكب الذهب او خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب
الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد
وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من

قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل
السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار
الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان لان المشتري يكره قضاء الله
فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وطوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربوا عسير
ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد
فقل ما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند الشك في جودته او عند ضرورة ⊙ قال احمد بن حنبل
ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم
ذهبا يصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ما لم تكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز
وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كانت غالب اعمال الاخيار
من السلف عشر صنائع الخرز ⊙ والتجارة ⊙ والحمل ⊙ والخياطة ⊙ والحذو ⊙ والقصارة ⊙ وعمل الخفاف ⊙ وعمل الحديد ⊙ وعمل المغازل
ومعالجة صيد البر والبحر ⊙ والوراقة ⊙ قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب
ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة واستبق الحواشي وظهور الاجزاء ⊙ واربعة من الصناع موسومون عند
الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء
العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها عيسى صلى الله عليه بحاكة فطلبت الطريق
فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف
اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار
عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للاخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة ولا يستحب
ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته
فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول
النهار واخره للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان
الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي اخره ذكر كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند
طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه اشهدكم اني قد غفرت
لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة
مع الامام في اول الوقت التي لا توازيها الدنيا وما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون
الاسواق للصبيان واهل الذمة فكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة
ورمى بها وقام الى الصلوة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين
افضل قال صلى الله عليه ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ اخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه
من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ⊙ كتب
الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال
الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد اهلها
وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين
فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون
عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه
فيخرجه ويجلس مكانه اني لا اعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلث مائة ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني نفسه
فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الاخرة كيف يدع ربح الاخرة والسوق

والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيف ما
تقلبت بهم الاحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح
في لا شي **الخامس** ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما مكروهان
يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزوة وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل
في السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك
فات اصحاب الاسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق
وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا
كان صالحوا السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخمر في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع
سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن ادهم امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من
لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك اما رايت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد
كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين فكانوا يكتفون به **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب
الحرام بل يتقي مواقع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه امرها سال
عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة
فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المومنين بما امر به
المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسال صلى الله عليه وسلم عن اصل الشي واصل اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر
وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السوال فانه عليه السلم كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله
فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا لا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه يكون معينا بذلك
على الظلم حكي عن رجل انه تولى عمارة سور لثغر من الثغور قال وقع في نفسي من ذلك شي وان كان ذلك العمل من الخيرات بل فرايض الاسلام لكن
كان الامير الذي تولى من جهته من الظلمة قال فسالت سفيان فقال لا تكون عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين
فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقا من يعصي الله وقد جا في الخبر من دعا لظالم بالبقا فقد
احب ان يعصى الله في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام
وقد دخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني باي شي تكتب فان كان حقا اعطيتك
وطلب بعض الامرا من بعض العلما المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا
يحترزون من معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنبها ذو الدين مهما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس
عنده الى من يعامل والى من لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل
يدخل السوق فيقول من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من شيت ثم اتى زمان آخر فكان يقال عامل من شيت الا فلانا وفلانا
ثم اتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي حاذر ان يكون انا
انا لله وانا اليه راجعون **السابع** ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب
والعقاب في كل فعل وقول انه لم اقدم عليه ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيا وقفة ويحاسب
عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين الف صحيفة فقلت
اهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة
الى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه
الاحسان كان من المقربين فان راعى مع ذلك وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم بالصواب

تم كتاب آداب الكسب

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد واله الطاهرين وسلم — يتلوه ان شا الله كتاب الحلال والحرام

كتاب الحلال والحرام

الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال
ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال
ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترض عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر
للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يبذرقه الى اعماق العروق الا
الشهوات المايلة الى الغلبة والاسترسال فبقي لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي
من الضلال وعلى آله خير آل اما بعد فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه
الفريضة من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس
عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في
الموات وما عداه فقد خبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى
الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين
وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق
شررها وجب كشف الغطا عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق
عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب

الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن
الباب الثالث في البحث والسوال والهجوم والاهمال ومظانها في الحلال والحرام **الباب الرابع** في كيفية خروج التايب عن المظالم المالية
الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين ومخالطتهم
الباب السابع في مسايل متفرقة

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة
الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه **فضيلة الحلال ومذمة الحرام** قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين ثم قال
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل
آكل الربوا في اول الامر موذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلما اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد
بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهدا وقال
صلى الله عليه من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسال الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه الحريص
على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب
لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة
والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شي وقال
صلى الله عليه كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال
صلى الله عليه العبادة عشرة اجزا فتسعة منها في طلب الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه من امسى وانيا
من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله راض عنه وقال صلى الله عليه من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في
سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب
الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه درهم من ربوا اشد عند الله من ثلثين
زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت
صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البنا وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج
انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الآية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم

يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا

يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار ⊙ وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة كسب الحلال واما الآثار فقد
روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت
ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه اخبر بذلك فقال او ما
علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضي الله
عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع ⊙ وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل ذلك منكم
الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن ادهم لم يدرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا
فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في
طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها
الدعاء واسنانها لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرئ وفي جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه
اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف
بآيات الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ⊙ ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف
وقال بعض السلف ان العبد يأكل اكلة فينقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم ولا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام
ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات ⊙ وقال بعض السلف ان اول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها
ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر ⊙ وروي في آثار السلف ان الواعظ
كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فعن
الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه ⊙ وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب
وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم يأكله فسأله عنه فقال نحن لا نأكل الا حلالا لا
فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تأكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف
والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل
احب الي من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره
احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل
من الدين قدمه الله على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله
من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه انه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن
عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا آكله لاختلاط رطب مكة
ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي
فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا آكل خبزا ابدا حتى القاه فكان
يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها من
اين كانت ترعى فسكتت فلم يشربه لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي وقد
شربته فانال مغفرته بمعصيته ⊙ وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل
وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان تفصيل
الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا يأكل من غيرها فاما
من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو
ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه **القسم الاول** الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما **وتفصيله** ان الاعيان
المأكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان **فاما المعادن**
وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم فالخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي
يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما **واما النبات**

فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير
وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة واما
السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم **واما الحيوانات** فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة
والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والآلة
والذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما
يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنه غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما
ليس له نفس سائلة فلا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث
لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله
عليه بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ⊙ ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر
جرمها اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق
حرم الاكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا **واما الحيوانات المأكولة**
اذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منه بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في
الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات **واما النبات** فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه
لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة المائعة او جزء من النجاسة الجامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم
الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها ⊙ فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته
القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره اما
ان يكون من غير مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والمأخوذ قهرا اما ان يكون
لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيا اما ان يؤخذ
بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام **الاول** ما لا يؤخذ من
مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون المأخوذ
مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكه آخذه وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات **الثاني** المأخوذ قهرا ممن
لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل
ولم يأخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية **الثالث** ما يؤخذ
قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر
على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف
وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا
الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مما تعبد
الشرع بها من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة
والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات **الخامس** ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه
وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات **السادس** ما
يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسبه من بعض الجهات الخمسة على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ
الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض ⊙ فهذه مجامع
مداخل الحلال اومأنا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل ما يأكله من جهة
من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيها اهل العلم ولا يقدم عليها بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك
ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم **درجات الحلال والحرام** اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال
كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها
في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل ⊙ فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه

في الثانية او الثالثة او الرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجات صفايه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا
وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر فكذا غيره وكذلك
نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض
للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقها **الثانية** ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص
في التناول بنا على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية **الثالثة** ما لا تحرمه
الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداوه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه لا يبلغ
العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس **الرابعة** ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يودي الى ما به باس ولكنه يتناول
لغير الله ولا على نية التقوي به على عبادة الله او تتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه
درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد **واما الحرام** الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح
سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب
على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذا الغير وليس في المعاطاة ايذا وانما فيه ترك طريق التعبد
فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربوا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما
سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او من يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او
فاسق لان درجات الايذا تختلف باختلاف درجات الموذى فهذه دقايق في تفاصيل الخبايث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف
درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره في ثلث درجات او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم
والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى
اذا اضطر الى اكل الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض **امثلة الدرجات الاربع** في الورع وشواهدها
اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من
الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا نحتاج الى امثلة وشواهد **واما**
الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها فليلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع
الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب
اجتنابها ولا توجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل ما اصميت
ودع ما انميت والانما ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا
ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك
وكذلك قال صلى الله عليه لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل
الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل وذلك لان حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع
وحال عدي كان يحتمله ويحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة الف درهم لانه حاك في قلبه شي مع اتفاق العلما على انه لا باس به
وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة **اما الدرجة**
الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر رضي الله
عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدردا ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض
ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة
وتسعين وتورع عن استيفا الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه مع زيادة
حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر
الى غيره وتالف النفس الاسترسال فتترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت
ان آخذ من تراب الحايط لاتربه واجففه ثم قلت الحايط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حايط فاخذت من التراب حاجتي
فلما نمت اذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حايط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط
منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه

انه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احببت
ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك المسلمين
فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرايحة وقال وهل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسين رضي الله عنه تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال
صلى الله عليه وسلم كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفيوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن
وروى سليمن التيمي عن نعيم العطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت
تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شي منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح
فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ما فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه ثم يشمه ثم يصب الما ثم يدلكه
في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شي فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا من
عمر ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا وانتقاما من ان يتعدى الامر
ومن ذلك ما سيل احمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من
المسجد فانه لا ينتفع من العود الا بريحه وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رايحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا
يدري انه يتسامح به ام لا وسيل احمد عمن سقطت منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتب
وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع
عن الزينة لانه يخاف منها ان تدعو الى غيرها وان كانت مباحة في نفسها وقد سيل احمد بن حنبل عن النعال السندية فقال اما انا فلا
استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها
خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه واكثر
المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر يدعو
الى النظر والنظر يدعو الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنيا وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب
ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم توخذ بقدر الحاجة وفي وقت الحاجة مع الاحتراز من غوايلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا
فقل ما يخلو عاقبته عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقل ما يخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال اما تجصيص الارض فيمنع
التراب واما تجصيص الحايط فزينة لا فايدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه سيل ان يكحل
المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شي مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه فيه وكره السلف الثوب الرقيق
وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة
واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب
في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداوه الى معصية البتة **اما الدرجة الرابعة** وهي ورع الصديقين فالحلال الطلق عندهم كل ما لا تتقدم
في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضا وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته
واستبقا الحيوة لاجله وهولا هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين
عن حظوظ انفسهم المفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما
يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدوا فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى
يعمل الدوا فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام
عليها وعن سري السقطي انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وما يخرج منه فتناولت من ذلك الحشيش وشربت الما وقلت في نفسي ان
كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين فرجعت وندمت ومن هذا
ما روي عن ذي النون المصري انه كان جايعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر وقال جاني على طبق ظالم
يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رضي الله عنه كان لا يشرب الما من
الانهار التي حفرها الامرا فان النهر سبب لجريان الما ووصوله اليه وان كان الما مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا
وقد اعطوا الاجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من ماء جرى من النهر
الذي حفر بالظلمة وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس الما لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الما وكان بعضهم اذا مر في طريق

الخمر لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفاع به وامتناع ذي النون من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيا الصديق من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب الحلال لكسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد رضي الله عنه كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر الاخرة واطفا بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعل سلطان فهذه دقايق الورع عند سالكي طريق الاخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمه الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او يتوصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على ظهر الصراط وابعد عن ان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي انحل عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق اليه تحريم او كراهية ومثاله الماء الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربوا ونظايره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من يد الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذا لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشا من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشاعن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا اخذنا بالثلث اذ الاصل عدمه ولو سئل الانسان صلوة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انها اربع واذا لم يقطع جوز ان تكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه ثلثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة خمسة

المثار الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك باليقين وان غلب احد الاحتمالين ... ولا تتبين هذا الا بالمثال والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة

القسم الاول ان يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم انه ايهما هو وروي انه ارق ليلة فقال له بعض

نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه ان امة من بني اسرائيل مسخت فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا

القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طاير فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الاخر ان لم يكن فامراتي طالق والتبس امر الغراب فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولم يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لساير الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال الاخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضا به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطاير ان يتحقق نجاسة احد الانائين ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على احد الزوجين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب الشافعي في الانائين على ثلثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة ونحرمهما عليه لانه لو وطيهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطي احديهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فان قيل فلو كان الاناآن لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا كل واحد باناءه لانه تيقن طهارته وقد شك الان فيه فنقول هذا يحتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا يستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوءه بماءه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطي لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليندفع بقوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقايقه وقد استقصيناها في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الان الا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا غيره فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عايشة ان رجلا اتى الى النبي عليه السلام بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت قال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء وكذلك قال صلى الله عليه لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعة ثم شك فيما يطرا عليه والجواب ان نهي ابن عباس ونهي رسول الله محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السببان فتعارض الظن واذا لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القايل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل

ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي ان لا يحل القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في
الباطن لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على السقوط بالشبهة وكذلك جنين المذكاة حلال ولعله مات
قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على
الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه
اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة
والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداء
انبعاثه على انه نازل منزلة الآلة وانه يسعى في وكالته ونيابته ودل اكله آخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فتعارض
الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية ومات قبل ان يتبين انه اشتراها لنفسه
او لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والاصل التحريم فهذا ملتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث
القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا
ان الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة
الظن فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب ووجد
ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء متغيرا احتمل ان يكون لطول المكث او بالنجاسة
فيستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز له استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال
النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة الظن استندت الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء
فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال به اذ اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة والصلاة
مع طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في
حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فاذن ماخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما يوجب التردد في الآخر
والذي نختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار
الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن
وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى
والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم
واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا القسم الثاني للشبهة شك منشأه الاختلاط
وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور
فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان
كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا
التقسيم سبعة اقسام القسم الاول ان تشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بمذكية او بعشر مذكاة او يختلط رضيعة بعشر نسوة او
يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة تجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور
صار الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى
زوجتيه في مسئلة الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم
كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب
الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب
الاجتناب اولى القسم الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبيرة فلا يلزم بهذا اجتناب
نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع
حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او بسبب من الاسباب لا يمكن
ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج
ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شراء المجن والعباءة في الدنيا

وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية
وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد الا اذا وقع بين جماعة
محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا
في عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان امكن
منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم
بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين
بالظن وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه لوابصة استفت
قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول تقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات
واوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى
المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي ياخذ الاحكام
من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا والذي نختاره خلاف ذلك
وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم
يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات ان ياخذه من
يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سياتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه والخلفاء
الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه
عن الربوا وقال اول ربوا اضعه ربوا العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وساير المعاصي حتى روي ان بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله
عليه ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك ادرك
اصحاب رسول الله صلى الله عليه الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشراء في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلثة ايام
وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب
ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في مثل هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن
والربوا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب
جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط
فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه
اذ نقول للضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل هذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وزمان
الصحابة بسبب الربوا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا هذا وقد صار الحرام
اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربوا واموال السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه
للتحريم فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول
القائل اكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض ومنشاه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما
ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلثة قليل وهو النادر وكثير واكثر
ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة
والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض
والسفر غالب وهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح المقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة
نادرة فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة الربوا
والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم اما المستند الاول
فباطل فان الظالم كثير وليس بالاكثر فانهم الاجناد اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل

سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته تزيد عددهم على جميع
عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم في
المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل
واما المستند الثاني وهو كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد
هولاء اكثر والذي يعامل بالربوا وغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسدة الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد
مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر
لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا من معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على
النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنى وشرب الخمر قد شاع كما شاع
الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطا فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث وهو اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من
المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصل من التوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصبا او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها
عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا لا
ما لم يكن اصله واصل اصله حلالا وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال
واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون
الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت
النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش
في الصحاري والمعادن والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات
والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخيلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشا من كثرة الحرام المخلوط بالحلال
فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز
التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرج عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلوة
في الشوارع اذا لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز والصلوة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا
ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا
فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين
والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر
والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والدواب وهي تبول عليه وتروث وقل ما تخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون
ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد يزيلها الامطار وقد لا يزيلها وما كانوا يحترزون
في الطرق منها وكانوا يمشون حفاة وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول
والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون عنه ومتى تسلم الشوارع من النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا
ينبغي ان نظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى نظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات
فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب
الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير اذ لم يزل الصحابة يدخلون
الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تنغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي
من جرة نصراني ثبت جواز شربها والتحق حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارة
ويحترزون في شبهات الحرام غاية الاحتراز فكيف يقاس عليه قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلوة معها معصية وهي عماد
الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة
التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما تورعهم في الحلال فكان
بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك

فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في
ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من
ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول
بعضها دون بعض وكما ان الذي يغصب اليوم وهو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب
من مال الدنيا والمتناول في الفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل وليس يدري ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه
فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة
تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها توكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال
اكثر من اصول الحرام وليفهم المسترشد من هذا طريقين معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب
والحيوانات فاما المعادن فانها مخلاة في بلاد الترك وغيرها ياخذها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين بعضها منهم او ياخذون الاقل لا محالة
لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما ياخذه الآخذ منه فياخذه للسلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في
اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها فالمستاجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا
على هذا لم يحرم عين الذهب الآن يتقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما بقاء الاجرة
في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك
او النقد الردي ويستاجرونهم على السبك والضرب وياخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز فان
فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه
خصصهم بها من بين سائر الناس حتى يتوفر عليهم مال بحشمة السلطان فما ياخذه عوضا عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة
الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب وللسلطان من جملة ما يخرج منها من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الاكثر
فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبحوا الورع ويسدوا بابه ويستقبحوا تمييز من يميز بين
مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر اغلبية الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في
العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين
الشوارع ونظائره بل ازيد واقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستانف تمهيد الشروط من
وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة
احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت الثالث
ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع ان يتبعوا شروط الشرع
ويستانفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة الخامس ان يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل
قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية
وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا
ليتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي
وكيف ما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه او
يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون
وان كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو واجد زائدا على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط
وهذا يودي الى ابطال سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل ذي يد على ما في يده ويقال
هو اولى به لا يجوز ان يوخذ منه سرقة ولا غصبا بل يوخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع واذا لم تجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا
منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فلم يعتبر اصل التراضي ويعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب
بطريق الشرع من اصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة ولا ادخاله في فتوى
العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس وكذلك ايدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق
ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها

اهل الحاجة ويدخر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر
على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في
البحر او يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجاتهم ثم يؤدي ذلك الى
سقوط الحج والزكوة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذ اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجاتهم وهو في غاية القبح بل
اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضربا للمثل لوجب عليه ان يستأنف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وسائر
الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم
اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة البتة فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان الله يقدر سببا يهلك به الخلق
عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على
ما ألفنا من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة
من الرسل وكان شرع عيسى صلى الله عليه قد مضى عليه قريب ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان
والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والاموال كانت في ايدي المكذبين له
والمصدقين اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى واما المصدقون فتساهلوا مع اصل التصديق كما قد تساهل الآن
المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه عما سلف ولم يتعرض له وخصص
اصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول الله ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده الحرام فانا لا
نأخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه ثمن خمر او مال ربوا فقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا وامر العرب كان اشمل لعموم النهب
والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك
التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح
وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل
كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم
الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الآخرة لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط
سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بامور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشية الازلية واليه الاشارة
بقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك
غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه في انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي
ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس
عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فنقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر
رسول الله صلى الله عليه والصحابة مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا
وبرهانه ثلثة امور الاول التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما كان
اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيل من تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع
به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد للشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة
او الحاجة او الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على
الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يقاس على محل مردود الى اصل يتفق الفقهاء الآنسون بالاقيسة الجزئية
عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الاصل الكلي الذي هو من ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم
حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزئي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة
فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات
المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق اليها الاجتهاد وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية
فان قيل كون الماء طهورا متيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي
لا تحرم لصفة في عينها كالخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان

هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه
ولا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى
عليه دين في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم تدل على خلافه علامة معينة
البرهان الثالث هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل على عين لم يعتبر وان كان قطعا فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه
ملك لزيد فقط يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد للمصالح
المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فالذي يشك في ان له مالكا
سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام
الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى
فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان
ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجوز
له التصرف في ملك غيره بغير اذنه ولا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى
المهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا نعلم تحريمه ان يحكم بدلالة اليد ويترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك
وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرنا ووجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال
قنطرة وتارة يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج
من هذا ان الخلق غير مأخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء
الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى
فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم او العروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق
الخروج من المظالم المثار الثالث للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه
وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح
بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد
العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة
في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هاهنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد
تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له
وجه والا فينبغي ان تسمى هذه كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه
الكراهة لها ثلث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة يكاد يلتحق بورع الموسوسين وبينهما
اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له
اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو
اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة
اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب
احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل
بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلوة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق
فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويتجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من
في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق الى الافهام خصوص فيه
فتكون الكراهة اشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي
عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه في وقت النداء وهذه غاية المبالغة لانه رده
بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن
الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند

العبر ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فيئسوا عن
القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى وهمه ان مال الدنيا كله حرام
فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال **واما امثلة اللواحق** فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع
الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والاقيس ان
ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا
تتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم
يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض • وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا
ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث
لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر ولا الفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا يباع
من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد
وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم
له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا
وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز
قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات **واما المقدمات** فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلث درجات
الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعيت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد
كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف •
وكان لابي عبد الله الطوسي التروغبذي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت
من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها • فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها
الى الحمى فرعت فيه ابلهما اعني سمنت فقال عمر رعيتما في الحمى فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف اي ناصفهما
فليوجب تحريما • قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن غرمهما قيمة
الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص لما قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك
لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدر بالشطر اجتهادا • **والرتبة الوسطى** ما نقل عن بشر من امتناعه عن ماء يساق في نهر
الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع آخر عن عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع
آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على طبق
ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر **الرتبة الثالثة** وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنى
او القذف وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل
بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يوخذ من يد من عصى الله
ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد
المستفادة بالغذاء الحرام • ولو امتنع من الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا
وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام تسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق
يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تتداعى اليه هذه الامور • واعلم ان كل هذا خارج
عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه
من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرف ذلك
اذ قال الاثم حواز القلوب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر
الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال ولم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال من فتوى

علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في
مثل تلك الامور فان مال قلب الموسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه
وبين الله بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية الصلوة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء العضو في الطهارة
بثلث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطيا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد
الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزاهم
فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك معاصيه **واما
المعصية في العوض** فلها ايضا درجات • **الدرجة العليا** التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب
او مال حرام فينظر فان سلم البايع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل
قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته
مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه
في الدراهم الحرام بصرفها الى البايع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه لا يبريه مما اخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء
فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي
تقتضي الفتوى به ثبوت حق الحبس للبايع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم
يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل
التحريم شامل فهذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما
بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن • ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن
فاما اذا لم يعلمه انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه او
يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام ويبري فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما
الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهية فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن
الحرام لما رضي البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو
اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضى البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي
ثمنه من الحلال او من الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان
وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب • **الرتبة الوسطى** ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن
ينهيا للمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن
تقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها
ومهما كان العوض على الاجر اما فيقال له حرام وان احتمل تحريمه ولكن اذا غلب الظن فيقال له مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهيته
اذ نهى صلى الله عليه عنه مرات ثم امر بان يعلف الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد اذ يجب
اطراده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن اطراده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في
نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام والفاصد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد
جراحة هي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حيوته والاصل فيه التحريم وانما يحل لضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس
واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفاصد فصد عبد ولا صبي ولا
معتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى صلى الله عليه اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين
اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكره في القرائن المقرونة بالسبب فانه اقرب اليها **الرتبة السفلى** وهي درجة
الوسواس وذلك في ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة • وروي
عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي عليه السلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل
اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها
بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها

وان كان تفاوت هذه الدرجات لا تنحصر في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم ● فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته منه ● قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع الصلوة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره

المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه

القسم الاول ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اسهلها او اوسعها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلث مراتب

المرتبة الاولى ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام فهو اقيس قولي الشافعي ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع منهما وان افتى المفتي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي رضي الله عنه لان الآية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرار وقد شهد الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وساير الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسي وبترك الظواهر ولا تاول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتاويل الآية ممكنا كان اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم وواقع في الدرجة الاولى

الثانية وهو متاخم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في جوف بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده ● وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وقد نقل ذلك في الصحيحين فالظن بابي حنيفة انه لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد

الرتبة الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى اسماعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه ● فاما اذا تطرقت تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقراين والدلالات وكل ذلك وسواس فاذا لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حواز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقايع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن حزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله

القسم الثاني ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع

في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التعرف بالبحث والسؤال

القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيها اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما ● وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كآلات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم اذ قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف ● وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء في بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله وليس للبشر وقوف على حدها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلثة ارطال زائد على قدر الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وساير اهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة ينقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وساير الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك ساير الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص حتى تعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه شبهات تثور من علامات متعارضة تجاذب الطرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابه اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب ساير الادلة التي سبق ذكرها ● فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حواز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وفي الزبور ان الله اوحى الى داود صلى الله عليه قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلوتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي انظر اليه بنصري واباهي به ملائكتي ●

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تستوهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او بصاحب المال

المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلثة احوال ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة

الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغيره من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول ● واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت خبازا او قصابا او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خاينا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا ندري حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه ● وقد عرفت بما سبق

ان الورع ترك ما لا تدري قال يوسف بن اسباط منذ ثلثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال
لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه
الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان
كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم
يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء به الظن فان اسأت الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك
ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون
البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل
ما يحمل اليه بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما
يحمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا تدل على انه ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل اصدقة هو ام لا اذ العادة ما
جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط الذي رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء
من ذلك وسأل ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره شيء وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم
يكن على ما كان يألفه كل ليلة وهذه اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا
ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه
يستحق احسان الظن به وازيد على هذا فاقول ليس له ان يسأله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان
لا بد له من اكله فليأكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك فان قلت لعله لا يتأذى فاقول لعله يتأذى وانت
تسأل حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل شبهة او حرام والاغلب على الناس
الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل من غيره بحيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سأل من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن
وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبيب بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان
عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتأذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو
غير مؤاخذ بما لا يدري اذا لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل
واحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه
ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل
عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم
حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله **اما الخلقة** فان يكون على خلقة الاتراك
واهل البوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب اهل الفساد **واما
الثياب** فالقباء والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم **واما الفعل والقول** فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل
فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري من مثل هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه
الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالة ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد
دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورث ذلك ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولان النبي صلى الله عليه
سأل اصدقة هو ام هدية وسأل ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا
ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فلا استحلال
لا مستند له وانما الاستصحاب حكم اليد والاستصحاب بشأن لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان رأينا
ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء
وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال **اما القول والفعل المخالف للشرع** ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم

او يعقد عقد الربا فاما اذا رآه وقد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكسب
الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان نضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل
ذلك قلبه واقول ان هذا اذا رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلوة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذ تعارضت الدلالتان
بالاضافة الى المال فتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره
وكم من محسن للصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث وجد فالحكم في مثل هذه المواضع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد
ان يناط بسبب خفي لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة اخرى وهو ان هذه الدلالة ينبغي ان تكون بحيث تدل
على ان اكثر ماله حرام بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال
من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح
الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام هاهنا ابعد عن
الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال
صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغن او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة
والشكل والثياب فهاهنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى **المثار الثاني ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال
المالك** وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة
وتلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع
وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء في
الاسواق وفيها دراهم الربوا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال نقل عن آحادهم نادرا في بعض الاحوال وهي مجال
الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل
يرد على صاحبه عند الشافعي رضي الله عنه وصاحبه اولى به بالثمن عند ابي حنيفة رضي الله عنه ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه الى
آذربيجان انكم في بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميتة اذن في السؤال وامر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم
لم تكن اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابها المجوس فانظروا الذكي من
الميتة فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا ينضح مقصود هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها **مسئلة**
شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي او الرئيس او العامل او
الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل معاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله
حراما لا يجوز الاكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان المأخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل
والمأخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه
من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كبير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا
والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط
الميتة واحد وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق
والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا شك في ان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا منافيا للعدالة وهذا مشكل
من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل غامض لان ما نقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله
على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما نقل من اقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معوية مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام فذلك ايضا
يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما يأكله من وجه مباح فالافعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة
قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل
بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتي في باب بيان اموال السلاطين فاما اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم
يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها
لانها مترددة بين مشابه المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا اشتبهت بقرية فيها عشر وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة آلاف
لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح من هذا اذ سئل احمد بن حنبل عن رجل رمى

صيد أوقع في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الأقل ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة في نفسها فإن قيل فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود في ذلك فقال السائل إن لي جارا ولا أعلمه إلا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنا وعليه المأثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنا أي أنت لا تعرفه وروي أنه قال رجل لابن مسعود إن لي جارا يأكل الربا وأنه يدعونا إلى طعامه فنأتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام قلنا أما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه إن صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذلك فعل الشافعي ومالك متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريب من الحصر وأما قول ابن مسعود فقيل إنما نقله خوات التيمي وإنه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فإنها الإثم فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمها على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستند إلا على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه لعلامة في عين المأخوذ بدليل الاختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم والجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوي فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله صلى الله عليه دع ما يريبك إلى ما لا يريبك لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريمه ليس ببعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة لا يجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ أي إناء أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه فلا يطرد أيضا في ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة إذ اليد لا تدل على أنها غير ميتة وتدل في الطعام المباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار واتساع في المخلوط به وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا تشبهه فتحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقينا أو يظن عن علامة أو توهم والسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تشير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب أصلا

مسألة إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأكثر أم الأقل فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن الأمر في الأقل مشكل وهذا يقرب منه

مسألة إذا كان في يد المتولي لتسبيل الخيرات من الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف ينظر فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية أو كان المتولي ممن عرف من حاله أنه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو نظير سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة

والهدية عند تردده فيها لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأكل من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغي أن تلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد

مسألة له أن يشتري في البلد دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور إحداها مغصوبة أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز وجب البحث عنها ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بد وأن تكون محصورة

مسألة حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه ولا يأمن قط غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك والأغلب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يغضبون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه من سقاه من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفق في صيغة السؤال ولذلك قال علي رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله من عدل إمام ورفقه ولا شيء أبغض إلى الله من جوره وخرقه

مسألة قال الحارث المحاسبي رضي الله عنه لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور احترازا عن هتك الستر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا فقال وإن رابه منه شيء أيضا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأني لم أر أحدا من العلماء فعله هذا لفظه وهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالطه المال الحرام القليل وكذلك عند التوهم لا عند التحقق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا توجب اليقين فليراع هذه الدقائق في السؤال

مسألة ربما يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال فأقول مهما علمت مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن تسأل من غيره وكذا إن كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما كما يسأل المتولي عن المال الذي يسلمه أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذي ولا يتهم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا يتهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي مميز عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه وأما إذا أخبر به مجهول لا تدري من حاله شيئا أصلا فهذا مما جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال السلامة دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ذلك ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فإن المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روي عن عقبة بن الحارث أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء تصغر من شأنها فقال صلى الله عليه وكيف وقد زعمت أنها أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا

مسألة حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذلك قول فاسقين ويجوز أن يترجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد

الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخير والمعرفة وذلك مما تتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص معروفا بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيء فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضتها علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من شاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر فسكت عن السؤال فيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او عن اثنين او ثلثة وما الضبط فيه فاقول **ـــ** لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريته انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة واذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب وتتوالى في ايديهم المغصوب فلا ينقطع بقوله من شاتي ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فان اسنده الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهولة انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة** سئل عن جماعة من سكان خانقاه للصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم اليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حرام او حلال او شبهة فقلت هذا يلتفت على سبعة اصول **الاصل الاول** ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف **الاصل الثاني** ان ينظر ان الخادم يشتريه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالاغلب انه يشتري في الذمة وهو الاظهر بالاغلب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام **الاصل الثالث** انه من اين يشتريه فان اشترى ممن اكثر ماله حرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال ام ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الاغلب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنائب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ واذا كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والاغلب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحصرون فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت انهم ياكلون من ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا قرض لانه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها ومن شخص تقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا مطمع الخادم في ان ياخذ ثوابا عما قدم الاطعمة من الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال وغيرهم فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب **الاصل السادس** ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الآخر الذي ياخذه بقوة هؤلاء السكان فكانه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في ايدي السكان فهذا خلل تطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بسبب الهدية الى حرام **الاصل السابع** انه يقضي دين القصاب ودين الخباز والبقال من ارتفاع الوقفين فان وقع ما اخذ من حقهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت على ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول

اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها لتعريف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج

اعلم ان كل من تاب وفي ماله ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدواب فان كان في المتماثلات او كان شائعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم او الدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهول القدر فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والآخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلوة ونحن لا نجوز في الصلوة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامات يوثق بها واما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع آكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الآخر وليس يتبين لي الحال فيه وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهي العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها الحرام فنقول **ـــ** هذه الموازنة كانت تصح لو لا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها فلا فلنكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر لرجل له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن آنيتين وقال لا ادري ايتهما هي فترك كليهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت اختبرتك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين حاضر فنقول **ـــ** اذا رد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لانه لا يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو الماخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه لما اخذه ووقع عن الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو القى كل واحد ما في يده في البحر او احرقه كان قد اتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص فكذلك اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من ياخذ درهما حراما ويطرحه في الف الف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعله بيعا فحيث يتطرق اليه احتمال اذ الفعل تضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون فيما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق لغيره وكذلك الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال فان لم يساعده واصر وقال لا آخذ درهما اصلا الا عين ملكي فان اشتبه فاتركه ولا اهبه واعطل عليك مالك فاقول **ـــ** على القاضي ان ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به

فان عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويعزم على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له البلغة وهل في خلط المايعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة الى الاخراج اولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان ياخذ الكل فاحد لم يجوز ذلك وقال آخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال آخرون يجوز للآخذ في التصرف ان ياخذ منه واما هو فلا يعطي فان اعطى عصى هو دون الآخذ واحد منا جوز اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة فنقول لعل المصروف الي يقع عين حقي فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب في الحق مقدم كما تقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز لهذا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم ان ياخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدنا بان يقدر فائتا باولى من الآخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه فايت او ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا اوضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد واما اذا اشتبهت دار بدور او عبد بعبيد فلا سبيل الا المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليها بقدر التشبيه وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة فلا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل يحتاج بها الى بيان هذا الاصل

مسئلة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لموروثه ثم رد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حصته ساهمه الورثة فان النصف الذي له لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين

مسئلة اذا وقع في يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه ويقدر اجرة العبيد والثياب والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما ربح على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل تنفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تفسخ ويسترد الثمن ويرد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده

مسئلة من ورث مالا ولم يدر ان موروثه من اين اكتسبه امن حلال او حرام ولم تكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان موروثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده شيء منه لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير مؤاخذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا

النظر الثاني في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدرى انه هل مات عن وارث ام لا وهذا لا يمكن الرد للكثرة فيه كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف او الفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من اموال مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه

به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فما روي ان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقد اليه الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معاوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسها الى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق به على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذلك اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا مسائل

مسئلة اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فهو شبيه باللقطة التي ايس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكه ثم وان كان غنيا من حيث انه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وهاهنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق

مسئلة الذي حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكاة فقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه ولعياله وان قدر على شرا ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وانما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذه بفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه

مسئلة اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه آكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده يحميهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر من غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو

انه يتناول مع العلم والعيال في نفسه ربما يعذر اذا لم يعلم او لم يتول الامر بنفسه فليبدأ في الحلال بنفسه ثم بمن يعول فاذا تردد في حق نفسه بين ما
يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير
التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت
واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به واما الكسوة ففائدتها ستر عورته
ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما
روي انه لا تقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت
لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيأ الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان
قيل فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما
روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات
فمنع فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي
ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد
وليكن وسطا بين التوسع والتضييق فيكون الامر على ثلث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه
الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام
وليخبر جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يقول على انه لا يدري فلا يضر لان الحرام اذا حصل في
المعدة اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير
احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن
مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وان كان شبهة وكان امتناعه للورع
فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر على الامتناع فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة
ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا موكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت
تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر وعند تعارض اسباب
الورع ينبغي ان تتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر انه سلمت اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكره ذلك فاكل ثم صعد
غرفة فصعدت امه وراءه فراته يتقيأ وانما فعل ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد سئل بشر هل
للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد عن الشبهة هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك
فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهم **مسئلة** من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه
كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب الزكاة اذ معنى الزكاة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان
عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا
يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث تغلب
تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم
دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها
من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب
عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع
بالحج ان كان ماشيا فلا باس لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للمركوب
فلا يجوز له الاكل بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به ويستغني
عن تفقد الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته
من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه
حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات
فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب

حزنه وخوفه وكراهيته **مسئلة** سئل احمد فقال له قائل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال تدع من ماله
بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك فقال فتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو
يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راى ان اعيان امواله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة
بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له
من النظر في ثلثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا
اضيف الى حاله وشركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية
قسمان ماخوذ من الكفار وهي الغنيمة الماخوذة من القهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة
هي التي توخذ بالشرط والمعاقدة **والقسم الثاني** الماخوذ من المسلمين ولا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا تتعين
لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس توخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين
والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرار او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له
على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار
او على الخزانة **فالاول** هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما
فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة
دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم
تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امرأة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها
وصفة من تصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك **الثاني** المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه
هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة
ثم في المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون الماخوذ
موافقا له في جميع شرائطه **الرابع** ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان
الغالب هل احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القناة والانهار وبناء الجدرات وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان
بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وكانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا
عليها في تعلق الكراهة بالاعواض **الخامس** ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف
فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله **السادس** ان يكتب على عامل خراج
المسلمين او من يجمع اموال الفيء والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي
العراق فانها وقف عند الشافعي رضي الله عنه على مصالح المسلمين **السابع** ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله
كمال خزانة السلطان اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام
الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا
ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون
من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في هذا
فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف
والاعتدال ما قدمناه ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف فيه كما سبق وقد احتج
من جوز اخذ مال السلاطين اذا كان فيها حرام وحلال اذا لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة
الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وجابر وانس
والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من
التابعين كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء
اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك

العطاء منهم تورعاً مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل لا انه حرام قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابي مسروق لا يزال العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاسناد في ردها اثبت وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض من اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معوية رضي الله عنهم فقال لاجيزنك بجائزة لم اجز بها احدا قبلك من العرب ولا اجيز بها احدا بعدك من العرب فاعطاه اربع مائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فيقبلانها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي انه قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنأ لك وعليه الوزر واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معوية رضي الله عنهم وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء بن زهير الازدي اتى ابراهيم ابي وهو عامل على حلوان فسأل وقال ابراهيم لا باس بجائزة العمال ان للعمال مؤونة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة ان ما نقل من امتناع جماعة ما يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابوذر وغيره من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلثين الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضأ من ماء صبر في وان ضاق وقت الصلاة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلطان الظالم والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات **الدرجة الاولى** ان لا ياخذ من مالهم شيئا اصلا كما فعله الورعون منهم وكان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له فاخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لال عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من ال عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله ومن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشديد في الاموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجيء يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج فقال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كالوالي ومال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسان ابيه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له فبعث بها الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع **الدرجة الثانية** هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام اخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها او ما تخص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا انا لنرجو لك خيرا حفرت الابار واسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر

فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فتري وفي حديث اخر فقال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة هذا قوله فيما صرف الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل انفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء الا خرج منه فطلب منه نافع بثلثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه اخذ ما لا يدري انه حلال او حرام **الدرجة الثالثة** ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء او يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد راه بعض العلماء وسياتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته بستين الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل وتصدق به وقال رايت ان اخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رضي الله عنه بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة **الدرجة الرابعة** ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فان ما ياخذوه من الحلال اكثر وهذا انما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه في حق احاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات حققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراه وانه يفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في ايدي السلاطين ولم يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها فانهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما انصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيرة **الوجه الثاني** ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به فكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر بهم والاستعانة بهم في اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذا لا يجوز ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام بلا شك فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذا قد تبين مما تقدم مدخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعاني سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا

النظر الثاني في قدر الماخوذ وصفة الاخذ

ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر في الاموال الضايعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين

كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة واهل البغي واعداء المسلمين ويدخل فيهم الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان لا يستغني احدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت لعائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الف ولجماعة ستة الف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل واحد منهم مالا كثيرا فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات فكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا فيجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطاه

اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت طاعته كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر والذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في الكتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به **واما الاشكال الآخر** وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه بحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر فراجعه عمر رضي الله عنهما فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عائشة اثني عشر الفا وزينب عشرة الف وجويرية ستة الف وكذا صفية واقطع عمر عليا خاصة واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص فيها عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة اذ المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا كل واحد من الرأيين حقا فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسئلة تشذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء رأي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب

بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين والدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلثة احوال **الحالة الاولى** وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك **اما الحالة الاولى** وهو الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت به الاخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم **فاما الاخبار** فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه **واما الآثار** فقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سحنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه كان يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القارئ الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل انه كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اذناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله عز وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان معرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور **اما الفعل** فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح الناس به كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب فاما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد به اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضرب خفيف في التعليم يباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفردت

لم توجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز
لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد وركع
او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم
لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة
فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك لامر ديني • قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر رضي الله عنهما لما لقيه بالشام
فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات **فاما السكوت عن
رد الجواب** ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على
بساطهم واذا كان غالب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل **فاما السكوت** فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير
واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو
فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب واكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك
غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله • فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت
فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط
عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده
ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته **واما القول** فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه
او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام
بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام **اما دعاؤه** فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما
يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا
للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص وقد
قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له
فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق والاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب
والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة • ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى
اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه ان يبغضه في
الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه لسبب آخر
فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص شر وخير وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر
وسيأتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى
توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معاشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها
مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما
مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل
والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس
المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب
امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او
عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول

الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه اما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه
باكرام العلم والدين مستحق للحمد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة
ليظهر له بعز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع
فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله

اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف
فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف
يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى الطرق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول
الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم
فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم لكل من اتفق له دخول على السلطان لعذر او بغير عذر • روي عن محمد بن صالح قال كنت
عند حماد بن سلمة فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا انا عنده اذ دق داق
الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رأيتك امتلأت منك رعبا فقال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم
اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكثر به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال
ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا مما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول
من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه
فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم
وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس
فلا يجدون لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال يأكلون
ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منه براء وكل من احاط
علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب
لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانها اما ان تغفل عنها او ترضى بها او تكرهها ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل
احد على حق الله كجنايته على حقك • فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فلا تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع
ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله تعالى لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله
واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا • فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على
السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل
يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي بطاووس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك
ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقال له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك
فقال له يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي
ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذن وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب
العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي • واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل
ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده برحمة • واما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت
يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس
وحوله قوم قيام • فقال هشام عظني فقال سمعت من امير المؤمنين ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في
رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين
والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن
الخطاب فقال لخازنه كم انفقت فقال بضعة عشر درهما وارى هاهنا اموالا لا تطيقها الجمال • فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا فكانوا
يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من
غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت
ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطأ عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه • ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت في بعض
الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست
الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك

لمرأى ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت
رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما اكثرهم فقال عمر خصماؤك يا امير المومنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم
وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت
قال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المومنين اما المومن
المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك
على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم
اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال قول الحق عند
من تخاف وترجوا قال فاي المومنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المومنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم
فباع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان اباك قهروا الناس
بالسيف واخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال
له رجل من جلسائه بئس ما قلت فقال ابو حازم ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا ان نصلح
هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر عليه فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال
ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيك واوجز
عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر
ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمان
ابن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال يا اعرابي انا لنجود بسعة
الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه فقال الاعرابي يا امير المومنين انه قد اكتنفك رجال اساؤوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم
ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا
وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع
آخرته بدنيا غيره فقال سليمان اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال اجل يا امير المومنين ولكن لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة
دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا
تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ان يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن صائرون اليه باق ان خيرا فخيرا
وان شرا فشرا فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون
بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول
عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم بذلك
وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو
من اقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به آثار الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفايته وهذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج
مريضا ضايعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني ان
يزعم اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره فاذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الاحوال
العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسائل **مسئلة** اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين
فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه ولكن من العلماء من امتنع
منه فعند هذا اتصدى نظر في الاولى فنقول الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوايل **الغائلة الاولى** ان يظن السلطان بسبب اخذك ان
ماله طيب ولولاه لكنت لا تمد اليه اليد ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة
بما يحصل له من الجراة على كسب الحرام **الغائلة الثانية** ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الاخذ ويستدلون به على
جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدى
والمتشبه به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى الملك بمشهد
من الناس ليكرهه على لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل وقال ان الناس قد اعتقدوا اني طولبت بلحم الخنزير فاذا

خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة
فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان فالقه على ابي عبد الرحمن اي طاوس وكان قد جلس على كرسي فالقاه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه
فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس
ثم لا يصنع به ما اصنع به اذا لفعلت **الغائلة الثالثة** ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا
تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك فان من احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة جبلت القلوب على
حب من احسن اليها وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي ان بعض الامراء ارسل الى
مالك بن دينار بعشرة آلاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق قال سل اصحابي فقال اخرجه كله فقال
انشدك الله اقلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان ارسل اليك فقال لا بل الآن فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاه
وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان
غاب عنه كان كمن شهده وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس
بالاخذ وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه
ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا لله على تسخيره اياه وبهذا تبين ان اخذ المال الآن منهم وان كان ذلك المال بعينه
من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل **مسئلة** ان قال قائل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او تخفى
وديعته وتنكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لانه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما اذا بعثه اليك
فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم
يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد وصل اليه بشراء في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجد لقطة وظهر
ان صاحبها جندي ويحتمل ان يكون له بشراء في الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز انكار ودائعهم
ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى **مسئلة** المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام
فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلمه اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك
حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساؤه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي
معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم
وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب
وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القرآن فلا يكره
الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة
وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد
المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة **مسئلة** الاسواق التي بنوها بالمال
الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم
ولكن لو وجدوا سوقا آخر فالاولى الشراء منه فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكراء حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من
معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون الى
الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو
جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش **مسئلة** معاملة قضاتهم وعمالهم
وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على
زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم
واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط
الحلال بمالهم وقال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد
الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال
هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالئ قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة

وما ورآء ذلك من العلوم محبة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس
وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود آكل الربوا
وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل
للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب فيه فكل من حولهم من خدمهم ظلمة مثلهم
يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمن بن زائدة انه سأله واحد من الاجناد وقال اين الطريق فسكت واظهر ان به صمما وخاف ان يكون متوجها الى
ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين
وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين المواظبين
على ايذآء المسلمين الذين يتعاونون على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة والى متعدية والفسق لازم لا يتعدى
وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تبارك وتعالى وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم
وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار
وقال من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشارب
وساير الهيئات المشهورة فمن رأى على تلك الهيئة تجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي
تدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس
له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك يكثر لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون
جمع المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله تعالى اوحى الى يوشع ابن النون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال
ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا تبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب وروى ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم **مسئلة** المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد
والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر **اما القناطر** فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنها معدلا تاكد الورع وانما
جوزنا العبور وان وجدنا معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل
من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلا الا لضرورة تحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم تجب عليه الاستحلال من المالك
الذي يعرفه **واما المساجد** فان بني من ارض مغصوبة او خشب مغصوب من مسجد آخر او مالك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا الجمعة بل لو وقف الامام
فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتدآء وان عصى صاحبها بالوقوف
في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه
ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء السلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع
قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابراهيم التيمي خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا
واما التخليق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بها وانما هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها
مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانه محل الشبهة **واما السقاية**
فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة **واما الرباطات**
والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة او الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة في الدخول فيها وان التبس المالك
فقد ارصدت لجهة من الخير فالورع اجتنابها ولكن لا يلزم الفسق بدخولها وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس لهم
صرف الاموال الضايعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة**
الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى عليها البتة وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط
جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او اذى المطر
او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك وهكذا الحكم من دخل مسجدا او ارضا مباحة سقف وحوط بغصب فانه لمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان
والسقف الا اذا كان له فايدة في الحيطان والسقف كحر او برد او تستر عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب
لما فيه من المماسة بل الانتفاع والارض تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما

الباب السابع

في مسايل متفرقة تكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى **مسئلة** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا

ويشتري به طعاما فما الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا **فقلت** اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم
فيحل لهم اذا اكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية
فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطي
ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان
يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لم
يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا يوجب تسليط الآحاد على التصرف
فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم القيامة فانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا
ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمروة فان منعهم عنه منعوه ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما
ينقطع عن مرمات عياله **مسئلة** سئل عن مال اوصي به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه **فقلت** التصوف امر باطن لا يطلع عليه
ولا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية
لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية
وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاهات ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زواله زوال الاسم وبعضها ينجبر
بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا
يستحق ما اوصي به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير ولما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر
والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما
مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة الاكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع
بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافيان اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال
من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفي مقري وصوفي واعظ وصوفي عالم او مدرس ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي
تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب به الرجل الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله
بخرجه لم يبطل حقه وكذلك اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم
فله اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبره ملازمة الزي فان لم يكن على
زيهم ووجد بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه
الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم واما
لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود الشرايط المذكورة واما المتاهل المتردد بين الرباط
والمسكن لا يخرج عن جملتهم **مسئلة** ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصي به للصوفية لان معنى الوقف الصرف
الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مايدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنايم المشتركة
وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصي به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى قوال الصوفية
خلاف الوقف وكذلك من يحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم كل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف
الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس لهم ذلك على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام وياكل وان
رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه
صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب
وقد ذكرنا في تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن
على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضى اهل الزي
وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع فقد استبرأ لدينه
كما نبهنا عليه في باب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض
وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما
فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام

الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بسبب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه فلا يحل له ان يأخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان يأخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشرى من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الآخذ بالدين ما امكن القسم الثاني ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها وانما يحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفي بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه مفيدة كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصته بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض عن كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مالا كثيرا في قيمة السيف والمرآة فهذا لا ارى به باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستيناس وتأكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الاغلب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم تتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل للتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبتغي المحبة انه لو ولي في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال هو ان يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها الا على قصد اجرة فلا يجوز ان يأخذ بعده شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدي له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك ما كلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما مني وعلم انهما اعطيا لاجل جاه الولاية واهدت امرأة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كانت ذلك له هدية وهو لنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى

للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله فلا يأتين احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان يأخذه في ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته حرم اخذه وما اشكل عليه في اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

آخر كتاب الحلال والحرام

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد واله اجمعين وسلم تسليما

كتاب اداب الصحبة والعشرة مع اصناف الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص تطولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا اما بعد فان التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الاسباب

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الالفة والاخوة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق فقال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هو الدين والتقوى وحب الله من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهرا اعظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال صلى الله عليه في الترغيب في الاخوة من آخى اخا في الله رفع الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله رواه ابو هريرة وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الآخر رفع الله الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون عمل الولادة وقد قال تعالى

الجنة بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شي • وقال صلى الله عليه ان الله عز وجل يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي • فقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه • وقال صلى الله عليه ما زار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة • وقال صلى الله عليه ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا قال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله تعالى ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه واوجب لك الجنة • وقال صلى الله عليه اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب ان يكون للرجل اعدا يبغضهم في الله كما يكون له اصدقا واخوان يحبهم في الله • ويروى ان الله عز وجل اوحى الى نبي من الانبيا اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا • وقال صلى الله عليه اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة • ويروى ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلم لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا • وقال عيسى عليه السلم تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله • وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى بن عمران عليه السلم يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو • واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم فقال يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني • وفي اخبار داود عليه السلم انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق اهل الاخرة وقال النبي صلى الله عليه ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة وقال صلى الله عليه المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمرا في راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضي حسنهم لاهل الجنة كما تضي الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله

الآثار قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم • وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا • وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك فاني احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي بعيد قربته في الله • ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لك فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي فقال موسى عليه السلم الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط هل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان الى الله • وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض • ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ على نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق • وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقل ما يصيب ذلك

وقال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر في الشتا اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا

اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطا عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشا اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويتباعد عنه ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام

القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون في الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشي ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف • فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي فتتشام في الهوا وكنى بعض العلما عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك والتقيا تواصلا في الدنيا وقال صلى الله عليه ان ارواح المومنين لتلتقي على مسيرة يوم وما راى احد صاحبه قط • وروي ان امراة بمكة كانت تضحك النسا وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عايشة رضي الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق ظاهرا او باطنا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتواد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجا حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجا حتى يجلس اليه • وهذا يدل على ان شبه الشي منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ها هنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكما كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من الدهر ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له بعض الشعرا حتى قال قائلهم •

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف • لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مال بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضا الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الما والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يومن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضا الشهوة حيث لا يحل قضاوها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات

فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب رجل سلطانا لانتفاعه بماله
او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا
كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال
به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله اذ
يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران
وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء او غيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة
الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانه تابعة له غير قائمة بنفسها **القسم الثالث** ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في
الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل
ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة
التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى صلوات الله عليه من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم
التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة له في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة العظمة في ملكوت
السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته
في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا
احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو
محب في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه
ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان
المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد على هذا ونقول من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه
او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت في الاخبار بوفور الاجر والثواب
على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا
احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه محبتان
محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في
الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في
الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب لله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا والآخرة
فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال عيسى عليه السلم في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا
تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ● فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل لا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر
همي ● وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا
وعذاب الآخرة ● وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون
مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم
وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة
ويمنع منها وهو الذي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منه كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير
ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني ان يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك
يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال
ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه وتحصل فيه كراهة للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه
او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه
العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس
مستنكرا ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك
للفضة لو تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما توصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ● ولا يستحيل اجتماع

الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده اذ كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك
كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله وذلك وان دق فهو عزيز ● قال الجريري
تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعاملوا في الثالث بالمروءة حتى ذهبت
المروءة ولم يبق الا الرهبة والرغبة **القسم الرابع** ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراءه وهذا اعلى الدرجات
وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن
احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه واحب من
يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار
الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر ●
امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ● وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا ● فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى
من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع
الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى اذا قوي وغلب على القلب
واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته
وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق
الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة
واعلاها وسياتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات ● وكيف ما اتفقت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى
تتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك
كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين
البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله ● قال سمنون ●
وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني ● وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة
الله في علم او عمل واثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن او تأدب بادب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله الا اذا اخبر
عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه
وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك
الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا
انه اذا ضعف لم يظهر اثره ولا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب
تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال او المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين
بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله عليهم اجمعين وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد
منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من
احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا ما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد ● وقول من قال ● وما لجرح اذا ارضاكم الم ● وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض
الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا يعرف درجة
المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر
الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلم فاقرأه من الله السلم وقال له يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد
خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلم وقل له يقول لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
قال فالتفت النبي صلى الله عليه الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك السلم من الله ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر
وقال أعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض ● فحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او عبادة او
خير فانما احبه في الله ولله وله من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ولكن نزيده بيانا ●

بيان البغض في الله اعلم ان من احب في الله لابد وان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلابد وان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال تعالى هل واليت لي وليا وهل عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والثالث بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان يعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر او فاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال والاقبال والاعراض وبين التودد اليه والاستيحاش منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه فاما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر اما ما يصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتأكد اخوة وصحبة فلابد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة له وهو اقل الدرجات والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها اذ ربما تكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم تنتظر ذلك ولكن رأيت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه رفقه وكان يواسيه بالمال فنزلت الآية واية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان لي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الاغلب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض

وله وجه ولكن يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من استيحاشها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فيكون في رتبة الفضائل ولا ينتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه وتعالى لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما لعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة **الاول** الكفر والكافر ان كان محاربا فهو مستحق القتل والارقاق وليس بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم الآية وقال صلى الله عليه المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم الآية **الثاني** المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة فان كانت مما لا يكفر بها فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا للبدعة في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم **الثالث** المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما لا يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او صغيرة وكل واحدة فاما ان يكون مصرا عليها او غير مصر فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض فلا نسلك بالكل مسلكا واحدا **القسم الاول** وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجر لهم او لغيرهم كان الامر فيه آكد واشد **الثاني** صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلج بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد بل وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان

فيه نوع من الزجر له او لغيره والثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت
مباشرته ان صودف تجب منعه بما يمتنع به ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو
مصر عليه فان تحقق ان النصح يمنعه من العود وجب نصحه وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ ان كان
هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح
ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال ان الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف
والاعراض نوع من الزجر والمستفتي فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وتعنيفه عن كبر وعجب
والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير استيحاشه ونفرته في
جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد على اشارات الشيطان ويبعد عن اعمال اهل الاخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في
التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطي وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به
وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الاخرة وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في
الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من
الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظا هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف
والتغليظ **بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته** اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ويشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط
ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه
او مجرد الانس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها
الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت
ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الاخرة فقد قال بعض السلف
استكثروا من الاخوان فان لكل مومن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف
على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي
ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل
فلا خير في صحبة الاحمق والى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه ع
لا تصحب اخا الجهل واياك واياه * فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه * يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه * وللشيء على الشيء مقاييس واشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * ع كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري قال الشاعر
اني لآمن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه جنون * فالعقل فن واحد وطريقه ادري فارصد والجنون فنون
ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربة الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه
اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او
جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على فسقه فلا فائدة في
صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
وقال واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شومها اليه
فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن
المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه
واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على
سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال
يا بني اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤونة مانك اصحب من اذا

مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت
بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة واشترط ان
يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المامون واين هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب
من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئاتك فان لم تجده فلا تصحب
الا نفسك وقال علي رضي الله عنه ع ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك * ع وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر
مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب
خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك
فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل
منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيئ الخلق وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد
رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه شيئا من امر دينك فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي
ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال
سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات
اكثرها غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد
الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قاله بشر ثلاثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل
تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه
في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل
الشجر والنبات فمنه ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنه ما له ثمر وليس له ظل
وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنه ما له ثمر وظل جميعا ومنه ما ليس له واحد منهما كام غيلان تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله
من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر
الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر * هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر * ع فاذا من لم يجد رفيقا
يواخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما
الديانة وعدم الفسق فقد قال تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب
عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة الا بالانكار من قلوبكم لئلا تحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع
عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا
ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنشتغل في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان
الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا
فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال احمد بن حنبل
ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل المطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح
حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان
وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمان خصال **الحق الاول في المال** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما
تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص
والاستئثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب **ادناها** ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فاذا سنحت له
حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة **الثانية**
ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه باثنين

الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس
ايضا كما روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وكان فيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له
في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك
فاعلم ان عقدة الاخوة لم تنعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك
الافضال فليواخ اهل القبور • واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد اخاه فقال احتاج
من مالك الى اربعة آلاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من
الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امر دنياك وانما اراد به من في هذه الرتبة • واما الرتبة العليا
فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان
فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخذ حاجته
فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل • وجاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري
ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني • وقال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل هل
يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان • ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا
سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب
منه • وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اني اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك بشيئك منك قال لا
قال اعجبني صدقك وكان ابراهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابراهيم بن ادهم
في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراكه فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك
فقال ذاك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلاثة قال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا رآه راجلا فلما
جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك • وقال ابن عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه
فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة • وروي ان مسروقا ادان دينا
ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة وقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به وذلك مواساة
والبداية ايثار والايثار افضل من المواساة وقال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني
لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي • ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها
اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان
اعتق رقبة • واقتداء الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم
فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته
هل اقام فيها حق الله او اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة • وخرج رسول الله صلى الله عليه الى بئر يغتسل عندها
فامسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله الثوب وقام يستر حذيفة من
من الناس فابى حذيفة وقال بابي وامي انت يا رسول الله لا تفعل فابى صلى الله عليه الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل • وقال صلى الله عليه
ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن
واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان
ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط
في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح بيته الى اخيه ويفوض اليه
التصرف كما يريد وكان يتحرج من الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الآية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء **الحق الثاني في
الاعانة بالنفس** في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال فادناها
القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك
الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله • وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض

اخوانه فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع
تكبيرات وعده في الموتى وقال جعفر بن محمد اني لاتسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة ان ارديهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في
السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا
يرون منهم ما لم يروه من ابيهم في حيوته وكان الواحد منهم يتردد الى باب اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه
اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها • قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك
عداوته وقال صلى الله عليه وسلم الا وان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها
في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا الاوقات حاجته غير غافل عن احواله كما
لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك
بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيارة والايثار والتقديم على الاقارب
والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة • وقال الحسن من شيع
اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه الى الجنة • وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت
وطابت لك الجنة • وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا مشاغيل فاعينوهم وان كانوا نسوا فذكروهم • وروي ان
ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله فساله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت احدا فاسله عن اسمه واسم ابيه وعن
منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا
اعرف اسمه تلك معرفة النوكى • وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلثا من غير حاجة له الي فعلمت
ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم اشارة
الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق
الثالث على اللسان بالسكوت مرة والنطق اخرى** اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضوره بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه
فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا رآه في طريق او حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومورده ومصدره
فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف
شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره
فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس كان عليه السلم لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتاذي يحصل اولا من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من
الثنا عليه فان السرور به يحصل اولا من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه
النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر
اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها
شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله
بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر
من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن
ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام
واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح
عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راى خيرا ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين
حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلم انت بالامس تثني عليه
واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما
علمت فيه فقال صلى الله عليه ان من البيان لسحرا • وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي الحديث
الآخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت
طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت
بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان تحمل فعله على وجه

فاسد ما امكن ان يحمل على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن
ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشاه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له
وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مومن اذ قال صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل قد حرم من المومن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس
والتحسس وقد قال صلى الله عليه لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة
بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين واظهار الجميل ان الله تعالى وصف به في الدعا فقيل يا من اظهر الجميل وستر على القبيح والمرضي
عند الله من تخلق باخلاقه وانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك
وقد قال عيسى عليه السلم كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نايما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا
فقال احدكم يسمع الكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحبه لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل
اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه
وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على
الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشا
التقصير في ستر العورة والسعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود والحسود يمتلي باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه
ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحيا وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع
اولى قال بعض الحكما ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر
وقلبه خبيث لا يصلح للقا الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي اليهودي من سفر فقلت
ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتاب مصدق للتورية فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا
بما جاكم به انا نجد نعته ونعت امته في التورية انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشا سره الذي
استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل
ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالابدان هذه حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا
عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه من ستر عورة اخيه ستره الله تعالى في الدنيا
والآخرة وفي خبر آخر كانما احيا موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلثة
مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل
لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادبا كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب
الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفا ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم
بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز
فقال ومستودعي سرا تبوات كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا وقال آخر واراد الزيادة عليه
وما السر في قلبي كميت بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشا لم تعلم السرا وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت
وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه
وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك
الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكما لا تصحب من يتغير
عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل
وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا
وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن
عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة
في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيوذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو مبطل بنى الله له بيتا

في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد
على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة فانها عين التدابر
والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآرا ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا
عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله حسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره
كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشي على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة
الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المرا لقلة خيره ذروا المرا فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين
الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك
لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب
التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد
العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذا والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف
تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه
انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر من المماراة
الى حد لم يروا السوال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسئل قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق
فكنت اجيه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شي فقال كم تريد فخرجت
حلاوة اخائه من قلبي وقال الحسن اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخا ثم اعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام
والفعل وبالشفقة قال ابو عثمن الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

الحق الرابع على اللسان بالنطق

فان الاخوة كما
تقتضي السكوت عن المكاره فتقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما تراد الاخوة ليستفاد
منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقده فيها كالسوال عن عارض ان
عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطا العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى
الاخوة المساهمة في السرا والضرا وقد قال صلى الله عليه اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك
تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد بين المتحابين ويتضاعف والتحاب بين المومنين
مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال صلى الله عليه تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمايه اليه في غيبته
وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمايه اليه ومن ذلك
ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يوثر هو الثنا عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في استجلاب المحبة وكذلك الثنا على اولاده واهله
وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين
لا بد منه وآكد من ذلك ان تبلغه ثنا من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفا ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته
وان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما
قصد بسو او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر
للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احديهما الاخرى لينصر احدهما الآخر
وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه
واخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس
من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح
من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميت فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي
المشاركة والمناسبة بين الشي وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية الاخوة بدفع ذم الاعدا
وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة وقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا بما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذا لك فيه معياران
احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به
والثاني ان تقدر انه حاضر من ورا جدار يسمع قولك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومراى ينبغي ان

يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمع لو حضر وقال آخر ما ذكر اخي الا تصورت
نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدردا الى ثورين يحرثان
في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا
في اخائه فهو منافق والاخلاص استوا الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شي من ذلك مماذقة
في المودة وهو دخل في الدين وولجة في طريق المومنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة
ثقيل لا يطيقه الا محقق ولاجرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من
صاحبك تكن مومنا فانظر كيف جعل الايمان جزا الصحبة والاسلام جزا الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين
المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا
قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعلم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته
من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوايد
تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه
احد فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم المومن مرآة المومن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه
فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة قال الشافعي من وعظ
اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني
في الملا فلا وقد صدق فان النصح في الملا افضاح والله تعالى يعاتب المومن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب
عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقراه واما اهل المقت فينادون على رووس
الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضايحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة
بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضا فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك
بالاغضا فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة
ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب وفيه ايحاش للقلب
فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو
استمالة للقلوب اعني قلوب العقلا واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك
عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وفي
الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة ولذلك
كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرا اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني
مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين احداهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مايدة واحدة فقال
عمر رضي الله عنه اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين
وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة
الموتى واعلم ان من قرا القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله الكاذبين ببغضهم للناصحين
اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه
ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يودي الى الايحاش وان علمت ان النصح غير
موثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في
حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شي نعم ان كان بحيث يودي استمراره عليه الى القطيعة
فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك
من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل
وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل
فزال ذلك من قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال

وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر
ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كسا وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير

الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات

وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين
من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد
اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه
من حيث احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدردا وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدردا اذا تغير اخوك
وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه
اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سيل عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسال عنه
بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكباير حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه
اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب
بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شيت ان لا تعقد على محبتي لله
فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيتك ابدا ثم عقد اخوه بينه وبين الله ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين يوما
في كلها يساله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين يوما فاخبره بذلك فاكل وشرب
بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا
الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات عن اخوين عابدين في جبل نزل
احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغية عند اللحام فرمقها وعشقها فواقعها ثم اقام عندها ثلاثا واستحيى ان يرجع الى اخيه من جنايته فافتقده اخوه
واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه لفرط استحيايه
منه فقال قم يا اخي فقد علمت بشانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز علي من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف
معه فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر رضي الله عنه وطريقته احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذه الطف وافقه ومقارف هذه
المعصية لا تجوز مواخاته ابتدا فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر
ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتلطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحيا عند دوام
الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب
الوفا بموجب العقد ومن الوفا به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جايحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه
فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنوايب وحوادث الزمان وهذا من اشد النوايب
والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حيا منه قال
جعفر بن سليمان مهما فترت من العمل نظرت الى محمد بن الواسع واقباله على الطاعة فرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا
التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بري مما
تعملون ولم يقل اني بري منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدردا لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض
عمله والا فهو اخي واخوة الدين آكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان
صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم
صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفا بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتدا المواخاة
مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس
بمذموم ولا مكروه بل قال قايلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق
الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاوون بالنميمة المفرقون بين
الاحبة وقال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم
وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف
اليه الثاني والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فهذا

كله بتبين الفرق بين الدوام والابتدا لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة وليس ما سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي
الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفا بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقك بما يوجب
ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد
قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك بسبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب
لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار
ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل • قال الاحنف
حق الصديق ان تحتمل منه ثلث • ظلم الغضب • وظلم الدالة • وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها له او لئيم
فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال ـــــــ واغفر عوراء الكريم ادخاره • واعرض عن شتم اللئيم تكرما •

وقد قيل • خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر • فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير • ومهما اعتذر اليك اخوك
كاذبا كان او صادقا فاقبل عذره قال عليه السلم من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل فعليه مثل اثم صاحب المكس وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن سريع الغضب
سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتالم بل تنتهي
الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التالم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع للقلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه
فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر • ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب •
قال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا آخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته
كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا تبالغ في البغض عند الوقيعة
قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك **الحق السادس**
الدعا للاخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاك له دعا لنفسك
على التحقيق قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدا وفي الحديث يستجاب للرجل
في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه بالغيب لا ترد وكان ابو الدردا يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم
وكان محمد بن يوسف الاصبهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة
الليل وانت تحت اطباق الثرى • وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جا في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم
ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شي ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعا الاحيا من الانوار مثل الجبال
وقال بعض السلف الدعا للاموات بمنزلة الهدايا للاحيا فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك
فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية **الحق السابع الوفا والاخلاص** ومعنى الوفا الثبات على الحب وادامته الى الموت معه
وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين
يظلهم الله اثنان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه اكرم عجوزا دخلت
عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين • فمن الوفا مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم
اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى من يتعلق به حتى
الكلب الذي بباب داره ينبغي ان يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفا بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما
يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال
مخبرا عن يوسف صلى الله عليه من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر
يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان مجالسة الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك
الذ الاشيا مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض ومن ثمرات المودة في
الله ان لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فايدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفا ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته

وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم • ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا • من كان يالفهم في المنزل الخشن
واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يترفع
عليك وقال بعض الحكما اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنهما آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين
فتغير له عما كان فكتب الشافعي اليه بهذه الابيات ـــــــ

اذهب فودك من ودادي طالق ابدا • وليس طلاق ذات البين •
فان ارعويت فانها تطليقة • ويدوم ودك لي على ثنتين •
وان امتنعت شفعتها بمثالها • فيكون تطليقين في حيضين •
فاذا الثلاث اتتك مني بتة • لم تغن عنك ولاية السيبين •

واعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفا له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل
عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي وقال • مرض الحبيب فعدته • فمرضت من حذري عليه • واتى الحبيب يعودني • فبرئت من نظري اليه •
وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف
له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا
كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضا الخلق على رضا الله تعالى
فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه وآثر البويطي الزهد والخمول
ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي
ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره • والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها النصح لله قال الاحنف الاخا جوهرة رقيقة
ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن آثار
الصدق والاخلاص وتمام الوفا ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها كما قال ـــــــ الشاعر •
وجدت مصيبات الزمان جميعها • سوى فرقة الاحباب هينة الخطب • فانشد ابن عيينة هذا البيت
وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي • ومن الوفا ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما
من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لا يتحرز منه لم
تدم مودته اصلا قال رجل لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا تعطي
عشوة • ومن الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك **الحق الثامن التخفيف**
وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه
ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه
واستعانة به على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم
مثل ما يقتضونه منه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم قال ـــــــ بعض الحكما من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن
جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا • وتمام التخفيف بطي بساط التكلف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه
قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقا من تكلف
لك ومن احوجك الى مدارة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه
وقالت عائشة رضي الله عنها المومن اخو المومن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا
حارث المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه
او استوحش الا لعلة في احدهما • وقيل لبعضهم من نصحب فقال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان
جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي • وقال بعض الصوفية لا تعاشر
من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وانما قال ذلك لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا
فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابنا الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت
وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق
طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلف هذه الشروط حتى يكثر
اخوانه اذ به يكون مواخاته في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ لي في الله

فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته
وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل • واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به
ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنبه فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه
وثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت
الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذه شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكلف ان لا يعترض في نوافل
العبادات كان طايفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له
افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم • وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء
والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته قال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه انا
والاتقياء من امتي برآء من التكلف • وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلا وصلى ونام فذكر ذلك
لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله في بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ لاخفاء هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب
المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا
واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تأنس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله اي لا يشتد
علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم
قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل على نفسه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ
ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب
العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان • تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقاء يرى الفضل له • وقال آخر • كم صديق عرفته بصديق صار احظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي • ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال
صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل مشورتهم فقد
قال تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب بن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان
مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسألك ان تعقد له فيما بينك وبينه
اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال
معروف اما انا لو واخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث
كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته
وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاه في الله لرسالتك ولمسئلته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت
وآمره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وآمره ان لا يخفي عني شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع
حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة
الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف
بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه عليه السلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم
الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسئلته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حيا وتواضع وامانة وكان عليه السلم اكثر الناس تبسما
وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلم • واما السمع فان تسمع كلامهم
متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم
وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون • واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم
الا بما يفهمون • واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد • واما الرجلان فان يمشي بهما وراءهم مشي الاتباع لا مشي
المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث
يقعد ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثنا فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية

والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما
صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا
وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه
درجة القائم الصائم وزيادة •

خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام العرب

ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك
في اوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك
اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي
والتثاوب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها • وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط
ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وساير ما يخصك ولا تتصنع
تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا
عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا
عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك
ولا تجث على ركبتيك واذا سكن غيظك فتكلم وان قربك السلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي
وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة
لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء • ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك
التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست
فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السايل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة
الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة
والا تتجشى بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه
ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان
اللبيب يحقد عليك والسفيه يجتري عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجري
السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد من الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السراير وتموت الخواطر
وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله
عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك الا غفر له ما كان من مجلسه ذلك •

الباب الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب
المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة • اما القرابة وهي اخصها او اخوة
الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحدة من هذه الروابط درجات فالقرابة
لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند
النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف
درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها
فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة
فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب
خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من
الاخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع
اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه صلى الله عليه سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا

رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزله هرون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة
وزاد عليه بمقاربة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد
روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله فاذن ليس قبل المعرفة رابطة
ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات فبينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق
كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلحة
ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه فنحن الآن نريد ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك
اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح **حقوق المسلم** هو ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس
ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب
لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في آثار واخبار وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك
ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم
وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح
قال اللهم اهده واغفر له وتب عليه ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمن بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه انه قال المومن للمومن
كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يوذي احدا من المسلمين لا بفعل ولا قول قال صلى الله عليه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه
في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها عن نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من سلم المسلمون
من لسانه ويده وقال صلى الله عليه اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المومن قال من امنه
المومنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام فقال ان يسلم قلبك لله ويسلم
المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فيقال
هذا بما كنت توذي المومنين وقال صلى الله عليه لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت توذي الناس وقال ابو هريرة يا رسول الله
علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يوذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له حسنة اوجب
الله له بها الجنة وقال صلى الله عليه لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل للمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه ان الله يكره اذى المومن
وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مومن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فالله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله
صلى الله عليه ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وعن ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك
بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجرة لمن يعرفه اكثر من ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله
عليه لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقال صلى الله عليه من اقال مسلما عثرته
اقاله الله يوم القيامة وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف عليه السلم بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عايشة رضي الله عنها
ما انتقم رسول الله صلى الله عليه لنفسه قط الا ان تصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال
صلى الله عليه ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر منهم ما
استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان
لم تصب اهله فانت اهله وباسناده قال قال صلى الله عليه راس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال
ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد
يكلمه الا اقبل بوجهه عليه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يوذن له انصرف
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون
ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه ان اراد لقا الجاهل بالعلم والاهي بالفقه والعيي بالبيان اذى وتاذى ومنها
ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف

بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بالاذن قال جابر
قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه مه فاين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه
من يوقره وهذه بشارة بدوام الحيوة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول العمر وقال عليه السلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد
غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وكان صلى الله عليه يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان
فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني
رسول الله بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان يوتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة والتسمية فياخذه
فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه
وان لا يرى والديه انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعدهم ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه على من
حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شي هين وجه طليق وكلام
لين وقال صلى الله عليه اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من
ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح
قال انس عرضت للنبي صلى الله عليه امراة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت
فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله ان يريه كيف يغوي الشيطان
الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله ارسلني
اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا
ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم
العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يوتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه
ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وقال صلى الله عليه يا ابا الدردا احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا
واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال الحسن اوحى الله تعالى الى آدم باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة
بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما
التي بيني وبينك فعليك الدعا وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسال موسى صلى الله عليه ربه فقال
يا رب اي عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان
عايشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجا سائل فقالت عايشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت
ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغني فقالت ان الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين
يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه عليه السلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس وامتلى فجا جرير بن عبد الله
البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله رداه فالقاه اليه فقال اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه فرمى به
الى النبي عليه السلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر عليه السلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه
حق قديم فليكرمه وروي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا باامي ثم اجلسها على الردا ثم قال
اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها
ووهب لها سهمانه بحنين فبيع من عثمان بن عفان بماية الف درهم ولربما اتاه من ياتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها
ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه الا اخبركم
بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه افضل الصدقة
اصلاح ذات البين وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي

أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على أخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق
من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان
فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن أعطى الثمن فيقول
أنت تملكه قال بماذا يا رب فيقول بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه
اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تبارك وتعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وقد قال صلى الله عليه ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال
خيرا وهذا يدل على وجوب الإصلاح لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه وقال صلى الله عليه كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب
الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها ومنها أن يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله
عليه من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة وقال صلى الله عليه لماعز لما أخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فإذا على المسلم أن يستر عورة نفسه
فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره وقال أبو بكر رضي الله عنه لو أخذت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو أخذت سارقا لأحببت أن
يستره الله وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا
وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا يقام عليك الحد إن الله لم
يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال علي مثل مقالته وهذا يشير إلى
أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الإخبار خيفة من أن لا
يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي علي إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها الزنى
وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وإن علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف
عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه
بتضييق الطريق في كشفه فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث أن الله إذا ستر على عبده عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها
في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي إذ ظهر
لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال أتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن
أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر
وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه لمعوية إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه يا معشر من آمن بلسانه
ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو
كان في جوف بيته وقال أبو بكر رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم
كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود إذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره
ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد ارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرطق فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال عمه فقال عبد الله ما
أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الخربة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه الحد أن يقيمه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال
إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه أتي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لا تكونوا
عونا للشيطان على أخيكم إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله
غفور رحيم وفي رواية كأنما سفي في وجه رسول الله رماد لشدة تغيره وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت
رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يا أمير المؤمنين
فلا تعجل علي إن أكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال ليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها وقد تسورت علي وقال الله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام فقال عمر هل عندك من خير إن عفوت عنك قال
نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لا أعود لمثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى الله
عليه يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول إن الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا فيقول
نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب

حسناته وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى
إلا المجاهرين وإن المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه من استمع خبر قوم هم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة
ومنها أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان
شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه كيف ترون من يسب أبويه فقالوا
وهل من أحد يسب أبويه فقال نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه وقد روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه
رسول الله فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم وزاد في رواية إني خشيت أن يقذف في قلبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما إنها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر
من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة
فقال يا أمير المؤمنين إنها امرأتي فقال هلا حيث لا يراك الناس ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة
ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أوتى وأسأل وتطلب إلي الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله
على يدي نبيه ما أحب وقال معوية قال رسول الله صلى الله عليه اشفعوا إلي تؤجروا وإني أريد الأمر فأؤخره كي تشفعوا إلي فتؤجروا وقال صلى الله
عليه ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وروى
عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي صلى الله عليه للعباس ألا تعجب
من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فإنه أبو ولدك قالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل
فقال لا إنما أنا شافع ومنها أن يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام
فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال صلى الله عليه ارجع فقل السلام عليكم أأدخل
وروى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وقال أنس خدمت النبي
عليه السلام ثماني حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك
يكثر خير بيتك وقال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا
حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال أفشوا السلام بينكم وقال أيضا إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه
الملائكة سبعين مرة وقال عليه السلام الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم
واحد أجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فأعطى الله عز وجل هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو مسلم الخولاني
يمر على قوم فلا يسلم ويقول لا يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة أيضا سنة مع السلام جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه
فقال سلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر وقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
ثلثون وكان أنس يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن رسول الله فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام أنه عليه السلام مر في المسجد يوما وعصبة
من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده للحكاية وقال صلى الله عليه لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم
في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدؤوهم بالسلام وإذا لقيتموهم
في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه وقالت عائشة رضي الله عنها إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام
عليك فقال النبي عليكم قالت عائشة فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء فقالت عائشة ألم
تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام
لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالأكف قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام إذا
انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة وقال أنس قال صلى الله عليه إذا التقى
المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول إذا التقى
المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال أبو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه قبلة المسلم أخاه المصافحة ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا وروي عن ابن عمر قال قبلنا يد النبي
صلى الله عليه وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه فقبلت يده وروي أن أعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل
رأسك ويدك فأذن له ففعل ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب أنه سلم

على رسول الله وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه ورد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما • وعن النبي صلى الله عليه انه قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم واطيب او قال وافضل • والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر رضي الله عنه بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلموا من كراهته لذلك وروى انه عليه السلم قال مرة اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم وقال عليه السلم من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلم لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون من ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه وروى انه سلم رجل على رسول الله وهو يبول فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام فانه قال رجل لرسول الله فقال عليه السلم ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله • ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الآخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا وسلمت ام هاني فقال مرحبا بام هاني • ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله فرد عنه رجل فقال النبي عليه السلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة • وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تبارك وتعالى بها في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته • ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العلمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم • وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت • وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المؤمن اذا عطس ثلثا فان زاد فهو زكام وروى انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم • وروى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وروى خمر وجهه • وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي عليه السلم في الصلوة فقال الحمد لله على كل حال فلما سلم النبي قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال ابو موسى الاشعري كانت اليهود يتعاطسون عند رسول الله رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال عليه السلم العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة فلا بأس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلم يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال • ومنها انه اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في معنى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله فقال عليه السلم ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه • وفي الخبر ماوقى

المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له مخرجا • ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين • وكان سليمن عليه السلم في ملكه اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا • وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلم احب اليه من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار كل ما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو في التورية يا ايها المساكين • وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضا المساكين عنك • وقال عليه السلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء • وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم • وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا • واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة • وقال عليه السلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة • وقال عليه السلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه • ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال عليه السلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا رأى به شيئا فليمط عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال عليه السلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال تمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن وان تفرج عنه غما او تقضي عنه دينا او تطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يوم القيمة يحمي لحمه من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم • وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله عز وجل وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة • ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة قال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال عليه السلم اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤوه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه • وقال عثمن رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا • ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احديهن ويستحب للعليل ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها ويشتري به عسلا فيشربه بماء السماء فيجمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك • وقال عليه السلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى • وروى انه عليه السلم قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال عليه السلم اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء • ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان وفي الخبر

القيراط مثل احد • ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة • والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين
والاعتبار وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له • وخرج
مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد
الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم • ونظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال
ثلثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد
يتبعه اهله وماله ويبقى عمله • ومنها ان يزور قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا الا
والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال
ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنت في ان استغفر لها فابى علي فادركني
ما يدرك الولد من الرقة • وكان عثمن رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان
نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت
الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري • وكان ابو الدرداء يقعد الى
القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع
لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون
ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده
حفرة من حفر النار • وكان ربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة نزل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى
القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم
ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث
وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة
بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة في ذلك ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا
فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله الآن ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم
فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم
فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة
ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله
وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك
ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحدا وربما لم تجد ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في
العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله
يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا
تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص
على شخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رأيت منهم شرا
او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل قلبك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم
لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم
اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون
على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون يغرون
الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق
لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون
بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره

حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج
اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا لك فهذه جملة آداب العشرة مع اصناف الخلق

اما حقوق الجوار فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم
الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم
واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد
قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلام ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيامة جاران
وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال
له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه • وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها
فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل الى النبي عليه السلام يشكو جاره فقال له عليه السلام اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق
قال فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقولون آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود
وروى الزهري ان رجلا اتى النبي عليه السلام يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون
هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس
فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه
ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه • واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا
قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة
ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني • وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا
بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت
الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال
ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر المشاركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته
ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر
ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا
يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين وقد
قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استغاث بك اغثته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات
اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له
فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا
يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ
شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه
سيورثه • وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك • وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا
فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها • وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل
بابه والآخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه • ورأى الصديق رضي الله عنه ولده عبد الرحمن
وهو يماظ جاره فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل المجاور
ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه فلعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا
يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف
في الجمع بين الحقين • وقالت عائشة رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله
تعالى لمن احب صدق الحديث وصدق الباس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب
وقرى الضيف وراسهن الحياء • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة • وقال عليه السلام

ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء ● وقال عبد الله بن عمر قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت
فقال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت ● وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له
جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين
بها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه **حقوق الاقارب والرحم** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته ● وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه
فليتق الله وليصل رحمه ● وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل
المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال صلى الله عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمى اموالهم
ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقالت اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة
افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها فقال نعم صليها وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء
البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم ● وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين
صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ● ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في
سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال صلى الله عليه وسلم وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم
الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك ● وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا
الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث ذلك الوحشة وقطيعة الرحم
حقوق الوالدين والولد اعلم انه لا يخفى اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال
صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج
والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال عليه السلام من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان
واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما
وقال صلى الله عليه وسلم الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال بر امك واباك واختك
واخاك ثم ادناك فادناك ● ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا
وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال
صلى الله عليه وسلم ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير
ان ينقص من اجورهما شيء ● قال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي
من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ● وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة
اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ليس لي
والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ● وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق
بسوء عمله وقال عليه السلام ساووا بين اولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال انس قال صلى الله
عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة ضرب
على الصلوة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال
صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال
قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعده وجاء
رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس
النبي عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم ● وقالت عائشة رضي الله عنها

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسل وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفيه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية
وتعثر الحسن وهو على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ● وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه
الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني كان قد
ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له
يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المومنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم
وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت
علي واني لمملوء غيظا وغضبا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف
درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر ● فهذه هي الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرفه بما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة
آكد من حق الاخوة بل يزيد هاهنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك
عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج
الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم
ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد
فقال عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك
خير ما تلقى الله به بعد التوحيد ● وجاء آخر الى النبي صلى الله عليه وسلم يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجلها وجاء آخر وطلب
البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده
وقال عليه السلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهله فليؤذن في اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه
في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله
ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله
ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة ● وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابي هريرة انه
رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه
وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله
وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينا هو جالس في داره
اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها انت
حرة لا باس عليك ● وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد
ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على راس
سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله عز وجل قال وما قال الله قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت قالت والعافين
عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله عز وجل يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله ● وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول
الله ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله امسك
يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت
وجهك النار ● وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران
فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي اول ثلثة يدخلون الجنة واول ثلثة يدخلون النار فاما اول ثلثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك
احسن عبادة الله ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال ● واول ثلثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور
وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله فالقيت السوط فقال
والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه

صنيعة طعامه فكفاه حره وعلاجه ومؤونته وقربه إليه فليجلسه فليأكل معه أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل
على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية
فعالها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك
أن يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو جنايته
في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا
يسأل عنهم رجل فارق الجماعة أو عصى إمامه فمات عاصيا فلا يسأل عنه وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها
وثلثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله في ردائه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله

آخر كتاب الصحبة والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأهل بيته الطاهرين وسلم تسليما

كتاب العزلة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة
آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري
فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش به عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته والصلوة على محمد سيد أنبيائه
وخيرته وعلى آله وأصحابه سادة الحق وأئمته أما بعد فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى مع أن كل واحدة
منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة
من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ونحصل ذلك
برسمه بابين **الباب الأول** في نقل المذاهب والحجج فيها **الباب الثاني** في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين فيه أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر
هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان
الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان للتألف والتحبب
إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة
وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل
إلى العزلة أو المخالطة وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده
عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل
كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني فقال
صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رضي الله عنه كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى
اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء
تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وكان قد لزم البيت فقال كنت وأنا شاب
أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا
شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذر أن يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الإخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان
يقول لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله عز وجل وقال الفضيل إني لأجد
للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يعودني وقال أبو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر

فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع وقام فدخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته وكان سعد بن أبي وقاص
وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله
الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا
ودخل على حاتم الأصم بعض الأمراء فقال له ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال أن لا تراني ولا أراك وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا
فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل بن عياض إن عليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال
يا ويح علي أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس أفضل المجالس مجلس
في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة **ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها** احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فألف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف
المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا
تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا أيضا ضعيف فإنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق
الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه أو طلبا للسلامة من غيره واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة فمات ميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة
الإسلام وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار
الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه
وسلم عن الهجر فوق ثلث إذ قال من هجر أخاه فوق ثلث فمات دخل النار وقال عليه السلام لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلث والسابق يدخل الجنة وقال
من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه وقالوا العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة
المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجرة فوق ثلث جائزة في موضعين أحدهما أن يرى فيها استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني أن
يرى لنفسه سلامة فيها والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عن عمر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث
تسعا وعشرين فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعة وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعة وعشرين وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه
حيث قال هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا
شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة
وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة احتجوا بما روي أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به إلى رسول الله
فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاما والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة
وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة أنه قال غزونا على عهد رسول الله فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت
الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكر لرسول الله فقال عليه السلام لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلوته في أهله ستين عاما
ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة احتجوا بما روى معاذ بن جبل
أنه عليه السلام قال إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد
وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي أن ذلك منهي عنه إلا لضرورة **ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة** احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم وأعتزلكم
وما تدعون من دون الله وأدعو ربي الآية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا أشار إلى أن ذلك
ببركة العزلة وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين وعند اليأس عن إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما
فيها من البركة إذ روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه
المطاهر التماسا لبركة أيدي المسلمين وروي أنه لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فإذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم
يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب
أنظف من هذا من جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه فإذا كيف يستدل باعتزال
الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون وإنه فزع إلى العزلة عند اليأس

منهم وقال في أصحاب الكهف وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته أمرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار عند اليأس منهم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المؤمنين • واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وأمسك عليك دينك وابك على خطيئتك وروي أنه قيل له صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العبد التقي الخفي • وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا إشارة إلى شرير بطبعه يتأذى الناس بمخالطته وقوله إن الله يحب التقي الخفي إشارة إلى إيثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا اشتهار فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة • احتجوا بما روي أنه عليه السلام قال لأصحابه ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها •

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا أن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء • وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته وإلى التخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشوه خلقته فإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الأولى الفراغ للعبادة والفكر والأنس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة إليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله والذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر رضي الله عنه خليله فأخبر صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق في حب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي يدهمه ملمة تشوش عليه أمرا من أمور دنياه قد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى لأكثر الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكر وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المغفرة • وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله عز وجل إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا أحببت أن أناجيه صليت • وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بهم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس بالله • وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن رآني يقول موسوس أو

جمال أو ملاح • وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك قال إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي • وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه • وقيل بينما أويس القرني رضي الله عنه جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره • وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيء من يشغلني عن ربي • وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة • وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه • وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره • وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة واستتر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك فقال يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله عز وجل أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وآلفه الوحدة والانفراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان • فإذن في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفيه قيل

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا • وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس في السر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة • وقيل الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس فإذن هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله وبدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي توجبها الحرص على الدنيا أما الغيبة فإذا عرفت في كتاب آفات اللسان من المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من استيحاشهم في الخلوة فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد المغتابين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر وربما جره طلب الخلاص منها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص منه فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنكم تضعونها في غير مواضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول إذا رأوا الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله يسأل العبد حتى يقول ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف إثارة الخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت في آثاركم من نصيحة • وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة استقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج برأسك وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز منه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا وإن جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله عليه وسلم إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه

وهؤلاء يوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة
بالسؤال عن الاحوال فتقول كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض وقال ابن مسعود ان الرجل ليخرج في
بيته فيلقى الرجل له اليه حاجة فيقول كيت وكيت فيمدحه فعسى ان لا يحظى من حاجته بشيء فيرجع وقد اسخط الله عليه وما معه من دينه شيء قال سري
السقطي لو دخل علي اخ فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكون في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ فقال له ما جاء
بك قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالموحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك
وقال بعض العلماء ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به • ودخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني
بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات
اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن
احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط
والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا
بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني • وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا
وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار • وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا
الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا • وقيل لاويس القرني رضي الله عنه كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري
انه يمسي • وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد • وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت فقال اصبحت لا ارضى
حياتي لمماتي ولا نفسي لربي • وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس • وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت
قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة • وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في
عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه • وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا
موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة • وقيل لحسان بن سنان ما حالك فقال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال
ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال
خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسأل احدا عن حاله ابدا • وانما فعل ذلك لانه خشي ان
يكون سؤاله من غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سألوا عن امور الدنيا
فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة قال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه
واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك
انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك
عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطلق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك
اذا سلمت والله القلوب فاما الآن كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاؤوا
غضبوا علينا وان شاؤوا لا • وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه
وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمن الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه
غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع التصنع
والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه
واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم
فهو داء دفين قلما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته
لادرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما
الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه
ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في
ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر
نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى العبادة بعين الاستحقار

الثاني

وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله
واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير
والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة تعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس
ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير
ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم
من نظمه وهو انه عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والاعراض
عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل
وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس
السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح تعبق بالثوب ولا تشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال
مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لا يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها
غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها والاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين
تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد
ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة
وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما
ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطأ يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم
يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهي من دقائق مكايد
الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال
مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال يا راعي اجزر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها
فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة فهذا مثاله ايضا • ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان
اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج صلوات عن
اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة تقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان
كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا
من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس
ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها
وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك
عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه
واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من جليس السوء ومهما فهمت
هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك
ان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احداهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل

الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات
وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رأيت
الناس مرجت عهودهم وضعفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة • وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك
ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال
سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل
ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا
بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا فكيف ذلك

استعظامها

آخر بن شاة

يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة • وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل على داري قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمومن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضا فبينما هم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسعدوا جماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن • وعن ابن عمر رضي الله عنه انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الف فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الايمة • ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوايد العزلة **الفايدة الرابعة** الخلاص من شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفا بها وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة الشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكما لغيره اعلمك بيتين خير من عشرة الف درهم فقال ما هو فقال

اخفض الصوت ان نطقت بليل • والتفت بالنهار قبل المقال • ليس للقول رجعة حين يبدو • بقبيح يكون او بجمال

ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غايلة وراه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي • اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه • وصدق ما يعتاده من توهم • وعادى محبيه بقول عداته • واصبح في ليل من الشك مظلم • وقيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار • وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه ومن يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار العزلة فقال ابو الدردا اخبر تقله وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم • ثم بلاهم ذم من يحمد • وصار بالوحدة مستانسا • يوحشه الاقرب والابعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من الخليط السو • وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة • وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دوا يتداوى به فصاروا دا لا دوا له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندما وكان بعضهم لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر • وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وهو ايضا من اوليا الله فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال الحسن ويحك دعنا نتعايش بستر الله عز وجل اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فايدة اخرى في العزلة وهو بقا الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وساير العورات وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة • ولكن عارا ان يزول التجمل

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها قال ابو الدردا كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر • وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد موته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني رايت ما اكره الا ممن عرفت • وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يوذي وهو خير من الجليس السو • وقيل

لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السو • وقال ابو الدردا اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مومن الا خربوه • وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفايدة الخامسة** ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم فاما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوايد فان رضى الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها العوايق ويستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقا كثرة الغرما وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب • فان الدا اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب

وقال الشافعي رضي الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام • واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فايدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنيا فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقرا فاسترحت • وحكي ان المزني رحمه الله عليه خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من يشاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مويدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي

اذا كان باب الذل من جانب الغنى • سموت الى العليا من جانب الفقر •

اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفايدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلا والحمقى ومقاساة حمقهم واخلاقهم فان روية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر ان من سلبه الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني روية الثقلا وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل فغشي علي وقال جالينوس لكل شي حمى وحمى الروح النظر الى الثقلا وقال الشافعي رضي الله عنه ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الآخر وهذه الفوايد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غيرها لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة **الفايدة الاولى التعليم والتعلم** وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم وراى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها ولا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم • واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان

القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك في الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل
ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستمال به العوام في معرض الوعظ او لجدال معقد
يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا
الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله
ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر
الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقها يتعلمون العلم لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين
منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار
اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبيا والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر
في الحال اثر في المال فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا
الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به
في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما لا يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في
كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون
وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم
فآفة العلم الخيلا كما قاله صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول
اني اشتهي ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا
فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث
قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز
بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد
صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعدا السر اذا لقوك تملقوك
واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم
العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك
دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم
وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة فهذا معنى
كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه يهدي تحفة
اليه ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد
الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه
ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان ساوى بينهم مقته
المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه
السفها بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبتهم في الآخرة ويفرقه في العقبى والعجب انه
مع هذا البلا كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع
رسول الله وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من
تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقها
الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم اعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتدا بهم واقتفاء لآثارهم
ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلما فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دوا

الفائدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك
العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له
اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة

للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به
لذكر الله اعني من جعل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن وهم وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم
بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له
من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل
به غيره البتة

الفائدة الثالثة التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس
وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته
ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء
الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله وكان هذا هو المبدا في الاعصار الخالية والآن فقد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال
سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية
هذه فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية
الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع بها المراحل ويطوى
على ظهرها الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر
بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورمحها ورفسها وهي لعمري
فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وتراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من الم الشهوات في الحال تحصل
بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بهذا كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا
حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن
فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون له من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة
آخرا واما التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه
حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والريا ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الرياسة من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من
طلبة العلم ولذلك نرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل
احدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي واثبات

الفائدة الرابعة الاستئناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ
النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بموانسة من لا يجوز موانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس
بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح
القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى
اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف
الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين
ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني
المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته
فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال
القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح
نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض اوقات النهار ربما يكون
افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس ثم ليجالس

الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين واما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة ايضا في سائر الصلوات
لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاك
والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب او يهنوه
على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من العلما واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن

ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد تترجح العزلة وقد تترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة من المخالطة التواضع** فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له انك لم تبلغ رضاي فخرج الى الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الآن قد بلغت رضاي • فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر او لا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب دارهم وطريقهم وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي بغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده ويقول ـــ لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله • وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلوات الله عليه يشتري الشيء فيحمله الى بيته فيقول صاحبه اعطني فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان الحسين بن علي رضوان الله عليهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين • الوجه الثاني ان الذي يشغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغني عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضى الناس غاية لا تنال فرضى الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس من سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل • من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره وينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال الشافعي ليس من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان هذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شيء لم اصطنعه لنفسي فكيف افعله بك • واوحى الله سبحانه وتعالى الى العزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا او فكرا او عبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صور منجيات •

الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام

تفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق اذا حبس عن الاسترسال وكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب بذلك نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير والمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائمة وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ تتعدى فائدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل هو كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الموضع فلنرجع الى المقصود • فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رضي الله عنه هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ـــ ابو عبد الله الجلا وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقير وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال ـــ آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك • وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى • والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت لاحدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثل نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم وآخر يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن آخر انه خمسة اقدام وآخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة • فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول ـــ انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في

الارض فلا بد وان تنبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى البعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته وارضه واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالح او جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله ورحمته عليه كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله • وكل متجرد لله في جهاد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال لصحابته رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

اخر كتاب العزلة والحمد لله رب العلمين وصلواته على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا •

كتاب آداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح من مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر • والصلوة على محمد سيد البشر وعلى اله واصحابه المقتفين لاثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا • اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه او الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس •

ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام •

الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه عظيم الخطر لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطعت فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والافاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وبقوله وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون • فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي طريق الاخرة وكان له في سفره شروط واداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشياطين وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الاخرة ونحن نذكر ادابه وشروطه في بابين •

الباب الاول في الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله افات كما ذكرناه في كتاب اداب الصحبة والعزلة والفوائد

الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها • واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه • واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وتطوافه في نواحي الارض • والعمل اما عبادة والعبادة هو الحج والجهاد والزيارة ايضا من القربات ويقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فيزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه في نفسه او بايات الله في ارضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع وفي خبر اخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة • وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله حتى سمعوه وقل مذكور في اهل العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنده بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير • وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق • واما ايات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد فاما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون وعن ايات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك فيه الانسان ساير الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورايي • وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله بالوحدانية هو توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمن صلى الله عليه مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسمع كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخط الالهي على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من احاد الذرات فما له والتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي بالابصار مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دايبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرايب ان يدأب في الطواف احاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرايب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السايرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده

فيرشده الى سوآء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السالكون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر ممن الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب • واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحذر • يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين **القسم الثاني** وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبيا وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلما والاوليا وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا لا فرق بين زيارة قبور الانبيا والاوليا والعلما في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة الاحيا طلب بركة الدعا وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلما والصلحا عبادة وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتدا بهم والتخلق باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية ان ابعد اميال زر اخا في الله • واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلثة وسوى الثغور للرباط فيها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلثة وقد ذكرنا فضايل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كثير خرج عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمن ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعبا بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما تقوى به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده شي منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثاله تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضا فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن • قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقلت وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك عن قرية ان فيها رخصا فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلا السعر • وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتا فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحة في التوكل وسياتي اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل **القسم الرابع** السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او المال كغلا الاسعار او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض المواضع بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوايد واستحبابه ولكن يستثنى عنه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب مرة ويأتي اخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فنا امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد

كالمرابط في

والمقيم عليه المحتسب كالمجاهد في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف • وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شي هو لك فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك الصلوة عمدا فقد بريت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم في الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون • والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلما وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نية الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور • واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السوال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت • واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فيضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتدا والاقامة هو المعينة على العمل بالتعلم في الانتها • واما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في حق الاقويا فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته ويستفيد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطايف الافكار ودقايق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طرق الكسب واستلانوا جانب السوال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وادبانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الريا والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السوال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمريد نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سودا تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقايق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلا بغضا الله فان الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير ريا ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم • واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح فمهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقها من حيث انه اتعاب نفس بلا فايدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا بهذه الحظوظ خسيسة ولا باس باتعاب حيوان خسيس بما يليق به ويعود اليه فهو المتاذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسايحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج بالبلاد كالبهايم المترددة في الصحاري فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسوال عن اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة

عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخرى وراء الصلاح ومن أقل أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه
العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص
لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله حرم عليهم
الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم وأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه
بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم ما لا يحبه أهل بيت رسول الله ولو علم أنه
كاذب لم يعطه شيئا فأخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه
عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا
آكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه
ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رأيه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمور دينه
فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن
هذه الغائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق
الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير
بل اعتقدت أني شر الخلق ومن شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه بهذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم
استحلاله للأخذ ولكن هاهنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم
لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والإطراء فكم من ذام لنفسه وهو
لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف
للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله يعلم أن مخادعته لله أو مخادعته
لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته **الفصل الثالث في
آداب المسافر** من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي إحدى عشر أدبا **الأول** أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته
وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره
ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام ومن إظهار مكارم الأخلاق فإن السفر يخرج خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة السفر يصلح
لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه
والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل
ثلثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالإحسان إلى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن
لا يجاوزه إلا بإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير فحش ومعصية ليكون
ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** أن يختار رفيقا ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا
نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى عليه السلام عن أن يسافر الرجل وحده وقال الثلثة نفر
وقال إذا كنتم ثلثة في سفر فأمروا أحدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا أحسنهم أخلاقا
وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الانقياد وطلب الموافقة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا
نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا من الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا
انتظم التدبير وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وعن أمير خاص كرب
الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه
وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أم أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي
علي على ظهره وأمطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأسه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل
إن الإمارة مسلمة إليك فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني لو مت ولم أقل له أنت الأمير فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد
قال صلى الله عليه خير الأصحاب أربعة وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو
عن رحل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا

يخلو عن خطر وعن ضيق القلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل واحدا ولا يخلو عن الخطر ولا عن ضيق القلب
فإذا ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة ولا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد
الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفاقة
الخاصة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** أن يودع رفقاء الحضر والأهل
والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة فلما أردت أن أفارقه
شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك
وخواتيم عملك وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في
دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك
للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودع الله الذي لا يضيع ودائعه وعن أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي عليه السلام وقال
إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت شك فيه الراوي
وينبغي إذا استودع الله ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له
فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج
وتدعني على هذه الحال فقلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار
فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله إنها كانت صوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام
يدب فقيل لي إن هذا وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب **الرابع** أن يصلي
قبل السفر صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أم أخي أم ابني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف عبد في أهله خليفة أحب
إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك
فاخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله **الخامس** إذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله
لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت
وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى
واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت
الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور **السادس**
أن يرحل من المنزل بكرة روى جابر أن النبي عليه السلام رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها ويستحب أن يبتدئ بالخروج
يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس وروى أنس أنه صلى الله عليه قال اللهم بارك
لأمتي في بكورها يوم السبت وكان عليه السلام إذا بعث سرية بعثها أول النهار وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه قال اللهم بارك لأمتي في بكورها
يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول اللهم بارك لأمتي في بكورها ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب
وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكفه على رحله غدوة أو روحة
أحب إلي من الدنيا وما فيها **السابع** أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون أكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه عليكم بالدلجة فإن الأرض
تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما
جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين
ثم ليقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فإذا جن عليه الليل فليقل يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله
من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الأرض في وقت السير ينبغي أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال

ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الثامن**
ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه اذا نام في ابتداء الليل
في السفر افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من ذلك ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم
لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل مما يطلبه بسفره • والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهو السنة
ومهما قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله انه لا اله الا هو الى آخر الآية والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما
شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن
دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب
عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **التاسع** ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها
فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور
دوابكم كراسي • ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري
ويشترط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري • ومن اذى البهيمة
بضرب او حملها ما لا تطيق طولب به في القيامة اذ في كل كبد حرى اجر قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني
لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احدهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي
رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستأجر
الدابة بعقد صحيح لئلا يثير نزاعا يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع
المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك
وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن المكاري فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا
مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع **العاشر** ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر
حمل معه خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية اخرى عنها ستة اشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك
والمكحلة والمشط • وقالت ام سعد الانصارية كان صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة • وقال صهيب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر • وروي انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه كان يكحل اليمنى
ثلاثا واليسرى ثنتين • وقد زادت الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا
هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الاولون
يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء
في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها وهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة
ما يصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في السنن فمستحسن • وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارات وان المتجرد لامر
الدين لا ينبغي ان يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا تفارقه اربعة
اشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول ليست هذه من الدنيا **الحادي عشر في آداب الرجوع من السفر**
كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • واذا اشرف على
مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا
فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا
وينبغي ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا
مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح بها فيتأكد الاستحباب في تاكيد فرحهم واظهار التفات
القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة **فاما الآداب الباطنة** ففي الفصل الاول بيان
جملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى النقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه

ظهور

منزله بل ينزل حيث نزل قلبه وينوي في دخول كل بلد ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر انه
لقي الشيوخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين
فان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة
ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكما يدخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه
ولا يستاذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله فان ساله اجاب بقدر السؤال ولا يساله عن مسئلة ما لم يستاذن
اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائهم ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل
يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه
انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع • فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة
قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر متبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول فليرجع
اذ لو كان بحق لظهر اثره قال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه
واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والاشارة الى الذين لا يستفاد الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في
هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا • **الباب الثاني** فيما لا بد للمسافر من تعلمه من
رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما
يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام
معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا او يقدر على ان يكتفي بالحشيش فله ذلك وان لم تكن له قوة صبر على الجوع ولا القدرة
على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى بنفسه بيده الى التهلكة ولهذا اسرار سياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد
عن الاسباب بالكلية ولو كان ذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب
الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له وجود
اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين • واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في
طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر
والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد مكتفي بغيره من محاريب المساجد
واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين **القسم الاول** العلم برخص السفر والسفر
يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا
وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص **الرخصة الاولى** المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه
اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت
حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرائط **الاول** ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل
اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رضي الله عنه حتى ينزع خف اليمنى ويعيد لبسه **الثاني** ان يكون
الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية
فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف **الثالث** ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز له المسح
وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام مستمسكا على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت
والداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساتر الاسبل وبشرة القدم من ثقوبه وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشراج لان الحاجة
تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز له المسح
الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز **الخامس** ان يمسح على الموضع
المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلثة اصابع خرج من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح
اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤوس اصابع اليمنى من رجله
ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤوس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ومهما مسح
مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو

لبس الخف في الحضر ولم يمسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الاخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن الما عند العذر وانما يتعذر الما بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاد اهل المنزل في ترددهم لقضا الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الما عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الما قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الما بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش اخر من رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه للمرق حتى يطبخ به مرقة او احتاج اليه ليجمع به الكعك او يطبخ به اللحم لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الما وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشرا وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ما واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الما مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حول المنزل وتفتيش الرحال وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الما في رحله او نسي بيرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الما في اخر الوقت فالاولى ان ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الما بعد الشروع في الصلوة لم تبطل صلوته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب بكفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه قد ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما يشا بذلك التيمم وان اراد الجمع بين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد من الما ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما

الرخصة الثالثة في الصلوة الفريضة (المفروضة) في القصر وله ان يقتصر في كل واحد من الظهر والعصر والعشا على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضا فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهايم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التي يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست محوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شي نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران فان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه واما نهاية السفر فباحد امور ثلثة الاول الوصول الى عمران البلد الذي عزم على الاقامة بها الثاني العزم على الاقامة ثلثة ايام فصاعدا اما في بلد او صحرا الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه كان يتعوق عليه ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان تطول المدة او تقصر ولا بين ان يتاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلثة ايام او لغيره اذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلثة اميال وكل ميل اربعة الاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المراة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتال انسان او طلب ادرار حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا لغرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث

لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص

الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشا في وقتيهما فذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قول ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم متيمما ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجزه وان نوى الجمع عند التحرم بصلوة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها فاما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر ركعتان اللتان بعد الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداها على الراحلة كيلا يتعوق عن القافلة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشا والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقتها اما لنوم او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلوة قد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما تقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضا الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتضح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او تاخيره وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرايض الصلوات ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه ادا العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر

الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته ايما توجهت به دابته واوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في السجود والركوع الا الايما وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحنا الى حد يتعرض لخطر بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتدا الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلوته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلوته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايما

الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد فان ذلك يبطل فايدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلوة مستقبلا لان الانحراف في لحظة لا يعسر عليه (لا عسر فيه) بخلاف الراكب فان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلوة فيطول عليه ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلوته بخلاف ما لو وطيت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو عنها الطرق غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا وماشيا كما ذكرناه في التنفل

الرخصة السابعة الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضا بخلاف المفطر فانه في عهدة القضا وربما يتعذر عليه ذلك بعايق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه ثمانية رخص يتعلق ثلثة منها بالسفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح ثلثة ايام ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضا عند ادا الصلوة بالتيمم واما صلوة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلوة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا ادا الصلوة في الحال بالتيمم عند فقد الما بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاقول انه ان كان عازما على ترك المسح

والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شاطئ نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة واما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه لصلوة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذا للمسافر ان ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت ان لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلوته فاسدة وهي غير واجبة عليه فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلوة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا من الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما خف على المسافر في سفره

القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد وان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس مع وقت العصر فانها في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من قفاه او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطا من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا ان المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلوته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي قدر انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين واما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان تتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف

مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي بجهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روي ان اهل مسجد قباء كانوا في صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين بيت المقدس مستدبرين للكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوا ذلك على البديهة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق نظر الهندسة واما القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربع قوله صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروا ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق عن يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان يفرض ستة او سبعة او عشرة وكيف ما كان فما الحكم في الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له الا قدام وخلف ويمين وشمال وهي اربعة فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعة والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طوله وهو بعده عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالآخر ويحتاج فيه الى آلات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واشتبه عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر على ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا الفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة

واما معرفة الاوقات للصلوات الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال فكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع ولينصب خشبة مستقيمة وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعده بساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلوة وطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كانت مثلا ثلثة اقدام بقدمه فمهما صار ذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن

ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة
وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك
في البلد **واما وقت المغرب** فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في
الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب **واما العشاء** فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال
فيعرف بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة **واما الصبح** فيبدو في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا
يحكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع
كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه
بل الاعتماد على انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي
ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل يطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها
منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة
اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربع منازل الى طلوع قرص الشمس بمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب واذا
بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصبح الصادق
او الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القيام الوتر عليه ولا
يصلي صلوة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا او يقوم عقيبه يصلي
الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان
يصير الضوء منتشرا في العرض حتى تبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي
في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم
الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة وقال وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال
ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما
يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير
الصلوة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت وتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل
اوايل الاوقات لا اوساطها ۞ آخر كتاب آداب السفر والحمد لله رب العلمين وصلواته على محمد واله الطاهرين

كتاب السماع والوجد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ووقف
ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم
يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى
المحبوب سرائرهم فان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مهيج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم
الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم قد اقفلت
عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته والصلوة على محمد المبعوث برسالته
وعلى اله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم كثيرا ۞ اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها
كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع ولا منفذ الى القلوب
الا من دهليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح
الاناء الا بما فيه ۞ فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب
بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوادرها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان

ما فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما تطرق اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن
نوضح ذلك في بابين ۞ **الباب الاول** في اباحة السماع **الباب الثاني** في آدابه وآثاره في القلب بالوجد
وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه **بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه**

اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما
بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب
فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ۞ فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن
الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء رضي الله عنهم الفاظا يستدل بها على انهم راوا تحريمه وقد قال الشافعي في كتاب
آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست له
بمحرم لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقد قال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع
الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن
وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان
اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب
ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك ساير اهل الكوفة
سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ۞ ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال
سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان
قال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق
ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية
قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي
وذو النون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو
واللعب في السماع ۞ وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلثة اشيا فما نراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة
وحسن الاخاء مع الوفا ۞ ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده
في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها السماع وحكي عن واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم ابن بنت
منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن داود
حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم بن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد
ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر
فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه
الممدود ومد المقصور يحرم عليه فقال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاولياء
يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا رد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه ۞ وحكي عن بعض الشيوخ انه قال
رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء
وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا
ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن ۞ وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع
جدة على البحر فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي
صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله يستمع وابو بكر
يقول فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه ۞ وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلثة
مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يستمعون بوجد ويشهدون
حقا ۞ وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى بك يوم القيامة في جملة حسناتك او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات

لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض ولكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحة السماع • اما القياس فهو ان الغناء اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات • فاما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة والقبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها • واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته فكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب منها في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل مفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم صوت العندليب لانه ليس بقران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت تفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن

الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيرها واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما غيره فصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صور الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استاثر الله باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الادمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى عن هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلث علل **احداها** انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر **الثانية** انها في قريب العهد بشرب الخمور تذكر مجالس الانس بالشرب فهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي

فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى هذا ان مشاهدة صورتها تذكر بها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار اللذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشراب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه **الثالثة** الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا الات الشراب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم فيسقيهم وياخذون من الساقي فيشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك طوق الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء من لبس اهل الفساد فيها ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالصنج والعود والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل الة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بارباجها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الاية • فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي في العوارض المحرمة

الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت حسن والحان جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا • ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الاحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضي الله عنها •

ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابه كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله ... والموت ادنى من شراك نعله

• وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بواد وحولي اذخر وجليل •
وهل اردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل •

قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وكان صلى الله عليه ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول • هذا الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا واطهر • وقال ايضا مرة اخرى • اللهم ان الاجر اجر الاخرة • فارحم الانصار والمهاجرة وهذا في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله ولما انشد النابغة شعره قال له رسول الله لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله يتناشدون الاشعار وهو متبسم • وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم • وعن انس ان النبي صلى الله عليه كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هي الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة والحان موزونة

الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فقد يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثرا يستخف معه الاحمال

الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت الاحمال والمحامل اذا سمعت منادي الحدا تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباه فرايت في الخبا عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي فانه مكرم لضيفه ولا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني قال فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلث ايام في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت قط صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطير تقف على راس داود صلوات الله عليه لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص باختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع **الاول** غنا الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغنا وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثيرها تهيج الشوق الى حج بيت الله الحرام واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جائز ما لم تدخل فيه المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فهذا يحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا كانت الطرق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق **الثاني** ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي

فالا تمت تحت السيوف مكرما ... تمت وتقاسي الذل غير مكرم

وقوله

يرى الجبنا ان الجبن حزم ... وتلك خديعة النفس اللئيم

وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو **الثالث** الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقا والغرض التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما ولذلك نقول يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآرا عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به مطيع **الرابع** اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكا وملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم الآية والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضا الله وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكا والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكى آدم صلوات الله عليه وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلم محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكا بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يحزن ويحزن ويبكي ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان

ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه **الخامس** السماع في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح اذا كان ذلك السرور مباحا كالغنا في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة الولد وعند ختانه وعند حفظه للقرآن فكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النسا بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

فهذا اظهار للسرور بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة انها قالت رايت النبي صلى الله عليه يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا التي اسامه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها وروى مسلم والبخاري في صحيحيهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي صلى الله عليه عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وهو يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا التي انصرف وروي عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وكان ياتيني صواحبي فكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه قالت وكان عليه السلم يسربهن الي فيلعبن معي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت اوما سمعت انه كان لسليمان بن داود خيل لها اجنحة قالت فضحك النبي حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة دخل علي رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغنا بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغنا واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص **الاول** اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب **والثاني** فعل ذلك في المسجد **والثالث** قوله صلى الله عليه دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما **والرابع** منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور **والخامس** وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النسا والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه **والسادس** قوله صلى الله عليه وسلم ابتدا لعائشة اتشتهين ان تنظري فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما ابتدا السوال فلا حاجة فيه **والسابع** الرخصة في الغنا والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك **والثامن** ان رسول الله صلى الله عليه كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم ليقرع صوت الاوتار سمعه فيدل هذا على ان صوت النسا غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغنا والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهي ايضا مظنة السماع **السادس** سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجا الوصال فان الرجا لذيذ والياس مولم وقوة لذة الرجا بحسب قوة الشوق والحب للشي المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجا المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته

او سريّة فيصغي لغنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فيترادف
اسباب اللذة فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وهذا منه • وكذلك اذا غضبت عليه جاريته او
غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده
اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء • واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع
على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشبان في
وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن
العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع **السابع** سماع من احب الله سبحانه وتعالى وعشقه واشتاق الى لقائه
فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورٍ زناد قلبه ومستخرج
منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان
الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف
وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات
ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه
الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا
وانبساطا وانقباضا • ومعرفة السبب في تاثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن
لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب
الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة العلم بمعرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب
واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم
من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع
يدرك بحاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له • فاعلم
ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته والمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة
ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله جميل يحب الجمال ولكن
الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة
الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب • ولفظ الجمال قد يستعار ايضا لها فيقال
ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته انما يعنى به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل لهذه الصفات الباطنة استحسانا
لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة رضي الله عنهم حتى
يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته اجميل
هو ام قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل
عشق من لا يرى الخير الا منه بل لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك
بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار
حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا تتاكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق العشق عليه ظلما في
حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته • فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين
حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب
وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى يطيق كنه نور الشمس
ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق هذه الاشارات في كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ
ليس في الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره • فمن عرف الشافعي وعلمه
وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوزت
محبته الى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع

كان من حيث حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله غير متجاوزة الى سواه ومن حد العشق ان لا يقبل
الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما في الوجود او في الامكان • فاما هذا الجمال فلا يتصور له
ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجاز محض لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال
الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والانس
بل يجنب هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها
في حق الله تعالى اذا لم يكن موهمة معنى يجب تقديس الله عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ بل لا
يبعد ان ينشأ من مجرد سماع صفات الله وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه انه ذكر غلاما كان في
بني اسرائيل كان على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله عز وجل قال فمن خلق الارض قالت الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال
فمن خلق الغيم قالت الله فقال اني لاسمع لله تعالى شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وتمام قدرته فطرب له فوقع
بنفسه في الوجد • وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم
فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه
في بعض المواضع فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة السماع
وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة السماع **العارض الاول** ان
يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل
الغناء بل لو كانت المراة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها وسماع صوتها بالقرآن ايضا وكذا الصبي اذا كان يخاف فتنته فان
قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فاقول هذه مسئلة محتملة
من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيف الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع
بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال
وصوت المراة داير بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في
اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة من غير الغناء ليس بعورة
فلم تزل النساء في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على
النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم يؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس
عندي ويتايد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك
لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل
زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك والقبلة تدعو الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا
بالاشخاص **العارض الثاني** في الآلة بان تكون من شعار اهل الشرب او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة • فهذه ثلاثة انواع وما عدا
ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات • **العارض الثالث** في نظم
الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او ما هو كذب على الله او على رسوله او على اصحابه كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع
ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال • فاما هجاء
الكفار واهل البدعة فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه ويهاجي الكفار وامره رسول الله صلى الله عليه بذلك
فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح
انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان
نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على المعاني بطريق الاستعارات فالذي يغلب على قلبه حب الله يتذكر بظلمة الصدغ
مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش
لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني
الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك

نسخة: يتذكر بسواد الصدغ ظلمة الكفر

فقال اذا كان تجار الناس عشرة بحبة فما قيمة شرار ايم وكان واحد يجتاز في السوق فسمع انسانا يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له على ماذا
كان وجدك فقال سمعت كانه يقول اسع ترى بري حتى ان الاعجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها توازن حروف العجمية
فيفهم منها معان اخر فانشد واحد وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسئل عنه فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في العجمية
على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه
وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بان تتشوش
عليه عقله وتضطرب عليه اعضاؤه فاذا ليس في تغيير اعيان الالفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع باي لفظ
كان والذي غلب عليه حب الله فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة **العارض الرابع** في المستمع وهو
ان تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم
يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه
فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في
القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب
القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستأنف اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحته وتشحيذ سيوفه واسنته
والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به **العارض الخامس** ان يكون
الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كسائر انواع
اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة
بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام
فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروه كراهة
شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه
فيشتغل في سائر الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في الدين كالصلوة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان
الخال على الوجه ولو استوعب الخيلان الوجه لما قبحه فيعود ذلك الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره
بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات فان قلت فقد ادى مساق الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون
بعض فلم اطلقت القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او نعم خلف او خطا فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع بتفصيل ينشا
من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال ام حرام
قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو
من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض فلا يلتفت اليه فان البيع
حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم
وانما تحريمه بعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالي بمن خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغناء
من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن صنعه
كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه
يطرب في الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عند عائشة رضي الله عنها وقال
يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف
فاما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو
من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله
به ان عني به انه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة فيه ولا يحرم بل
قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله على الشيء والحالف فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر
والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد التحريم بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وانما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل
ما لا فائدة له فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا

قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب
الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه
لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست صناعة ذوي مروة وقد ترد شهادة المحترف
بالحرف الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار الائمة فان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم **بيان حجة**
القائلين بتحريم السماع والجواب عنها احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان
لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة رضي الله عنها ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني
للرجال في مجالس الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة الا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها
فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عائشة واما شراء لهو الحديث بالدين
استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الآية
ولو قرأ القرآن ليضل عن سبيل الله كان حراما حكي عن واحد من المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فنقول ينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكاء ايضا لان الآية تشتمل عليه فان قيل ان
ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهو ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به
شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه واحتجوا بما روى جابر انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع
بين النياحة والغناء قلنا لا جرم كما استثني عنه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن
والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثني غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهم عند قدومه صلى الله عليه بقولهم طلع البدر
علينا من ثنيات الوداع احتجوا بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث الله تعالى اليه شيطانين على منكبيه
يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة
وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله او السرور بالعيد او حدوث الولد او قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة
الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيل
اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود احتجوا بما روى عقبة بن
عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على
التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله
صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبته امراته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان
التفرج في البساتين وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل احتجوا بقول عثمن
رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول فليكن التمني ومس الذكر باليمين
حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين ثبت ان عثمن كان لا يترك الا الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم
كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع
الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول
يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنى
وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل
ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنى فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني
فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك
ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المهملجة وسائر انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع ينبت الرياء
والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق
اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من
المباحات واما قول ابن عمر الا لا اسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان

سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه
الاحتمال واما وضعه الاصبع في اذنيه انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع اصبعه لانه راى ان ينزه في الحال سمعه وقلبه
عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه وهو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم بل يدل
على ان الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا فالاولى تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الفراغ من الصلوة ثوب ابي جهم اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم
كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما كان العلم يشغله عن الصلوة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب
بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دايم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات
من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدايم فالانبيا على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة ● واما قول الفضيل
هو رقية الزنى وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع العشاق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ● واما القياس فغاية ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك
لكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النسا لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد
وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وعن الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان ان شا الله وكذلك
لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعبا الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت
وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في ساير الايام والمواظب على الصلوات
في ساير الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلوة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا
يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبيا عليهم السلم فاللهو دوا القلب عن دا الاعيا والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا
يستكثر من الدوا فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة
المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه
بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيات المقربين ● ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان ترويحها
بامثال هذه الامور دوا نافع لا غنا عنه م

الباب الثاني في آثار السماع وادابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع
وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلثة **المقام الاول في الفهم** وهو يختلف
باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال **احداها** ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات
وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة فيه وكذا ساير البهايم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات
الطيبة **الحالة الثانية** ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا واما غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون
تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنه **الحالة الثالثة** ان ينزل
ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب احواله في التمكن منه مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان
للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاوه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطا وله في مقصده طريق
هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر
او قرب او بعد او تلهف على فايت او تعطش لمنتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس او وفا بالوعد او نقض للعهد
او خوف من فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة
الوصال وغير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد وان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه
فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله
وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة
كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الصنم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات
ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي عن بعضهم انه سمع قول القايل يقول شعرا ● قال الرسول غدا نزور م
فقلت تدري ما تقول ● فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه
من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون

ربهم في كل يوم جمعة مرة ● وقد حكي الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على الدجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة
عليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول ● كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ● م واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة
يستمع فقال يا جارية بالله وبحيوة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادته فكان الشاب يقول وهذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة فمات
قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال
صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس
ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى وعجزه عن
الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله كانه يخاطبه ويقول
له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه ينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا
خطر له في السماع في حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث لا يتعلق
بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض
مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب ساير احوال العالم من الله وهو حق فانه
تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا
كله من الله ومن يصدر منه احوال مختلفة في اوقات متقاربة قد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة
محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير
ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف
الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل
السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب
الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء
بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ● فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية
مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ● ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه
الاكثرون فاما تادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقا والاسعاد مع بقا السعادة
والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلما الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلم لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال
الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلما لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن
السر الا ممن عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس ففي هذا الفن من السماع
خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوات فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا ههنا كفر ● واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب
الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما مصيب في الفهم والاخر مخطي او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف
احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول ● سبحان جبار السما ان المحب لفي عنا ● م فقال صدقت
وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصاير اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير متمكن من المراد بل مصدود
متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام محب غير مصدود عن
مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المال وذلك لاستيلا الرجا وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي
عن ابي القسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة وفيها انسان يقول
واقف في الما عطشان ولكن ليس يسقى ● م فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش
الى الاحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فما ذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرا
ولا يعطى منها ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة ورا الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع
الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش
اليها فان مكن منها تعطش لما وراها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت

ودادكم هجر وحبكم قلى وصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهره ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها في كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا ولا تخطبنها • ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها • ومكروهها مهما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا • وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنق الناس حسنه • ولكن له اسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان عالي الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كان قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله غير متناهي والوصول الى اقصى درجات القرب محال • المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خبث باطنه بالغرور فيها فيرى ذلك من الله فيستمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه **الحالة الرابعة** سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب اذا التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه الى رؤيته والى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من التذاذه ايضا انما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

ما زلت انزل في ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت وبقيت اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال هي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى الصفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فان حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ومثالها الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعبر عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر •

رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر

وهذه مقاصد من مقاصد علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذ كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد** اعلم ان للناس كلاما طويلا في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه **اما الصوفية** فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق • وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال بي السماع في ميادين البهاء

فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفاء فادركت به منازل الرضا فاخرجني الى رياض النزهة والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له السماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين • وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنده • وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية فيه من هذا الجنس في الوجد كثير **واما الحكماء** فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني • وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية • واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائل وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر زبرجها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس • والاقاويل المتفرقة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من نقلها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر يسمى وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف • ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير الحمل فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جهالتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت •

بطرزناباذ كرم • ما مررت به الا تعجبت ممن يشرب الماء •

فسمعت قائلا يقول •

وفي جهنم ماء ما تجرعه • خلق فابقى له في الجوف امعاء •

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر • وعن مسلم العباداني انه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة

طعاما فدعوتهم اليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قايل يقول رافعا صوته • وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع
قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكا القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفا القلب
يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه تمثل لارباب القلوب بصورة مختلفة وفي مثل هذه الحالة تمثل الملائكة للانبيا اما على حقيقة صورها
واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله
تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضماير
القلوب ويعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان
يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن وكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية
فساله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت انك مومن وان ايمانك
حق • وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة من الفقرا في الجامع فاقبل شاب طيب الرايحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي
فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاني واكب على يدي
واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه
فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ وتفرس في علمت انه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما وانما يحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات
المذمومة فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفا القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفا وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون
المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيئا فاذن له في ذلك فانشا يقول

صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا • وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا •

فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام
رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه
حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل
واحد منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن
حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في احوالك القريبة لهما شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك
الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه
التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة عند الله ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور
في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات • واما الحال فكم من انسان يدرك
في قلبه في الوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شي فيوثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو
يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه
وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا تصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر
الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة
بين الموزون والمنزحف ولا يمكنه عبارة عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له ففي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من
الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غنا مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة توثر في النفس تاثيرا عجيبا
ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجب والذي اضطربت نفسه
بسماع الاوتار او الشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانه تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك
للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق
اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه • فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر
ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعل نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي
وحده بحيث لم ير صورة النسا ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق
الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النسا فكذلك في نفس الادمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى

والفراديس العلا الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسما كالذي يسمع لفظ الوقاع واسم النسا ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل
ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه
مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق
الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى
ما لا يمكن • واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار
الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعا الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا
في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكا في قراة القران ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها
ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير التكلف بالاخرة طبعا وكل من يقرا القران ولا يحفظه تكلفا ويقروه تكلفا مع تمام التامل
واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد
انتهايه الى آخر السورة ويعلم انه قراها في حالة غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد شديد في الابتدا ثم تتمرن عليه يده فتصير الكتابة له طبعا فيكتب
اوراقا وهو مستغرق في النفس بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة
طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع
وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر في نفسه الاوصاف
المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعده الخلاص منه ولم يتخلص فكذلك حب الله
والشوق الى لقايه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة
احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس بالجلوس معهم في السماع وبالدعا والتضرع الى الله في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها
السماع ومجالسة الصالحين والخايفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين • فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على تحصيل
الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك فقد فزع
الى الدعا في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف
والى المطبوع • فان قلت فما بال هولا لا يظهر وجدهم على القران وهو كلام الله ويظهر على الغنا وهو كلام الشعرا فلو كان ذلك حقا من لطف الله ولم
يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران اولى به من الغنا فنقول الوجد الحق هو ما ينشا من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقايه
وذلك يهيج بسماع القران ايضا • وانما الذي لا يهيج بالقران حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب وقوله
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو
وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا والوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات
والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى الاشعري لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود • واما الحكايات
الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود خبر عن الوجد فان الشيب يحصل
من الحزن والخوف وذلك وجد • وروي ان ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك على هولا شهيدا فقال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه قرا هذه الاية او قري عنده ان لدينا انكالا وجحيما
وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق • وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل
الى بيته فلم يزل مريضا في البيت شهرا • وانه صلى الله عليه وسلم قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى • وكان عليه السلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر
والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى على اصحاب الوجد بالقران فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما نقل من الوجد بالقران عن الصحابة
والتابعين فكثير • فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات من غشيته وكان زرارة بن اوفى من التابعين يوم الناس
بالرقة فقرا فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وابو جرير من التابعين قرا عليه صالح المري فشهق ومات • وسمع الشافعي
قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فغشي عليه • وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه
فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي

خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر وجهه وارتعد
فكان يقول بمثل هذا تخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا
رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤوا عليه تلك الآية فقرئ فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب كان عماه من
اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله الجنيد قول الشاعر
وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها ● وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم
يوم الآزفة الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه ● وكان ابراهيم بن ادهم اذا سمع احدا
يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ
وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات ● وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده
فاحبه سلمان وفقده فسال عنه فقيل له انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي كانت مني
فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله قد غفر لي بها كل ذنب وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت
اردّدها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى السماء منذ خلقوا ● وقال ابو علي المغازلي
للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك
من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهي شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري
من الحول والقوة في التوجه اليه ● وبالجملة لا يخلو اصحاب القلوب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل
خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين
فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات ● فان قلت فان كان سماع القرآن
مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقرئين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين
وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله افضل من الغناء لا محالة ● فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من
القرآن من سبعة اوجه **الاول** ان جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى
عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله والذين يرمون المحصنات
وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعراء
اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي عليه حال غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء
ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت
المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف
والجزع او يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله تعالى على عباده وشفقته بان تولى قسم مواريثهم
بنفسه نظرا لهم في حياتهم ومماتهم فيقول اذ نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا
وسرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الآخرة كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا
قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة للمعاني
البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها ● روي انه كان ابو الحسين النوري
مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسالة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم ● شعر

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن ● فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
● ولقد تشكو فلا افهمها واذا اشكو فلا تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني ● قال فما بقي في القوم احد الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا
فيه وان كان العلم جدا وحقا **الوجه الثاني** ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية
يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في دفعات متقاربة من

سلمان صح

خ قد اشكو فما افهمها
قد اشكو فلا تفهمني

الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت آخر تجدد له اثر وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة
الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه
وكله محفوظ ومتكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم
قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلوب اجلاف من الاعراب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار
على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة سماعه اذ محال في العادة ان يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم
بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الآخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مالوف انس
يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم
حاجا فراى بيت الله اولا بكى وزعق وربما يغشى عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذا المغني يقدر على الابيات
الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة **الوجه الثالث** ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون
الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن
تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن
اذا مؤثر ولذلك طاب الشعر ● **الوجه الرابع** ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف
تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن
التلاوة الا كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر
الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين وسائر الاصوات التي لا تفهم ● **الوجه الخامس**
ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا
يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد حظ في التاثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها
عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو
عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال
الجنابة ولا على غير الطهارة ولا يقدر على الوفاء بحرمة القرآن في كل حال فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب
بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال
او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ● ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها
جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد على معرض الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولينه
وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا تعذر بسببه تقوية
الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة
الى الغناء **الوجه السادس** ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل
حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف
وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة
كلام الله من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم وحتم واجب ولا يجد الخلاص منه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز
تنزيل كلام الله الا على ما اراده الله واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا لموافقة الحال فيجب
توقير كلامه تعالى وصيانته عن ذلك ● هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن القرآن وههنا وجه سابع ذكره
ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك وهو ان القرآن كلام الله وصفته وهو حق لا تطيقه القوة البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه
الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع
ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من
اللطائف والاشارات شاكل بعضها بعضا فكانت اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية
باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد
اولى من انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره ● وقد حكي عن

ابي الحسين الدراج انه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت اسأل عنه فكل من سألته قال
ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى
دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين
قلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا
وجارية كان يقعدك ذلك عن المجيء فقلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي اتحسن ان تقول شيئا قلت نعم قال هات
فابتدأت اقول

رأيتك تبني دائبا في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كأني بكم والليت افضل قولكم ... الا ليتنا كنا اذ الليت لا تغني

قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق
من صلوة الغداة هوذا اقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قام علي القيامة بهذين البيتين. فاذا القلوب وان كانت محترقة في حب الله
يهيج منها البيت الغريب ما لا تهيج تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر
واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومناهجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون
المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن ان تترنم بشيء فقال لا قال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له
قلب وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا حكم المقام
الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب فلنذكر الآن اثر الوجد الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء
وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول

المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم

اما الآداب فهي خمس جمل **الاول** مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلثة اشياء والا فلا تسمع الزمان
والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او صلوة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى
مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك والاخوان
فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر للسماع متزهد الظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر
متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات
فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع **الثاني** وهو نظر الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم
السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع ثلثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا
الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق
السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن بقي فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات
والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال
الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف
اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله على ما يجوز ولا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي
هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا
وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه
فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رأيت ابليس في المنام فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع
ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رأيته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد
صدقت **الادب الثالث** ان يكون مصغيا الى ما يقوله القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما
يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم
بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاوب يجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن
التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير
اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع على القرب
وجده ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق
فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق

يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه
او قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول
اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالة ليست فيك شر من
ان تغتاب ثلثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم
الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون
لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم
وجده ومن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق
رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني
القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طاريا علينا حتى نتأثر بها فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد
يغلب احدهما الآخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضرب نفسه على الارض اتم وجدا
من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في
الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد بن احمد صحبت سهل بن عبد الله وكان بالبصرة ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر
او القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته عن ذلك فقال
نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت
فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب
القوة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب
حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في
زيادته كما روي ان ممشاد اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي
وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من
ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا للمساعدة لاخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس
الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء
جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض
من نقل عنه ترك السماع يظن انه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في
السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من

الادب الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراءاة
لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة
الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما اصابهم
سرور اوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم
لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وحجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي
بعض الروايات انه قال لعائشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان
فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر
واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في اعين الخلق فيترك
الاقتداء به واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري
لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكنه يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق
متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر
الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك

الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص فإن قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعا صغيرة ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم أن ذلك مباح إذا مزق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع قطعا صغارا وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها إلى مائة مسكين ولكن ينبغي أن يكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الأدب الخامس** موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا خلع ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل إن ذلك بدعة لم تكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النهي عن شيء من ذلك والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه أنس ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر أنواع المساعدة إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل **ومن الآداب** أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا أرباب القلوب محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو مخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار في جملة مساويه ويعير به عقبه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى الخبز للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب فأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم بالصواب

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والسلام

آخر كتاب السماع والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ومجده والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده أما بعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وإن لم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بسيط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب

الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته **الباب الثاني** في أركانه وشروطه **الباب الثالث** في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات **الباب الرابع** في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف وفضيلته والمذمة في إهماله ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار **أما الآيات** فقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله ولتكن أمر وظاهر الأمر الوجوب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة فإذن مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد إذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف إذ بين أنهم كانوا به خير أمة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا وقال تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين أنهم أثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما الآية والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي وذلك هو النهي عن المنكر **وأما الأخبار** فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف

فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون ولا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو اخياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم
وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم • وقال صلى الله عليه
ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في
بحر لجي • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت
من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد منها انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فان ابيتم الا ذلك فاعطوا
الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن
آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر
بين ظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه • وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم
وترك جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم
اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رأيتم
المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول
الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون
يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران • وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه لا تقفن عند رجل يقتل
مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره قال وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول
دار الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي تشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة
المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والجامع وعجزهم
عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر
قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا ان
مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه
في النبوة من السر لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها اين
امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها
فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريانها بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول • وقال ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله
وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس
المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع بلسانه
فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم
فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم
فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم
فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال
اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم لعصوني ولو
سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله • وقال ابن عباس
قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال
يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط • وقالت عائشة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا

يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر • وعن عروة عن ابيه قال قال موسى صلى الله عليه يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يسرع الى
هواي كما يسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا اوتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر
اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف • وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنهما
يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض
يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها
ثلثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج ثلثمائة الف حور قاصرات الطرف عين كلما التفت
الى واحدة منهن فنظر اليها فتقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف
ونهى فيه عن منكر • وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه
عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش • وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل شهداء
امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر • وقال عمر رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **واما الآثار**
فقد قال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم
فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم • وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا
بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى النساء والرجال منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما
غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا قال وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه
ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا • وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن
يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم • واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين
الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية
اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة • وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة
فقال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت
التوراة وكذب ابو مسلم • وكان عبد الله بن عمر لا يأتي العمال ولم يقعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان
يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان آثم • وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه
حتى لا يجري بمشهد منه • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد
بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله • وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهى عنه
وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه
فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه • وقيل للفضيل الا تنهى وتأمر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم
لم يصبروا على ما اصيبوا • وقيل للثوري الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انشق البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه •

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اربعة المحتسب • والمحتسب عليه • والمحتسب فيه • ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط •

الركن الاول المحتسب

وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر ويدخل فيه آحاد الرعايا وان
لم يكونوا مأذونين لهم ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه **اما الشرط الاول**
وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي
الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا
ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى
يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد

لمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر **واما الشرط الثاني** وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له **واما الشرط الثالث** وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان اشترط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية • وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنى وشرب الخمر • فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق فان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنى والقتل فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني من العصيان في احدهما ان اعصي الله بالثاني اذ كان النهي واجبا علي فمن اين يسقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي • فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلوة فانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول • والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر محبوبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على الآخر تحكم واما الوضوء والصلوة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مؤديا لامر الوضوء وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء والصلوة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلوة فلا حكم له دون الصلوة • فاما الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنى ويقول انت مكرهة في الزنى ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وها انا غير محرم لك فاستتري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم • والجواب ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذا له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنى ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر • واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربوا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور والفحش واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته وكذلك للضرار في الآخرة من معصيته اكثر من ضراره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة •

والثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار • فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ فقد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهو غاية الانصاف والكشف في المسئلة واما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحيي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحيي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحيي • فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان قوله لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنى ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحكوم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان راينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا الآن **الشرط الرابع** كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد اشترط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعايا الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقوقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج • فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعلم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي بيانه اولها التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف • والثالثة السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف ثوب الحرير من لابسه واستلاب المال المغصوب منه ورده على صاحبه والخامسة التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عنه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا كما سياتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي ومنع شرب الخمر ومعاطاة ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام • فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة وفيه نظر كما سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بالمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في

العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال مروان ترك ذاك يا ابا فلان فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات
دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الى اذنهم • وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحي الناس عن البيت فوثب عبد الله بن
مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا
فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجي به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة
فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واخذ
المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال من اخرجك قال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف
ان اقتلك فرفع عبد الله راسه اليه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة
قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها • وروي عن حيان بن عبد الله قال تنزه هرون
الرشيد بالدوير ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن جعفر فقال هرون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت
فلم يحمد غناءها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ
فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المومنين
فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المومنين فقال هو ما اقول لك فدخل على هرون فقال اني مررت على شيخ
يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه وضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمن
بن جعفر ما هذا الغضب يا امير المومنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه نناظره اولا فجاء الرسول
فقال اجب امير المومنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا
من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس اخر ليس فيه منكر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي
فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المومنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هرون له اي
شيء تريد منه فقال في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المومنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ
ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هرون يستحيي ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤون
هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر وانا رايت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا
فلما خرج اعطى رجلا بدرة ثم قال اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المومنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج
من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المومنين يردها من
حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

ارى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلما كثرت لديه • تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه • اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما انت محتاج اليه

وعن سفيان الثوري قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت وقلت
يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن وائل عن قدامة بن عبد الله قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد
ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور
ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المومنين فقال اطلبوه
فطلب فاختفى • وروي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان
يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب
او قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا
تقول حتى اعاد ثلثا فلم يفهم فقال اما رفعت واما اذنت لي ارفع فقال قد اذنت فنظر المامون تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم
تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك واولياؤك فيه لا ينكر ذلك
الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت

لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن
عملا فقل الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن اذننا فاستمر الرجل عليه
ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن • فان قيل افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة
على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان
على الرعية او بينهما فرق قلنا الذي نراه انه تثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول
قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف
والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر
مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه من ادرار ورزق
من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه
الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويتسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل
وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا
وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له انية من بلور او زجاج على صورة حيوان
وفي كسرها خسران مال كثير فهذه مما يشتد فيه الغضب وليس يجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر • فان قيل ومن اين قلتم
ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي عن
التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء
عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه حدا في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص
ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته وقد وردت في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه
بعقوبة هو منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد
في لزوم الحق وان كان ملك اليمين اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا يدل على اكد الحق
ايضا • واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس لها معه الا التعريف والنصح واما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث
ان الهجوم على اخذ الاموال من خزائنه وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط
حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر فقد تعارض فيه ايضا محظوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاه
النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف
لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه • روي انه سئل الحسن
عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه • **الشرط الخامس** كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه
اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا
واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان
انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال **احدها** ان
يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل
في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه • **الحالة الثانية** ان ينتفي
المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة • **الحالة الثالثة** ان يعلم
انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين • **الحالة الرابعة**
عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود
الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب
ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمن الداراني انه قال
سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكره عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق

فاقتل من غير اخلاص في الفعل • فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف
الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله
تعالى من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البرا بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم
لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه
على الصف او العاجز فذلك حرام داخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم
جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب ان يعرض نفسه
للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين • فاما ان راى فاسقا متغلبا
وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان
المطلوب ان يوثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب اذا قدر على
ابطال المنكر او ظهر لفعله فايدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجوز له الحسبة
بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شي بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا
لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا
مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لا عوازهم الشراب الحلال
فلا معنى لاراقته ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا للمنكر واما شرب الاخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على
منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات
المنكر المغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره حتى ياكلها وعلم انه لو منعه منها لذبح انسانا واكله فلا وجه
لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقايق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع
اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقايق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنى وترك الصلوة فاما ما
يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا
يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيودي الى وجوه
من الخلل وسياتي كشف الغطا عن ذلك • فان قيل وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما
حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ ترجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم
والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك
لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال
ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فايدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا
علم الياس عنه فلا فايدة فيه فاما اذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما
بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب
الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه
لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم
العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه
والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف • فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى
البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى لا يصدق به الا بعد وقوعه
فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط
والتهور افراط في القوة وخروج عن اعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور
يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون
سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل
الشر البعيد في تخيله وتحليله وتوقعه في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين

وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير
معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال
بحكم استيلا الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على راي لا يجب ركوب
البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة • فان قيل فالمكروه
المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يومر بالمعروف الا ويتوقع منه
نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى سلطان او ان يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب قلنا هذا ايضا نظر
غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى
اربعة امور اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة
والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة وسياتي
تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه
الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل او زوال
او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف
امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص
باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حرير خوفا من ان
يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في
المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح
حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا
مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شي الا ما تمس اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا
كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنا وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم
الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الما والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا
بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر
على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات
الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسوال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه
قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما الجاه فهو
ان يوذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو
احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناوها
ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب
الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين فيه
ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سو او خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر
او لفتة ناظر من غير جور وظلم وما الله بظلام للعبيد ٥ واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور
الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال
وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل
من علم انه يضرب ضربا مولما يتاذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح
والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب
اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المها في الضرب وحد في الكثرة
يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان
يضرب ضربا غير مولم او يسب على ملا من الناس او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مولم

للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذه له درجات فالصواب أن ينقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص
في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما
يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيول فلو علم أنه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد
هو مثلها أو كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة
بمثل هذا العذر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والنفاق وإما في غيبته بأنواع الغيبة
فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة • ولو ترك الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه
وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم
يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر
على غيبته فلا تجب عليه لأن غيبته أيضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت
العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع
خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو
في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق
غيره فإذن ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر
وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء المسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضاهم فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له
أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه
وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال ونفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب
فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض • فإن قيل
فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فإن قلتم يقاتل فهو محال لأنه إهلاك نفس
خوفا من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا • قلنا يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض
حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه
جائز لا على معنى أنا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس
بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي فإن قيل فلو علمنا أنه لو خلي بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسما لباب المعصية
قلنا ذلك لا نعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه في حالة مباشرة القطع دفعناه فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه
فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال إحداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد • الثانية أن
تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية
أفحش منها أو مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية • الثالثة أن يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين
لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عائق عنه فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح فأما
بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدي إليه ولم يبق لحصول
المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فإنهم وإن لم يضيقوا
الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف
في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية
ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على
معصية منتظرة ٥ **الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة** وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا
بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها **الأول** كونه منكرا ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية
إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه • وكذا إن رأى مجنونا يزني بمجنونة أو بهيمة
فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى
معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة ولا

تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق
بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة ٥ **الشرط الثاني** أن يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن
ذلك ليس إلى الآحاد بعد أن انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ
وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي
ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه ٥ **الشرط الثالث** أن يكون ظاهرا
للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنهما فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة • وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر
فقال يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة أوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
وأتوا البيوت من أبوابها وقد دخلت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وما سلمت فتركه عمر واشترط عليه التوبة
وكذلك عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فأشار علي بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه
واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها • فإن قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم أن من أغلق
باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير
والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة
بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فإذا إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون
ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستتر
قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فإذا رأى فاسقا وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقه لا يدل على أن
الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره ولا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان خلا لم أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر وإن كانت
الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور • وكذلك العود ربما يعرف
بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن
نستر ما ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة
اللمس ولا يمكن أن يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فإذا إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول
أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما
طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا ٥ **الشرط الرابع** أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي
أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام
وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في
محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب من المحصلين أحد إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذي أدى اجتهاده
في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فإذا مخالفته للمقلد
متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أن يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول
له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في
حقك وإن لم يكن صوابا عند الله • وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول إما أن تعتقد أن
الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم أو لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد
الزنى وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجها أبوه منه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عالم بلغته فهو في
الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعه منها مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في
علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو
غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع
أعني باللسان لأن ذلك زنى إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج
الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنى المجنون وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو

شاور ع

عاص به لعز الجمل فليلزم من عكس هذا ان يقال ما الغش بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل الجاهل لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله
فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب
عليه وهذه مسائل فقهيه دقيقه والاحتمالات فيها متعارضه وانما افتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيه
ان راى رايه انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع ● وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبه الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع
بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يوثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالة
الظنيه ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب وراى من يرى انه يجوز لكل مقلد ان يختار
من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به ● فان قلت اذا كان لا
يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس
من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي ان يعترض على الفلسفي في قوله ان
الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هولاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب
هولاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله يرى والمعتزلي ينكرها بالتاويل
فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسالة النكاح بلا ولي ومسالة شفعة الجوار ونظايرها ● فاعلم ان المسائل تنقسم
الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمه وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاوهم قطعا
بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسالة الرويه والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى
فهذا مما يعلم خطا المخطي فيه قطعا فلا يبقى لخطاه الذي هو جهل محض عبره فان البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وتنكر على المبتدعه بدعهم وان اعتقدوا
انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا في مظان الاجتهاد فان
قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي
سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب ● فاعلم انا لاجل
هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها ظهرت تلك البدعه فان كانت البدعه غريبه والناس كلهم على السنه فلهم الحسبه عليه بغير اذن
السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدع واهل السنه وكان في الاعتراض تحريك فتنه بالمقاتله فليس للاحاد الحسبه في المذاهب
الا بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعه عن اظهار البدعه كان له ذلك وليس لغيره فان ما
يكون باذن السلطان فلا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجمله فالحسبه في البدع اهم من الحسبه في كل المنكرات
ولكن ينبغي ان يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنه بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من
يصرح بان القران مخلوق او ان الله لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الاحاد على المنع منه ولم يتقابل
الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط ● **الركن الثالث المحتسب عليه** وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع
منه في حقه منكرا واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان
قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونه او ياتي بهيمه وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا
في حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر
والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيا توجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيا التفاصيل ● فان قلت فاكتف
بكونه حيوانا ولا تشترط كونه انسانا فان البهيمه لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنى واتيان البهيمه
فاعلم ان تسميه ذلك حسبه لا وجه له اذ الحسبه عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفه المنكر ومنع المجنون
عن الزنى واتيان البهيمه لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان
فعله معصيه والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصيه
وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبه والمنع باحدى العلتين والبهيمه اذا اتلفت فقد عدمت المعصيه ولكن ثبت المنع باحدى
العلتين ولكن فيه دقيقه وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمه منع البهيمه بل حفظ مال المسلم اذ البهيمه لو اكلت ميته او شربت
من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل نطعم كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا اشرف على الضياع وقدرنا
على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة

لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نمنع الجرة وحراستها من ان تكون كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنى واتيان البهيمه وشرب الخمر وكذا الصبي
لا صيانة للبهيمه المانيه او الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطايف دقيقه لا يتفطن لها الا
المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير
اليه في الباب الثالث ● فان قلت فكل من راى بهايم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه
حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يودي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من
يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على
حفظه عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو اقل
درجات الحقوق والادلة الموجبه لحقوق المسلم كثيره وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى
في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى
بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب وضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي
في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربه فاما
ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهايم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع وهو نايم او باعلامه
يلزمه ذلك فاهمال تعريفه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصه فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال
ان كان لا يضيع من منفعته في مده اشتغاله باخراج البهايم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي
له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصيه كالغصب او
قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصيه وعلى الانسان ان يتعب نفسه
في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهو غاية التعب
ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب ● وقد اختلف الفقها في مسالتين تقرب
من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضايعه والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل
ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او يتركها كما لو كانت في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء
فلا يلزمه الالتقاط وان كان في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمه وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما
يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله
وان كان ذهبا او ثوبا او شيا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقايل يقول التعريف والقيام بشرطه
فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقايل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافه الى مراعاة
حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به فاذا كانت دار القاضي
في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامه الشهادة واداء الامانه وان كان في الطرف الاخر من البلد
واحوج اليه في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في
القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهه والنظر
وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزايها المتقاربه لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع
ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل ● **الركن الرابع نفس الاحتساب** وله درجات واداب **اما الدرجات**
فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب
وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود **اما الدرجة الاولى** وهو التعرف ونعني به طلب المعرفه بجريان
المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك
رايحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبره عدلان ابتدا
من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او في داره خمر اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون
تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عبدان او عدل واحد وبالجمله كل من
تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا

يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل كان نقش خاتم لقمن الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت ۝ **الدرجة الثانية التعريف** فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلوة ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبته الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطاء والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السواتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقه لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة موذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق ۝ فنقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلوة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلوة وايضاحها انما شرط الصلوة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطا في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا ۝ **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وهاهنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخرى من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيي مني ۝ قيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف عليه الداء الدفين العجب ۝ **الدرجة الرابعة** السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك يعدل اليه بعد العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابرهيم صلوات الله عليه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنى ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف ۝ والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به ۝ **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر

وخلع الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ۝ فاما معاصي القلب واللسان فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان ياخذه ويجره واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاطاه بنفسه ذلك كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله ۝ الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حال يحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمر يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح ليتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان ۝ فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الغصب ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية ۝ فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنه فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها ۝ **الدرجة السادسة** التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن رقبتك او لامرن بك وما اشبهه وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه في الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام ۝ **الدرجة السابعة** مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او على مزمار وهو يضربه

وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيها التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخالص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد :: **الدرجة الثامنة** ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويودي الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قايلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يودي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف فاوايل درجاته تدعو الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جايز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسألة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها •

بيان آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلث صفات في المحتسب العلم • والورع • وحسن الخلق **اما العلم** فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه **واما الورع** فليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل به بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزايد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزء به اذا احتسب ويورث ذلك جراءة **واما حسن الخلق** فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلثة بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه [وسلم] لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل •

لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله • من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله •

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله • واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمن عليه السلم يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك • ومن الآداب تقليل العلايق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلايق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيتك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم عليه بالثنا مطلقة لم تتيسر له الحسبة • قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال ان التورية تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم • ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله عز وجل من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتدا المحتسب في الرفق بالانبيا صلوات الله عليهم فقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلم اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك

قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا • وقيل للفضيل بن عياض ان سفين بن عيينة قبل جوايز السلطان فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين • وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من ازارك قال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم • وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبيد الله بن محمد بن عايشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عايشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيا الغلام وجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امران تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفعه وقال عاهدت الله عهدا يسئلني عنه يوم القيمة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تايب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة تصيح من يده اذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المراة لحالها فسالوه ما حالك فقال ما ادري ولكني حكني شيخ وقال ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحرث فقال واسوءتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها آثارا واخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه •

الباب الثالث في المنكرات المالوفة في العادات فنشير الى جمل منها يستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصايها **فمن ذلك منكرات المساجد** اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنها الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلوته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر • وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القايل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المساجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فايدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فايدتها وان كان يمنعه عن الوراقة والكسب مثلا الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو عاص به فان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقراه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس به ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه منه سرا ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم • ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلوة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك سحور او كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات

ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف • ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب • ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حوله فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اقرب واليق بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك الواحد • ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن اذ منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله عليه السلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن • فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القران بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القران ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف • ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام • ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلوتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان ينجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر • ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم له او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيرها فاما المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القيء او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قال قائل فهل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليها ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف

سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار اثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول عليه • **منكرات الاسواق** من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه بعشرة وقد بعته بربح درهم وهو كاذب فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به شيئا من عيب يلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره • ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة • ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير اعني الحرير الذي لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره • **منكرات الشوارع** فمن المعتادات فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعى هي الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات • ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس اليه نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فيمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بترشيش النجاسة واضرارا بالناس باستقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع • **منكرات الحمامات** منها الصور التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها اذا قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائز ويكفيه ان يشوه وجهها بحيث تبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوان • ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها • ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الافخاذ والاعجاز فهذا مكروه وان كان مع حائل ولا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش فان المراة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز كشف العورة للرجال ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فانه لا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا نحتاج الى ان نغسل اليد اولا ثم نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن

اذى وتفويت الطهارة على هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر • ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها صخرة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج فتعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه ان ينظف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها • **منكرات الضيافة** فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب او الشرب منهما كذلك او استعمال ماء الورد من اواني فضة او من ما رؤوسها من فضة • ومنها اسدال الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع لا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون بعض رؤوس المجامر على شكل طائر فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق فانه لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب اخراجه منه ان كان مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ • فاما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل حلق الذهب فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة • ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات • ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر وفي المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف والاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة • واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواها فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل كان بالمدينة فقسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او هو عاجز عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش

الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها • **المنكرات العامة** اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن الاعراب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون مغصوبا فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين • اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في طلب العلم وكل عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعلم غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والاعراب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تزجية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه •

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف • وثانيه الوعظ • وثالثه التخشين في القول • ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر • واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر • ووصف النبي عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قول الحق ما له من صديق • ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات نعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم • فمنها ما روي من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم

بالذبح

او كما قالوا فبينا هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه
ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر
بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم
حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول
انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا
معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ بكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينا هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه
فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما كان يبلغهم من عيب الهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله نعم انا الذي
اقول ذلك قال فلقد رايت رجلا منهم اخذ بمجامع ردائه قال فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه قط • وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمرو قال بينا
رسول الله صلى الله عليه بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه
خنقا شديدا فجا ابو بكر فاخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات
من ربكم • وروي ان معوية حبس العطا فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك قال
فغضب معوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفى النار بالما فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق
ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطايكم • وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة فكان
اذا خطبنا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه
تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال
فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت قلت انا ضبة بن محصن فقال لي فلا مرحبا ولا اهلا قلت اما
المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من البصرة بلا ذنب اذنبته ولا شي اتيته قال ما الذي شجر
بينك وبين عاملي قال قلت الان اخبرك انه كان اذا خطبنا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه انشا يدعو لك فغاظني ذلك
منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا
وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المومنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول
لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وال عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله لما اراد الخروج من مكة هاربا
من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله ما هذا يا ابا بكر
ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك
لا امن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد
به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شي نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيا فحمله فادخله
وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شي الى رسول الله فتوذيه وجعلت دموع ابي بكر تتحدر على
خديه من الم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته الطمانينة لابي بكر فهذه ليلته
واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت
يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا اتالفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى
ابي موسى يلومه • وعن الاصمعي قال دخل عطا بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن
وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد حاجتك فقال يا امير المومنين
اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله
في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق
بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك وقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك

فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف • وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على
الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطا بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى
امير المومنين فانه امرك بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطا من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب
الوليد على حاجبه وقال له ويلك امرتك ان تدخل علي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي
فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطا ان قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب
اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه
فقال عمر لعطا قتلت امير المومنين فقبض عطا على ذراع عمر فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطا وانصرف فبلغنا
عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي • وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن
مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم وبال عليه الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك فقال يرحمك الله
لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المومنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها
الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما دمت حيا • ويروى عن ابن عايشة ان
الحجاج دعا بفقها البصرة وفقها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع
الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسايلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن
ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره
يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته واحب الناس اليه
وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انه ان كانت
لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا
قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم
اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سيلت فصدقت او سكت فسلمت
فقال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها فقال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن
فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلما
من المواثيق لتبيننه للناس ولا تكتمونه فقال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك
وحكي ان حطيط الزيات جي به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلث
ان سيلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن ولين عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعدا الله في الارض تنتهك المحارم
وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطية من خطاياه قال فقال الحجاج
ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعل على لحمه ثم شد بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه
فما سمعوه يقول شيا قال فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة
قال شربة ما فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة • وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقها اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل
الشام وقرايها فجعل يسايلهم وكلم عامرا الشعبي فجعل لا يساله عن شي الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان هذا
رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن ثم اقبل على الشعبي فقال
يا ابا عمرو اني امين امير المومنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد
ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طايفة من عطايهم فاضعه في بيت المال
ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على نحو ذلك فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل
مامور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما
السلطان والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا
ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على العراق وعامله عليه ورجل على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم

والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول
الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني انما قبضت من عطاياهم ارادة صلاحهم
واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ
كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان تطيع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله عز
وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين
يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة
ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر فانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك باس الله الذي لا يرد عن القوم
المجرمين • قال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل
وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط
وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك
فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه • قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال
اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادي اليه وكنا اهلا ان يفعل
ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل
وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه • ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي
بردة فقال له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر • وعن الشافعي رضي الله عنه قال اخبرنا محمد بن
علي قال اني لحاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذيب قال وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فاتى الغفاريون فشكوا الى
ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذيب قال فساله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذيب
فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن
زيد فقال يا ابن ابي ذيب ما تقول في الحسن بن زيد قال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذيب
وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا امير المومنين قال اسالك بالله الا اخبرتني قال
تسالني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك
فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني جالس ها هنا لاخذت فارس
الروم والديلم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذيب يا امير المومنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء
فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابو ذيب والله
يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحرث
لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد • وعن
الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة
رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم
فقلت انظر يا امير المومنين ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قلت له ان تسمعه
ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت
في الكلام فقلت يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله
في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره
الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وقد كان بهم رءوفا رحيما
مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تقوم بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم
ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا امير المومنين قد كنت في شغل
شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف

بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن
عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلم فقال له يا محمد ما
هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم
وغيبهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص
من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا صلى الله عليه الاعرابي فقال
اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك
لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله لقيد قوس احدكم من الجنة
خير من الدنيا وما فيها • يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين تدري ما جاء
في تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته
الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان
اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى فلا
تتمنين نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة • يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء
كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء يا امير المومنين انك قد بليت بامر لو عرض على
السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اوما علمت ان لك مثل
اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي
به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب
فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان
فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه
والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي
امارة على مكة او الطايف او اليمن فقال النبي عليه السلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه
واخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ اوحى الله اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمي النبي عليه السلم ويا فاطمة بنت محمد
اني لست اغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقوم بامر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع
منه على عورة ولا يخنق منه على جرة ولا تاخذه في الله لومة لايم وقال الامراء اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك المجاهد في
سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف
عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله
فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل اتى النبي عليه السلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال
له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق
لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا
من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن
ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي وبكى جبريل لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلي بما ابتلي به هروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي
عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السما يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على ساير الانبيا
كفضل جبريل على ساير ملايكة السما • وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان
بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله
التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله به واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه • فهذه نصيحتي والسلم عليك

ثم نهضت فقال الى اين قلت الى الولد والوطن باذن امير المومنين ان شا الله قال فقد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها
والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك مقبول
القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شا الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله فقال انا في غنى عنه وما
كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير المومنين المنصور مكة
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجا المودنون فسلموا عليه
واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك
ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج
فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المومنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه
فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي
ما امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان آمنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال انت آمن
على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض لانت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع
والصفرا والبيضا بيدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المومنين ان الله تعالى استرعاك امور
المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة
بايديهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزرا واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك
وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم
ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجايع ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هولا النفر الذين
استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا
فايتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته وتصغر قدره فلما
انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك
ذووا القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولا القوم شركاك في
سلطانك وانت غافل فان جا متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس
رجلا ينظر في مظالمهم فان جا ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم منه حرمة واجابة لم يمكنه
ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكوا ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد واخرج وظهرت صرخ بين
يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقا الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكان العرب
لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينتصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه
ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب
سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراوه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا
اسمع صوته ثم قال اما ان كان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل في طرفي
النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المومنين مشرك بالله قد غلبت رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن
بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله
عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك
الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشا وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن
كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنت فيه
من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله
ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المومنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل
قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب
من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق

المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شي مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكا المنصور بكا
شديدا حتى انتحب ورفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولا ارى من الناس الا خاينا قال يا امير المومنين
عليك بالايمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلما قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من
قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشي مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل
وانا ضامن لمن هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجا المودنون
فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد
فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى
قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى من سبيل قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن
تقرا قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيا قال خذه واجعله في جيبك فان فيه دعا الفرج قال وما دعا الفرج قال لا يرزقه
الا الشهدا قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعا وما فضله قال من دعا به مسا وصباحا هدم ذنوبه ودام سروره
ومحيت خطاياه واستجيب دعاوه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول
اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفا وعلوت بعظمتك على العظما وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور
كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك
اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه
مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي وانا المسي الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي واتبغض اليك ولكن الثقة بك
حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المومنين فدخلت
وسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المومنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ فقال
هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة الف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلم
وعن ابي عمران الجولاني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلما فهنوه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال فاقبل يجيزهم بالجوايز
السنية وكان قبل ذلك يجالس العلما والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم
يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المومنين الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي فقد علمت ان الله تعالى واخى بين المومنين وجعل
ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه
القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني
وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوايز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك
فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جا في فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك
كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل
يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري
فاذا رايته فالق كتابي اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد
الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قايما ثم قال
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما
راى نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساوه قعود قد نكسوا روسهم كانهم
لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خايفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا السلام على برووس الاصابع فبقيت واقفا
ما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما
راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباته واخذه فقلبه بيده ثم رماه
الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم فيقروه فاني استغفر الله ان المس شيا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خايف
من فم حية تنهشه ثم فضه فقراه فاقبل سفين يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قرايته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل له يا ابا عبد الله

انظر بعده فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف
يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد
بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هرون الذي سلب حلاوة الايمان ● اما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت
ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته
بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي
الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضا منهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في
ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك
فشد يا هرون مئزرك واعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ● واعلم بانك سوف تقف بين يدي الحكم العدل وقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة
العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير
واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
ويشربون الخمر ويضربون من شربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم
قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة
فقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار كاني بك
يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء
على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها ● واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله
يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى
غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته فاياك واياك ان تكتب الي كتابا
بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام ● قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت
الموعظة من قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله تعالى فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم
فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك فنزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه
مع امير المؤمنين واقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزئ بي من كان على
باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه في مجلسه وبصر بي على تلك الحال قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل
والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل
هرون يقرؤه ودموعه تتحادر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته
بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه وان
سفيان امة وحده فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله ● فرحم الله عبدا
نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق ● وعن عبد الله بن مهران قال
حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه
ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هرون
السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله العامري قال
رأيت النبي عليه السلام منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك
من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدني رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا
فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى من الابرار قال احسنت يا بهلول ودفع له جائزة قال اردد الجائزة على من
اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجمعت
آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين
انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هرون السجاف ومضى ● وعن ابي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون
قال دخلت على حارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالي اني لاقرأ

آية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان تسمعها نفسي ولولا ان تغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه
طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شيء
عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث
فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح
صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ازالة عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك
به فاغتسل واعد صلواتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل على امير المؤمنين
المأمون فسلم عليه ثم قال له يا ظالم انا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير
ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المأمون وقال من انت قال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد
لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه واخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من
ولي هذا فليأخذه قال حارث فاختبأت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى فغلبتني
عيناي فنمت فاذا هو بين وصائف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما
فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا الكاتمون احوالهم هذا الفتى كلامك له لم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر والنهي
وان الله تعالى انزله معنا وغضب لعبده ● وعن احمد بن ابراهيم المقرئ قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا
يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا
فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
الدنان قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في
هذه الدنان قال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال احب ان تعطيني
ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا
دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مونس الخادم فقبض على النوري واشخصه الى
حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد
وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال
فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت
عنه قال فاطرق مفكرا من كلامي ثم رفع رأسه وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين
ان اذن فقال هات اخبرني فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق
وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فخرقت نفسي كبرا على اني قد اقدمت على
مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما
احببت ان تغيره من المنكر ● قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا الآن اغير عن شرطي فقال المعتضد
ما حاجتك قلت تأمر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسأل حاجة يسألها المعتضد فاقام
بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد ● فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة
مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في
القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السنة العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم
ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء
حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال ●

● آخر كتاب الامر بالمعروف ● والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله الطاهرين وسلم كثيرا ●

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة وانعام المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه وأدب نبيه محمدا صلى الله عليه فأحسن تأديبه وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا. أما بعد فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكرارها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالأسانيد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي تشهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه أولا

بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن • ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه • ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه
ثم بيان كلامه وضحكه • ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام • ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس
ثم بيان عفوه مع القدرة • ثم بيان إغضائه عما كان يكرهه • ثم بيان سخاوته وجوده
ثم بيان شجاعته وبأسه • ثم بيان تواضعه • ثم بيان صورته وخلقته
ثم بيان جوامع معجزاته وآياته •

بيان تأديب الله نبيه وحبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الأخلاق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وفاء بقوله ادعوني أستجب لكم فأنزل الله عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وإنما أدبه بالقرآن بمثل قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور • وقوله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وقوله فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا • ولما كسرت رباعيته يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال وإنك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عميم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة فقال رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما أتي بسبايا طيء وقفت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق • وعن معاذ بن جبل عن النبي عليه السلام إن الله

حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم وإجابة الطعام والدعاء إليه والعفو والإصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمرح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم • قال أنس فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية • وقال معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وقال يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصي إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ٥

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

قال كان صلى الله عليه أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس قط يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة من لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال أنا لا أستنصر بمشرك ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من أمور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر يردف خلفه عبده أو غيره يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا وحافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه يمزح ولا يقول إلا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق أهله وترفع الأصوات عليه فيصبر كان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان له عبيد وإماء لا يترفع عليهم في مأكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج إلى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين رب العالمين

بيان جملة أخرى من أخلاقه وآدابه مما رواه أبو البختري

قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة • وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين

امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في
حاجته قال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر
قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التورية قبل
ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابا وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل
وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان
اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلوته واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه
عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس وكان ما رأى قط مادا رجليه بين اصحابه
حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه
لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي يكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل
وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه
وتواضعه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا النساء
اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى وكان ارأف الناس
بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل **بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم** كان عليه السلم افصح الناس منطقا
واحلاهم كلاما وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار
وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس
كلاما وبذلك جاءه جبرئيل وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه
ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق
ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة
ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه
بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلم متغير ينكره
اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا
ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في
ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله
بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان اذا سر
ورضي فهو احسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا
نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني
اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية
واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدي الى صراط مستقيم **بيان اخلاقه وادابه في الطعام** كان صلى الله عليه وسلم
يأكل ما يجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها
نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة
والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم
يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكل الشيطان
وجاء عثمن بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها

على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الطعام
طيب وكان يأكل الشعير غير منخول خبزا وكان يأكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز
وبالسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة فاشار اليها بالنوى
فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى رواله على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي
يقطر منه وكان اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو
سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها
شجرة اخي يونس قالت عائشة كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي
يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا اكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه
انتهاشا وكان يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في
العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره
الكليتين لمكانهما من البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ويكره ذلك وكان لا يأكل الثوم
ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما
وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة
ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى
عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلث دفعات له فيها ثلث تسميات وفي اواخرها
ثلث تحميدات وكان يمص مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل
سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه
وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع
فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل بنفسه او يشرب **بيان آدابه واخلاقه في اللباس** وكان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد
ازارا او رداء وجبة او قميصا وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض وقال البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء
المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق
ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلوة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى
بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان
لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما
صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض
الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي انت ما فعل ذلك
الكساء الاسود قال كسوته قالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده قال انس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة
عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة
وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد
العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب
وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره
وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل
ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه
ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيث ما تنقل تثنى بثنتين وقد كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية
دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر
يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلث حلق من فضة

وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوا وهي التي يقال لها العضبا واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته
التي يشرب لبنها عينة ● وكانت له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة
بيان عفوه مع القدرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها
بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى
قال ردوه علي رويدا ● وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر رضي الله عنه فقال
الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء
رجل حتى قام على رسول الله بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله السيف وقال من يمنعك مني
فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه
فقال جئتكم من عند خير الناس ● وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال لا ● وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل
بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه
انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ
فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن او لنقتلن فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن
ابي بلتعة الى اناس من المشركين يخبرهم امرا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني
كنت امرءا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم
يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه صدقكم فقال عمر دعني
اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم وقسم صلى الله عليه قسما فقال رجل من الانصار هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه فاحمر وجهه وقال
رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما كان يكرهه** كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه
ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل عليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج
فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة ● وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال صلى الله عليه لا تزرموه اي لا
تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلا ● وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما
يطلب منه شيئا فاعطاه صلى الله عليه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان
كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي فزاده شيئا ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم
ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك فقال
الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين
يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان سخائه وجوده** كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح
المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه قال كان اجود الناس كفا واجرى الناس صدرا واصدق الناس
لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله
عليه وسلم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه ● وان رجلا اتاه فساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان
محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا

حتى فرغ منها ● وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت
الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته
بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا ۵ **بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه
لقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر الباس ولقي القوم
القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه فما يكون احد اقرب الى العدو منه ● وقيل كان عليه السلام قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس
بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد منه ۵ **بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في علو
منصبه قال ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك
يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم
وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ● واتي صلى الله عليه برجل فارعد من هيبته فقال
هون عليك فلست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري
ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عايشة رضي
الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قال فاصغى براسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس
ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا
يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته
وخلقته صلى الله عليه وسلم** كان من صفة رسول الله صلى الله عليه في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة
اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه
نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه الى الربعة ويقول صلى الله عليه جعل الخير كله في الربعة ۵ **واما لونه** فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم
ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل ● ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر
للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك
الاذفر **واما شعره** فقد كان رجل الشعر حسنها ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط ياتي كانه حبك الرمل ● وقيل
كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على
اذنيه فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه احسن الناس وجها وانورهم
لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر
حين يقول: امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام ● وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما
وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار
حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته
وياخذ شاربيه وكان من احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر منه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشوب ذهبا
يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بعضا كالمراة في استوائه وكالقمر في
بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة
ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه
خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين

افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده انه سميع مجيب

تم كتاب اخلاق النبوة وبه تم ربع العادات والحمد لله رب العلمين وصلواته على محمد وآله الطاهرين وسلم

كتاب شرح عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر • المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين • اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله تعالى وهو العامل لله تعالى وهو الساعي الى الله تعالى وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله تعالى ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع

تعالى والقلب هو المقبول عند الله تعالى اذا سلم من غير الله تعالى وهو المحجوب عن الله تعالى اذا صار مستغرقا بغير الله تعالى وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام •

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاؤه الجهل بمعنى هذه الاسامي وما يتعلق بغرضنا **الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين **والمعنى الثاني** هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق مستعمل الآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة **والثاني** ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا في هذا الكتاب لفظ القلب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان • فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا **المعنى الثاني** هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك **المعنى الثاني**

اسامى
بهذه الاسماء وما شركها
بين مسميات مختلفات
ونحن نشرح من معاني هذه
الاسماء

شرح

هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك • والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات **اللفظ الرابع العقل** وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب **والثاني** انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث • فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني والعلوم وهذه اربعة معاني يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليه فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي ولاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله تعالى وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه •

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند • فاما جنده المشاهد بالعين فاليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا وعليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى الله سبحانه وتعالى ولقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت

الأعضاء التي هي آلات الشهوة، وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين: باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء، وظاهر وهو اليد والرجل اللذين بهما يعمل بمقتضى الغضب، وكل ذلك بأمور خارجة من البدن كالأسلحة وغيرها. ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن وهو إدراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها. وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة، وقد أشرنا إلى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقتنع به. فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف: صنف باعث ومستحث: إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة، وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب، وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة. والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة، وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار. والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس، وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس، وهي مبثوثة في أعضاء معينة، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك. ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود، فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع، وقوة البصر إنما هي بالعين، وكذا سائر القوى. ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة، وإنما نتكلم الآن فيما أيد به من جنود لم تروها. وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضاً خمسة؛ فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال، ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض، ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه، ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات؛ ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ. ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو عنه اليد والرجل، فتلك القوى أيضاً جنود باطنة وأماكنها أيضاً باطنة. فهذه هي أقسام جنود القلب. وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول، ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء، ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم.

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه، وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد. وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه، وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً، وذلك حالة أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة، وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه. ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: أن نقول: مثل نفس الإنسان في بدنه - أعني بالنفس اللطيفة المذكورة - كمثل ملك في مدينته ومملكته، فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها، وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة، والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل، والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة، والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته، حتى إنه لا يخلو ساعة عن منازعته ومعارضته، كما أن الوالي في مملكته متى كان مستشيراً في تدبيراته لوزيره معرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث، بل مستدلاً بإشارته في أن الصواب في نقيض رأيه، وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمراً له ومسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوساً لا سائساً، ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً، استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه، فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى؛ تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها. ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم. وقال تعالى: واتبع هواه فمثله كمثل الكلب. وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى. وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى.

المثال الثاني: اعلم أن البدن كالمدينة، والعقل أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه، وأعضاؤه كرعيته، والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال تعالى: وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة. وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم منك، كما ورد في الخبر. وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

المثال الثالث: مثل العقل مثل الفارس المتصيد، وشهوته كفرسه، وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح، ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً، فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً، فهو خليق بأن يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب. وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه.

بيان خاصية قلب الإنسان

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله تعالى به على سائر الحيوانات سوى الآدمي، إذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً، حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن. فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان، ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى، وهو راجع إلى علم وإرادة. أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأن الفرس الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل فرس، ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأفراس، فحكمه على جميع الأفراس زائد على ما أدركه الحس. وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر. وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى التشاغل بأسبابها والإرادة لها، وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات، بل يكون على ضد الشهوة، فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة، والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها، والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في وقت المرض، والعاقل يجد في نفسه زاجراً عنها، وليس ذلك زاجر الشهوة. ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق. فإذن قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان، بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي. ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان: إحداهما أن يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة، فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد. الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر، فتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها، وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشراً للكتابة بقدرته عليها. وهذه غاية درجة الإنسانية، ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها، وبشرف المعلومات وخستها، وبطريق تحصيلها، إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة، ولبعضهم بتعلم واكتساب، وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول. وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء. فدرجات الترقي فيه غير محصورة، إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها، وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف، بل بكشف إلهي في أسرع وقت. وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة. ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى، ولا حصر لتلك المنازل، وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل، فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً، لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب، كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده، ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي، وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية، ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته: ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها. والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه. وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داع فأستجيب له. وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى: لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً. وبقوله تعالى: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً. كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علواً كبيراً

ولكن خبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلية بالماء لا يدخلها الهوا فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى
لا يدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء
ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته
وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان
الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت
منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملئكة
المقربين من الله تعالى • والانسان على رتبة بين البهائم والملئكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلتحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا
ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور او شرها كخنزير
واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضا ولا
حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز
ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والاعضا خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان
مجرى ترجمانه ويجري الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمسة مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل
العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم
ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي على الملك كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس
منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان
موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة واستعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة
او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا
لجنود الله ناصرا لاعدايه تعالى مخذولا لحزب الله تعالى فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله تعالى منه • والى المثال الذي
ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان
ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه
في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين
واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح
محفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب **بيان مجامع اوصاف القلب
ومثاله** اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربعة شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضا والتهجم
على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في
نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلا والاستعلا والتخصص والاستبداد
بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا بالقهر على جميع الخلايق
من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة
حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر
الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين • وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية

والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن
الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا
باعتبار اللون والصورة والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص
الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشا والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذا والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ
السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه • والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف
عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع
ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي
الكلب فيكون دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر
على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما تمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة
لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير بطلب شي من شهوته انبعث
على الفور في خدمته واحضار شهوته او رآها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول
الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد
الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه
الا ساعيا طول النهار في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو
المستحق للسيادة والقهر والاستيلا وقد سخره لخدمة هولا فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولا الثلث صفات تتراكم عليه حتى يصير
طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له • اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة
والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها • واما طاعة الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور والنذالة
والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزا والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره • واما طاعة
الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب
وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة صفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقايق
الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلا على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله الاستغنا
عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهية والحيا والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها ورده الى
حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها
والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب • اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها
تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضيا حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب • واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم
يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ربط عدم السماع
والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند
ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر
الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اوليك الذين يئسوا من
الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران
اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم قلب المومن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب

ومعصية مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي
يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانه لا يخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر
فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها
وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون • فاخبر ان جلاء القلب
وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز
بلقاء الله تعالى ٥

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح
المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة
ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما ان
المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلثة امور فكذلك ههنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشيا وحصول نفس
الحقايق في القلب وحضوره فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقايق الاشيا والمعلوم عبارة عن حقايق الاشيا والعلم عبارة
عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف
في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم
عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودا ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في
اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن
الحاصل حده وحقيقته المطابق لصورته فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول
مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل
ان يدور ويشكل ويصقل • والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى
غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة • والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى
يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن
العلوم التي خلت عنها عن هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة
المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه
بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب
بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقل
لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة
المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما
يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقايق الخفية
الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا
فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى الشهوات الدنيا ولذاتها
وعلايقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي • والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف
له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع
من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين
المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصار حجابا بينهم وبين
درك الحقايق • والخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا
بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون

قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا
يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل
والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وانسان بل من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع
بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب
فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا
ان يرى قفاه في المرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيه القفا وان رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة
عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين
وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين
صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من
يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة
صالح لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات
والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها
في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت
السما اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله
اين الله في الارض قال في قلوب عباده المومنين • وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المومن اللين
الوادع • وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش
فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين
قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض
لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهي على الجملة واما عالم
الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهي
ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان
الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله • ومملكته وعبيده من افعاله فما تجلى من
ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار
ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه
ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلث مراتب • المرتبة الاولى ايمان العوام
وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور
اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلث درجات **الاولى** ان يخبرك به من جربته
بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو
مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وقدرته وساير
الصفات وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن
ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوايل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين
لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد
فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطا لانه القي اليهم الخطا والمسلمون
اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق • **المرتبة الثانية** ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار

فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه
في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة فقلبه
يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف
بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الثالث ان تدخل
الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون
عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم
وبدرجات الكشف ● اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والاخر
يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقايق والخفايا من صورته
ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمروا وبكرا او غير ذلك واخر لا يرى
الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل
فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية ● اما العقلية فنعني بها ما تقضي به
غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى مفطورا عليها ولا
يدري متى حصل له ومن اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه ● والى مكتسبة وهي المستفادة
بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله
عليه السلام لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية
بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار
مجرى العين وغريزة العقل فيه جار مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او
جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او
البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات ● والقلم الذي به يسطر الله تعالى العلوم على صفحات
القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش القلم والقلم عبارة عن خلق
من خلايق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان
وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر
صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى
باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات وما اراد به الرؤية
الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم صلوات الله عليه حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي ● اما العلوم الدينية فهي
الماخوذة بطريق التقليد من الانبيا صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها بعد
السماع وبها كمال صفة القلب وبها سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل
غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطبا اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه
ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل
والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم
الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة
وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبيا صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية

واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير
ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله تعالى منه بل هذا القايل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز
عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا
في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها
فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على
تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب
والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات ● والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله
كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك
ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والاخرة ثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في الاكثر في امور الاخرة
والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من
الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور الدنيا ● وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين
ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من
المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب وكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية وقال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله تعالى لتدبير عباده في
معاشهم ومعادهم وهم الانبيا المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها اما قلوب ساير
الخلق فانها اذا اشتغلت بامر انصرفت عن الاخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال
تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق
الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد
من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة
الملك الملقي في القلب ويسمى الاول الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبيا والاول يختص به الاوليا والاصفيا والذي
قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلما ● وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشيا كلها
وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو
منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح المحفوظ في مراة القلب يضاهي انطباع صورة من مراة
في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فيكشف الحجب
عن اعين القلب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام
ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطا وفي اليقظة ايضا حتى ينقشع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شي
من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا
في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة
الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم
وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق
كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم ● واذا تولى الله تعالى
امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف
الرحمة وتلالا فيه حقايق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش

والنجوم

التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم
والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علايقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله تعالى كان الله
له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم
والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمها ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس
فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتامل في تفسير ولا يكتب حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى الله تعالى وذكره
فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على
لسانه ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهياة الكلمة ويبقى
معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس وليس
له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله تعالى من رحمة فتحها على الانبيا والاوليا
بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فيلمع
لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول
ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم
وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط • واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا
وجود هذا الطريق وامكانه وافضاه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاوا ثمرته
واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس
وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليا • وقال قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها
بحقايق العلوم تشبث بالقلب خيالات فاسدة تطمين النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها
بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب
والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه ثم لا
باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن
دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق
الما اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الما الصافي فينفجر الما من اسفل
الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمسة مثل الانهار ويمكن ان
يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان يسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض
البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينبوع العلم من داخله • فان قلت وكيف ينفجر العلم من
ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق
الاشيا مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود
على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك
النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السما والارض ثم يغض بصره يرى
صورة السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدم السما والارض وبقي هو لوجد صورة السما والارض في نفسه كانه يشاهدها
وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم
الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات
في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود

صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية
والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة
العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجوده في الخيال ثم منه وجوده في القلب فانك ابدا لا تدرك
الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب
والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلا بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب تتصور
ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيه صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة
من النظر الى الما الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس
من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح
المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الما الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس
فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة • وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك
وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح
بابه الداخلي الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في
المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن
هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد
اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا
الفرق بين علوم الاوليا والانبيا وبين علوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة
ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالم الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة
فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين • **المثال الثاني** يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في
اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلا القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط • وقد حكي ان اهل
الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين
منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر
ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فعجب الملك من قولهم
وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا بجانبهم يتلالا
فيه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا
فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما
والحكما بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاه لا يتكدر
واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلته المقربة الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم او ما حصله من الصفا
والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم
غني وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة
المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقا الله تعالى الا بانوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم • وقد ورد
في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفا اخرى
فاذا اضا قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم
كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه
يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت
الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وهذا ايضا يضاهي قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح
فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان
الانبيا كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من

البيت فكذلك تتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان
وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه
اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خير من الف مثله الا
الانسان او المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف الموقن وانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين تفضيل للمؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد
وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة
درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب • وقال
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تتضح تفاوت
درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله تعالى عظيم الغبن
والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك
الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يبخس حظه منه وللآخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار
عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب
والحكايات • اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير
تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة
ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل
له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه
في دعائه سؤال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي • وسئل
صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به
في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا
شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه • وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة
من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال الله تعالى ففهمناها سليمن خص ما انكشف له باسم الفهم • وكان ابو الدرداء يقول المؤمن
ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم • وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى
قد بينا الآيات لقوم يوقنون • وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان علم ظاهر وباطن فعلم باطن في القلب فذلك
هو النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى
مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ
صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ من ربه تعالى اي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى آتيناه رحمة
من عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب
من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة

ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر اذ ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله عنه لعائشة انما هما اخواك واختاك وكانت
زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له ان
العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة • وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمن
رضي الله عنه وكنت لقيت امرأة في الطريق فنظرت اليها نظرا شزرا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل على احدكم وآثار الزنى
ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنى العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له أوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة
وبرهان وفراسة صادقة • وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل
على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داوية دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له
سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية • وعن
احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد قلت ما الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني
خاطري وقال بل انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه
خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته
الصرة فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال عقدنا لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا
ناخذ عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله عز وجل • وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير
التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به يتبعني وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى
كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب
ولم يقرأ فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد
قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد • وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي
عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد
ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه
ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات
وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما
اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان
يكون في الوجود شخص كاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة
لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع
والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة
ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت • واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى
التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر
على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي عليه شيئا
من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان
الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة • وقال
بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه
فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته
فقال لم يكن عندي في المسئلة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت
الى قلبي فسألته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله
تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه • وقال

قال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب الى امرا الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه تنجلي لهم امور صادقة • وقال بعض العلماء يد الله تعالى على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هيا الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظواهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخاطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنه والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضا والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا • والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغوا وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى امضاه وما كان من عدوه جاهده • ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن ان يكون له اصبع مركب من لحم وعظم ودم منقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم ولا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد

الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملئكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحها جنود الشيطان وملكوها فامتلات بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملئكة • قال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلا بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله تعالى ولذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله تعالى وقال عثمن بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله تعالى منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني • وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شي سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شي انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شي سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجال الشيطان فذكر الله تعالى هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشي الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح • وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر فتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يداخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضرها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علم ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو وينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير • وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين • فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملئكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داعي الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داعي الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان

فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تعالى تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله تعالى الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى صلوات الله عليه فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلما والعباد والزهاد والفقرا والاغنيا واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات • واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهي عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمومن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله تعالى واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلما والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملايكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيه مثاله المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله تعالى ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي تلك الخطوط فبين صلى الله عليه كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلما والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرايل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به

حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي خنقتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك • فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكباير وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن ابوابه العظيمة** الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شي اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم • ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصته فحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلم لما ركب السفينة حمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فيكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنتين فاوحى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره يحدثك بالثنتين فقال ما الثنتان قال هما لا يكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص • **ومن ابوابه العظيمة** الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى صلى الله عليه فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه تعالى فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال قد امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم لك فاني رسولها اليك ورسولك اليها • فاشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا والامتناع عن سجود آدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله • وقال بعض الانبيا لابليس باي شي تغلب ابن آدم قال آخذ عند الغضب وعند الهوى • وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه **ومن ابوابه** حب التزين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يوديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سو الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه • **ومن ابوابه العظيمة** الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شي فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني آدم قال فهل لي فيها شي قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا **ومن ابوابه العظيمة** الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثنا عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال

نظر فان كان خيرا فامضه وان كان شرا ارددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله تعالى سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه
العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى وقال تعالى خلق الانسان من عجل
وقال وكان الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة
والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدرى •
وروى انه لما ولد عيسى صلوات الله عليه اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد
حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى صلى الله عليه قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال
ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذه فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني
آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار
وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق
انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل واحد الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود
المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى به دارا ويعمرها ويشترى جارية ويشترى
اثاث البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شي من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق
جهنم ولا آخر لها سواه • قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا
ثم جاؤوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى
اصحاب النبي صلى الله عليه فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك
فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم • وروى ان عيسى صلى الله عليه توسد حجرا فمر به
ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا • وعلى الحقيقة من يملك حجرا
يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر
يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف
بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان
ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة
ابن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه
وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء
ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشيطان روى عن ابي امامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا
قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله تعالى عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا
قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء
ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك
الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا
خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه
يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل للحرام ومطلق اللسان بالفضول
والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان هو اول عدوله اذ موالي ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما
بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حجرة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاين لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه وترى فضوليا
آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى
الفاسق لا يبالي بلبس الثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري
من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحيوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي
حب ابيه وولاه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة رضي الله عنهم من الاهل

والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله
وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة في امة رسول الله
لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر
انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولده فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا
وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم • فكل
من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان
لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة الذي هو مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي
كاذبا وهذا من مداخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله تعالى خوفهم وضعف في الدين بصيرتهم
وقوى في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم
على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى
يتوب علينا وعليهم • قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا
لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون
عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن
مسعود قعد قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا
فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك
مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها
حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا تعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع
في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه
واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لانفسهم وظنونهم واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله
ورسوله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه لم يامره في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون
العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم وبمعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي لو يزني او يسرق خير له من ان
يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله تعالى وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة
ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر له وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله
تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن • ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر
في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع
الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه احترز منه روى علي بن حسين ان
صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه كان معتكفا فاتته فتحدثت عنده فلما امست انصرفت فقام يمشي معها فمر به رجلان من
الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله فظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم واني خشيت ان يدخل عليكما • فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى
لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن بي الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم
لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي
المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن
بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق
يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه
وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله • فان قلت فما العلاج في
دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله • فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب

من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة إلى كتاب
منفرد على ما سيأتي • نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه
من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر
حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص
ذلك بالمتقين ومثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه
وإن كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر • فأما الشهوة
إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات بل بالغفلة لخلوها عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله
فاستعذ بالله وسائر الآيات والأخبار الواردة في الذكر • وقال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهين
كاسٍ وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عارٍ فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى فأظل جائعا وإذا شرب سمى
فأظل عطشان وإذا ادهن سمى فأظل شعثا وإذا لبس سمى فأظل عريانا قال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فأنا أشاركه في طعامه
وشرابه ولباسه • وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا
نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء
قدير • فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا اللعين قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا
هذه الاستعاذة قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع الآن ما شئت • وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم
بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبريل صلى الله عليهما فقال قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا
يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق الليل إلا طارقا يطرق
بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه • وقال الحسن نبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وقال إن عفريتا من
الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي • وقال صلى الله عليه لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني
بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان صلى الله عليه لأصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه ما سلك عمر فجا إلا
سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لأن هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان
عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما
نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب من الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان
كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله
ويهديه إلى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه • وإن كنت تقول إن الحديث ورد مطلقا بأن الذكر يطرد
الشيطان ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوص بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل أن منتهى
ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشياطين في الأسواق وحساب العاملين وجواب
المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك فلا يزدحم الشياطين
على قلبك إلا إذا صليت والصلاة محك القلوب فبها يظهر مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات
الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوساوس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فإن شئت
الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال
وهب بن منبه اتق الله تعالى ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له • وقال بعضهم يا عجبا لمن
يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما أن الله تعالى قال ادعوني أستجب لكم وأنت تدعو ولا يستجاب
لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء • قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا نستجاب وقد قال
ادعوني أستجب لكم قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله تعالى ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم
تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار فأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم

وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم • فإن قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد
أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة بك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث
يؤتى به ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو
إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه
في نور النار وسواد الدخان • وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على أمره فذكر ثبر والأعور ومسوط
وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية • وأما الأعور
فهو صاحب الزنى يأمر به ويزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فيدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم
وأما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في
ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد
به وقد قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك
يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما لو وكل
العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين • وقال يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشؤون معهم • وقال
جابر بن عبد الله إن آدم صلى الله عليه لما أهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة إلا تعنّي عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك
ولد إلا وكل به ملك قال رب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام
في الجسد الروح قال إبليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي إن لا تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال رب
زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا • وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب
والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف
أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله • وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل
ليحيى بن زكريا وقال له أنصحك فقال لا أريد ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه
حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن
ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء • وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد
كفونا أنفسهم • وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء • فإن قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض
وإذا رأى صورته فهو صورته الحقيقية أو هو مثال له يتمثل به وإن كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد
في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين • فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك
حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته إلا مرتين وذلك أنه عليه السلام سأله أن يريه
نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع له جبريل فسد الأفق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى
وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه • والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من
أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف
في المنام لأكثر الصالحين وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في
النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى
في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه
له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في
اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة
صورته الحقيقية فإن القلب لا بد وأن يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي
يقابل به عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي
ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كلها متخيلات

الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس • اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع انواع التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم •

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه يقول الله عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة • وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال سبحانه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا • فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسألة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدإ ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس • الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل • الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهاهنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول • اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب بنفسي قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله تعالى لاطعمني • فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به • واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو

ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي • وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف يكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة • فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعه نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا واشار الى القلب ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت امرأته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت • وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر فانه محجوب عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه • وقالت فرقة لا يسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبتها للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف • وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا • وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربع اعين عينان في رأسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي عمل بها وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه • فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة • الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى المجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة • الصنف الثالث ان يكون وسوسته

بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود
فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساويا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القران وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين
من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه من صلى ركعتين ليس يحدث فيهما
نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار
كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا
المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز
واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة
ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب
وجه ولكن في محل مخصوص • وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد او محال في الوجود
ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم
رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده من ذهب خاتم فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة
الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا ينقطع وسوسة
عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينار واحد فلا يخليه الشيطان في صلوته عن الفكر في ديناره
انه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا
وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال • فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان
وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكما الشيطان ياتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في
بدعة فان ابى امره بالتحرج والتشدد حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال
البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانه آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها
افلت منه الى الجنة **بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات** اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات
التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر
به اصابه من جانب آخر ما يضاده فتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى
شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين
ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية • ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه
على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر
ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه ثلثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب
في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا
لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا يهتدى اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم
مع الله تعالى • والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع
على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب
فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك
يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر
عليه واليه الاشارة بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من
مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية
ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه • وهذا القلب بعد طهارته
من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجا والفقر والزهد والمحبة والرضا

والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب وبقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة
المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عليه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب
الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط
الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل
عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك
زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم
الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة
بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار • ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة
وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل
هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا
كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء
ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر
ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه
عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى
الى القلب حتى يظلم وتنطفي فيه انوار البصيرة فينطفي نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان • **القلب الثالث**
قلب يبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة
وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع
في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا
التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم
يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا
مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان
وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها
ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار • اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم
للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في الصيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت
تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى
قول الملك فلا يزال يتردد بين هذين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب
الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى
واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب
الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت
الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب
اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب • اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات
والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف
ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران
السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم • فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم
وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى

بهذه الحيل وما يجري مجراها فيتسع قلبه لقبول الغرور ويضيق عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء • ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوف لمعرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى • اخر كتاب شرح عجائب القلب •

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد واله الطاهرين وسلم كثيرا •

كتاب رياضة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره • واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اسارير جبينه ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره • اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وقال عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وهو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه بعثت لاتمم محاسن الاخلاق • وقال صلى الله عليه اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله

ما الشوم قال سوء الخلق • وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن • وسئل صلى الله عليه اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق • وقال صلى الله عليه ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار • وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هي من اهل النار • وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق • وقال رسول الله صلى الله عليه ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل • وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي • وعن عبد الله بن عمرو قال كان صلى الله عليه يكثر الدعا يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق • وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله تعالى او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس • وكان من دعائه صلى الله عليه في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت • وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه اليمن حسن الخلق وقال عليه السلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق • وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر قال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجا حسن خلقه فادخله على الله تعالى • وقال انس قال صلى الله عليه ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر ورسول الله يضحك فقال عمر اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب قال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله صلى الله عليه ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك غير فجك • وقال صلى الله عليه سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح • وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم •• الاثار قال ابن لقمن لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت خمسا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي لله تعالى ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد • وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا • وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ الخلق • وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعالي الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف • وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل

ابن عباس ما الكريم قال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس
واساس الاسلام حسن الخلق ● وقال ابن عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب
الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن
وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه
ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه
وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن
وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء ● وقال ابو عثمان هو الرضا
عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا تتهم مولاك
في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال
علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفا
الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك همة غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس
محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان
حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان
مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة
بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في
هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة
بحيث تصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منه افعال قبيحة سميت الهيئة التي هي
المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك
في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد
وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة
للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليه احد الامرين اما الحسن او القبيح ● وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا
يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريا وليس عبارة عن القوة لان نسبة القدرة الى الامساك والاعطاء
بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن
المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها
الامساك او البذل ● فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين
دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق
فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلث ● اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان يصير بحيث يسهل بها ادراك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل
في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال تعالى
فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ● واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك
الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل ● واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب
والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي
لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون
جموحا فمن استوى فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل منه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى
ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض ● وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة

الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي جبنا
وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان
رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور ● واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال
في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة
للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها
ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع
فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة
الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا افات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر
البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق
بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض ● واما
المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا ● واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة
وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه
الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب ● واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض
عن تناول الحق الواجب ● واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة
والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة
والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع
وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده
متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله وكل من جمع كمال هذه الاخلاق
استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف
باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب
فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف
المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة
والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على
الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال ● فهذا بيان معنى الخلق وحسنه
وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة** اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة
والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة
لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك
القبح الباطن يجري هذا المجرى **والثاني** انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من
مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وذلك محال وجوده ● فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى
الانس والكلب من الاكل الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن
ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الادمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا
وساير اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول

لكمال بعده او وجود شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انه خلق خلقة يمكن ان يصير نخلا ان انضاف
اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب
والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد
امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها
سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا
واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما تخلق له الغضب وبعد
ذلك تخلق له قوة التمييز • والسبب الثاني ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه
على اربع مراتب **الاول** هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يستمر
ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم مرشد والى باعث في نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب
زمان **الثاني** ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه
لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد
والآخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم **الثالث** ان يعتقد في
الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليه فهذا يكاد يمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف
اسباب الضلال **الرابع** ان يكون مع وقوع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس
ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني
جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير **واما الخيال الآخر** وهو ان الآدمي ما دام حيا
فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات
بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع
لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي
يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين
الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع
قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما يصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع
جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب
كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر احدهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو
الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط
الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على
ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه
فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا • وقال في الغضب اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه خير الامور اوسطها ولهذا سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن
عوارض هذا العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم • والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان
يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب
الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا واذ لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا
ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين
فكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والخمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي
قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا • نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال

راسا ولا يرخص في شيء منه لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه المرخص فيه • واذا قصد قلع
الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا
يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق **بيان السبب الذي به ينال حسن
الخلق على الجملة** قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل
والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان
الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب متأدبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا
جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم **والوجه الثاني** اكتساب
هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود
فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير
نفسه جوادا • وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها
مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان
يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة • والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن
يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق
الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك
المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى
فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير
ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام
وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك
كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى
وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما تتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا
ويترسخ فيها حب الله فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له
فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومتلذذا ولا ينبغي ان
يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في
احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب
ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة • وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول
نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه
من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى
يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطى غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت
احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه
ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة
كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف
فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزم المواظبة عليه بل ميل النفس الى
هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة • فاما ميله الى الحكمة وحب
الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب
من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة
فلا يشتهي الطعام والشراب وهما سبب حياته وكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب

ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فبعد ذلك لا يدل ذلك على المرض فإذا عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها
بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فإن كل
صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فإنه يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور
ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد
ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا
ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر في الابتداء تكلفا فكان الخط
الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى النفس ثم انخفض من النفس أثر إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن
طبعا وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير
فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له
إلا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأخلاق
الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد
يدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى يأنس النفس بالكسل ويهجر التحصيل رأسا فيفوته فضيلة الفقه ● فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى
بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس بأثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا
على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة فلا يحس بأثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان
بقليل الطاعات فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فلها لا محالة
ثواب لأن الثواب بإزاء الأثر وكذا المعصية ● وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه
عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إما أن يختطفه الموت بغتة أو يتراكم ظلمة الذنوب على قلبه
وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو
المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد
الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب لمظة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك
السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الأفعال الجميلة وتارة
بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه
الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له أقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب
الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته
وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ●

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في
مزاج البدن هو صحة له فالميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا ● فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق
الردية عنها وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه فكما أن الغالب على أصل
المزاج الاعتدال وإنما تعتري العلة المغيرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة فأبواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي بالتعويد والتعليم يكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية
بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن
الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذا النفس منك إن كانت طاهرة مهذبة الأخلاق فينبغي أن
تسعى لحفظها وحفظ صحتها وصفتها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى
لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها إن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة
فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف
عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة
والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذاب يدوم بعد الموت أبد

الآباد وكما أن مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة
ولا بد له من معيار يعرف مقدار النافع منه فإن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج به الأخلاق لا بد له من معيار وكما أن
معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة وإن كانت من حرارة فيعرف درجتها
أهي ضعيفة أو قوية فإذا عرف التفت معه إلى أحوال البدن وإلى أحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها
فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص
وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم ● فكذلك الشيخ لو أشار على
المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما يحتمله بنيته من الرياضة
ويبني على ذلك رياضته فإن كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا
بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فإذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال
إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا
يلتفت إليه ● فإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة الرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا
ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذا الرعونة وإن رأى الغالب عليه
النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إليه فرحا به ملتفتا إليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة
المطبخ ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات
الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله
تعالى ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ● ومن لطائف الرياضة أن النفس إذا كانت
لا تسمح بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقل من الخلق المذموم إلى مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل
الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر
الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل
إلى جاه أخف مما هو فيه وكذلك سائر الصفات وكذلك إن رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام أولا ثم كلفه أن يهيئ
الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه ● وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى
النكاح وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيأمره بأن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء
ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتى تذل له نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادئ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم
والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويأمره بخدمة من ساء خلقه ويمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود
نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة
له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب
البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليلة على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء
إرادته كان يكسل نفسه عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول ليلة ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع ● وعالج بعضهم حب المال بأن
باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس
غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما الغرض الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه
النفس وتميل إليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ● والأصل المهم في المجاهدة الوفاء
بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة وقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه
كسر العزم ألفت ذلك وفسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب
المراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة ويفسد به الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عودها إلى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي
خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار
فكذلك مرض القلب بأن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وإيثار

نقض العزم

ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او الابصار او غيرها بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان آباوكم وابناوكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا • فمن عنده شي احب اليه من الله تعالى فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما او سقطت شهوتها عن الخبز والما فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله تعالى الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطبا هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قل ما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الدا عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياة فهذه علامة اصل المرض • فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج دا البخل فانه المهلك المبعد من الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا دا ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا دا بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه • فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى ينقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالما فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشي مما يتعلق بالدنيا حتى يرحل النفس عن الدنيا منقطع العلايق عنها غير ملتفت اليها ولا متشوف الى اسبابها فعند ذلك يرجع الى ربها رجوع النفس المطمينة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله تعالى من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا • ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشر مرة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت قراة الفاتحة في كل ركعة مرة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سوا السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا يصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج كل واحد منها على الترتيب •

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم يخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق **الاول** ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ايمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مايدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال

وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقا من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقايك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطاي اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من نصحنا وعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيية حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتله وانما نكايته على البدن ويدوم المه يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث** ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدايه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدايه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم • **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن مراة المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شي منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المودب • قيل لعيسى صلى الله عليه من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده •

بيان شواهد النقل من ارباب البصاير وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات • فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلما اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بين خمس شدايد مومن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه • فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلى الله عليه طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غايب لم يره وقال صلى الله عليه لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس • وقال صلى الله عليه المجاهد من جاهد نفسه في الله تعالى • وقال صلى الله عليه كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر • وقال سفيان الثوري ما عالجت شيا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابنا الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك • وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شي اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام

من عمل التهجد وقلة المنام وضربها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتامن بوائقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان
بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات • وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنع قلبه
الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم • وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات
فقد غرس في قلبه شجر الندامات • وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان
امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعدما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيّرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيّرا
العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين • وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم
اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا انا برجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس
بي قال يا ابا القسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال
متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه
من الجنيد قال فانصرف وما عرفته • وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة • وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام • وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا
وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذا اتفق العلماء
والحكماء على ان لا طريق الى السعادة الآخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من
الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون
مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا مات
تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه
والتفكر فيه وينقص من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله
تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات
مدة مديدة • الثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان فهذا من الهالكين
والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى
على قلبه • والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه
وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال
ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسيأتي ذلك في بيان ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص رحمه الله
كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلم يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شيء فقلت
ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك شهوة الرمان فان
لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت • وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي
ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها • فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم تمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا
لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت الا عن المهمات حتى تموت
منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي النظر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر
الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو الذي بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها
عن الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفة اعظم من
هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ممتلئة به كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك
الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى
وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم
الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر
والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب
في عرصات القيامة عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس
بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توحشه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه
يحبس اولا في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى
يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها
بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر الله تعالى
عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي وهو شديد عليه اذ
كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا
منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي
ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الاسراح الذي الفته
بالسلاسل والقيود اولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها
بان تمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئا يلزمه
فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل
فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل
العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة
والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه
او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع
عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك
اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة
ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت
والسلم •

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما
ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق
هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم
به حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله هم الوارثون وقال تعالى التائبون العابدون الى
قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا • وكذلك قال وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة • فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود
جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل
ما فقده وحفظ ما وجده • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما
يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه اذا رأيتم المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن • وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل
لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره • وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال
ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا
حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله تعالى
ويبغض في الله تعالى ويرضى في الله تعالى ويغضب في الله تعالى فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه عن علامة المؤمن والمنافق

قال إن المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة • وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله تعالى والمنافق راج كل أحد إلا الله تعالى والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله تعالى والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله تعالى والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لأن حسن الخلق احتمال الأذى فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر بعطائه • ولما أكثرت قريش واليهود إيذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم • وحكي عن إبراهيم بن أدهم أنه خرج إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له أنت عبد قال نعم قال أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الرجل إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه موضحة ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما هذا فأخبرهم الجندي فقالوا هذا إبراهيم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له لم قلت أنا عبد فقال إنه لم يسألني أنت عبد من قال أنت عبد قلت نعم لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة فقيل له إنه ظلمك فكيف سألت الله تعالى له الجنة فقال علمت أني أوجر على هذا فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر • ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير فقال إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال أبو عثمان الذي رأيت مني هو خلق الكلب فإن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر انزجر • وروي أن أبا عثمان اجتاز في سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل ألا زبرتهم فقال من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز أن يغضب • وروي أن علي بن موسى الرضا كان يميل لونه إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان له بنيسابور على باب داره حمام وكان إذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فأطبق باب الحمام ومر الحمامي في بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي إلى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه فدخل الحمام فرأى علي بن موسى رضي الله عنه فظن أنه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسأل عن الحمامي فقيل إنه خاف فهرب قال لا ينبغي أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء • وروي أن عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي من الاتفاق أن عبد الله قام من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي إلى التلميذ واسترجع منه ما خاطه ودفع إليه درهما زائفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وأنا أصبر عليه وألقيها في البئر كيلا يغر به مسلما • وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشرة أشياء قلة الخلاف وحسن الإنصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه • وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه • وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من خلقه قال بينما هو جالس في داره إذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى • وقيل كان أويس القرني رضي الله عنه إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة • وشتم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال إن كان قد بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبوك • وروي أن عليا رضي الله عنه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى • وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة • وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم • فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون •

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشو ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الأب يصونه من نار الدنيا فبأن يصونه من نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ويهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فإذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه • وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ويقول بسم الله عند أخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره ولا يحدق إلى الطعام ولا إلى من يأكل ولا يسرع في الأكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الإدام حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح بين يديه الصبي المتأدب القليل الأكل ويحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان ويحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأكثر رديء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب • ثم ينبغي أن يشتغل في المكتب بتعلم القرآن وبأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ عن الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ عن مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله لا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فإن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم • وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في العطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر من التحذير من الحيات والعقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا • وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاوب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس • وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء • وأصل تأديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا

يتشفع باحد بل يصبر ويذكر ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب
ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص
العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا • وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان
ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويؤمر بالصوم
في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة
والفحش فكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة
ادوية وان المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر
لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان
النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب
والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي
ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال
خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر
الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك
فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين
فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوني الى
المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم على اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وانا ابن ست
او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشر سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوني الى
البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته
عنها فاجابني فاقمت معه مدة انتفع بكلامه واتادب بادابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق
فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال
ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة
يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت معه خرزة فراى جوهرة نفيسة
لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر
ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من
الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع
من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء
بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في
رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين
عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة • فان تنبه متنبه في نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة
في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان لها شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد له من التحصن به
ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق • **اما الشروط التي لا بد من تقديمها في
الارادة** فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون • والسد بين المريد وبين الحق اربعة اشياء المال والجاه والتقليد والمعصية
وانما يرتفع حجاب المال بان يعرفه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب

عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق
وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق
صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي
ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من
شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا • **واما المعصية** فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود
وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة
كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه
فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسراره واغواره فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا
ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان
سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير
خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر • فمعتصم
المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره
ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه
ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة • والصمت • والجوع • والسهر • وهذا تحصن من القواطع
فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه **اما الجوع** فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه
رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات
قال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم • قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون
والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين
واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال
الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع
الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة
ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة • وقال ابرهيم الخواص اجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء **واما الصمت** فانه تسهله العزلة
ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب او تدبير فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم
فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى **واما الخلوة** ففائدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من
تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد
في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في
الجبة او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان رسول الله صلى الله عليه بلغه النداء وهو على
هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل
بعده بسلوك الطريق فانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك
العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها
اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة
وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة
مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد
ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب
الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري
ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني فيها غير الله فحرام عليك ان تاتيني • وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلاء

جب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد فإذا صار كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه ملازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من أحواله وأحوال غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك. ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى قولنا الله ولأي معنى كان إلها وكان معبودا وتعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر أو بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال الله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون. وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى علقة أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وليستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه. وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا أوجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وإن كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات. ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق وقال مرة قلت دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قساوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبدا. فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى أبدا ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا. وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاما وأجزل لفظا وأقدر على جلب قلوب العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه لذة القبول وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن يوازرني على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على

من انفتح لهم أوائل الطريق فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال تعالى كلا بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج إلى لقاء الله تعالى فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب. كتاب في كسر شهوة البطن والفرج. وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد. وكتاب في كسر شره الكلام. وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها. وكتاب في كسر حب المال وذم البخل. وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه. وكتاب في الكبر والعجب. وكتاب في مواقع الغرور. وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى. فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فإنما يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

الحمد لله وصلواته على محمد وآله أجمعين والسلام.

كتاب آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه. المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقلله حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه. والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه. أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذ عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين.

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله عز وجل من جوع وعطش. وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه. وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته. وقال صلى الله عليه وسلم سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف. وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة. وقال الحسن قال النبي

صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة • وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا
وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب • وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه كان يجوع من غير عوز اي مختارا له وقال صلى الله عليه ان الله تعالى
يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته
بها درجات في الجنة • وقال صلى الله عليه لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء • وقال صلى الله
عليه ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه • وفي
حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه
في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا
بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض لفقدهم ويسخط
الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس
يظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند
اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة • يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة
لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت
وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار • وروى
الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال
عيسى صلى الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل • وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه ايضا رواه طاووس • وفي
التوراة مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود
ان الله تعالى يبغض القارئ السمين • وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش • وفي الخبر
ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه المؤمن ياكل في معى واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله
المؤمن او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعى وليس المعنى به
زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن • وروى الحسن عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ادمنوا قرع باب الجنة يفتح
لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما • وروي ان ابا جحيفة تجشى في مجلس رسول الله صلى الله عليه فقال اقصر من جشائك فان
اطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا • وكانت عائشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة
لما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني
من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخلائي واخواني
قالت عائشة والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى • وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه فقال
ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام • وقال ابو هريرة
ما اشبع رسول الله صلى الله عليه اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا • وقال صلى الله عليه ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع
في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة **واما الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات • وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة • وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخافين اتخافين ان تجوعي لا
تخافي انت اهون على الله من ذلك انما جاع محمد صلى الله عليه واصحابه • وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة
بلغتني ما بلغتني • وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر ما انعمت
به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا
وامسى جائعا وهو عن الله راض • وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي
منزلة نلت هذا منك • وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع
الزاهدين حكمة • وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال

ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه • وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم
وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي يوم القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا
انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما
عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد
الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال انما صار الابدال
ابدالا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت
عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله تعالى وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها
بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام • وسئل
حكيم باي قيد اقيد النفس قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن
ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها • وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع
ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع • وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود
المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام
وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله عز وجل رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا
لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى يا ولي الله ادع الله تعالى لي
فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي • وروي ان موسى عليه السلام لما قربه
الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل يوما **بيان فوائد الجوع وآفات الشبع** لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه
الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء
الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه
من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة
العلماء ومن جوع نفسه مصدقا بما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا
ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر
فوائد **الفائدة الاولى** صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر
حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار
بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم
بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق • ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه من اجاع بطنه
عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكاة وان زكاة البدن الجوع وقال الشبلي رحمه الله
ما جعت يوما لله تعالى الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط • وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستكشاف
بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة • وقال
صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله تعالى الشبع والقربة الى الله تعالى حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم
ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم
من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم
تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما يكون العبادة الي اذا التصق ظهري ببطني • وقال الجنيد يجعل احدهم
بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبار • فاذا تاثر
القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية **الفائدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي
هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ
ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنه وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره

والما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا
للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها فقال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت
وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والانكسار والذل باب من ابواب الجنة واصله
الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من
الاخر **الفايدة الرابعة** ان لا ينسى بلا الله تعالى وعذابه ولا ينسى اهل البلا فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد
بلا الا ويتذكر بلا الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون
الغساق والمهل ● ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلا نسي عذاب الاخرة
ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهدة بلا واولى ما يقاسيه من البلا بلا الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر
عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلا بالانبيا والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلم لم تجوع وفي
يدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على
خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة الخامسة** وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس
الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما
السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت
وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح
بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش ● وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت
عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا ● وهذه ليست
فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع
لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع
افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ● واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع
يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض التقوى فلا يملك
فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثنا الصلوة وانما ذكرنا امر اللسان
والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضا السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز
البحت سنة لا يخالط معه شيا من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه مونة النسا **الفايدة السادسة** دفع النوم ودوام
السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت
التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم
فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا
من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالما البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد
ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما يقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان
الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له
الفايدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى
زمان في شرا الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الما لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى
الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت
ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة ● فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل
نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة
ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الما واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر
لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة وانما

يستحقرهم الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ويعرفون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست افات فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق
لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل
الفايدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من
العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون ونفقات
لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك ● حكي ان الرشيد جمع اربعة اطبا هندي
ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا دا فيه فقال الهندي الدوا الذي لا دا فيه عندي هو الاهليلج الاسود ● وقال الرومي
هو حب الرشاد الابيض ● وقال العراقي عندي هو الما الحار ● وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا دا وحب الرشاد يرق المعدة
وهذا دا والما الحار يرخي المعدة وهو دا قالوا فما عندك قال الدوا الذي لا دا فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه
فقالوا صدق وذكر لبعض الفلاسفة من الاطبا اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال
ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه البطنة اصل الدا والحمية اصل الدوا وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان
تعجب الطبيب حتى من هذا الخبر لا من ذاك ● وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد
الجوع ويرفع قبل الشبع ● وقال بعض افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان
يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان ● وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة
القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المونة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع
صار بطنه غريما ملازما له اخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل
ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماة والمومن خفيف المونة قال بعض الحكما اني لاقضي عامة حوايجي بالترك
فيكون اروح لنفسي ● وقال اخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي ● وكان
ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشي من الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك ● وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان من اهل
العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف الله تعالى من نفسه ● وبالجملة سبب هلاك الناس
حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار
وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا وصار
حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فانه انما لا تلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفايدة العاشرة** ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل
من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل
الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع ● وكان
الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرايق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ
البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قيل وما فيها فذكر الجزا والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها
انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه عز وجل فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما صنعوا فيها وسعوا بها
دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلا
وهم من الله تعالى في عافية يقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا او ازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام
حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشي يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة
اين اليتيم اين المسكين التي امرك الله تعالى بهم وهذه اشارة الى هذه وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله
فيتضاعف عليه الوزر ● ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان
خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك ● وعن الحسن رحمه الله قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام

يكفيه ولو شا لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله تعالى ● فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوايد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوايدها فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف **الاولى** ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبنا على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها

الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزا من ثمانية وعشرين جزا او جزا من ثلثين جزا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يضره ولا يظهر اثره فان شا فعل ذلك بالوزن وان شا بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهو الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قايما مع قوة الاكل ● وسئل سهل عن بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مخلطا ثلثمائة وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له الساعة كيف تاكل قال بلا حد ولا توقيت ● ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام

الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشي مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك من عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم **الدرجة الثالثة** ان يرد الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما ورا المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثر فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك بالجوع ● وقيل ان يبزق فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الما والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم ● وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلما يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم رحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي ومسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن احمد الخواص ● وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروى ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة وقال بعض العلما من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطايفة مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا لنبي او صديق قال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى في نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية** ان يطوي يومين الى ثلث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة **الدرجة الثالثة** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ● وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة ● وقال صلى الله عليه لعايشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف فكان اكلتين في يوم سرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان ياكله سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر ● وفي حديث عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر ● فان كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام وان كان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر ليسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه

الوظيفة الرابعة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقساوة في قلبه وانسا للقلب بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقا الله وتصير الدنيا جنة في حقه فيكون الموت سجنا له ● واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا اشتهت الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادتها فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن دام عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم وتانس بالدنيا وتالف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يعودهم الى اقتحام امور وتلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس يتشدقون في الكلام ● واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم اذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات ● وقد اشتد خوف السلف من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السما الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر من شربة ما بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس ● وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشوي وحمل اليه على رغيف فقام سايل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها قال لفها وادفعها اليه قال الغلام للسايل هل لك ان تاخذ درهما وتترك السمكة فقال نعم فاعطاه ودرهما فاخذها ووضعها بين يديه

فقال قد اعطيته درهما ولكن تهامنه قال القها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ عليه اذا
سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا
وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه
فجاءه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشوى وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان الطعام بعد طعام والذي نفس
عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم ● وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر رضي الله عنه دقيقا قط الا وانا له عاص ● وروي ان عتبة
الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الآخرة الشوى والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف
من حب كان في الشمس نهاره فيقول مولاه له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع ●
وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة
وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي
بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة
فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما
اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني
ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى وقال
حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تاكليه
ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ● ومر ابو حازم بالسوق فراى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة
لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت
والله لا ذقتيه فبعث به الى يتامى من الفقراء ● وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة ● وعن احمد بن خليفة قال نفسي
منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها ● وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما ان كان بعد ذلك قال قد استحييت من
نفسي ان ادافعها منذ سبع سنين سنة سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقيت صبيا فقال الست ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله
اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى
بقيراط وزنه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس قال عتبة وجراتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا
الا بذنبك علي لا ذقتيه وترك التمر ● واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا قال فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك
يوم القيامة ولم يكن ياكل الا قفارا ● وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها من قلبي قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد
على الخبز شيئا قال فان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان
نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا ● وقال جعفر بن نصر امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته
فلما افطر اخذ واحدا ووضعه في فمه ثم القاه وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري
قلت لعطاء السليمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت
له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك
قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه
ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في آخر ●
وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك
على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة ● وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه
فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا
حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم
انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به ● وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من
خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو قال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول

فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا وكان بشر الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن
ابن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل
بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا اقل
ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامي قال تعرف شيئا اقل ثمنا من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص
بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان
امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات
حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في
الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما
ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه ● وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا
ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين
فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا
عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القرآن عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها
واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي
ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ● ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا
بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم
الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته ● وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض
انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما اتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات
واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوة
يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة
فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان من
اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية وكان ما اسلفوه ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها ●

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور
اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة
ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما
يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى
يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان
اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله
عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل
بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من
العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل
الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال
ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض
فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج ولا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على
الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة
خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط
فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا

ولا تشتد ضراوتها ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال
الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع
كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها
وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد
فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه
في اكثر الاحوال ليكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فيرد بعد ذلك في الغذا ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة
اما صديق واما مغرور احمق ● اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور
فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا
ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة
حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير
بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عايشة كان صلى الله عليه يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صايم وقد كان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت الصوم
ثم ياكل وخرج صلى الله عليه يوما وقال اني صايم فقالت عايشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا
قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات
ثلث دراهم في ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني آكل كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار واحد ما آكل وقد
كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فقال اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم
قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ● ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال
خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات
يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف
في اللباس والاثاث فالذي اخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم مناقضا لما سمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح
بيتي منذ عشرين سنة ومن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فما فعلت فيرى هذا متناقضا فيتحير او يقطع بان
احدهما مخطي والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور
فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليست نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهولا من الممتنعين من
الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي
فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بتطريقه قامت القيامة عليه واشتغل
بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية
او النبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون
اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب
حلاوتها ويبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى
الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن
الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص
ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لا يامره بما لا يفعل وينفره ذلك في رياضته ● والقوي اذا اشتغل بالرياضة
واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفا تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلا عظيم للانبيا والاوليا واذا كان حد الاعتدال
خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده
ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا
وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال ● فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الريا المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او يقلل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات
احديهما ان لا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة
وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلما عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل تعلم به باسا قال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة
بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهره فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفا النقص واظهار ضده من
الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين
فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم
عين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره ● فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالغش والريا والاخفا بل كمال العارف ان يترك
الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من
الزاهدين ولكن يعني به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده
وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه
ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يشبه طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر
سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك
فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الريا المجرد ويروجه الشيطان في
معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك
الشهوات ● **الآفة الثانية** ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة
وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة
اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط
نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها ● وقال جعفر بن محمد الصادق
اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها فان اخفت شهوتها واظهرت
العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام
ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج**
اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى
لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان
ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق ● الفايدة الثانية بقا النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم
تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة ● وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب
هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله
وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي ● وقال النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنسا سلطنة
على الرجال ● وروي ان موسى عليه السلم كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه
ثم اتاه فقال السلام عليك قال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جيت لاسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه
قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي
ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت
به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه
علم موسى ما يحذر به بني آدم ● وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يياس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي اخوف عندي منهن
وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح ● وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي
الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جندي الشهوة ونصف جندي الغضب واعظم الشهوة شهوة النسا ● وهذه
الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنسا والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة
او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوى شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما

قد تناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوته للطعام وما مثال ذلك الا كمن يبتلى بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص. فان قلت فقد روي في غرائب الحديث انه صلى الله عليه قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة. فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم. والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها. وما العشق الا سببه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه. وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة. ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها. ومثال علاجها بعد استحكامها ان يترك الدابة حتى يدخل ويجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح. فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلا ومطيعا للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء.

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى. ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى ولا يقاس الملائكة بالحدادين. ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا. وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان. وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال ما آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى. وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم. وكيف يقاس غير رسول الله به وكان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يخاف احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه. فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله. فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة. وهذا اذا لم يغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى ليسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها. وزنى العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنى الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه. قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظرة. وقال داود لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة. وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنى قال النظر والتمني. وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظرة. وقال رسول الله صلى الله عليه النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه. وقال صلى الله عليه ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء. وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء. وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية. وقال صلى الله عليه لكل ابن آدم حظ من الزنى فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه. وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه احتجبا فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه. وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادات به في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة. وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد

بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر. فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم يزل وجوه الصبيان مكشوفة. اي تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احديهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون. قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار وهو من غلام امرد يجلس اليه. وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا. وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون. فآفة النظر الى الاحداث عظيم فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع. قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشتد منه فرايت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي. ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته. وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية. قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك. وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع. وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق. تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء الا وحمل الماء قبلي اليه. وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصابت المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اظهر ان بصره قد ذهب حتى زفت المراة اليه فزال عنهم ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق. وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى. فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني. فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله تعالى طرفة عين. وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به. ودواء هذه الشهوة ثلاثة الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط. ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات. قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من شيء الا اتاه من قبل النساء. وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء. وعن ابن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي

بقميع فقلت من هذا قال سعيد ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فخرجت فاذا
سعيد بن المسيب فظننت انه بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت
فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت
من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شانك
قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهو ذا هي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها
وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي
احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب
الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خير يا ابا محمد على
ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم ● قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت
سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه
مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف ● فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب
المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح **بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين** اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على
الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضيها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او
خوف او حياء او محافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه
العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنى اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا لله تعالى مع القدرة
وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم
فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال
الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه
وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسألته
نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف
الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ● وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو
انه خرج حاجا من المدينة مع رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من
اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت
بين يديه واسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما
اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها
ورجعت راجعة حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا
ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان
وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى اني لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى
اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف
قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب
وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان
شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين
فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا
فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه
وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها
مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع

عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه
فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها ● وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره
حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ
بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة
فخرجوا يمشون ● فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنى فحفظه مهم وهو
عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها
قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة ● وقلما يخلو الانسان
في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين
الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ به وتالم لانه قصد التلذذ فقد فعل
ما يؤلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع
التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق روي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية
اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش
حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي
من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه
فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله
بمكان ليس احد من الناس بمكانه ● وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان
حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو
يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى
اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني
بامرك ولكن معاذ الله ان يتشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم
معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى
منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله
وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب
الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك
يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان
ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسالة فاني متشاغل عنك
بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين
المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى
بعد هذا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن
علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان
الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى
وانا استحيي من الله تعالى ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والله اعلم ●● آخر كتاب شهوة البطن والفرج ● والحمد لله حق حمده

كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه وجمله وعلمه البيان فقدمه وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وتعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فصله ودين سبله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن قبله ما كبره عبد وهلله • اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شي الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل الا الى الالوان والصور والاذن لا تصل الا الى الاصوات واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا ساير الاعضا واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجر سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله او اجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم الة للشيطان في استغوا الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره نفصل مجامع افات اللسان ونذكرها واحدة واحدة منها بحدودها واسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام فيما لا يعنيك ثم افة فضول الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المرا والمجادلة ثم افة الخصومة ثم افة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاة اللسان ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان ثم افة الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزا ثم افة افشا السر ثم افة الوعد الكاذب ثم افة الكذب في القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقايق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم افة السوال اعني سوال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة وهي تمام الافات وهي العشرون منها

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم • وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه • وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيتك • وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وقال صلى الله عليه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلثة بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة الناس فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم • وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا • وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال صلى الله عليه من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضا كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته • وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان

معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شيت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم • وقال سفيان قالوا لعيسى صلى الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمن بن داود صلى الله عليه ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البرا قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه ان الله عند لسان كل قايل فاتقى الله امرو علم ما يقول • وقال صلى الله عليه اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة • وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل • وقال النبي صلى الله عليه ان لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت وجز في الفرار من الناس • وقال نبينا صلى الله عليه من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به

الاثار

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد • وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج الى طول سجن من لسان • قال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه • وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم • وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في ساير عمله • وقال الحسن تكلموا عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت • قال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها ولم تملكني • وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشا الاخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والريا والنفاق والفحش والمرا وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذا الخلق وهتك العورات فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيها قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه منفعة وضرر وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة • اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقايق الريا والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقايق افات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلما وفيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شا الله تعالى ونحن الان نعد افات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونوخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون افة

الافة الاولى

الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الافات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمرا والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت الكلام الى الذكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه اذ لو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة تبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل

بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قاله
النبي صلى الله عليه بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفه الى ما لا يعنيه ولم يدخر به ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب
عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره • وفي حديث آخر ان النبي صلى
الله عليه فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية
على الله تعالى قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه • ومعناه انه انما تتهنى الجنة لمن لا يحاسب
ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنى الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني •
وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك
ما لا يعنيك • وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا
تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يغلبك وان
السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ
بالاجترام • وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني • وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشر سنين لم اقدر عليه
ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني • وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم
الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى • وحد ما لا
يعنيك ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال ولا مال **مثاله** ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع
لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر
واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب
لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك
فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسولة
فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الريا وان لم يدخل سقطت عبادته من
ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب
افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للريا او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع • وكذلك سؤالك عن سائر عباداته
وكذلك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول ماذا يقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق
فتقول من اين فربما يمنع مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه • وكذلك تسال عن مسالة
لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا
يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان دخل على داود صلى الله عليه وهو يسرد درعا ولم يكن راها قبل ذلك فجعل يتعجب مما
راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت
حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال واستغنى عن السؤال • وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسال فهذا
وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في ريا وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث
عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان
يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص به الحور العين فاهماله وتضييعه خسران
هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك
ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني
والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كانوا قبلكم

كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي
لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم لو نشرت
صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ودنياه • وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى
الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا • وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه • واعلم ان
فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان • وعن
مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت
اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغرا وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشار الى ان اللسان اذا اطلق في الثنا ولو في الصدق فيخشى
ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها • وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ حاجته • وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب
حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة • وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان فاعمل ما شئت
واكثر او اقل • وروي ان سليمان بن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السماء
ثم نظر الى الناس وهز راسه فساله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال
ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا • وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر
ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه • وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه فاكثر فقال صلى الله عليه كم دون لسانك من باب
فقال شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال صلى الله عليه ما اوتي
رجل شرا من فضل في لسان • وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة • وقال بعض الحكما اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث
فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث • وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه وان في
الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان • وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه • وراى ابو الدردا امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا
كان خيرا لها • وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام
فيما لا يعني **الآفة الثالثة** الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النسا ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم
المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما
لا يعني فلا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع
الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع الكلمات التي يهلك
صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له
بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة قال فكان علقمة يقول كم من كلام
قد منعنيه حديث بلال بن الحارث • وقال النبي صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا • وقال ابو هريرة ان الرجل
ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه اعظم الناس خطايا
يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال
سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض
ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو ورا ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها
او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة
على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في باطل **الآفة الرابعة** المرا والمجادلة وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه
لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه • وقال صلى الله عليه ذروا المرا فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته • وقال صلى الله عليه من ترك
المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المرا وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه ان اول
ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال • وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد
حقيقة الايمان حتى يدع المرا وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعدا الله بالسيف وتعجيل
الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المرا وهو صادق • وقال زبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن

فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة • وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضا للخصومات أكثر التنقل • وقال مسلم بن يسار
إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته • وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال • وقال مالك بن
أنس ليس هذا الجدال من الدين بشيء وقال أيضا المراء يقسي القلب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك •
وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت
حامضة لسعى بي إلى السلطان • وقال سفيان صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن أبي
ليلى لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك إثما أن لا تزال مماريا • وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث
ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولتباهي به ولترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه • وقال عيسى صلى الله
عليه من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه • وقيل لميمون بن
مهران ما لك لا تفارق أخا لك فقال لأني لا أشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير • وقال صلى الله عليه يكفر كل لحاء ركعتين
وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض
فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه
بإظهار خلل من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور
المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لإظهار خلله وأما في المعنى بأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه لكذا وكذا وأما في
قصده مثل أن تقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية
ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة أو التلطف في التعريف
لا في معرض الطعن • وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك
أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل بل يجب أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة
من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت • وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار الفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه وهما شهوتان
باطنتان للنفس قويتان أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من
صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان
مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية
مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل
ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم
نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه • وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما
سيأتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى
يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي أن أبا حنيفة قال لداود الطائي رضي الله عنهما لم آثرت الانزواء فقال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال
احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منها وهو كما قال لأن من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه
الصبر عنه جدا ولذلك قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد
فإن المراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا
رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة فإن المجادلة تخيل إليه أنه حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه
على أمثالها لو أرادوا فيستمر البدعة في قلبه بالجدل ويتأكد فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة وأثنى الناس
عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والطمع والريا
وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف مجموعها **الآفة الخامسة** الخصومة وهي أيضا مذمومة وهي وراء
المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق
بإظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون
إلا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه إن أبغض الرجال إلى الله عز وجل الألد الخصم وقال أبو هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع • وقال بعضهم إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين ويقال
ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي
يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من خصومة قال فقمت لأرجع فقال
خصمي ما لك قلت لا أخاصمك قال عرفت أنه حقي قلت لا ولكني أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب منه شيئا هو لك • فإن قلت إذا كان للإنسان حق
فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي
يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب يتوكل في الخصومة من أي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب
حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس
يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي
الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت هذا المال رميت به في بئر ولا أبالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو
مذموم جدا أما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام
ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب وإذا هاج
الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل
شر وكذا الجدال والمراء فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر
جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الإثم ولا يذم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيه لأن معه ما يكفيه فيكون
تاركا للأولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب إذ أقل درجات طيب
الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه
أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام • وقد قال تعالى وقولوا
للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
أو ردوها وقال أيضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروي أن عيسى صلى الله عليه مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل
يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر • وقال نبينا صلى الله عليه الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق
تمرة فإن لم يكن فبكلمة طيبة • وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك
ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين • وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة
في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء واللجاج فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج
للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات
وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في
الكلام • وقال صلى الله عليه ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء • وقال عمر رضي الله عنه إن شقاشق الكلام من
شقاشق الشيطان • وجاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك أبعد منك اليوم إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بألسنتها وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من
التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك التكلف
بالسجع في المحاورات إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل
ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه أسجعا كسجع الأعراب وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده
ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب لأن المقصود
منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق

فيها التسجيع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه
الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله
عليه اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش • ونهى رسول الله صلى الله عليه عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولاء
فانهم لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم • وقال صلى الله عليه ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا
البذي وقال صلى الله عليه الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون
بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها
كما يستلذ الرفث • وقال صلى الله عليه يا عايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سو • وقال صلى الله عليه البذا والبيان شعبتان من النفاق
ويحتمل ان يكون المراد بالبيان وهو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في
امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القا ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك
ووساوس فاذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان
من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق
وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وابي امامي فقال صلى الله عليه ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس
اسلاما احاسنهم اخلاقا • وقال ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش ياتي يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس
الا اخبركم بادوى الدا هو اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة
ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها
بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس
والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات
متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوايلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس
يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضا الحاجة عن البول والغوط اولى من لفظ التغوط والخراة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيا منه
فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة
او قيل من ورا الستر او قالت ام الاولاد كذا والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا
ينبغي ان يعبر عنه بصريح اللفظ كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع
ذلك من افات اللسان قال العلا بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج في ابطه فقلنا نساله ماذا يقول فقلنا من اين خرج
فقال من باطن اليد • والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب
وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكن وباله عليه
واجره لك ولا تسبن شيا قال فما سببت شيا بعده • وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي
باس ان انتصر منه فقال صلى الله عليه المستبان شيطانان يتعاونان ويتهاتران وقال عليه السلم المستبان ما قالا فهو على البادي ما لم يعتد
المظلوم وقال صلى الله عليه سباب المومن فسوق وقتاله كفر • وقال صلى الله عليه ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكباير
ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب الرجل ويسب اباه فيسب الاخر اباه **الآفة الثامنة** اللعن اما
لحيوان او جماد او الانسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه المومن ليس بلعان وقال صلى الله عليه لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا
بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول • وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه في بعض اسفاره اذا امراة من
الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه خذوا ما عليها فاعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس
لا يعرض لها احد • وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله • وعن عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه ابا بكر
وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا
فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وقال لا اعود • وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهدا
يوم القيامة • وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه واحد على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون
وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم

بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا
يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل
واحدة ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه
كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة واكلة الربوا وكل ذلك جايز ولكن في
لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير
نزاعا بين الناس وفسادا • والثالث اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص
ثبت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولا ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في
زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر اذ ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا
في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله تعالى على الاسلام الذي هو سبب الرحمة
وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله تعالى الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات على
الكفر ولا لعنه ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو
في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاحوال ويخفى الامر الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم
من يموت على الكفر ولذلك كان يقول في دعايه على الكفار اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم
عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي او يتوب
عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على
مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو
سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا
يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا
فانكم اذا خصصتم غضب الابنا للابا فكف الناس عن ذلك • وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك • وهذا يدل على ان
لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة
يزيد فانه قاتل حسين رضي الله عنه او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة
مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لولوة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى
مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال
صلى الله عليه ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه • وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم
انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطيا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا
والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال
رسول الله صلى الله عليه لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتوذوا الاحيا وقال ايضا ايها الناس احفظوني
في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله او الامر
بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم
رسول الله صلى الله عليه قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد
بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعن واطلاق اللسان به والمومن ليس
بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله
تعالى اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون
ساكت فقالوا يا ابا عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان يخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا
فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنة الله • وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه اوصني فقال اوصيك ان لا تكون
لعانا • وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث ولو قلت

انه مرفوع لم ابال • وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة **الآفة التاسعة** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده • واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا • وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر • وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من الشعر • وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال صلى الله عليه ان من الشعر لحكمة • نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه حسانا بهجو الكفار • والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله •

فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي قلت يقول

ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل • واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل •

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه ما كان في يده وقام الي فقبل بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك • ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكوا في شعر له وفي اخره

وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع • وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع •

فقال صلى الله عليه اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه اتقول في الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة العاشرة** المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه • فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا • وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه • ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا • وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات • وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل اقام عطاء السليمي لم يضحك اربعين سنة • ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار • وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه افة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه ليساله تنفر به فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال نعم وافواهكم ملاى من دمه • واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف به • وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم • وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك • وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيح تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث

الرجال • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق • ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء • فان قلت فقد نقل المزح عن رسول الله صلى الله واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه اذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا • وقال عطاء ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان النبي صلى الله عليه يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس • وروى انس ان النبي صلى الله عليه كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه فقال صلى الله عليه لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا • وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة • وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه بل نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به • وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور • وقالت عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه تعالي اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني • وقالت عائشة رضي الله عنها سابقني رسول الله صلى الله عليه فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسودة فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن به وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله يضحك • وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه ثم قال له ان عندي امراتين احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منهما واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه من مسالة عائشة اياه لانه كان دميما • وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه كان يدلع لسانه للحسن والحسين بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه • وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال وكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى • وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا • وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك • وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه يخطب فوعظهم في ضحكهم في الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل • وقال صلى الله عليه ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه • وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله • وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب والضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الآفة الثانية عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة • وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك • ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابه ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابه وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك ابي من رق الخطا • فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده

الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره • ولما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الخمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ووعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه اذا وعد وعدا قال عسى • وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول انشاء الله تعالى وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان • وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه تطلب منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي يا رسول الله فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيديها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل كان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي • وقد قال النبي صلى الله عليه ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي • وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه

الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار • وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه ان الكذب باب من ابواب النفاق • وقال الحسن كان يقال من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب • وقال صلى الله عليه كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال وجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه الكذب ينقص الرزق • وقال النبي صلى الله عليه ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله تعالى قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه ثلثة نفر لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل • وثلثة يشنأهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر • قال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة • وقال رسول الله صلى الله عليه لو افاء الله تعالى علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور • وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به • وقال انس قال النبي صلى الله عليه تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم • وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد • وقال صلى الله عليه من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان • وروي ان النبي صلى الله عليه رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب • وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة • وقال موسى صلى الله عليه يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه • وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه • وقال صلى الله عليه في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة • وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه قام فينا رسول الله صلى الله عليه في مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة • وقال معاذ قال صلى الله عليه لي اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح

واما الآثار فقال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم فاحبكم الينا

احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا
كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه
انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى كذابا قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته
على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في
القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على
خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما
كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال
رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد وكل مقصود محمود
يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل
ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم
فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي
ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على قدر الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل
الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل
يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه
ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل
كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد
سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت واهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها
واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج فطار له في الناس من ذلك احدوثة
يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامرأته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله
قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فسأله فاخبره فارسل الى امرأة ابن
ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع الى الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب
افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون
بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار
كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها
وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب
خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم او يسأله
عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر فيقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله
عليه من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ
ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر
لكل واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه
الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما
بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود
اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح لضرورة
او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان

من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار
به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل
مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها
بذلك فهل لي فيه شيء قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعطه
كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه
فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف
كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما
ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل
من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير
واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي الى سفك الدم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في
المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا
ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعها وما هو
جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة
فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض وقد نقل عن السلف
ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل من الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا
اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل
على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله تعالى وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان
تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعندك للابهام وكان معاذ عامل عمر فلما رجع قالت امرأته
ما جئت به مما ياتي به العمال من عراضة اهليهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وابي بكر فبعث
معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعا معاذا وقال ابعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك
فضحك عمر واعطاه شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني به ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك
سكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هيهنا كيلا يكون كاذبا وكان
الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هيهنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة
فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن ابن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي
ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب واياك والكذب وما اشبهه
فنهاه عن ذلك لان فيه تقرير المرء على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير
بالمزاح كقوله صلى الله عليه لا تدخل العجوز الجنة وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير واما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري
مع عثمان في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى
ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه لا يستكمل المرء
الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي
بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة
كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلب الا مرة واحدة كان كاذبا
وان طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب
ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد
قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها التي هياتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه ومعي نسوة قالت فوالله ما
وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه
خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله

ان قالت لجواز الشيء بشبهه لا اشتهيه ابعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبة كذيبة • وقد كان اهل الورع يحترزون عن
التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا
الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل اللسان عن اختياره
فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس ربيع فقال ارضعتيه قالت لا
قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت • ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلى الله عليه ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول
العبد ان الله يعلم لما لا يعلم • وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه
او يرى عينه في المنام ما لم تر او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلم من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد شعيرة

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيه طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمه في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة
فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه • وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب
بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا • وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ان الرجل قد يزني
فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه مررت ليلة اسري بي
على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم • وقال سليم بن جابر اتيت
رسول الله صلى الله عليه فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك
ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه • وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن
بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته • واوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلم من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار • وقال انس امر رسول
الله صلى الله عليه الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما
فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتياك فاذن
لهما فلتفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان
كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه فاخبره فقال
والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او
كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح
وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا
تاكلان لحوم الناس • وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله
في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم • وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه في مسير فاتى على
قبرين يعذب صاحبهما فقال انهما لا يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة
او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا • ولما
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنى قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه معهما بجيفة فقال انهشا منها
فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه • وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون
ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين • وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما اكلته
حيا فياكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك • وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا
لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة
وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم
الناس • وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة • وقال الحسن والله للغيبة اسرع في
دين المومن من الآكلة في جسده • وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه

وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك
فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من كان هكذا • وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون على
جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلم ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لا يذكر شيء من
خلق الله الا احسنه • وسمع علي بن حسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم
بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت
نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش
والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه • واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي
او فاسق او خسيس او اسكاف او بزاز او شيء مما يكرهه كيف كان • واما الخلق فان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب
جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه • واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق كذاب وشارب وخائن وظالم ومتهاون
بالصلوة وبالزكاة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس
صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس • واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه
ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه • واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ
الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه امراة وكثرة
صومها وصلوتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال عليه السلم هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون
ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال ولحكامها بالسوال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله والدليل عليه اجماع الامة ان
من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل
لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول
قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته • وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه فقالوا ما اعجزه فقال
صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه • وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امراة فقالت
انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه اغتبتيها • وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان
ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك • وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته • وذكر لابن
سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل الاعور • وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه ان هذه لطويلة
الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك
وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في
الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلم قد اغتبتيها • ومن
ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه عائشة
حكت قال ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا • وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب
غيبة الا ان تقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت
ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما
اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من
السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على
صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة • وذلك
مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله
ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر
في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا هو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في
ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب
الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم • ومن ذلك ان يذكر عيب

اللسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي إلى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله تعالى بذكره جهلاً منه وغروراً وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسأل الله تعالى أن يروح سره ويكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي إظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوة عقيب صلواته ولو كان يغتم به لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال إذا جاهروا ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه المستمع أحد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر أن أحدهما قال لصاحبه فلان لنؤوم ثم طلبا أدماً من رسول الله صلى الله عليه ليأكلا مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر المستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً قال رسول الله صلى الله عليه من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق • وقال أبو الدرداء قال النبي صلى الله عليه من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله تعالى أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضاً من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار • وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك أخبار كثيرة أوردناه في آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالإعادة

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة أما الثمانية **فالأول** أن تشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي **الثالث** أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه فيه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدي بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت **الرابع** أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أفضل منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور فيجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به • **وأما الأسباب الثلاثة** التي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الأول** أن تنبعث من الدين داعية التعجب من إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون صادقاً ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتاباً من حيث لا يدري وأثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً وكذا التعجب ولكنه ساقه الشيطان إلى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان أو رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً من العوام فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي • وروي عن عامر بن واثلة أن رجلاً مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا لله تعالى فقال أهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فأدركه فأخبره بما قال قال فأدركه رسولهم وأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وحكى له ما قاله وسأله أن يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه لم تبغضه قال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها والركوع والسجود فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها شيئاً أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما يعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها تحبط حسناته فإنها تنقل في القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن ينقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلاً قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي • فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه وإن لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية • أما التفصيل فهو أن ينظر إلى السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب • أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول إن أمضيت غضبي عليه لعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق • وأما الموافقة فبأن يعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهو الغيبة • وأما تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت الخلق وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقيناً ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل ذم الله تعالى لك نقداً وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان • وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكل وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائناً من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها من الجبل فهي أيضاً تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك • وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته أبطلت

فضلك عند الله تعالى وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما
عند الخالق يقيناً بما عند المخلوق وهماً ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً وأما الغيبة للحسد فهو
جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً في الدنيا
فجعلت نفسك خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذاً أنت صديقه
وعدو نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك فقد جمعت إلى خبث الحسد جهل
الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك
وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى
أن تضحك منه فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته
كما يساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه وتسليطه على الانتقام وأما الرحمة له على إثمه فهو
حسن ولكن حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً
وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فإنما حبب الشيطان
إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لغضب الله تعالى بالغيبة وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنك
كيف أهلكت دينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك
فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث
نفسك وتسيء ظنك بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك
أيضاً معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض
الظن إثم وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يحتمل
التأويل فعند ذلك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان
يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة
فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن
لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكه فوجد من فيه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما
شربه أو حمل عليه قهراً فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه إن الله حرم من
المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدة أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك
وخطر لك سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان فإن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فإن قلت
فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فأقول أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ويستثقله
ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن
وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب فبتغيره إلى
النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك
وسرعة تنبهك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته فأما إذا أخبرك به عدل فمال
ظنك إلى تصديقه كنت معذوراً إلا أنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من سوء الظن فلا ينبغي أن
تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وتحاسد وتعنت فيتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة
الأب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله
تعالى عني وكان أمره محجوباً وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون
من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن المغتاب فاسق وإذا كان ذلك من عادته ردت شهادته
إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في

في

مراعاته وتدعو الله له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت
هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر
إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك
إذا دخل عليك نقصان وينبغي أن يكون تركه ذلك من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين
أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل
بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك
عباد الله تحت ستر الله فتتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان أسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في
كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الأعذار المرخصة في الغيبة

اعلم أن المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح
في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة **الأول** التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً
عاصياً أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به وقال صلى الله عليه وسلم لصاحب
الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روي
أن عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم أجمعين فسلم عليه فلم يرد فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك
ولم يكن ذلك عندهم غيبة وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه إن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب إليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية فتاب ولم ير عمر ذلك ممن قاله غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه
نصح غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني أبي أو زوجتي
أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند
أنها قالت للنبي صلى الله عليه إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف
فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه إذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت
متفقهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة
والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى
مملوكاً وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرراً وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى بمراعاة
جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير
لا على قصد الوقيعة وإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب فإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به قال رسول الله
صلى الله عليه أترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الإمام الجائر والمبتدع
والمجاهر بفسقه **الخامس** أن يكون الإنسان معروفاً باسم يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج
وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأنه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً
به نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص **السادس** أن يكون مجاهراً بالفسق
كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من أن يذكر به ولا يكره أن يذكر به
فإذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا إثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر
المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والإمام
الجائر وهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به
أثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك
إذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب
أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف
نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن رحمه الله عليه
يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه كفارة من اغتبته

ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك
وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان اخذت فبحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا
يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه قال
من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان تأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لا بد
من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب
فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى
يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال
سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت
فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام
حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله
عليه ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل
يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة في القيامة ولا اخاصم والا فلا يصير الغيبة
حلالا به ولا يسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان
له ذلك بل صرح الفقها بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال
الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله يوم القيامة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال تعالى خذ العفو الآية فقال
رسول الله يا جبريل ما هذا العفو فقال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا
قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر
ان اكافئك على التمام

الآفة السادسة عشر النميمة

وقال تعالى هماز مشاء بنميم وقال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى
لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنى استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم
هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر
لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه احبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا
الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه
الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه
من اشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه ايما رجل اشاع على
رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه
ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر
ولا مصر على الزنى ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به
وروى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على
النميمة فقال موسى صلى الله عليه من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل
حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع
منها وعن الحجر وما اقسى منها وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال
البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب
اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان اسم النميمة
انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره

كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او
من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان
من احوال الانسان فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق
المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة
والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له
ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور
الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك
وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى
الرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله
تعالى ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد
اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا
فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير
المؤمنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات
بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل
فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون
النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق
بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن
سعى في قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين
يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل
الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل
عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب
القرظي اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير
اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال
ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال
مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه
فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه آثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى
من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس ولد حلال ودخل رجل على سليمان بن
عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين
انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ
اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم
الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترموا وليسوا بمسؤولين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع
آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول
شعر
وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم
وقال رجل لعمرو بن عبيد ان
الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن
اعلمه ان الموت يعمنا والقيامة تضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على
اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فالميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان
الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ

إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك ولكن أخلاقك من إذا أفاد فهمهم وفارقوك لم تعبهم ولم يغتابوك • وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل • وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك • وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدًا وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلًا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر • الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق وقال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه • وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين • وقال رسول الله صلى الله عليه أبغض خليقة الله إليه يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تخلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا • وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة قال الجاري مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر رضي الله عنه يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ولا تصلي عليه فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا آمن منها أحدا بعدك • فإن قلت فبماذا يصير ذا لسانين وما حد ذلك فأقول إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والأخوة نعم لو نقل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط وإن لم ينقل كلاما ولكن حسّن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأنه ينصره وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه • وقيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إليه وإن كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فإن اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه أقبل عليه فلحقته لما خرج فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الإقبال والتبسم والكشر فأما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز إلا بضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه • الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربعة في المادح واثنتان في الممدوح فأما المادح فالأولى أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه • الثانية أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا • الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه وروي أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه فقال صلى الله عليه ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال إن كان لا بد أحدكم مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته قال لا قال والله الذي لا إله إلا هو لا تعرفه • الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه إن الله يغضب إذا مدح الفاسق وقال

الحسن من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح • وأما الممدوح فيضره من وجهين أحدهما أنه يحدث فيه كبرا أو إعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا أمير المؤمنين قال ما لي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطئ منك • الثانية هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فإذا أطلقت الألسنة بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما أفلح • وقال صلى الله عليه إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا • وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله • وقال مطرف ما سمعت ثناء أو مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي • وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع وقال ابن المبارك لقد صدقا كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص • وقال صلى الله عليه لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه • وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فإن سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه على الصحابة حتى قال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا أو عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره كان بالله وبقربه من الله تعالى لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه إذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله إذ ستر عورتك فهذه آفات المدح • بيان ما على الممدوح اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو عنه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال وإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه وأثني على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني • وقال آخر لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلي بمقتك وأنا أشهدك على مقته • وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون • وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك نفسك • وأثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال علي أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك • الآفة التاسعة عشر في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام ولا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لأن في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه أجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع • وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقول اللهم أعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد فقال حذيفة إن الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين • وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني خلقته • وعن ابن عباس إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة • وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال عمر رضي الله عنه والله ما حلفت بها منذ سمعت • وقال صلى الله عليه لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم • وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه لا يقولن أحدكم عبدي أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله تعالى • وقال صلى الله عليه لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم • وقال رسول الله صلى الله عليه من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كما قال وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما أوردناه

في آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب
وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل في الكلام فعساه
يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة العشرون**
سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك
ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب
اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن
العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم
يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم
غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه ذروني ما تركتكم فانما هلك من
كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم • وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله
عليه يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال
ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة انا او
في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه رسولا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق • وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه عن القيل والقال
وكثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك
فقولوا قل هو الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا
لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال
من كتب اليه الملك بكتاب يرسم له فيه امورا فلا يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة لا محالة
فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه انها قديمة او حادثة وكذا سائر صفات الله تعالى م

• آخر كتاب آفات اللسان •• والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين •

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون
الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون
ثم حفهم بالمكاره واللذات وامهلهم لينظر كيف يعملون • وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون
وحذرهم بان يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون • والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون وعلى آله واصحابه الائمة وهم المهديون والسادة المرضيون
صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون • اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست
من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل
جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار
الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاشتعال
والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح بها سائر
الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه

عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر
ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة
اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم بيان القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه
ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه
ثم بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان ذم الغضب** قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين
بما انعم عليهم من السكينة • وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب • وقال ابن عمر قلت
لرسول الله صلى الله عليه قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب • وعن عبد الله بن عمرو انه
سأل رسول الله صلى الله عليه ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب • وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا
الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب • وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب • وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه من كف غضبه ستر الله عورته • وقال سليمان بن داود يا بني اياك وكثرة
الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم • وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب • وقال ابو الدرداء
قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب • وقال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر
قال لا تقتن مالا قال هذا عسى • قال صلى الله عليه الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل • وقال صلى الله عليه ما غضب احد الا اشفى على
جهنم • وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه اي شيء اشد قال غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب **الآثار** قال
الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة تقع في النار • وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا
ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت
حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا • وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه
حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك أليس قد
امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انه الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم
استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني
آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة • وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم واذا رضي
جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في رأسه • وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر • وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده
الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه • وقال مجاهد قال ابليس
ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم
ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه • وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب
وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار • وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل • وقال عبد الله بن
مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع • وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله
ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا • وقال
علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله
مني غدا • وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان
دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل • وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته
افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب • وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار • وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين
وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا
تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف
ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء • وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال

ترك الغضب. وقال نبي من الأنبياء لمن معه من يتكفل لي أن لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال
الشاب أنا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به. وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان
الغضب والشهوة والخرق والطمع. **بيان حقيقة الغضب** اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان في أسباب في داخل بدنه
وأسباب خارجة منه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه. **أما السبب** الداخل فهو أنه ركبه من الرطوبة والحرارة
وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تتفشى أجزاؤها بخارا تتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة
مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء
كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب. **وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان**
فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله تعالى الغضب من النار
وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته فمهما قصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر
في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي
لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه
وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وإن كان على نظير يشك فيه تولد
منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وإنما
تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها
ولا تسكن إلا به. ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال. أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها
وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب
أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار وقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب. وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة
العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر. وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية
فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته. **وأما الأسباب الاعتيادية** فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة
الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المحال ولا أحتمل من أحد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض
الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمى صاحبه
وأصمه عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وإن استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب
فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن
الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ
بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ وانمحى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من
داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب
فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لإبطال النار ما في
جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لأجزائها فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة
البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها. **وأما القلب**
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج
الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى
الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن
وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا أثره في الجسد. **وأما أثره في
اللسان** فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم
واضطراب اللفظ. **وأما أثره على الأعضاء** فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فإن هرب منه المغضوب عليه

أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران
والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات
فيضرب القصعة على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبه ويقول إلى متى منك
يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به. **وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه** فالحقد والحسد
وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب
المفرط. **وأما ثمرة الحمية الضعيفة** فقلة الأنفة مما يأنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس
والقماءة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه إن سعدا لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني. وإنما
خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة
في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه خير أمتي أحداؤها يعني في الدين
وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه
عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ
حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال خير الأمور أوسطها فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله
فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة
الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن
بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاتها. **بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة** اعلم أنه
ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصلا لا يقبل العلاج وهذا رأي من ظن أن الخلق
كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب
وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا
قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام. **الأول** ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس
وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه
أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها. **القسم الثاني** ما ليس ضروريا لأحد
من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين
في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه
فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها
فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في
المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي لو جلس
في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثر غضبه وكلما كانت
الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في
حاجته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب
لو قيل له إنه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب
على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري. **القسم الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم
فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها
فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه
بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه
الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها. فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها. **وأما القسم الأول** فليست الرياضة فيه لينعدم

غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً، فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ لاستغنائه عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه

وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وإنما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلاً وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب التوحيد عليه حتى يرى الأشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله تعالى وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وأن الله تعالى لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لأنه يرى أن الخيرة فيه. فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبعياً لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلوة وزكاة تقربه بها إليك يوم القيامة. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب منك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق وأشار إلى لسانه فلم يقل إني لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب. وغضبت عايشة رضي الله عنها مرة فقال صلى الله عليه ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله تعالى فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير فلم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر. وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله تعالى فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول. وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله تعالى عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره. وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكراً على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه. وشتم رجل الشعبي فقال إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون قد أثر في قلوبهم ولكن لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإن اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذاً يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله تعالى يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب حب الدنيا ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه.

بيان الأسباب المهيجة للغضب قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسبابها وقد قال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما أي شيء أشد قال غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى صلى الله عليه الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق ردية مذمومة شرعاً ولا خلاص عن الغضب مع

بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وإنما اختلفوا بالفضل أشتاتاً فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة. وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفتها وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب. وأما شدة الحرص على فضول العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسميته عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح والمرأة أسرع غضباً من الرجل والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه اعلم أن ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم فهو ستة أمور **الأول** أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف فكان يتأمل الآية وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل. وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه. **الثاني** أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه فلم آمن أن يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك أي القصاص في القيامة. وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه. **الثالث** أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه. **الرابع** أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل. **الخامس** أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله تعالى وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي

يوم القيامة ليقم من اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على نفسه **السادس** ان يعلم ان غضبه
من تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله تعالى اعظم من غضبه
واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه اذا غضبت
عايشه رضي الله عنها اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول
ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب
بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا
الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالما البارد
او اغتسل فان النار لا يطفيها الا الما فقد قال صلى الله عليه اذا غضب احدكم فليتوضا بالما فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من
الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفا النار بالما فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه اذا غضبت
فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد
الخدري قال النبي صلى الله عليه الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده
بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضا من اذل المواضع وهو التراب ليستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي
هو سبب الغضب وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بما فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال
عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر الى السما فوقك والى الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي
ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمرا في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر
ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من
احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان
كان رجل ممن قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا
سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا
الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية واذا فيها ارحم من في الارض يرحمك
من في السما فاعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذاك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب
لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله **فضيلة كظم الغيظ** قال تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال
رسول الله صلى الله عليه من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم
اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال صلى الله عليه من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة
رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغا
وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم
ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر
على ان ينفذه دعاه الله على رووس الخلايق يخيره في اي الحور شا **الاثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل
ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ما وجهك بالمسلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف
قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا
الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل
ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي
لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجا رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال
لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم
اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج
الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلايه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن

ابتداوه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى
ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه اطلبوا العلم واطلبوا
مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب علمكم جهلكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعا رسول الله صلى الله عليه اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال
ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال
صلى الله عليه خمس من سنن المرسلين الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه ان الرجل المسلم
ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني
واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لين كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملّ
يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي
صلى الله عليه ان قد غفرت له وقال صلى الله عليه ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول
اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلما علما وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما قال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال
مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن
مسعود او امسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه اللهم لا يدركني زمان
ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه ليليني منكم
ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى
الله عليه الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله
عليه ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه فقال صلى الله عليه يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما
بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلني عليهما قال بل خلقان جبلك الله تعالى عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين
يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه
وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه اذا جمع الخلايق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير
فينطلقون سراعا الى الجنة فيتلقاهم الملايكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون
كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسي الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الاثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم
وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك
فاذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسات استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة
العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدردا ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم
لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على
الجاهل وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم
اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله ذو حظ عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن
بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل الى ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها
فنكس الرجل راسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله
عنهم انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل
مما يبعده من الله تعالى وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشي من الدنيا يسير وقال معوية لعرابة بن
اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو
افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك

لذل فقال جعفر انما الذليل الظالم • وقال الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اسائته • وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم • وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكرم الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر • وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسو قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي • وقال بعض العلما الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به • وقال رجل لبعض الحكما والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي • ومر المسيح بن مريم صلى الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده • وقال لقمن ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه • ودخل على بعض الحكما صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المايدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم شفا من كل الم • وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت بها وذبحت الغضب • وقال محمود الوراق

ساُلزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان كثرت منه علي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة • شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره • واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن • اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا • تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه • واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه ان امرو عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران • وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجا الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان • وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن اميه ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى • وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيي الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حيا ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك **فاما** النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يايم بعضنا في بعض فلم يسمع السو فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنى والسب والفحش ما روت عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه ارسلن اليه فاطمة رضي الله عنها فجات فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه نايم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجات فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام • وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هولا وهو رخصة في الايذا جزا على ايذايه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتدا ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي الوقود بطي الخمود وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك • وقال الشافعي رضي الله عنه

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه الا ان بني ادم خلقوا على طبقات منهم بطي الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطي الفي ولما كان الغضب في الحال يهيج ويوثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته فقال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي • وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا الزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور **الاول** الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه **الثاني** ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما اصابه من البلا **الثالث** ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر وغيره **السادس** ان تحاكيه استهزا به وسخرية منه **السابع** ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضا دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة او بترك الدعا والثنا عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب • ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر رضي الله عنه نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضايل اعمال المقربين وللحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرا عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى • وقال رسول الله صلى الله عليه ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر • وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله • وقالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما • وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك • وقال رسول الله صلى الله عليه قال موسى عليه السلم يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا • ولذلك سيل ابو الدردا عن اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله • وجا رجل الى النبي صلى الله عليه يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث • وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه من دعا على من ظلمه فقد انتصر • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام • وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون

قال قلت نقول يا رسول الله خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ● وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا وقف العباد نادى منادٍ ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من الذي له اجر على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب ● وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امرٍ ان يؤتى بحدٍ الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية ● وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احديهن يا رسول الله قال او احديهن **الآثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ● ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي ● وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن الا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال شعر

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ● ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها

● وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر ثم قلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم منادٍ يقول من له عند الله تبارك وتعالى يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا ● وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم انت كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيامة ● وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه ● وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له ● وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته ● وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم ● وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة ● وقال صلى الله عليه اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق ● وقال صلى الله عليه ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا ● وقال صلى الله عليه ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه ايما والٍ ولي فلان ورفق رفق به يوم القيامة ● وقال صلى الله عليه تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته ● وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه ● وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده ● وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ● وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضرك ● وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذا اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ● مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز ● وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها ● وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انه لا يعطوك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل الحطب وقال صلى الله عليه في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا ● وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان من الغد قال النبي صلى الله عليه مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقال في اليوم الثالث مثل ذلك فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه تبعه عبد الله بن

قال قلت نقول يا رسول الله خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من الذي له اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب • وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الآية • وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احدهن يا رسول الله قال او احدهن **الآثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي • وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن الا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال شعر تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها • ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها • الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها • وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر ثم قلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد يقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى يمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا • وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم انت كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيامة • وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه • وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له • وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة وجا الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته • وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم • وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال اريت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف

مر اثر دينا خفيا

عن عمر بن ميمون قال احتلفني الى ابن مسعود رضي الله عنه اي ترددت اليه مدة سنة فاسمعه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه كرب حتى رايت العرق يتحدر اي يسيل نازلا عن جبهته اي من كثرته
ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه حديثه الذي رويته لكم عنه عليه الصلوة والسلام هكذا او بعض اللفظ ان شاء الله تعالى اي كمال احتياط او فوق ذا اي بقليل او ما دون ذا اي ببعض شيء او ما هو قريب من ذا

عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره
يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلوة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلث وكدت ان
احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف
عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين
في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق • وقال صلى الله عليه ثلث لا ينجو منهن احد
الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ • وفي رواية لا ينجو
منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة • وقال صلى الله عليه دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة
هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت
ذلك لكم افشوا السلام بينكم • وقال صلى الله عليه كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر • وقال صلى الله عليه انه سيصيب امتي داء الامم
قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج • وقال صلى الله عليه لا تظهر
الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك • وروي ان موسى لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه
فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال لاحدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه
ولا يمشي بالنميمة • وقال زكريا صلوات الله عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي
وقال صلى الله عليه اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان
فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله
عليه ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار
بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له
فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال
وما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه
الله تعالى من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله تعالى ثم قرا اهبطا منها الى آخر
الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني آدم الآية واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت • وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول
احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم
بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر
قال انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال
في نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك
صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي
بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري
حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب
الملك وقال ما فعل بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على
انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه • وقال ابن سيرين ما حسدت احدا
على شيء من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير
الى النار • وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا • وقال
ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها
ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد • وقد قال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرا وحسب الحسود
ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان
كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار • وقال بعضهم الحاسد لا ينال من

المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا
فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه** اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان
احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب
زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد
منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد • فاما الاول
فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك
لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد
الاخبار التي نقلناها واما هذه الكراهية تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر له ولا رخصة واي معصية تزيد على
كراهيتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا
الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا الآية فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد
وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء • وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم الآية فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله
عنه غيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى
في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا
بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان
يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس رضي الله عنه كانت اليهود
قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء
النبي صلى الله عليه من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى
قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال
اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم • واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما
مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي
صلى الله عليه فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد
زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي
يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو
كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله
صلى الله عليه بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك
في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول
رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال
ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله تعالى ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مالا مثل مال فلان بمثل عمله فهما في الوزر سواء
فذمه رسول الله صلى الله عليه من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي
لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة
وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم
والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته
واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره
احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض
الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس عن ان ينال
مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول نعمة المحسود

فاذا اشتد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشتهى عنده من دوامها اذ به زوالها
بزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا
مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه
بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المومن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي
ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد
لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق
نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه
خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو
ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عن ذلك
عنه ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه اما مراتبه اربعة الاولى ان يحب
زوال النعمة عنه وان كان لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او
امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره به والثالثة
ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما والرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل
فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف
من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل
ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك
امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله
كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس
وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا
له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو
المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب
من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة
التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب

السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه
قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما
يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح وظنه مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه
ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما
غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني
الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر
في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه

السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض
امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه
ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه

السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع
منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه
فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم
وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله
تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم

السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية
اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي
والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة
او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد
بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى
مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه
للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين
المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له

السبب السادس حب الرياسة وطلب
الجاه لنفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما
يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا
تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة
في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من
ان يبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم

السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر
ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس
وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه
وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم
لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت
بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر ازالته او يستحيل في
العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك
ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة
من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة
من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو الى غير ذلك من الاسباب وهذه
الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في
غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة
التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم
اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه
تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف
يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد
ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة
ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة
البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة
ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر
من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد
والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو
فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين

اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه
وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ
به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة
لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى لان اجل ما
عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم
المال والجاه تحاسدوا لان المال هي اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا
قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع
ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر
ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال
يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده
من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل
زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة
فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة
ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا يرتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا
متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا
تظن بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة
لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء عن الحسد في
الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه
حسد آدم على ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء
بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السما ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة
الى السما ولكن السما لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب
نعيما لا زحمة فيها ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ولا يوجد ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا
تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها فقد فتر عنه رايك وضعف فيه رغبتك فانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا
يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة تختص بادراكها رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم
يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك وبقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين •

بيان الدوا الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع
لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين
ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة • اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت
قضا الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة
التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المومنين وتركت نصيحته وفارقت
اوليا الله تعالى وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمومنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب
تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار • واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب
به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداوك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى
مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداوك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال
محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تومن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من
الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض

لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فايدة • واما انه لا ضرر على المحسود في دينه
ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شي
عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبيا من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما
قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر
في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلا تشتهيه اولا لنفسك
فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المومنين
على الايمان قال تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال
لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان
اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا
يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها
واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين وهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل
بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما
عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له
نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة • واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعدا وغمهم وشقاوتهم وكونهم
معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد
فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعم الله عليه فينقطع
قلبك حسدا ولذلك قيل • لا مات اعداوك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد • لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد
ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما
تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا
والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دايمة شيت ام ابيت
ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع
والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير
ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه
فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت
لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم
يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم
وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه هو مع من احب
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم
فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس فوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك وحملك على الكراهة
حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله تعالى وينكشف خطاوه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا
يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جا في
الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع
المداخل الثلثة حتى لا تدور بجماعها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كشف بحالك في يقظة
او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب بها مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد
غضبه ثانيا فيعود ويرميها اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه
سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداوه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين منه لا بل

فالك في الحسد أقبح من هذا لأن الحجر العائدة لم تفوت إلا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت
ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن يذهب عينه في الدنيا خير من أن يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله
من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها من الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه
تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت
عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا إثم الحسد نفسه فكيف بما يجر إليه الحسد من الاختلاف
وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر
الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه • وأما العمل النافع
فيه فهو أن يحكم الحسد فكلما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضها فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء
عليه وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بعثه على كف الإنعام عنه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام فمهما فعل
ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد وأحبه وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع
والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان ثم ذلك الإحسان
يعود إلى الأول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت حمله العدو على العجز
أو على النفاق والخوف وإن ذلك مذلة ومهانة فإن ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان أو طبعا يكسر سورة العداوة من
الجانبين ويقل مرغبها وتعود القلوب إلى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد
وهي نافعة جدا إلا أنها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما يهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع
للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة
النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك ربما يكون إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا
طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما
الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي • فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد
من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا
بقمع المادة فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فإنه
ما دام محبا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهره
بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن
لا تبغضه غالبا فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا
يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوي ذلك فيك حتى يبعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية
فأنت حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حسود
عاص لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا وقال تعالى ودوا لو تكفرون وقال تعالى إن تمسسكم حسنة
أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال
منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك
كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعم حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فيكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع
وقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه
بما يتيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى
مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله تعالى
وأفعالهم أفعالا لله تعالى ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته
أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية وألزم قلبه فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد
على جوارحه لما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد أن لا يبغي والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب

ثلثة لا يخلو المؤمن منهن
والمؤمن له منهن مخرج

الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم والحسد عبارة عن
صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فإذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من
حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يعفى عن العبد في إرادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا أن
لك في أعدائك ثلاثة أحوال أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت
لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه • الثانية أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك
أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا • الثالثة وهي بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك
ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله أعلم ٥

• تم كتاب آفة الغضب والحقد والحسد • والحمد لله وحده وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين •

• يتلوه كتاب ذم الدنيا •

كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها
ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل
الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت
ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة
ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها إلى الذل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها
فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق
إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم
عن أنيابها وشوشت لهم مناظم أسبابها وكشفت لهم مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها في سرور
وإنعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد إن ملكت واحدا جميع ما
طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم تغن بالأمس تمني أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا
وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان أمر الله قدرا مقدورا • والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان
من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا • أما بعد فإن الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله أما
عداوتها لله تعالى فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأولياء الله فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم
بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها • وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى
وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون
ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون • وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقتها ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل
غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف
الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله تعالى بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء
ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو
كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة • وقال صلى الله عليه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها • وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب

اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتى
بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة
رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك
قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه يا عجبا كل العجب للمصدق
بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما
قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه
ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء
والطيب والثياب وقال عيسى صلوات الله عليه لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا
يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي
فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب
الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنك فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا
تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب
الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي الموت فياخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه
ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن بن داود عليهما السلم مر في موكبه والطير تظله
والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمن فقال لتسبيحة
في صحيفة مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه الهيكم التكاثر يقول ابن ادم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه من اصبح والدنيا اكبر
همه فليس من الله في شي والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا
وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية
المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتامل امالكم ثم هي اليوم عظام بلا
جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه
الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على
الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال
مكتوب في صحف ابرهيم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك وما خلقت خلقا
اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصير قضيت عليك يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح
عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من
قبورهم النور يسعى امامهم والملئكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه الدنيا موقوفة بين السماء والارض
منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليايك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك
لهم اليوم وروي في اخبار داود صلى الله عليه انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في
هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من
الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط
الى الدنيا وقال صلى الله عليه ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيومر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون
ويصومون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال صلى الله عليه في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل
قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته
ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار
وقال عيسى صلى الله عليه لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبريل قال لنوح عليه السلم

يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى صلى الله عليه لو اتخذت بيتا
فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال صلى الله عليه احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله
عليه ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على
قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا
بالقتل والتجبر ولا الغنا الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنا
وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا
وروي ان عيسى صلى الله عليه اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها
امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في
مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حور خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن
مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى صلى الله عليه ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها
وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف
يفتضح غدا بذنبه عند الله وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك
وفارقها بعقلك فبيست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه
فلما صلى رسول الله صلى الله عليه انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال
فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها
فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات
الارض فقال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها وقال
عمار بن سعيد مر عيسى صلى الله عليه وسلم بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن
غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه تعالى فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل
اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال
وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال
فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن
منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير
بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من امر
الدنيا الا وضعه وقال عيسى صلى الله عليه من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلوات الله عليه
علمنا علما واحدا يحبنا الله تعالى عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على
انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم
وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين واحد
ما فرق بين اهوايكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على
امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك باموركم
فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه
فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما يطمين اليه
قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها الماتم

وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا تغير حال بكم اني لارى الله تعالى قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم
يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل
ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه
يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى صلى الله عليه يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل
الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل ● ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ● وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر
وقال نبينا صلى الله عليه لياتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب ● واوحى الله تعالى الى موسى صلى الله عليه ان يا موسى لا تركنن
الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك
فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا **الآثار** قال علي رضي الله عنه من جمع ست
خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل
فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها ● وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها
ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمن يا بني ان الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا ● وقال
الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ● وقال بعض
الحكما انك لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلة وغدا يوم فلا تهلك في اكله
وصم الدنيا وافطر على الآخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار ● وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد
الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها ● اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها ● وقال بعض
الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او
بلية نازلة او منية قاضية ● وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص ● وقال سفيان اما
ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن
طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية ● وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي
بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه
بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها ● وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجي في طلبك
وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا
خزفا يفنى على ذهب يبقى ● وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما
حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل
وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع ● وزار رابعة رضي الله عنها اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت
اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال (شعر)
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ● فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع ● وقيل
ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما ● كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما ● وقيل
هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال ● وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم آذن بالزوال ● وقال لقمن يا بني بع دنياك
باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين
رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ● وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب ● وقيل
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ● ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم ● وقال ابو الدردا من هوان الدنيا على الله انه
لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها ● وقيل ● اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ● وقيل

يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ● افنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا ● هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال
لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا
تبع ● وقال رجل لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها
حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب
وحرامها عذاب ● وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلما يعني الدنيا وقال ابو سليمن اذا كانت الآخرة في القلب جات الدنيا تزحمها
فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سيار ابن الحكم اصح اذ قال
الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له ● وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة
يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي رضي الله عنه الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد
ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال
رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان
له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها
كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه ● وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساله
ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين ان هذا يبلغنا المقيل ● وقال سفيان خذ من الدنيا
لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا ● وقال وهب قرات في
بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا ● وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد منها ● وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص
آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه ثلث الا والذي عليه اكثر من الذي له ● وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها واياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك
ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته
وان اخذه من حرامه عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه ● وكتب الحسن الى
عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل
وقال فضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار
حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مايتا
سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلا وسنيات رخا يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق
ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال
داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما
يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شي يسرك الا وقد الزق به شي يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم
من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنا فقال انما نال
الغنا من عتق من رق الدنيا ● وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار
اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله تعالى على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل بنا وقال
ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة ● وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال اذا اراد الله بعبد
خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السما ان تقع
على الارض امسك الدنيا عني ● وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد
في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى يوم القيامة فيقال هذا الذي عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله

كيف ترى يكون حاله فمن مثاليس بكد الدنيا غطيه عنده مع ما اقترفها من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت موونه الدنيا والاخره
فاما موونه الاخره فانك لاتجد عليها اعوانا واما موونه الدنيا فانك لاتضرب بيدك الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال
ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السما والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي
يا لاشي اسكتي يا لاشي وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من
فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات
فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الاخره ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال
بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الاخره لمن هي قال لمن طلبها
وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنه دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين
بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله تعالى فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى
القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله تعالى
لاتستسلف من دار بقايك في دار فنايك فان عيشك في زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم
لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظه فقال دينار في اليقظه فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا
تحبه في الاخره كانك لاتحبه في اليقظه وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة ويقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها
اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العاقلون ثلثة من ترك الدنيا قبل ان
تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع
فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابنا الدنيا يتكلمون في الزهد
فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخره صفته نيرانها
فصار سبيكه ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا
سته اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات
الما يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات
المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها
الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت
لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المنجليه العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة
فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلته فانظروا اليها بعين الحقيقه فانها دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى
وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف
ثقيل فهل على الدوا من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال
قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك
وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك
القضا وانتزعت نفسك من الاعضا ثم عرج بها الى السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك
واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها
من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع افة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب
الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الاخذه ما تعطي الراجعه فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها
اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطا اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم
وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقا ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل ادم عليه السلم اليها عقوبة فاحذرها يا امير المومنين فان
الزاد منها تركها والغنا منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن
فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة

التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجليه فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها
والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره
عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته
واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب
فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان
منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى فنا فسرورها
مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو ات فينتظر امانيها كاذبه وامالها باطله وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها
على خطر ان عقل ونظر فهو من النعما على خطر ومن البلا على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت
النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جا من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناوه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت
على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزاينها لا ينقصه ذلك عند الله تعالى جناح بعوضه فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله تعالى امره
او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا افيظن المغرور بها المقتدر عليها انه
اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جات الرواية عنه تبارك وتعالى انه قال لموسى صلى الله
عليه اذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فان شيت اقتديت بصاحب الروح
والكلمة ابن مريم عليه السلم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاي في الشتا مشارق الشمس وسراجي القمر
ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه
لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلم الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف
ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شيت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف
فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليايي اني لاذودهم عن نعيمها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكه واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن
ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليايي بالذل والخشوع والخوف والتقوى يثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي
ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاوهم الذي اياه ياملون ومجدهم
الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ثم انا الثاير له يوم القيامه وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون
على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفنا معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي
بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخا وسرور اذا هم منها في بلا وغرور احوال مختلفة وتارات
متصرفة العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها
مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم
بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية
استبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها
مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من
قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا
وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قايلها ومن
ورايهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك
المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب
لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله
عز وجل يقول ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين الاية جعلنا الله
واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليايه حتى يحلنا واياكم دار المقامه من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكما الايام سهام والناس

اعراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه وينحوك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك
وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات
بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها
بظاهر افعالها وما تاتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب ● وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا
وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه
ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل
طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور ● وخطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم
تكذبون به فانكم لهلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا يصفو
لكم نعيم تسرون به الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل ● وقال علي رضي الله عنه
في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم
ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له
يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب
الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه ● وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا
وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا
فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا منها ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها
فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة نظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون
اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم
وكرهوا ما كره لهم **بيان صفة الدنيا بالامثلة** اعلم ان الدنيا سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف في الوفا تنظر اليها فتراها ساكنة
مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها **ومثالها** الظل
فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله انشد وقال
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع ● وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول ●
يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق ● وكان يرى انه من قوله ● ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام
الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول الشعر ● الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل
ولذلك قيل ● ان امرا دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور ● **مثال اخر للدنيا** من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس
منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون
قال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم **مثال آخر للدنيا في
عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها** اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب
حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي ان عيسى صلى الله عليه كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم
قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين
كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر **مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها** اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي
تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا
من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رايت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا
والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت فنظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت
او ما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم
وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون
فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد ●

وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على
الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها
تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها
وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي
ادبرت كانت احسن شيء راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء راه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت
لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من انت قالت انا الدنيا ● **مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها** اعلم ان الاحوال
ثلثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين
الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر
طويل ولذلك قال صلى الله عليه ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح
وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي
رسول الله صلى الله عليه وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ● وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا
وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى صلى الله عليه حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان حيوة الدنيا معبر الى الاخرة
والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع
ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلابد من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها
باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **مثال اخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها** اعلم ان اوائل امور
الدنيا تبدو سهلة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع
السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما
يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان
منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام **مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها** قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون
في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين
بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا
تمنع حلاوة العبادة ● وقال عيسى صلى الله عليه بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ العبادة
ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت
ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات
او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة ● وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل
احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله **مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق**
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط
ان ينقطع **مثال اخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك** قال عيسى صلى الله عليه مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد
شربا ازداد عطشا حتى يقتله **مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها** اعلم ان شهوات الدنيا في القلب
لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا
اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي
اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهب داره واخذ اهله وولده وماله
فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته فيها وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد
ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك
وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا
لما يصير اليه طعام ابن ادم ● وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان

فرثه وملحه الى ما يصير وقال صلى الله عليه ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رأيتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسئلك واستحيي قال فلا تستحيي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشير بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم **مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة** قال رسول الله صلى الله عليه ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه **مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها**

اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على اخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه موذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح بمن يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذا حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى **مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله تعالى في تحذيرهم ايام غوائل الدنيا**

قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء فقالوا يا هذا فقال على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارأيتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قالوا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بعضهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل **مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها**

اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب

والانشراح صدره فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد**

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام **القسم الاول** ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله تعالى خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلثة هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما حال من كان له واحد يؤخذ منه ذلك الواحد ۵ وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهو الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب والقدر

الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس
وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك
حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل
المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال
ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب
من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا فانظر الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات
دنيوية كيف تتقطع قلبك عليه حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة
لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه
ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر هذا من النعيم الذي تسأل عنه اشار الى الماء البارد والتعرض
لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش
فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك
القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى صلى الله عليه وضع راسه على حجر لما
نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان صلى الله عليه في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير
فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله سبحانه وتعالى الدنيا
عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء والمحن على الاولياء والانبياء ثم الامثل
فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة
شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو الدنيا وما هو لله تعالى فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي
هو لله تعالى فاقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع
التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله تعالى
وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الآخر فهي لله تعالى
وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشوق به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ
المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله تعالى ومنها ما صورتها
لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا
وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر
كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي يحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما
هو لله تعالى ليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار
منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر
فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقريب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء
اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا
على باب دارهم فكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي الى منزله بعد العشاء الآخرة
وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب حشفة خباها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب
ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات

ويلفق بعضها الى بعض ويلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم
ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترموني فيحضر الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم رسول الله صلى الله
عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من العراق
فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من
كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما
تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال
ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول
من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويس القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار
يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر
قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف
انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف
انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل
ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي
نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى وان لم يلتقوا ويتعارفون
ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك
قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله تعالى حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله تعالى انه هو السميع العليم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه
ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات
ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وعليهم رسول رب العالمين ومات ابو بكر
خليفة المسلمين ومات عمر رضي الله عنه اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي
ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي
الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح
للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا
يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم
عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني
خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة
احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وتراني فاذكرني وادع
لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني
وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له هكذا كانت سيرة ابناء
الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء
الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله
تعالى وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ
الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع بها
مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمها

بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا
فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا
في حقك
بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم
اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس
كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلثة اقسام
المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبها الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن يطلبها الآدمي للآلات والاواني
كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهايم اما البهايم فيطلب
لحومها للاكل وظهورها للمركب وللزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري
والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين
فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت والخيل المسومة والانعام
وهي البهايم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها
وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة
بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما
الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره
وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب
بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا
لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق
الحج الا بعلف وما وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف
الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الما بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل
عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي
تقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل
بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الما الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل
واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن
فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا
فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت
الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة
اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم
فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان
مضطر الى ثلث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذا والبقا والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب
الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك
للبهايم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البنا ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها
وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوايل
الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبنا اما البنا فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة
فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد او معدن
او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير

صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة
ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبنا والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او
من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز
وهولاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيف ما كان وبالحداد كل من عمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري
وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزايها فهذه امهات الصناعات
ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقا جنس الانسان
ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع
يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا
يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طايفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها
ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة
والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحرا مكشوف لتاذوا بالحر
والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد
وتدفع الجيران عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون
والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات
اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل
افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا
في المنازل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب
الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى
او مرض وهرم وتعرض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن
فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة
بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة
ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان ينضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة
حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز
والعلم والهداية فاذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل
البلد بالحرب مع الاعدا مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن
الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او يصرف اليهم
الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة
لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات
اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون
والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاه عدد
لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي
النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقايد على كل
طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية
ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولا ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث
الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة
والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطا وهم العمال والجباة
وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح

بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا الى ان تنتهي الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على
التوالي فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث
البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب آلة الصياد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث
من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج
الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا
اذا طلب من الفلاح الغذا بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان
عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات
والى انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الانبار ليترصد به ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل
الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع
الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون
ويتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيها كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج
الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم
منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع
امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس لارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلوا لهلكوا
ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة
بينه وبين مالك الدابة يسمى الاجارة ويصير الكرا ايضا نوعا من الاكتساب ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من
يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان
بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج
الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب
والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه
اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا
يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان
خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهما اموالهم
فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويكاثرون
ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما
بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا
طلب ما سعى فيه غيره فقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطى فافتقروا الى الحيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر
لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي
والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابته من غير استحقاق ليكون ذلك سبب
الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال
التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار
الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب
كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما
يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يتخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال من
المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ
اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم

التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا
وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطايفة
غلبهم الغفلة والجهل فلم ينفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى
نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا
ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطايفة اخرى
زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهو
شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا
ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى واليوم الاخر وطايفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة
الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا
ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به
من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللاكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطايفة
ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على
انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه
ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطايفة
اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب
الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد
سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن
التواضع لله تعالى وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوايف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا
وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلثة والقدر الذي
يكفي منه وانجرت بهم اوايل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال
وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد
بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت
الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب الهموم
ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طايفة فاعرضوا
عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلا ومحنة وان
الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه
ذهب طوايف من الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت
طايفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب
ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه
طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظن
بعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى
الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن
عن عبادة العباد وظن طايفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد
وصل وبعد الوصال يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا
بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة
وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات
بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل

شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلى الله عليه لما قال الناجي منها واحد قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة وقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع

آخر كتاب ذم الدنيا

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه

كتاب ذم المال والبخل

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنا والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا. اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجد فلا سلامة معها فان فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوايد والآفات وفوايدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصاير في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوايل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنا وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونشرحه في عدة فصول وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا وحكايات الاسخيا ثم ذم البخل ثم حكايات البخلا ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنا ومدح الفقر.

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون. وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل. وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنيا وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم

ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام. وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر. وقال صلى الله عليه يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت. وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه. وقال صلى الله عليه اخلا ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله. وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سوا. وكتب سلمان الى ابي الدردا يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله تعالى ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله تعالى فما يزال كذلك حتى يدعوا بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه اذا مات العبد قالت الملايكة ما قدم وقال الناس ما خلف. وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا.

الآثار روي ان رجلا نال من ابي الدردا واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني. وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطا عمر بعد عامي هذا فكانت اول نسا رسول الله صلى الله عليه لحوقا به. وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله تعالى وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا. وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه. وقال العلا بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره ... هذا التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

وقيل

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... او ازار فوق كعب الساق منه رفعه

ولدا الدرهم فانظر غيه او ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت اولادك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا هو لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع. ويروى ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي. ويروى ان رجلا قال لابي عبد رب يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو عبد رب من ماله الف درهم. وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جا في ثواب الصدقة والحج فهو ثنا على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثنا على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوايله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصود الاكياس وارباب البصاير سعادة الآخرة التي هي النعيم الدايم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم

فقال أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً ويهذه السعادة لا تنال إلا بثلثة وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وساير الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فإنهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما إذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وإنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق ليحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محموداً في حقه فإذاً المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة ويسد سبيل العلم والعمل فهو إذاً محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصود المحمود ومذموم بالإضافة إلى المقصود المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه السلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واستعاذ إبرهيم صلى الله عليه فقال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وعنى بهما هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن يعتقد الإلهية في شيء من الحجارة وإنما معنى عبادته حبه والاغترار به والركون إليه قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش بين أن محبهما عبد لهما ومن عبد حجراً فهو عابد صنم وهو مشرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النملة وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل آفات المال وفوائده** اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها وفوائدها أمكنه أن يحترز من شرها ويستدر منها خيرها أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فينحصر جميعها في ثلثة أنواع **النوع الأول** أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة به على عبادة أما في العبادة كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم عن فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب منصرفاً إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه إلى الناس وهي أربعة أقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض والاستخدام أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وأنها تطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها وأما المروة فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراه فإن هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا أيضاً من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها وأما وقاية العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضاً مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل غرضك فأنت مغبون إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهو من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك به خيراً فهذه جملة فوائد المال في الدين

سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية **وأما الآفات فدينية ودنيوية** أما الدينية فثلثة **الأولى** أنه يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة أن لا تقدر ومهما كان الإنسان آيساً عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته فإذا استشعر القدرة عليه انبعث والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء **الثاني** أنه يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان صلى الله عليه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض وإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وساير الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه أصلاً ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة ويتبين عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدي أيضاً إلى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه **الثالث** وهو لا ينفك عنه أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال ثلث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل إن أخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله ويستدعي ذلك قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها فإذاً ترياق المال أخذ القوت وصرف الباقي إلى الخيرات وما عداه سموم وآفات والله أعلم بالصواب **بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس** اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والمشرب والملبس ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوعاً ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوف إلى الكثرة أو طول الأمل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجر الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه إذا أوحي إليه أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه فجئته ذات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلوة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الأمل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به وقال ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا وقال صلى الله عليه ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى عليه السلم سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى

فتستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب • وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف
وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب
للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا • ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس
وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك
يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال
احدا ان يناوله اياه • **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييس عما عند الناس استغنى عنهم • وقيل لبعض الحكماء
ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل • العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر • اقنع بعيشك ترضه واترك هواك
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر • وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد • وقال
سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم • وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك • وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر فلم يدخلك النار • وقيل لحكيم ما مالك قال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس • ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن • وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة
فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق • وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم
عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت • وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر
للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر • وقال بعض الحكماء
وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم
المفرط وفي ذلك قيل • ارفه ببال فتى امسى على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه • فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في دهره شيئا يؤرقه • وقد قيل • حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي • بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرص على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال • وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل
حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري
ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها • وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب
ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر
حريصا محروما وزاهدا مرزوقا • وقيل • اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت • فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت
وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع
ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما الواحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت
على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون
ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف
وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا ولحمي ودمي
وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي فانه
يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون • وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك قيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك
وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال
نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدني •
اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها • فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوال الامور اجتنابها •
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها • وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء

بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب
عليه دينه والشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك
وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله
فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان • وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي
بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال • وقال عبد الواحد
بن زيد مررت براهب فقلت من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه
بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع
ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب
الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن
ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى
جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه ثلاث منجيات خشية الله في السر
والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب • وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك
رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة
وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال
صلى الله عليه اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال
ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه
وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال
الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم تعب في
ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل • ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر • وقد دخل ابنا خالد على
رسول الله صلى الله عليه فقال لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله
تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك • وقال صلى الله عليه
الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك
الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان
يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد
عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال صلى الله عليه ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب
وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا لضرورته بل يلقي الله تعالى في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه
رزقه • وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري
لم نعش • وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا
منها هو لغيري فذلك لم اناله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري •
فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في
الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل
وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك مما يضاف اليه
نظر الناس وفيه الوبال والماثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس
فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان
قال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره

واحبج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الاولياء والانبياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الا من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله تعالى وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله تعالى والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم ● قال ابو ذر اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة ● وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام ● وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار ● وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه يقول الله اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة ● وقال صلى الله عليه ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها ● وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ● وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه نزل علي جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه ● وقال صلى الله عليه ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ● وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ● وقال صلى الله عليه من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرض تلك النعمة للزوال ● وقال عيسى صلى الله عليه وعلى نبينا استكثروا من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف ● وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال النبي صلى الله عليه اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت اهله ● وقال

صلى الله عليه ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين ● وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها ● وقال صلى الله عليه كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان ● وقال صلى الله عليه كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى صلى الله عليه لا تقتل السامري فانه سخي ● وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه بذلك فقال صلى الله عليه ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت

الآثار قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد ● لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف ● فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معاوية الحسن بن علي عن المروءة والنجدة والكرم فقال اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية ● واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن ● واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسين بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ● وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا ● وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بمالك في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ● وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك ● وبمعناه قيل انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك ● وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيئا ● وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلواتي افابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود ● وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده ● وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر ● ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع ● فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت ● وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبيد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملاوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبيد الله ابنه بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه اموجود لنا هذا كلما اردنا قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال

اصرفوه بما عليه الى ابي محمد • وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون
على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخا وحيا فاما السخا فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحيا فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه
وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على
قضا الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن عوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازا العرش
يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من
الجايزة وهي مائة الف • وسال رجل الحسن بن علي حاجة فقال له يا هذا حق سوالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكثر علي ويدي
تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا بشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني موونة الاحتيال
والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطيه واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل
يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائه الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعل الخمسمائه دينار قال
هي عندي قال احضرها فاحضر فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداه لكراء
الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم • واجتمع قرا البصرة الى ابن عباس وهو
عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنية له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به
فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه
اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس من الدنيا من القدر ما نشغل به مومنا عن عبادة ربه
وما بنا من التكبر ما لا نخدم اوليا الله تعالى ففعل وفعلوا • وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله
لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم ورهنهم بها حلي نسايه
وقيمتها خمسة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته وكان ابو طالب بن
كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف
ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرما فمدحه بعض الشعرا فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة
الف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الف درهم واخرج ابو مرثد
من الحبس • وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال
يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الما الذي يدخل
بستان معن وكان معن على راس الما فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فما لي الى معن سواك شفيع •

قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له
بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها فيها ودعا بالرجل فدفع
اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل فطلب
فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار • وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خبا لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها
وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها
احدكم حتى اهيي لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها
نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم
والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى
دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي
جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا
ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شا الصدقة الف شاة وامر لها
معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين
ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها

عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الف دينار • وخرج
عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف يمشي الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال
صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله
ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك • وحكي ان قوما من العرب جاوا الى قبر بعض اسخيائهم
للزيارة فنزلوا عند قبره وجاوا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل
بعيرك بنجيبي وكان خلف السخي الميت نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع
بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه ينبج الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه
فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان
منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال
خذه هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه • وقدم رجل من قريش
من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي
من النفقه فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكا فقال له الرجل ما يبكيك
لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما ياكل الارض من كرمك فابكاني • واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن
ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكا اهل خالد فقال لاهله ما لهولا قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام
ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا • وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائه دينار فبلغ ذلك
الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيه خمسمائه وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين
ان لي كل يوم من غلتي الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم • وحكي انه لم يجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم
الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيا من عسل فامر لها بزق فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا
وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا • وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن
عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه
فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي منه في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا • وقال عبد الملك بن
مروان لاسما بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المومنين
ما مددت رجلي بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني
شيا فاستكثرت شيا اعطيته اياه • ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيا كتب لمن ساله
صكا على نفسه حتى يخرج عطاوه فلما نظر اليه سليمن تمثل بهذا البيت • اني سمعت مع الصباح مناديا ... يا من يعين على الفتى المعوان •
ثم قال حاجتك قال ديني وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله • وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه
فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق
فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده • وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي
فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل
من صلى في المسجد بحلة ونعلين • وقال الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة
قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقرا شيا فولد لبعضهم ولد قال فجيت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم
يفتح بشي فجا الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي قال ثم قام
واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك بشي قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به فراى
ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا
مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائه دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان في الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس
وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرويا حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى
احيا فلما الحوا عليه حملوا الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه

وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري اي هو لا اسخى ● وروي ان الشافعي رضي الله عنه لما
مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رضي الله عنه
سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما
وردت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير
اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا ● وقال الشافعي رضي الله عنه لا ازال احب حماد بن ابي سليمان
لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حمارا فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط
اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه ● وانشد الشافعي رضي الله عنه لنفسه ع
● يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروات ● ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي من احدى المصيبات
وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربع دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي
من صنعاء الى مكة بعشرة الف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى
صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء ● وعن ابي ثور قال اراد الشافعي رضي الله عنه الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته
فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة يكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان
اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها وانشد الشافعي رضي الله عنه ع
ارى نفسي تتوق الى امور يقصر دون مبلغهن مالي ● فنفسي لا تطاوعني لبخل ومالي لا يبلغني فعالي ● ع وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على
المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر به المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود
سوء الظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى ● وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك
فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى ● ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه
المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه ●
ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد ● كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد ● ع فلما وصل الى ابراهيم البيتان
قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه ع
اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم يقلل ● فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل ع ويروى انه كان لعثمان
على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على
مروتك ● وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك
فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربع مائة الف ● وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه
لرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان رضي الله عنه ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت
اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن ● وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ
سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني واتى رجل صديقا ودق عليه الباب فقال ما جاء بك قال لي اربع مائة درهم دين فوزن اربعمائة
واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذا شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به ● بيان

ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال
صلى الله عليه اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم ● وقال صلى الله عليه
لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال
صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا
الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت
بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق

وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر ● وقال صلى الله عليه وسلم
اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان
قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال رسول الله صلى الله عليه شر ما في الرجل شح هالع
وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه
شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه ومعه الناس
مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا ● وقال عمر رضي الله عنه قسم
النبي صلى الله عليه قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال
ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه
لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو
نار فقال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل ● وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم
الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض
اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا
في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار ● وقال صلى الله عليه
وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج النار الا بخيل ● وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم
عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنرميه بالبخل فقال صلى الله
عليه واي داء ادوى من البخل ليس ذلكم سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي قال رسول الله صلى الله عليه
ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته ● وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد
البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل
وسوء الخلق وقال صلى الله عليه لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا ● وقال صلى الله عليه يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم
اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ● وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان يطوف بالبيت
فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو
اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش
قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله تعالى قال بل الله اعظم واعلى قال فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال
وان السائل لياتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة
لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار
ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون

الآثار قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور
وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك
وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا ● وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز
اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال
محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم ● وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه
سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ● وقال عبد الله بن عمرو
الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه ● وقال

الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب • وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال
خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان
بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه
وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى
وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اجعل لممسك تلفا ولمنفق خلفا • وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد
وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينيه وكانما يرى السائل ملك الموت اذا اتاه • وقال ابو حنيفة رحمه الله
لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة • وقال
علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث
ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب • وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه انك لبخيل ومدحت امراة
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقا البخلا
كرب على قلوب المومنين • وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا • وقال ابن المعتز
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه • ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك
وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال ولم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق
السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخايه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك م **حكايات البخلا** قيل
كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به
الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض
اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض • وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسايه فجلس الاعرابي فقال له الرجل
هل تحسن من القران شيا قال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال هو تحت كسايك • ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه
الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحيوتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى
وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسيل نسيب له كان يالفه عنه وقيل له صف مايدته فقال هي فتر في فتر
وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوة له انت
خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاه جبريل وميكايل
ومعهما يعقوب النبي صلى الله عليه يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعارتها اياهم ليخيطوا بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل • ويقال
كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرووس في
الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام
فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه
لونا واكفى موونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق • وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت
بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربع دوانيق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له
فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت
فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا
اذ سال سايل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا
والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة
يعدني بكسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما **بيان الايثار وفضله** اعلم ان السخا والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات
السخا الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة
اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل
يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع
الحاجة وذاك يوثر على نفسه غيره مع انه لا حاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشا

وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه
ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له • وقالت عايشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متوالية
حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه
رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفا السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل
الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله تعالى من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة فالسخا خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخا وكان ذلك من داب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه
الله تعالى عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم • وقال سهل بن عبد الله قال موسى صلى الله عليه يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وامته
قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السما فنظر
الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم
وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشا • وقيل خرج عبد الله بن
جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتي الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص
فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض
كلاب انه جا من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخا ان هذا
لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيها من الالات فاعتق الغلام ووهبها منه • وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه راس شاة فقال ان اخي كان احوج اليه مني فبعث اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول
وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبريل وميكايل عليهما السلام اني اخيت بينكما
وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب
اخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكايل
عند رجليه وجبريل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى بك الملايكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد • وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة
معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه على
نفسه • وروي ان شعبة جاه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه • وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم
اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فاذا رجل
يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجيته فاذا
هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات • وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما
دخلها الا بشر بن الحرث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا
بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا
فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجا الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت
تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجا الى تلك العظام فاكل ما
بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاوليا فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده **بيان حد السخا والبخل
وحقيقتهما** لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى
نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من
انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان
الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخا الذي يستحق العبد به صفة السخاوة
وثوابها فنقول قد قال قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا
الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي
ثم يضايقهم في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال

قايلون البخيل هو الذي يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان
اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا
يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على روية التقليل
وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله
على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر
وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول
المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا
يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل
بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود
وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن
قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون
لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي
يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع
واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه
بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما
واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر
ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح
مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به
المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة
ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة
من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة
وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال
فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال
فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى
المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض
بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما
يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك
باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللائقة به فقد تبرا
من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا
يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود
من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس وان لا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة
او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو
بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه
اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف
من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض
معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله

عن مسئلة فقالوا لها سلي عما شئت فاشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هو السخاء
في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله
وعد بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله
قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا
تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقال بعض المتعبدات احسب ان السخاء في
الدرهم والدينار فقط قال فقلت فما هو قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى ويسخو قلبك
ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب
على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن تختاره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه
يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام
الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى
ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر
على ما جرت عادته بنفقته ويفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض
بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع
هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال
صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات
فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال
بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب
المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر
في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث
من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا
فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة
في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به البخيل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع
عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في
قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته
والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك
في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده
الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت
حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق
بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا
بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء
فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء ولكن
ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي
باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن ليشتغل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان
يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا
مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه
فانه يقلع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان

كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يدل ذلك على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من
ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددهم ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين
ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الآخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جايعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن
ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو
منع القوت منه ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل
البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه
فاذا علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم
فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله
فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض الشيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم
فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد
يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا
السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق واحد منه تالم به مصيبته بقدر حبه له فاذا مات
نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك
قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا
قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثلها وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر
ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله
اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله تعالى اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله تعالى اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها
فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد
ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل
وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل بها احد لقناعة الناس منها بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظايف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج
منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف **الاولى** ان يعرف
مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية**
ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها
شوايب الرشوة وكالسوال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل
القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مايلا الى جانب القلة
ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات
في كتاب الزهد **الرابعة** ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه
في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك
فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه
لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع
حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على
العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش
وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله تعالى فلا يمنعه منه
عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن
رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يتشبه باغنياء الصحابة شابه الصبي الذي
يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها استحسانا لصورتها وشكلها ومستلينا

جلدها فاخذها اقتداء به فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل هي دنيا
كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان تشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة
فمحال ان تشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال البتة والله اعلم

بيان ذم الغنا ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل
الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نستدل على ان الفقير
افضل واعلى من الغني على الجملة من غير التفات الى تفاصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه
في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم
المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلامه في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى صلى الله عليه قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تومرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول
لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف
يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت
اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق
للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره
وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار
كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم وتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم
الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث المحاسبي رحمه الله اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين
الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم
الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون
المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة الا ذلك هو الخسران المبين فيا لها
من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآيسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى
فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال
فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك
بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك ليهلكك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر
والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان طلب المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد
صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم
الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح
الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله عز
وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم
عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك
ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف ضل وابن عوف في القيامة انه لم يؤت
من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه انا نخاف
على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج
مغضبا يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمن
رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمن فلما دخل قام كعب فجلس خلف
عثمن هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله يوما نحو
احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله

وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا اباذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت
واترك منه قيراطين ثم قال يا اباذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية
لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج ● وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن
فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن
عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا ● وبلغنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ● ويحك ايها المفتون فما احتجاجك
بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة
يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله
سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب
لكل مفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على اوساخ الناس وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة ويتقلب في
فتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف ويزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ● ويحك ان هذا من
من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض
الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم
يبخلوا بها لكنهم جادوا لله تعالى باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك
لبعيد الشبه بالقوم ● وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله تعالى في ارزاقهم واثقين وبمقادير
الله تعالى مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله تعالى متواضعين وعن
حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها
وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى
واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء
اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك قال اني اذا اصبحت وليس
عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي اسوة بمحمد صلى الله عليه وسلم واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه اسوة ● وبلغنا
انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا
واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد
الشبه بالقوم وساصف احوالك ● ايها المفتون ضد احوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل
عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين
وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع
المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ● وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه
اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في
الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى
حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله تعالى والله للقائك
اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته
اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير
دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر
بها ذهب خوف الآخرة من قلبه ● وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك في الدنيا
اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور آخرتك

وعساك ترى مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من
الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم
وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث
باطلاع الله تعالى عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن
جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك تلوثا في الاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف
والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد
استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم
ان لا تقبل ليت صومك مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم
وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا
ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى وفريق امثالكم في السفالة او يعفو
الله الكريم بفضله ● وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر امرك ويحك هل تجد
من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك تحتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين
بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع في نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ● ويحك
كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ● ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات
اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر وبلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال
لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى
واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا
تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسالة ● بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في
طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي
فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوموا بخير المال بشره وانت بغاية
الامنة والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان
الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد
قلبه فتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك احسنت الظن بنفسك
الامارة بالسوء ● ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال
اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام
وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب
هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقال لا يا رب كسبت من
حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه
في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من
حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه
فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل
في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال ● ويحك فمن الذي يتعرض لهذه
المسالة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى
يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون ان يتلبسوا
بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ

وانفقه في حلال صح

في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم تغير بسبب المال
قلبك عما يحب الله تعالى ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة
وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما
عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم
يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني
ماذا صنعتم فيما اعطيتكم • وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وحزبه يا قوم
فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه كما وجل المتقون لقد بلغني
ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في
البكاء فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوم عند
رسول الله صلى الله عليه وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا
فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني
من بعدك فاخاف ان يكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله
شربة من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك
ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن
السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل
وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن
خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في مثال اخيار السلف قنع
بالقلب زاهد في الحلال بذول لمالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى وراض بالفقر والبلاء

بالقليل

فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله
تعالى واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن يوقف في المسائلة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال
للبذل في سبيل الله تعالى • ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر
والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وآمن من روعات القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك
عند الله اضعافا • بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسئل
بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا
فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي
جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال
بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل
ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله تعالى فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل
في الآجل • وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك صلى الله عليه اذ هداك الله تعالى به
وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى
سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض
لم يجد له قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه عز وجل فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا • الا يا اخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان
فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والريا
والسمعة والتعظيم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله تعالى واستحي من دعواك • ايها المغرور ويحك
ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا
باساءتك وجلا من الحساب فذاك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج بجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه

موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر
العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا
بمثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور
ويا حزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه
كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد
له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة
لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه
اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر
والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة
وطفق يلقى الركبان فيسألهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما
فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة
ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا
جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة
ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ناخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لنا خذوها فلما فرغا
من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا
حتى اتيا النبي صلى الله عليه فلما راهما قال ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله في ثعلبة
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع
ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه فساله ان يقبل منه
صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه هذا عملك امرتك فلم
تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان • فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل
بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي
وامي انت فقام وقمت معه حتى وقفت بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله
قال عمران قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده
فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام
عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى
النبي صلى الله عليه فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت
الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امراة فرعون
ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك
انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر
الآن الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وترك المال • ومن راقب احوال الانبياء والاولياء

وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يبق لك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي
من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي
عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما
ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال
لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم
قال للخشف قم بإذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال ما أدري قال ثم انتهيا إلى وادي
ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري قال فانتهيا إلى مفازة
فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا أو كثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث
لمن أخذ الرغيف قال فأنا أخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا
أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاث قال فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء
أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أصنع في الطعام سما فأقتلهما قال ففعل وقال ذانك لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمناه
بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال
فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها ● وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم
قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش
من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال ما لي إليه حاجة فأقبل إليه ذو القرنين وقال أرسلت إليك
لتأتيني فأبيت فها أنا ذا قد جئت فقال له لو كان لي إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين ما لي أراكم على الحال التي لم أر أحدا من
الأمم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط
منهما شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها
قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام
فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكفي ابن آدم أدنى
العيش من الطعام وإن ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف
ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله تعالى سلطانا على أهل
الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم
تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع
الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله تعالى
عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما أنت
صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله تعالى من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في مكان
ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال
والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء ● قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا
به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله أعلم ●

آخر كتاب ذم البخل وحب المال ● والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما
تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ● الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى وخلص

عن شوائب الرياء والشرك وصفا فإنه المتفرد بالملكوت والملك فهو أغنى الأغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله وأصحابه المبرئين
من الخيانة والإفك وسلم كثيرا ● أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية
والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة
العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق
الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر
على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار
العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فتسارعت إلى إظهار الطاعة
وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه للشهوات
وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين
التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في
المحافل غاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا
له في أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته
المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول النافذة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله تعالى ومجتنب لمحارم
الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور
الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا
يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم
شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب
الكتاب على شطرين ● **الشطر الأول في حب الجاه والشهرة** وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى
الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه
وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان
اختلاف أحوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها ينشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف
طلب للشهرة منه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع
في دينه ودنياه ● وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس
إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تأويلا لا بأس به إذ
روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يعن هذا إنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق
في دنياه ● وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار ● وقال
إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أحب الشهرة ● وقال أيوب والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه ● وعن خالد بن
معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة ● وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون
معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار ● وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة
فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع ● وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله
فاتبعه أناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان ● وقال الحسن إن خفق
النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى ● وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى
أن يبقي هذا من قلب المؤمن ● وروي أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني قال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف
وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسأل فافعل ● وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا أني أعلم أن الله تعالى يعلم
من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى ● وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت

في طوله وهي اليوم في تشميره. وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة. وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا. وقال رجل لبشر بن الحرث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك. وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع. وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح. وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك. وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا. وقال صلى الله عليه الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ. وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم. وقال صلى الله عليه ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تبارك وتعالى الجنة لاعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانها عليه ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره. وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة. وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه فبينا هم في دعائهم اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني. وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض. وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه يقول الله تعالى ان اغبط اوليائي عندي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه. وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم صلوات الله عليه. وقال الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك. وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك. وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء. وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد. وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله. فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد. فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه

بيان ذم حب الجاه

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا

ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل بها الانسان الى سائر اغراضه فكذلك ملك القلوب والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال ولذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي النهاب والغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها والجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصنيف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان جلي يدركه الكافة

والاخفى وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكيا فضلا من الاغبيا وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه الحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطايفة من ماله استغنى بالاخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الا ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة يطرد في حبه المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اوليك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف • واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذا والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغوا والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلا وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرحها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قايم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغنا عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهو محب للكمال ومشتهى له وملتذ به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته وعدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلا على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلا على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلا على الشي بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشا فاحب الانسان ان يكون له الاستيلا على كل الاشيا الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملايكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض واجزايها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملايكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلا اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملايكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلا عليها والاستيلا نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه • واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف

يريد وهي قسمان اجساد وارواح فالاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشا من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم يعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة • القسم الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلا وقدرة عليها ليكون مسخرا له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلا والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا يحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقا الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخر القلوب له كانت له قدرة واستيلا عليها والقدرة والاستيلا كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضا الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في العلم استيلا على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه وتعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى • والثالث من حيث بقا العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله سبحانه وتعالى باق لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب • والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وبافعاله وحكمته في ملكوت السما والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى • واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد

النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه لاستيفا اقسام الكلام ● واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشيا عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفا هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على قرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق اكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى الاعيان المالية بسعة الغنا وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوا شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملايكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلا عليها بالقهر تشبها بالملايكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا تستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملايكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملايكة اشبه ومنزلته عند الله تعالى اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كاينة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله سبحانه فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقا له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهولاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض الاية وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه فهي الباقيات الصالحات وقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب استاذه ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت الما لانه مضطر اليه لقضا حاجته ويود لو استغنى عن قضا الحاجة حتى يستغني عن بيت الما وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الما فكل ما يراد للتوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه ويدرك التفرقة فيه بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الما فضلة الطعام ولو كفي مونة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضا الحاجة لكان لا يدخل بيت الما ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا النكاحها

فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور كما سياتي ● فان قلت طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول نطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلوات الله عليه فيما اخبر الرب عنه اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه **الثاني** ان يطلب اخفا عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك ريا وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراي بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضه للذم ونفرته منه

اعلم ان لحب المدح والتلذذ القلب به اربعة اسباب **الاول** وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنايه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثنا عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا بانه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمين نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثنا استاذه عليه بالكياسة والذكا وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شي فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفايت به اعظم **السبب الثالث** ان ثنا المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنايه وهذا يختص بثنا يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** هو ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثنا عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والغلبة والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلا عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثنا القوي الممتنع عن التواضع بالثنا اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فيزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلا على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم

ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقي لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض **بيان علاج حب الجاه** اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال ايضا انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبلت على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل ● اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري رضي الله عنه حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكأنك باخر من كتب عليه الموت قد مات ● فانظر كيف نظر نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للتقوى فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة ● واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق ويفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني وفيهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس

كلهم عنده كالارذال فلا يبالي ان كان له منزلة في قلوبهم او لم تكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة **بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم** اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم **اما السبب الاول** فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة يستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول شعر ● اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ● فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمادح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى ● وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به ● فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به **واما السبب الثاني** وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به **واما السبب الثالث** وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك من السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان ● قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل ● وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني ● وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان علاج كراهة الذم** قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فغاية الجهل

وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ان نبهك على عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك
لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح
لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك
لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة
وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه ● فاما قصد العدو والتعنت فجناية منه
على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل انتفعت انت به وتضرر هو ● الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء منه
عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما
ستر الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك
وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك
فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما
الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع
غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اذ
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو
معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة
وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في
قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان يفرح بالمدح ويشكر
المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب **الثانية**
ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا
من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهو اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره
المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس
عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام
عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة
المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام
على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس
مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان
يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين
المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم
ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث
انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين
حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع
يفوت عليه الدنيا ويخسر الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر
مضرة في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع
ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى ● وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه قال ويل للصايم
وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة
وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان نضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا نظهر ذلك بالقول والعمل

فاما الحالة الثالثة وهو التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيه ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لابد ان
تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر
كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد
فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو
ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة
قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ● ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبها بالعبادات ولا يباشر
المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع
فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ● ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة
ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه
بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة يكون عليه ● ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولم يؤثر فيه وهذا
على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته
ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص
والصدق وهو مفلس عنهما وكذلك بالضد من هذا يتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخره اظهار الفرح
ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها
الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد
فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى
بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينتصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه
طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة
عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل **الشطر الثاني من الكتاب في طلب
الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء** وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان رياء الخفي وبيان
ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك
الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزم قلبه قبل الطاعة
وبعدها وهي عشرة فصول **بيان ذم الرياء** اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات**
فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى
وجه الله تعالى والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يطلب الاجر
والحمد بعباداته واعماله **واما الاخبار** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة
الله يريد بها الناس ● وروى ابو هريرة في حديث الثلثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص
وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال
فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه من راءى راءى الله به ومن سمع
سمع الله به ● وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول لملائكته ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه ان اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو
يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى
الاغنياء عن الشرك ● وقال عيسى صلى الله عليه اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم
واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء ● وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه

يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقايقه وقال
صلى الله عليه ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين
ضعفا وقال النبي صلى الله عليه ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له
وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا
قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون باعمالهم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها
اوتاد الارض فقالت الملايكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر
الله الماء باطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملايكة فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله
تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته • وروى عبد الله بن المبارك باسناده
عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي
صلى الله عليه قال يا معاذ قلت له لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطع
حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من
السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء
الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس
يجاوزني الى غيري قال ثم ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل
بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر
على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس
في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان
اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم
الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل
من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري • وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكاة وحج
وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط
من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء
السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلثة الف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه
ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل
لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر
لله تعالى وتشيعه ملايكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى
قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملايكة كلها
عليه لعنتك ولعنتنا ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن • قال معاذ قلت يا رسول الله انت
رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك
عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر
الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار
يوم القيامة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم
قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن
من معاذ للحذر مما في هذا الحديث • واما الآثار فروي ان عمر رضي الله عنه رأى رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس

الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال
وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم
وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك يقول
لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان
يحمد به ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه • وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله
وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت
شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله تعالى وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا • وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم
لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان
ينحيه الا مخافة الشهرة • ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن
عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد
على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح
وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي
يستهزئ بي • وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن • وقال الفضيل من اراد
ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين
وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل • وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان
قيل وكيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة الرياء وما يراءى به**
اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه
والمنزلة يطلب في القلب باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات
واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به
هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك والمراءى به كثير تجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين العبد به للناس
وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه
وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات **الاول** الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار
ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة
الحزن في الدين • وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت
استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت
واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي
ضعف قوته وعن هذا قال عيسى صلى الله عليه اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه • وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك
كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة اهل الدين بالبدن فاما
اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الرياء
بالزي والهيأة اما الهيأة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه
وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من
نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية
مع الافلاس عن حقايق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف
اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي
على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها
ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد
بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا **وطبقة اخرى** يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك

والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة النازلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثوبهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض او القصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة ● واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة **الثالث** الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر ● واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه ● واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له جاه عند العامة ● ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب

قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف صلى الله عليه حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها ● واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانسوا به فاذا المراءاة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك امثاله ● اما العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك وياثم لما دل عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله تعالى وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر ● والثاني يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله تعالى فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد به عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه اولى بالتقرب اليه من الله تعالى اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله تعالى لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله تعالى ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم واقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يترقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله تعالى من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر ● فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المرائى به والمرائى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله تعالى والثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا لارادة العباد فيكون الدرجات اربعة **الدرجة الاولى** وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى بنفسه لما اداه فهذا في الدرجة العليا من الرياء **الثانية** ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم **الثالثة** ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة اذ كان كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص **الرابعة** ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثاني** المرائى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهي على ثلث درجات **الدرجة الاولى** الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وقال تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الثانية** الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله تعالى يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو ويحج لذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله تعالى او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد **الثالثة** ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركه وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي الرياء باصول العبادات **القسم الثاني** الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع

آدمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا اكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب ويحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة الثانية** ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه **الثالثة** ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلى ونفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى تحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث المرائى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات **الدرجة الاولى** وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى **الرتبة الثانية** ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الرتبة الثالثة** ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلى بنفسه لكان لا يفعل شيئا

منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح باني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن • اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم في مقت الله تعالى وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا من العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته • فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم • وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام • فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم وكانوا كزوار

بيت الله تعالى اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص والفضة الخالصة لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزود به له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله تعالى لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل • فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه وبعضه مذموم وبعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به • الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل • والثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة • الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزا به وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن عبادة الله تعالى وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه • واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرى بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله تعالى ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرى من العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل • اما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور ولا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرى يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لو لا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد

اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان
يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرئ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال
لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمة الله عليه
الى الاحباط في امر اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت
فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط
وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل
قد قال الحسن رحمه الله انما هو سلطانان فاذا كانت الاولى لله لم يضره الثانيه وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانيه ثم تكلم على الاثر والخبر فقال
اما الحسن اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث
فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه
اراد ان يسر به لاقتداء الناس به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب
من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث ان اكثر من روى الحديث
يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقف على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل
اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور
بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في
الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه
اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي
اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله تعالى والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في
كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ

القسم الثالث

الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه
اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا
وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص
وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع
والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله تعالى لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد
الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود
دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص
صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على
قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده
وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا
نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث له ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له
الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة
فقد عصى الله باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب
بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو
اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال
صلوته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه
وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك

القصد صلوته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاصي فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما
يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا
حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب
صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به
لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط
للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى
الصلوة في اول الوقت بحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته
وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية
هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد
الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على
افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقتصاد فيما نراه والعلم عند الله فيه

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته
ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل
والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما
يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات
فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه
والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول في قلع عروقه واستيصال اصوله

واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى
ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى
ابو موسى ان اعرابيا سال النبي عليه السلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال
والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل
للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي
راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم
الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين
الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون
جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم
ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا
من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء
وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه
ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة
ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة
عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الاشهاد والعباد يا فاجر يا غادر
يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض
الى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض
لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته
من الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة

السيئات فيترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الريا الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الريا ورد الى صف النعال من مراتب الاوليا هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة ● واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله لرجا كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته ● واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله تعالى ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الريا واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراي ممقوت عند الله ولو اخلص لله تعالى لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثنا عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المويد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الريا ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح به صدره وينفتح له من لطايف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الريا وتذلل له منهج الاخلاص هذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الريا ● واما الدوا العملي فهو ان يعود نفسه اخفا العبادات واغلاق الابواب دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به ويروى ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دوا للريا مثل الاخفا وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما

المقام الثاني في دفع العارض منه في اثنا العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثنا العبادة بل يعارضه بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الريا وخواطر الريا ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج **فالاول** العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجا اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فايدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل في آفة الريا وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الريا فمعرفة آفة الريا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الابا والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الريا من ثلثة امور المعرفة والكراهة والابا وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلا القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلا الحرص اليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فتعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الريا وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الريا الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه اليه الا ريا الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الريا مع علمه بغايلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا ينفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الريا ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فاذا لا فايدة الا في اجتماع الثلث وهو المعرفة والكراهة والابا فالابا ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم

فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الريا وحملته الكراهة على الابا ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين ● فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في ادا ما كلفه ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشيا لان نخر من السما فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والريا وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددت مرادهما بالابا والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للريا هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الريا خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الريا في دفع خواطر الريا على اربعة مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم للقلب وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **الرتبة الثانية** ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **والرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب الريا فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد في ما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفا الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب ياسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ● ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه ● وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع

فيك واذا ارادك مدك وما املاك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا
مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فايدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد
لمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو
غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفعه في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل
فرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه
رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى
ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فايدة باستعجاله • فان قلت فالشيطان اذا كان لا يومن نزغاته فهل يجب
الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الورود ام يجب التوكل على الله تعالى ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة
عنه • قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم
انقطعوا الى الله تعالى واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنى
فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندنا واذا خلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى
الحذر • وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله
في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف
يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر • وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره
البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء
لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات
الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان
شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير • ومن ظن ان اشتغاله بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
فهو مغرور ولم يامنوا ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور وبعد ان قال الله تعالى
لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى
ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من
كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن والمعدن للملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى
صلى الله عليه هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
وقال انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيث
امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال
وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت
تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى • ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد
يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال
الحذر من الشيطان التعرض للنار والعذاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية
فظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه
فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله تعالى به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى
التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما
اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله تعالى ويرى
الاسباب وسايط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله
يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات الاستغراق بالله يستمر على الدوام
وهو بعيد • ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب

على قلبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يودي الى اخلاء القلب عن ذكر الله تعالى
واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى
الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه فان تجردنا لذكره كنا اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى • وقال
العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى ولا يخفى غلطها وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا
يصدنا عن الذكر فكيف يجعل ذكره اغلب الاشياء على قلبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يودي ذلك الى اخلاء القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد الشيطان
مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يومر بانتظار الشيطان ولا
بادمان ذكره • واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان
ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه
عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل
بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة
الشيطان بل الرجل ينام وهو خايف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل
مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى
على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد امات منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم واماط ظلمة الشهوات فاهل البصيرة
اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور
الذكر حتى ابصروا خواطر العدو • ومثال القلب مثال بير يراد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد
ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه مجاريا اليه من جانب اخر فيطول
تعبه ولا يجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل مجرى الماء القذر سدا وملاه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد
من غير كلفة ومونة وزيادة تعب • **بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات** اعلم ان في الاسرار للاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الريا
وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الريا قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار
ايضا فايدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار
قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل • **القسم الاول** اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيه كما روي عن الانصاري
الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري
ساير الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد
وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس
من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به • فكل عمل لا يمكن
اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب الريا واما ما يمكن
اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يوذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام
وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل
من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل على ذلك ان الله امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب
النبوة ولا يجوز ان يظن انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في الحديث ان عمل السر
يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف
فيه فانه مهما انفك القلب عن شوايب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من
ظهور الريا ومهما حصل شايبة الريا لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان
احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون
اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما
نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فايدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة
على من هو في محل الاقتداء به • الثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء

وانما شهوتها التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذه حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف
نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل
عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه
مزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك
غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر
الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد
رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر
العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي
ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء
القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤونة النطق خفيفة على اللسان وقد
يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ
منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند
من يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير
والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها
ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق وقال عمر
ما ابالي اصبحت على يسر او على عسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان
ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت
حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا
تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي
هوى الا في مواقع قدر الله فهذه كلها اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن
يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء
عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم
كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره
اذا لم يعرف رياؤه وان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم في الآخرة كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن
يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وذمهم له

اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء
السريرة والعلانية كما قال عمر لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي
منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها
كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات
والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر
ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر
المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح
اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة
وهذا غم ينشأ من قوة الايمان **والثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه من ارتكب
شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشأ من
قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره
ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن

الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان
اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى
طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه
من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه
رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم
بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم
الله تعالى وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان
يحب ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما
كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم
وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم
فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان
يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه له
اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه
وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **الخامس** ان يستر ذلك كيلا يقصد بسوء اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر
القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب وله ان يستر ذلك حذرا منه
السادس مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل
فيستحيي من القبايح اذا شوهد منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان
وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك
والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له
ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج
عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه
لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك
احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى
فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني
عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء
الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض
بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج
الحياء اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه
لمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد او
الثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا
في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد
به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد يشاهد معصية
من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان يستحيي من الله تعالى
فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي
يجوز لاجلها ستر القبايح والذنوب **السابع** ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي
الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله
وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار الستة وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر

المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة • فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له
بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله
وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب
ذلك لتعرف به حب الله تعالى لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده • والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلوتك
وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك بصفات محموده سوى الطاعات
المحدودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما **بيان ترك الطاعات
خوفا من الريا ودخول الآفات** اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك
من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة
ومجاهدات انما يصير لذيذا من حيث انه يوصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا
تقتصر على البدن بل تتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق
وغير ذلك مما يعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة
في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الريا فيها ثلثة • احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث
الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الريا
ويقول لها الا تستحيي من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الريا وسخت النفس بالعمل لله عقوبة
للنفس على خاطر الريا وكفارة له فليشتغل بالعمل • الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان
يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس
كراهة الريا والاباء عن القبول • الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرى الريا ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد
الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا لم تجب ودفعت
بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراي وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت
غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة فيترك
اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له
ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراي فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين
وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراي هو عين الريا فلولا
حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراي او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراي
وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف
يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص
لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك
وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الريا وهو انه ضرر في الآخرة
ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع
وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الريا والزم
قلبك الحيا من الله تعالى اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك
تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حيا من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراي فاعلم كذبه
بما تصادف في قلبك من كراهة الريا وابايه وخوفك منه وحياك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث
ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب
فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة • روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرا فاطبق المصحف
وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال
الحسن كان احدهم ليمر بالاذى فما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم ياتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد

ورد فيه آثار كثيرة • قلنا بازاء هذا ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب
الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جايز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه
الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف
فالاقتدا ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافها
بعد خروجه للاشتغال به وبكلامه فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك
واما ترك رفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة
من الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات اكبر منها لا لمجرد خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون
قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة من الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول
من مباح الى مباح حذرا من العجب • فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم يحض عليه على ان الآفة مما يعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني
وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا يعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى
لخوف الشهرة ربما كان حكاية لحال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة
الشهرة وزجرا عن طلبه **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس
والفتوى ثم انفاق المال **اما الخلافة والامارة** فهي من افضل العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من
امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه اول من يدخل الجنة
ثلث الامام المقسط وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه ثلث لا ترد دعوتهم الامام العادل الحديث وقال صلى الله عليه اقرب الناس مني مجلسا
يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون
من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ يتحرك به الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم
ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه فيوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته
وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جاير شرا من فسق ستين سنة بمفهوم
الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر رضي الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه ما من وال عشرة الا
جا يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المومنين اشر علي قال
اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن
سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها بمسألة
وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تامر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين
وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة
يرى ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا
من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله
لومة لايم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا
الشيطان فايس منهم فهولا لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة
ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير
الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل
فهذا قد اختلف الفقها في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قايلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال
لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو
وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد
الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا يسمح نفسه بالعزل الا المداهنة واهمال الحق ويهوي به في قعر
جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب
الولاية وحملت على السوال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا من سألناه فاذا فهمت اختلاف حكم القوي

والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافع بن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض **واما القضا** فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في
معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع
العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم
الامارة ينبغي ان يتركها الضعفا وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلدها الاقويا الذين لا ياخذهم في الله لومة لائم ● ومهما كان السلاطين
ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه ولم يطيعوه
فليس له ان يتقلد القضا وان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل
سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح به نفسه فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه
ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار **واما الوعظ والفتوى** والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع
بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا
يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرة من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت
ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك
على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام حق يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف
الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر
وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني
بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا
طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويامن
على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه ● فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق
فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة
وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا
وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين راى قوما
يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه القرآن فمنع ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر
كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه ● واستاذن رجل عمر رضي الله عنه اذا فرغ من صلوة الصبح ان يعظ فمنعه فقال اتمنعني من نصح
الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضا والخلافة مما يحتاج الناس اليه
في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما ● فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى
اندراس العلم فهو غلط اذ نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا لم يؤد الى تعطل القضا بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها
وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول
والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل
قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس
في النهي عنه الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان
وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا
ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو
ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجمع احب عندنا من سلامة
دينه وحده فنجعله فدا للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا
خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ● فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار
من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية
والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن
الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق العلماء السوء

ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى صلى الله عليه يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما
تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم
يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم
والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون
الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ● ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار
كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم
الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي رحمه الله هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال
هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار
وشين وفي الآخرة هم الخاسرون ● فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه
الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن
اتمم العمل وجاهد ● فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله تعالى اترك العلم اذ ليس في نفس العلم
آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا
بباعث الريا فاما اذا لم يحركه الا الريا فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الريا وجب تركها اما اذا خطر
له وساوس الريا في اثنا الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الريا في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي
للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة ● الثانية الصلوة
والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقويا السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر منهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها
والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة ● الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية
والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الريا
والولايات ينبغي ان يتركها الضعفا راسا دون الاقويا ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر
منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم ● وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للانفاق على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخا استجلابا
للثنا وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك
وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من زهده تركها قربة الى الله تعالى وقال
ابو الدردا ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق واصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرا ولكني اريد ان
اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ● وقد اختلف العلما فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق فهو افضل من ان
يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطا يشغل عن الله تعالى وقد قال عيسى صلى الله عليه
يا طالب الدنيا ليبر تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات
فاما من يتعرض لآفة الريا فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات
والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم
دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان
لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما
يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال
في المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر
وذلك لما في الكسب من الآفات ● واما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه ● فان قلت فباي علامة يعرف
العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد ريا الناس ● فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا

واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا
حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في
الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من
بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المجالس فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن
فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما راه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد
وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام
له يتكلم به في كل يوم فما قطع كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد
في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى
اخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم
بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه
من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق
فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبوا اني شيخ كبير واني اغزو فاكلف فرسا وبغلا
واكلف فسطاطا واني في ثلثمائة درهم من العطاء وعلي سبع بنات من العيال فشكى من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ
الرجل رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزى واغزى
عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام
رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن
واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقال ما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل
حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانهم يظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة
ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا
كذا واذا اغزى اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما على ذلك لا نتهمك لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن
حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شيء والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب
العبد فبهذه العلامات وامثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم
انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون **بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح** اعلم ان
الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث
نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط
في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن
راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات او يستهويه
الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله
فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال
باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته الخير وحصلت اسباب باعثة
على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فيتحرك داعيته
للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه
في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق
وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث
داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب
يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك
تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد يكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم

اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد
يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق
لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة
لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق
وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت
تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك
فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم
ويمكن ان يكون بسبب تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه
نزوع في النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك
على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام
وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب
حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه
هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب
فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند
القران او بعض مجاري الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة
نفسه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه
الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط
اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو
محظور لانها في حكم الابتداء المجرد للرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة
تحزين الصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء
وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق
ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة من صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع
نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن
يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي على غيره ويري
انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات
النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله تعالى مطلع على ضميره وهو
له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ
وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع
ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون
للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك فانظر
ما هو ومن اين هو فان كان لله تعالى فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل
من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك
مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلثة نفر الذين حاجوا ايوب صلى الله عليه
اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان
يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي
وتقبح فيما اخلو لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك
باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد

قال احد الثلثة نفر لايوب يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النملة وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله تعالى ولا يرجو الا الله تعالى فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت ● وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون عن الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب الله تعالى ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليهم وسقوط عند الله تعالى واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء ● فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل ● واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه ليصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله تعالى قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتدا العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك يعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الخلق وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر ● فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليأخذوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره ● وجاء رجل الى سفيان ببدرة او ببدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب ان تأخذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال احب ان تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شيء قلبك هذه حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال انت يا مبارك تاكلها انت هنيئا مريئا واسال عنها انا ● فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى

في اقتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن انه له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته غير الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله تعالى ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله تعالى في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه ويسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا ● واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سكونه معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك ● هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والجية والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا عن اعتقاده لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواه قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو ويسرع او ياكل كثيرا او يضحك فيسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ● ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخباياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء

وحاذق الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر في مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله تعالى كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل العبد في بدايته اقبل الله تعالى بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته

تم كتاب ذم الجاه والريا

والحمد لله رب العلمين وصلواته على سيدنا محمد واله الطاهرين وسلم تسليما

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مستكين متواضع فهو القهار الذي لا يدافعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستولى عليه استعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر عن ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه فمن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا

اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وافته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه بيان ذم الكبر قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال تعالى اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن سلمة بن

عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود صلى الله عليهما يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكم ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني امركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى صلى الله عليه طوبى لمن علمه الله تعالى كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله عليه اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلث دخل الجنة الكبر والدين والغلول الاثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر جبار وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله تعالى والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله بيان ذم الاختيال واظهار اثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه بينما رجل يتبختر في برديه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى

اذا استويت وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وأنى
اوان صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي
هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان **الآثار**
عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه
وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه
اي حميق ينظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله تعالى منها والله ان
يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال
لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا •
ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن ادم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت
عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم • وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس
وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل
عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها • ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم
واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله • ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشياطين اخوانا كررها مرتين او ثلاثة • ويروى ان
مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما
تعرفني فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد
ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع **بيان فضيلة التواضع** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله • وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة
يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه • وقال صلى الله عليه طوبى لمن تواضع
في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة • وعن ابي سلمة المديني عن ابيه
عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من
عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه
ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله • وروي
ان النبي صلى الله عليه كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول
الله صلى الله عليه على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها • وقال
رسول الله صلى الله عليه خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا وملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت
راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم
قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي • وقال صلى الله عليه الكرم التقوى والشرف التواضع
واليقين الغنى وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين
بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى
يوم القيامة • وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير
شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى • وقال صلى الله عليه اربع لا يعطيهن الله تعالى الا من يحب الصمت
وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه اذا تواضع العبد
رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه
كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه الى جنبه وقال صلى الله
عليه انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنأة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه لاصحابه ما لي لا ارى
عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا
رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله

حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس
حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس
النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه
من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا
وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع • وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل
ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته
منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته • وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه
ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل • وقال قتادة من
اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى صلى الله عليه اذا انعمت
عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك • وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله تعالى وتواضع
بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها
لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا في الآخرة من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال
افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك
في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ اتاه الله تعالى جمالا في خلقته وموضعا في
حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خالص الله تعالى فدعا هرون
بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود صلى الله عليهما اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد
معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في
الثياب المرتفعة • ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه • وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم يجد
قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلم فخصه منهم بالكلام • وقال يونس بن عبيد وقد انصرف عن عرفات لم اشك في الرحمة
لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون
عند الله تعالى ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار
لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك
قوله قال بهذا صار مالك مالكا • وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا • وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء
فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله تعالى لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل • وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا دابه
وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباداك الله تعالى تشاهد او تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلي في بعض
كلامه ذلي عطل ذل اليهود • ويقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب • وعن الفتح بن شخرف قال رأيت
علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة
منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف
نفسه • وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه
مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني
كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا
التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي
التكبر عليك بماله تواضع وقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح
ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا

لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع
والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت
نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله تعالى وعن الجنيد
انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم
وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى
يضعها او يرفعها وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس
قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي
ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت
في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله تعالى حيث يترفع فيه الناس ● وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان
يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ● وكان عطاء السليمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كأنه امرأة ماخض
وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس ● وكان بشر الحافي رحمه الله يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا
رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة ● وتفاخرت قريش عند سلمان
رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنا والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما
الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر
فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به
وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور
ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو ان يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم
نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره
فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى
مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هو الكبر بل هذه الرؤية
وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة
والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر
اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو
الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال
ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي
اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه
عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف
عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق
وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان
وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم
وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة
وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق
وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من
كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق
هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز

ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه
العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على
النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز
والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في
قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة
العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله
وكنتم عن آياته تستكبرون وقال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم
عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون وقال تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع
فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك
قال عيسى صلى الله عليه ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا
ترون انه من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه فهذا مثال ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان
ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام

القسم الاول التكبر على الله تعالى
وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل
رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف
ان يكون عبدا لله تعالى ولذلك قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا

القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن
الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو
ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن
لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد
استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبره الله تعالى عنه او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله
تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك
ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف من عبودية الله
تعالى ومن اتباع موسى صلى الله عليه ● وقالت قريش فيما اخبره الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف
بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا
لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة
الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
يعني عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه محقا
ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله تعالى وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله

القسم الثالث التكبر
على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم

ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق إلا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته أي أنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله تعالى وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله تعالى فقد نازع الله تعالى في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم الآية وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال أتقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثما إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه إلا كبره فقال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده فإذا تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثلا لهذا وما حكى من أحواله إلا ليعتبر به فإنه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لأنه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إلي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله تعالى أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف أن يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله والرسل

بيان ما به التكبر

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب **الأول** العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدءوه بالسلام فإن بدأ أحد منهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له ويخدمونه شكرا له على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف إليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي أن يرى أن كل الناس خير منه لعظم حجة الله تعالى

عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فإن قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم أن له سببين أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وإنما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر أمره في لقاء الله تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا **السبب الثاني** أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الأخلاق فلم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا وإشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى الصحابة فقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قومه أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن إماما غيري أو لتصلن وحدانا فإني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالما يستحق أن يقال إنه عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الأول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله تعالى أن يتفضل علينا بما هو أهله وأن يستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله **الثاني** العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وإنما قال ذلك لأن هذا القول يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله تعالى ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله تعالى فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله تعالى إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال كما روي أن رجلا في بني إسرائيل يقال له خليع بني إسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل كيف يجلس إلي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله تعالى

تعالى الى نبي ذلك الزمان مُرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة
الى راس الخليع وبهذا يعرف ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه
فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ
رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن
وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له وصاحب
الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه موذي
استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك
لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى
ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع
انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبيا صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم
من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم الجاهل
المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله تعالى باعجابه وكبره وهو
غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين • واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطا السلمي رحمه الله حين كان تهب
ريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت
ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم • فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر
لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد
جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شي يبعد العبد عن الله تعالى وحكمه
لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون • ولذلك روي ان
رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة
من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه اسالك بالله حدثتك نفسك ان
ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه
وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلما والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يكون
الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية **الثانية** ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار
الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب
جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في
الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى تضم انما الورع في القلوب قال النبي صلى الله عليه
وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم
بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القرا كل طلق
ضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى لما قال الله
تعالى لنبيه واخفض جناحك الآية وهولاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو
الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر
لغلبة الغير في العلم والعمل • اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول
اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القران في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا
يكثر القراة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده او اخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه
يدعي الكرامة لنفسه • واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون
على الجوع فيكلف النفس الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او

اقوى منه في دين الله • واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقايق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت
وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب
ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ
وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها
فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه
فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من
عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا
عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا
قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم
والعمل **الثالث** التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه
عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به
فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع
مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح
منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السودا فقال النبي صلى الله عليه يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضا على ابن
السودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي • فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه
فضلا بكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ
عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان
ابن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي عليه السلم افتخر رجلان عند موسى صلوات الله عليه فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى
عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله
عليه ليدعن قوم الفخر بابائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر **الرابع**
التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النسا ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما
روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشاه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها
واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت **الخامس** الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزاينهم وبين التجار
في بضايعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول
له انت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر
من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة
الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماوها
غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي
احدا • ومن ذلك تكبر قارون اذ قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون **السادس**
الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع** الكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان وبالعشيرة والاقارب
والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلما في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان
يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين
لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا • وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان

والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا فيه ● فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشي منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او شي من اسبابه استعظم نفسه وتكبر ● واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الريا فيصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والريا ● اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا يطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به ● واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذا وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو معرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه ● واما الريا فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع عن قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الريا المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلو به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام ● وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدردا لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه ● وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري رحمه الله عليه فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما خلع الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف

فيكم رجلا شر امتي ● قال انس كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر روي انه دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قاموا من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مايدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه قال فانبه الغلام قال هي نومة نامها فقام واخذ البطة وملا المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شي الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك ● وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله ● وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس ● وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم ● وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب ● وقال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلا القلب ● وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ● ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل ● وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغا وجهه كان حقا على الله تعالى ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى صلى الله عليه جودة الثياب خيلا القلب وقد سيل نبينا صلى الله عليه عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه من حال ثابت بن قيس اذ قال له اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طلب الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال تنزل قول عيسى صلى الله عليه على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلا القلب يعني قد يورث خيلا في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى صلى الله عليه ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذياب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل من السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شي من ذلك

دخله زهوا او مباهاة او ريا او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه يعالج في
بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه
اذا اعياه ويشتري الشي من السوق ولا يمنعه الحيا ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير
والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير او كبير او اسود او احمر حر او عبد ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا
يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غدا لعشا ولا عشا لغدا هين
المونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في
غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال
ابو سلمة فدخلت على عايشة ام المومنين فحدثتها بهذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطا فيه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله
عليه لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي ليلته حتى يصبح
فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما
بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول
يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا من الآخرة وما شي احب الي
من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى ● فما نقل عن احواله
صلى الله عليه يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محله صلى الله عليه ولم يرض لنفسه بما رضي
هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتدا به ولذلك قال عمر رضي الله عنه
انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئاته عند دخوله الشام وقال ابو الدردا اعلم ان لله تعالى
عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه لم يفضلوا
الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغا
مرضاة الله تعالى بصبر حسن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا او ثلاثون رجلا
قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه ● واعلم يا اخي انهم لا يلعنون
شيئا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم
نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم
فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق
الخيرات اوليك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ● قال الراوي فقلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف
لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك
للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة ● واعلم
يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون
بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من
الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما
استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على
غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه
ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع
والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبريا الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو
منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف
معنى اية واحدة في كتاب الله تعالى فان في القران علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره
من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره ● فقد اشار هذه الآية الى اول خلق

الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في
كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شي اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشيا ثم من
اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار
شيا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدايه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر
ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل
بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شي خلقه
من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت وكذلك قال من نطفة
امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا
اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضا
بما فيها من العجايب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال ● فانظر
كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ● فانظر الى نعمة الله عليه
كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت
وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر
فكان من ذاته لا شي واي شي اخس من لا شي واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة
بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعم عليه ليعرف به ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق
الكبريا الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك
نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما
حصل وجوده ابتدا بالاختراع فمن كان هذا بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبريا والفخر والخيلا وهو على التحقيق اخس
الاخسا واضعف الضعفا لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه
سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم ويهدم البعض من اجزايه البعض شا ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها
لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي فينساه ويريد ان ينسى الشي ويغفل
عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا
نفسه نفسه يشتهي الشي وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشي وربما يكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع
الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج اعضاوه ويختلس عقله ويختطف روحه
ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه وغيره
فاي شي اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله ● واما آخره ومورده فهو الموت
المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه
وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضايه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير
جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاوه وتتفتت اجزاوه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ويا كل
الدود اجزاه فيبتدي بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبساير اجزايه فيصير روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة
يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير
ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر به البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم تغن بالامس حصيدا كما كان في
اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلا فيخرج من
قبره بعد جمع اجزايه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قايمة وسما مشققة وارض مبدلة وجبال

مشبرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى
صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها
ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك
وأحصاه الله تعالى فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول الخطاب قبل أن ينشر
الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فهذا آخر أمره
وهو معنى قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره فما لمن هذا حاله والتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا من البطر والتجبر فقد ظهر له أول حاله ووسطه
ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا
وإن كان مستحقا عند الله النار فالخنزير أشرف منه وأطيب إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب
والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته
ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيف فمن هذا حاله في
العاقبة إلا أن يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا • وأي عبد لم يذنب ذنبا
استحق به العقوبة إلا أن يعفو الكريم بفضله أرأيت من جنى على بعض الملوك بما استحق به ألف سوط فحبس في السجن وهو
ينتظر أن يخرج إلى العرض ويقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أفترى أنه يتكبر
على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون أمره فيكفيه ذلك
حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لأصل الكبر • وأما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى
ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكينا من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أنه كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعتقت
يوما لبست أشار به إلى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله تعالى ورسوله
بالإيمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة أسرار لأجلها كان عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول
قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله
فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم
ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر
التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه
فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا
إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت
والقلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالأسباب المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال
الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج
من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة **الأول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين
أحدهما أن هذا جهل من حيث أنه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل • لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
فالمتكبر بالنسب إن كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب إليه حيا لكان له أن يقول
الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي أفترى أن الدودة التي من بول إنسان أشرف من الدودة التي من
بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للإنسان لا للدود **الثاني** هو أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده
فإن أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ
خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله من التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خمر طينه
حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من
المضغة فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فيقول أفتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة
أقرب إليه من الأب فليحتقر بها نفسه ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعته وإذا لم

تكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فإذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب
فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل يغتسل منه الأبدان فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد
هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة
الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق
له شك في صدقهم أفترى أن ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في
شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب
أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب
والدم والأشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني** الكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى
الظاهر نظر البهائم ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه
والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطيه
يغسل الغائط كل يوم دفعتين ويتردد إلى الخلا كل يوم مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من أن يمسه أو
يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حاله وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج في
مجاري الأقذار إذ خرج من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم إلى الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس كان أبو بكر
الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ولذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز
ما هذه مشية من في بطنه خرا إذ رآه يتبختر قبل خلافته هذا أوله ووسطه • ولو ترك نفسه في حياته لم يتعهد بالتنظيف والغسل
لثارت منه الأنتان والأقذار وصار أقذر وأنتن من الدواب المهملة التي لا يتعهد نفسها قط فإذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن
في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي بينما هو
كذلك إذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبح
القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة وسبب
من الأسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها
السبب الثالث التكبر بالقوة والأيد ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده
لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت أنفه أو نملة دخلت أذنه
لقتلته وأن شوكة لو دخلت رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا
يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر بقوته ثم أقوى إنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقر أو فيل أو جمل وأي افتخار
في صفة تسبقك البهائم فيها **السبب الرابع** الغنا وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين
والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الإنسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع التكبر فإن المتكبر
بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدم داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى
أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنا
لو تأمل فرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنا والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك اليهود به وأف لشرف يأخذه
السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا • فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو
في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن
أبقاه بقي وإن استرجعه زال وما أنت إلا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفتخر الغافل
بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم
منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يديه وهو
يخشى مع ذلك أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه
محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك
نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى أن من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم

يبذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك
بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم
انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جليلان
بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب الخامس** الكبر بالعلم وهذه اعظم الآفات واغلب الادواء
وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم عند الناس وهو اعظم
من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعالم طغيانا كطغيان المال
ولذلك قال عمر العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل
العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا
يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله تعالى عليه في العلم ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل
النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من تعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها الى قوله فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض فهو قوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي سواء عليه آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير
الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره
كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد
كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله تعالى منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار
فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عنده نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي
ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا اؤكل كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون
انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق
ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه اداها كما يرتضيه
مولاه ام لا فاخبره مخبر بان مولاه مرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا
طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق
وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي
الفريق يكون فاذا تفكر في ذلك انكسر نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء
ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في
باطنه من الريا والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم
يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى جل وعز وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله تعالى منه ان يتواضع
وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه ما يحب مولاه وهذا
يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا لو تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبيا اذ علموا ان من نازع الله تعالى
في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله تعالى بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله تعالى محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع
لا محالة فان قلت فكيف نتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف
يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم
ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى الكافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل
هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله تعالى من اهل
النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله تعالى الاسلام
وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر رضي الله عنه وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل

في الدنيا يراد للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر
مني وان نظر الى عالم يقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله تعالى قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام
ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان
يعلم بان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر
عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء
الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بان يضرب رقابهم لم يتفرغ واحد للتكبر بعضهم على بعض
وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت
فكيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم
ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله تعالى في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم
من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى
كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب
لله تعالى وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان
لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف
ونهيهما عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان
يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فلله المنة فيه لا لك
فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء
ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك
وسيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما
علم الله تعالى من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله
تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد
ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه
فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال
امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق
قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع وكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع
والفاسق وتظن انه ربما كان قدره عند الله تعالى في الآخرة اعظم لما سبق له من الحسنى في الازل ولما سبق لك من
سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن تجوز ان يكون
اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى او اعتقد البدعة مع الغضب عليه
ومجانبته بحكم الامر **السبب السابع** التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم
قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد
قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال
له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه
وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما وجب عليه ان يتواضع له فان
قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على
رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله

عند الله تعالى اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هيّناً وهو عند الله عظيم وقد مقته الله به واذا كان هذا ممكنا
كان على نفسه خايفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خايف على نفسه وقد كلّف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه
في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون
في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى
واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو
اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصايه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كالوراثة من
القتل والشرب والزنى ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد الباطل والوسوسة
في صفات الله سبحانه وتعالى وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت
به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انت
خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطا يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك
ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل بما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر
اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق
غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده
وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان ففرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو متواضع للفرقتين
جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه كسره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه
خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله تعالى فيرحمه الله تعالى ويتوب عليه
ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يامن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل
عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضا الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر
بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا آوى الى الجبل فقيل له في النوم ايت
فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه
فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله تعالى فاتي في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار
بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد فهذه والذي يدل على فضيلة هذه
الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين هم من خشية
ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على
الدوب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر
مما سبق به القضا في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبه الامن من مكر الله تعالى وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك
فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق
والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال دا الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد
هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراة من الكبر وهو كاذب فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا
لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس

وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في البطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان
ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شي من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر
له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله تعالى فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان
يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان تكلف نفسه ما ثقل عليه من
الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثنا ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت
له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا عما نبهتني له فالحكمة ضالة المومن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على
ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثنا على اقرانه بما فيهم ففيه كبر

فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه ريا فليعالج الريا بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب
بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الريا وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والريا جميعا
ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجتمع مع الاقران
والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدر تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا
حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض
الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق
والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو
الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقا والاقارب فان
ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن
فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل دا الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه
وحاجة اهله ورفقايه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او ريا فان كان يثقل ذلك مع خلو الطرق فهو كبر وان كان
لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو ريا وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا
بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا يدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى
الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك
قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع عنها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة
وفي الخبر من حمل الفاكهة والشي فقد بري من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا ريا
وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف
فقد بري من الكبر وقال صلى الله عليه انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة
المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس
عباة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الريا والكبر فما يختص بالملا فهو الريا وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف
فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كساير
الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط
يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى
اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل
عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا
غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما
تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السوال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى
نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله
في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان
خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل
بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج
الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمومن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك
غامض في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة
بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومتان
واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومتان واحدهما اقبح من الاخرى والمحمود المطلق
هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق
الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان

علاج العجب على الجملة وبيان أقسام العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وآفاته** اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى
وسنة رسوله قال الله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الإنكار وقال تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل وقد يعجب الإنسان بعمل وهو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الأمة فقال إذا رأيت شحا مطاعا
وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك • وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن
السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده
فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ثم
جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جريج معناه إذا عملت خيرا فلا تقل عملت • وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تعتقدوا
أنها بارة وهو معنى العجب ووقي طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله
العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة بأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو الكبر في اللغة إلا أنهم لم ينقل منه أنه أظهر واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر
أين أنت من طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف
لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر
من ذلك العجب العجب فجعل العجب أكبر من الذنوب • وكان بشر بن منصور من الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته
على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبنك ما رأيت مني فإن إبليس
لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت إذا
ظن أنه محسن وقد قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب
فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا **بيان آفة العجب** اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه
فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها
فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها يستصغرها ولا يستعظمها فلا
يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن أنها تغفر له • وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها
وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا
فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون المعجب
فالمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله تعالى وعذابه ويظن أنه عند الله تعالى بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي
نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وإن أعجب برأيه وعلمه وعقله منع ذلك من
الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي
الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره
بعين الاستجهال ويصر على خطائه فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد
فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل
البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي
لظنه أنه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما** اعلم أن العجب
إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان إحداهما أن يكون خائفا على زواله مشفقا
على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى
عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا
به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به
من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله تعالى

مهما شاء سلبه زال العجب بذلك عن نفسه فإذا العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فإن انضاف
إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا
يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا
فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه
وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تدل بعملك وفي الخبر إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت
معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك والإدلال وراء العجب فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل
إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع فإن توقع إجابة دعوته واستنكر
ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فإنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب
والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه **بيان علاج العجب على الجملة** اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة
العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة
والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا
يراها من نفسه • فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه فهو محله ومجراه أو من
حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره
فهذا جهل لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث هو منه وإليه
وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها تم عمله أنها من أين
كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى إليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله
تعالى وكرمه وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم
فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه
وإيثاره من غير استحقاق فإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك
حكيم عدل لا يظلم ولا يتقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفطن في من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الإيثار بالخلعة
لما آثرني به فيقال وتلك الصفة هي أيضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن
كان من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب به بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما
أعطاني غلاما لأني صاحب فرس وأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام
معا أو يعطي أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا
يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد
الموصوف والصفة فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب
والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بجوده إذ
أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب
الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من جوده وفضله
فإن قلت لا يمكنني أن أجهل أعمالي وأني أنا عملتها فإني أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملي لما انتظرت الثواب فإن كانت الأعمال مخلوقة لله
تعالى على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب به • فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما
هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه
فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة
أوضح من إبصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القدرة والقوة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة
ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من
جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة ما لم
يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل إليك أنك أوجدت

عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله تعالى سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا تتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك وارادتك وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة ارايت لو رايت خزاين الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها اكان اعجابك باعطا الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤونة في تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفاتيح وكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوايق وتهيية الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخوان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله تعالى ولا خالق سواه ● والعجب ممن يتعجب اذا رزقه تعالى عقلا وافقره وممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني عنهما فهلا جمعتهما في او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثلي الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبيح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصار نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى ● فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود صلى الله عليه يا رب ما ياتي ليلة الا وانسان من آل داود قايم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صايم وفي رواية ما يمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى لهم اني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك وشهرك هذا ابتليك غدا

الفقير

على بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ● وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله تعالى برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفا اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الله تعالى الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** العجب ببدنه في جماله وهيئاته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرض الزوال في كل حال **وعلاجه** ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب به فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبها الله تعالى حتى صارت في عنقه وقد يتكل المومن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شا الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقا النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء **وعلاجه** ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه **الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقايق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغنا بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة **وعلاجه** ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدايه لا من اصدقايه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا **الرابع** العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبايه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موال وعبيد **وعلاجه** ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبايه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبايل من لم يومن بالله تعالى فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ● ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت الآية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يوذن فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب ● وقال

رسول الله صلى الله عليه يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد
فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فناداهم
بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا
فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة ابائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان
طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق ● فان قلت
فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية رضي الله عنهما اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها
وقال عليه السلم اترجو اسليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة ● فاعلم ان كل
مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه والنسيب ايضا جدير بان يرجوه ولكن بشرط ان يتقي الله تعالى ان يغضب
عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة والى ما يغفر عنه بسبب الشفاعة
كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا
تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ● واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى
ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب يقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية
ولكان ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة لتكميل لذتها في الاخرة فالانهماك في الذنوب وترك
التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك
جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب
اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب
والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد
كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه
اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل
على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس** العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم
وهذا غاية الجهل **وعلاجه** ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله تعالى وانهم ممقوتون
عند الله تعالى ولو نظر الى صورتهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه
اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملئكة آخذون بنواصيهم يجرونهم
على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم
فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لابائهم ان كانوا مسلمين ●
فاما العجب بنسبهم فجهل محض **السادس** العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار
والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة **وعلاجه** ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في
ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ● ثم كيف يعجب
بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى
البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم
يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الاية ● فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب بمن
لا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك
ونفعك وموتك وحياتك **السابع** العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا
ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلم اخشيت ان يعدو اليك
فقره وذلك للعجب بالغنى **وعلاجه** ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة
في القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه بينما رجل يتبختر

في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه
وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم
قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله تعالى خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه
من كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من
المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه
ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه **الثامن** العجب بالراي الخطا قال تعالى افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ● وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه ان ذلك يغلب على اخر
هذه الامة وبذلك هلك الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال
انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هي استحسان ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا ●
وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل
داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه
لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله تعالى عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو
سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل
عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل
ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا
يومن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها
ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف
ويومن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى
واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد
هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له
معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه
الا الاقوياء المويدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار
بخيالات الجهال انه الكبير المتعال ● تم ● كتاب ذم العجب والريا ●
● والحمد لله وحده وصلواته على محمد واله الطاهرين وسلم تسليما ●

كتاب الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه
من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم
الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور ● اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ
والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى
انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس
وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ● والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
والاكياس هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد ان يضلهم

فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ● والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ
الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ● واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات
ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق
من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري
الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها
ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق
المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف ● الصنف الاول من العلماء ● الصنف الثاني من العباد ● الصنف الثالث من المتصوفة
الصنف الرابع من ارباب الاموال ● والمغتر من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا
كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ
الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا يتضح الا بتفصيل الفرق
وضرب الامثلة ولنبدا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني
الآية كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم
ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان
الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس
بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان
السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون
النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل
عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت
اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور
العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور **المثال الاول** غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم
بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هو خير فلا بد
من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة
تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ● وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان ● اما
التصديق والايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله تعالى وما عند الله خير وقوله تعالى والآخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور وبقوله ولا يغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الناس فقلدوه وصدقوه
وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو
مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه
خيرا ● واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور
فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر
به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر
قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير
وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة
فلا اتركه به واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي

بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد
في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من
الف الف جزء من الآخرة فكانه ترك واحدا لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا
مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاؤه
قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا
من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك
وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين
وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي
الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت
جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا ● وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك
ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة
فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام قلائل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه
كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل
صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت
وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له
انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور ● واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين
وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا مزيل للغرور وهو مدرك يقين العوام
واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبت
الفلاني فانه يطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو
بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب
منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان
معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى
سعادتها وجدهم خير خلق الله تعالى واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم
معظم الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات
وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب
الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر
من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به ● واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة
فهو الوحي والالهام الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع
منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل
هو اعتقاد صحيح والانبياء صلوات الله عليهم عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك
بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله تعالى الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر
كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات
بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة
عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في
ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه
عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن

مقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وعبر عنه بالمعصية
وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى
له طبيعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك
فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة
استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق
روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم
الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى
صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض
والمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون
بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون
للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد
فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها
ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه الحديث وقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا
مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا
دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله تعالى مثالين من غرور
الكافرين والعاصين • فاما غرور الكافر بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله تعالى من معاد فنحن
احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا
بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يخرب
ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين
لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هنالك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الآخرة خير
من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام
اتخذ عند الرحمن عهدا كلا • وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت اني
آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرأيت الذي كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا الآية وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك
لانهم ينظرون مرة الى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تاخير الله تعالى العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة
ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن
فهو محب وكل محب فانه محسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر • لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي
وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله تعالى ومحبوب لما احسن الي
والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله تعالى اذ ظن انه
كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما
ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي

في بلسانهم

لمن فاقضيك

تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا
الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض
الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام
والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر • وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك
امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انه كرامة من الله تعالى
واذا صرف عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني
ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه • معرفة دلائل الكرامة
والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى
ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة
ولا يليق بعلم المعاملة • اما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا
الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر
الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال
ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا ومكر الله وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال والله خير الماكرين وقال انهم يكيدون
وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا • فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه
وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في
حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من امن مكر الله تعالى فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا
على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب
الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثالث** هو غرور العصاة من المؤمنين بالله تعالى
بقولهم ان الله تعالى كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميته تمنيهم رجاء وظنهم ان الرجاء
مقام محمود في الدين وان نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون
ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية
بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله تعالى من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع
والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان
من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد
ان يستصحب ولده في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح • وان ابراهيم استغفر لابيه
فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يؤذن في الاستغفار
فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يبغض العاصي ويحب المطيع
فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري
الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل
ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن
ولده شيئا وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن له
في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب • فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو

مغفرته ورحمته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب • فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجا فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم اليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم لا يخلف الوعد افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا وبين الغرة • قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه • وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة سجدة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله تعالى وهو لم يومن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه عن صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله تعالى في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله تعالى بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير • فان قلت فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله تعالى كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار لمن تاب فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفه فهو مغرور • والثاني ان يفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • فالرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجا قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد اخبر

النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين بانا واثقون بكرم الله تعالى وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله تعالى وعفوه وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجا والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله تعالى وبيان الفرق بين الرجا والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما يتصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة دراهم من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل • نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله تعالى بلسانه او يسبح له في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون وقد اوعده الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمر وغير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور • ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة التسبيح المكتوبة من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرا الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه والتيقن مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا نغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى **بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اصناف اربعة** الاول اهل العلم • والصنف الثاني من ارباب العبادة والعمل • والصنف الثالث من المتصوفة • والصنف الرابع من ارباب الاموال **الصنف الاول** اهل العلم والمغترون منهم فرق • ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل شفاعتهم في الخلق وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا المريض

به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا الحذاق من الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى
عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها
وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى
ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى
شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الى ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر
على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك كله فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه
اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم
يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى
قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان
العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم
فان كان المسكين معتوها مغرورا ووافق ذلك هواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل
العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد
هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وكقوله شر الناس العلماء
السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت
فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله
مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان تحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم
يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره
بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم اشد عند الله تعالى من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله
عليه غاية الغرور وامّا الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله
تعالى وحدوده فغروره اشكل ومثاله مثال من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه
وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما
يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا
بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة
غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى
نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي
دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه فقد لا يخافه وكانه ما عرف
الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله الافا مؤلفة وابد
عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم ياخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله تعالى وقال ابن مسعود كفى بخشية الله تعالى علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي
الحسن عن مسألة فاجاب فقيل ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في
الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله تعالى فان قبلت منه حمد الله تعالى وان ردت حمد الله تعالى فاذا الفقيه
من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن
بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم
يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء
للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا

يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء الشرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من
الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله
صلى الله عليه ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب
هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها
مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره وكرجل قصد الملك ضيافة الى داره فجصص
باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش
يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس
المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض
ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء اما الطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء
وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه
الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله
تعالى من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله تعالى من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه
مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله
تعالى وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمتت اعداء الدين
وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به
وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله تعالى
بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول
والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه
لم يظن بنفسه ان ذلك حسد وقال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه
لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيه هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا
يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي
باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى
فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح
الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما
يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب فانما فرحي بثواب الله تعالى
لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في
الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر
رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع
للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر
عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل
مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل
وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين
وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه
مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغايته
الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له

وجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان كل واحد قد اختلط بالاخر ● الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين
وبك قوام الدنيا ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض
عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله تعالى فهو على الدين وقوام مذهب الشياطين لا
امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال
هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين
ومثله كما قال عيسى صلى الله عليه للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع
واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخرى**
احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء
والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد
مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها
واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج
راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب
فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري ولا يرى
فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جميع العلوم وترتيبها
وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب
الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع
والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ
والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور
بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان
الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين
المغرور وحياته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه
غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما
يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه
فوق قدره ويتنبوا قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى
انه يؤثر لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على
خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العمل وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد
الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه
لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاخفاء لذة القبول
وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من ابن ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي
وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى
مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع
الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى
الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد
كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه
اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف
انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج
الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة

فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغرورين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فاذا افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد
الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهش
باطنه لاكرامه ولا تشمر لقضاء حوائجه كما كان تشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة
ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من الافات كان تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع
ذلك فلا يزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه
ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ● ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثنى عليه ربما
ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع
عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا
من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله
بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه
الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله تعالى من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال
هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ● ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا
المهم وهم به مغرورون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه **فمنهم فرقة** اقتصروا على علم الفتاوى في
الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه بها
وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن
الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين ● وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد
وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم ● اما العمل فقد ذكرنا وجه
الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم من به علة البواسير
والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا
ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنه وذلك غاية الغرور
فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة
وربما اختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة
والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره
لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد
دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل
الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال ولو كان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه
الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ● واما غروره من حيث
العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن
على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك
جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا من الله تعالى مغترا به متكلا على
الله لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل
مغرور وسبب غروره ما يسمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله تعالى ومعرفة صفاته
المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ● والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال
بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب

وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله
تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك
طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شي وبتسبيل وقد
ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ● ومن هولاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام
الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد
لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات الموذية وهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذا وهمهم السفه ولا يقصدون
العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى
بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة
تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا
بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ● واما ادلة الاحكام فيشتمل
عليه علم المذهب وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه ● واما حيل الجدل من الكسر والقلب
وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هولاء اشد كثيرا
من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من
معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اوليك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه
لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته
منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسه ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي
تدعوا الى غير السنة والمحقة هي التي تدعوا الى السنة والغرور شامل لجميعهم ● اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها
النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فراى
الشبهة دليلا والدليل شبهة ● واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل
القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير
دليل فليس بمومن او ليس بكامل ولا بمقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث
عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهمل نفسه وقلبه حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة
وهي تظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة
وعز الانتما الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها فلم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم
خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك
عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل
الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحة معه طول العمر
بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل ● وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتخاصمون ويتجادلون فغضب عليهم
حتى كانه فقي في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله تعالى بعضه ببعض انظروا الى ما
امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدل ثم انهم راوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد الزام
فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه
ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقايق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام
ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس
علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر
ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك

بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة
اولى بهذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف ادعوا الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد
نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ
واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل واليقين والاخلاص والصدق
ونظايرها وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات
وهم منفكون عنها عند الله تعالى الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية
الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما
وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم منزهون ولولا انه مقرب عند الله تعالى لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله
تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله تعالى فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو امن من الله تعالى ويرى انه من
الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى
انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد
فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى لدقايق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر
الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه امن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى
وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس من
الخلق وهو على الخلق اشد الناس حرصا ولو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت
ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ● ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من
المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض خلق الله تعالى اليه فهولاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان
المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوايلها وفوايدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق
عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف يستبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون وهو ليس بخايف نعم ان ظن بنفسه
انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من
محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى
ويدعي الانس بالله تعالى فمتى طاب له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون
وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا استوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون
انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله تعالى غليظ والمغترون يحسنون
بانفسهم الظنون واذا كشف الغطا عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر
لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه ● وانما وقع الغرور لهولاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا
من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه
المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم
ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للتعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق احاد المسلمين في
الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف بربه في قلبه
حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدرون على
وصف الصحة والشفا واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم
بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وساير هذه الصفات
غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور ● فهذا حالة الوعاظ الذين لا عيب
في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القران والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله رضي الله عنهم وفرقة اخرى منهم
عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان
ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطايفة شغفوا

بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في
مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان
لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم • واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله تعالى ويجرون الخلق الى
الغرور بالله تعالى بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب
يشهد فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه
كونه مغرورا • وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها
من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا
تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب
الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم
وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعها وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية
فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من
وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم
ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها • ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين عليهم
وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك • ومنها وهو
الذي اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع لمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول
الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا
من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب
اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل
بحديث او ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث
ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع
فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من
يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظته وتحفظ كما سمعته بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيره
غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك
في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب
معك وفي خزانتك فانه لو امتد اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون
كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت
غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم
يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك
ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم • وقول الشيوخ
كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على
السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي
في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين
في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس
يفهم ولا يحفظ • فان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين
لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت
بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك
لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح • ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه يسمع صوتا غفلا لجاز اثبات صبي

في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي
فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا من فواحش انواع الغرور وقد بلي اهل الزمان ولو احتاط
اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف
المساكين ان يشترط ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما
عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري • وصحة السماع لا
يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء عمرهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم
عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى وربما يكفيه الحديث الواحد عمرا
كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره هكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور • وفرقة اخرى اشتغلوا
بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة
وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر او في غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني
جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم
انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية • وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب
كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في لغة الترك والهند وانما فارقهم لاجل ورود الشرع فيكفي من اللغة علم الغريبين في
الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب • فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر
عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن
واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول
ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة
والادب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم
التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو
سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو
وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل
فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراءه حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل
النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات • فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر
العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في
المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما
يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم
الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني
محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به • وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا
ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤوا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا
بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس
منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل
الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث تضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا
عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس
فالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكره بنفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت
بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض

فيبطل الابرا الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد
القيامة للحساب لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرا وكذلك لا يحل مال الانسان ان يوخذ الا بطيبة نفس منه فلو طلب من
انسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس الا يعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس
وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى
المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسوال في مظنة الحيا والريا
ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا
هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقا لشر لسانه او لشر سعايته
فهو حرام عليه وكذلك كل ما يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جا في قصة داود حيث قال بعد ان غفر يا رب كيف لي
بخصمي فامر بالاستحلال وكان ميتا فامر بندايه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة
فماذا تريد قال اني اسات اليك في امر فهبها لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال جبريل هل ذكرت له
ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك قال الا تسالني
ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني فقال يا نبي الله ما هكذا
يفعل الانبيا حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود الصراخ والبكا من الراس حتى وعده الله تعالى ان يستوهبه منه
في القيامة فهذا ينبهك على ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون
في الابرا والهبة وغيره الا اذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام
ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في اخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان
اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقط عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة
ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة
تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله
وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله تعالى مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه
على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح
للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقها المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا
تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله تعالى فكل
ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور
الفقها في امثال هذا لحصل منه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القران
ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس
وقليل ما هم **فمنهم فرقة** اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا في الفضايل حتى خرجوا الى العدوان
والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضو فيبالغ فيه ولا يرتضي الما المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا
الاحتياط من الما الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر رضي الله عنه بما في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة
وكان يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هولا من يخرج الى الاسراف في صب الما وذلك منهي عنه وقد يطول
الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو
مغرور لاسرافه في الما وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشيا فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان
يصد الخلق عن الله تعالى بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله تعالى بمثل ذلك **وفرقة**
غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى تعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة
عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة

الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا
اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى**
تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد
والظا وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ به وصرف
الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت عادتهم في
الكلام ومثال هولا مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يوديها على وجهها فاخذ يودي الرسالة ويتانق في مخارج
الحروف ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام
عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغتروا بقراة القران فيهذونه هذا وربما يختمونه
في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه
ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو
مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر
والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر في خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب
بنغمته وصوته كل يوم ماية مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد كيلا
ينسى بل يحفظ وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقراه ويلتذ به
ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او
كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه ليعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته
وفرقة اخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم
من الريا وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل
الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم
وقضا الديون واسترضا الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق
الصلوة والفرايض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من
الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقا في الطريق وهو يطلب به السمعة والريا فيعصي الله تعالى في كسب
الحرام اولا وفي انفاقه بالريا ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق
وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه تعالى وهو مغرور **وفرقة اخرى** اخذت
في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف
وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر
عنه غلظ القول عليه وانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله
تعالى ولو جا غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة
مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم ثقل عليه **وفرقة اخرى** جاوروا
بمكة او المدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قولهم ان فلانا مجاور بمكة
تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم يجاور
ويمد عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منه شيا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر
فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه
الجوار مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل
آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احيا علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من
كتاب الصلوة وفي الحج والزكاة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع
ما سبق في الكتب ان شا الله تعالى **وفرقة اخرى** زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد

وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم واما بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا او مرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بها على الاقران والاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعزلته ويتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه بالظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان • وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب فان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله تعالى فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه • **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك • فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع • وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي قلبه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشتغل بمهم دينه •

الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق **فرقة** هم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا بهذه الامور وتشبهوا بهم ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اساميهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوزة ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستهزاء باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليسحقها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب • **وفرقة اخرى** زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون واردات ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلب المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبس من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسله كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد • فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم • **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله تعالى محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله تعالى من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يرتب عملا ولم يهذب خلقا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه • **وفرقة** منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله تعالى مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي • وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد لحكم العقل والشرع • وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين كثيرة متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء

على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجادلة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين
والعلم صالح للاقتداء ولو احصيت اصنافهم لطال • فرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت
بتفقد القلب وصار يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها
وعلاماتها وآفاتها • فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة
او كفر فيدعي حب الله تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله تعالى وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى
وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب • وبعضهم
ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد لتصحيح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف
والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد
وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام
من المقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن
اعادته • فرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير
هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله
تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات
والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور • وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة
فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم
يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون
ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم
وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر
والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ
الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان
قصده العمارة • وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها
فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس
وباستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب
ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم
علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه • وفرقة اخرى جاوزوا هذه
الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها
واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك
غرور لان عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد
وكان مثاله من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى
فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك • وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما
تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا الى حد
القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله تعالى فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب
من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه
الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي
كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية
ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول
الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس

وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما أري ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات يصل الى
نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت
فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن
الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض الآية • وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول
الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي يتجلى فيه
حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما
اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف
جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما
يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر
بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس
بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل •
رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل الامر • فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر • وبهذه العين نظر
النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله تعالى قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب
في المرآة او في الماء فيمد اليه يده ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا يستقصى
الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق
لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم
ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه او ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله
القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا
بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل • **الصنف الرابع ارباب الاموال** والمغترون منهم فرق وفرقة منهم يحرصون
على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد
الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم
والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم
الامتناع عن كسبها فاذ عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما
برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح
وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من
بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير • والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد
الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه
والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله تعالى لما افتقر الى ذلك • وفرقة اخرى ربما اكتسبت
المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده
فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس • والثاني
انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من
الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك
يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة له الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع لله تعالى
وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله تعالى بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل
ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن
دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله تعالى فكتبه الملكان عند الله تعالى صديقا فهكذا

ينبغي أن يعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرفة الدنيا منة
على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله تعالى
من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن
أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله تعالى الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث إنه
رأى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة أخرى** ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن
الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون إخفاء الفقير لما أخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما
يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان
يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين القفار
والرمال وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه وروى أبو نصر التمار أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج
فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأي شيء تبتغي بحجك نزهة أو اشتياقا إلى البيت وابتغاء مرضاة
الله تعالى قال ابتغاء مرضاة الله تعالى قال فإن أصبت رضى الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من
مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضي دينه وفقير يرم به شعثه ومعيل
يغني به عياله ومربي يتيم تفرحه وإن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان
وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال
يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه فقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس
أن تقضي به وطرا فأظهرت أعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين **وفرقة أخرى** من أرباب
الأموال يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام
النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على باطنه فهو محتاج إلى قمعه بإخراج
المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول
بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين ولذلك قيل لبشر إن فلانا الغني كثير
الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره إنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على
المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء **وفرقة أخرى** غلبهم البخل
فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم
ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون
إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات
للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وفاجر إذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره
فهذا وأمثاله من غرور أرباب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور **وفرقة أخرى**
من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة
ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير
فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره
فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله
رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله تعالى أو سبحان
الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وإنما مثاله المريض يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع يحضر
عند من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف
الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى

وتعرض عن الدنيا إقبالا قويا أو ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فإن قلت
فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص عنه أحد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه
الآفات فأقول الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى
إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع
بعده منه فاستنزله وأراد أن يستصعد الحوت من أعماق البحار فاستصعده وأراد أن يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال
فاستخرجه وأراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصه وأراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات
فاستسخره وأراد أن يأخذ الأفاعي والحيات ويعبث بها فأخذها واستخرج الترياق من أجوافها وأراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش
من ورق التوت فاتخذه وأراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الأرض
وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة
لاقتناص السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأنه همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه أمر آخرته فليس
عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه ويجادل وقال هذا المحال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه
هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى أرشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان فلا يعجز
عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فإن قلت فقد
قربت الأمر فيه بعد أن أكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم أنه ينجو عنه بثلاثة أمور بالعقل والعلم
والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها أما العقل فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء
فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة
وهذا إن لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما
ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قال يا رسول الله
أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين
الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يجزى على قدر عقله وقال أنس أثنى على
رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته
وفضله ومن خلقه فقال كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأله عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن
يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة الغريزة نعمة
من الله تعالى في أصل الفطرة فإن فاتت بلادة وحماقة فلا تدارك له الثاني المعرفة وأعني به أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه
ويعرف ربه تعالى ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه
الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط ولا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف
نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ
فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فإن هذا من علوم
المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب
ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه
بمعرفة الله حب الله تعالى وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير أهم أموره ما يوصله إلى الله
تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان
قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا
والجاه والمال فإن ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى
فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله تعالى وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى العلم

الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته
وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن
ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بادب الشرع وما هو مستغني عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات
يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف
من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن
الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى به الارادة
وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول
يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا
فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه
فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد
عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه ويأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق
الله تعالى والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله تعالى فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم
صما عميا استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فتغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة
المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤونة ولزوم غرامة فكان مثله
كرجل كان له داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة
ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل
بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر
الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي
يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوحى زمان بقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي
عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت
قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعثت من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم
وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا
اخفى من دبيب النمل لا يشعر به فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات
والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا
لدائهم لمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا
كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت
لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد
الشيطان فرصة وامتد الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان
انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى
لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله تعالى فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع
في الغيبة المحظورة بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق
الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فليسقط قبوله اتبع ذلك باستغفار
وتنفس صعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله تعالى
فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هي جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع
على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول
على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة
من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي لسببها فرق قلبه لاخوانه فجاء يرفع الحجر من رأس البئر

ويشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر
فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارأيت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم
الم كان ينبغي ان يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى
جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت
فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا
بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله تعالى يحمده ولم يفرح
بحمدهم اذا لم يقترن بها حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم
خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين
لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا
يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء غيره
ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب
فاقول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش
وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين
الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات
المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق
الشرب والزنى والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث
الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما تخشى ان ينسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ وورائهم باعث الرياسة وحب
الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شروط
الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمها وهو ان الشيطان
يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم
عند الله تعالى محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من
الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا
ظننت انك بعلمك تسلمت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه او علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله
لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر
العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى
والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال
على فضل الله تعالى فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن من مكر الله تعالى فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا جملة ذلك
من فضل الله تعالى ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات قلبه من حب دنيا وريا ظاهر والتفات الى غيره وهو غافل عنه
ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل لحظة غير آمن من مكر الله تعالى ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة
منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان قال لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني
يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى
الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر
قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والسلام

تم ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين وهو الربع الثالث منه بحمد الله ومنه وصلواته
على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

كتاب التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب وباسمه يستشفي الأشقياء وإن أرخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد وصحبه الأكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب. أما بعد فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولأبينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين وما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد فلا غرو إن أذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة نعرفها من أخزم ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه إلا إحدى النارين نار الندم أو نار جهنم فالإحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الإنسان عن خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار ويساق إلى دار الاضطرار إما إلى الجنة وإما إلى النار وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديم شرحها بذكر حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان: **الركن الأول** في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص في جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة. **الركن الثاني** فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر. **الركن الثالث** في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام الناس في دوام التوبة. **الركن الرابع** في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين. ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة.

الركن الأول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم أول والحال ثان والفعل ثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت. **أما العلم** فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر وأما في الماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه قد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث بتلك النيران إرادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري رحمه الله التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة.

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك إما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بأدنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم أن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلا وعاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله تعالى إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله تعالى إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة. وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته. وفي بعض

الالفاظ فقال من فرحه اذ اراد ان يشكر الله اللهم انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام
هنته الملائكة فهبط عليه جبرائيل عليه السلام وميكائيل ودردائيل عليهم السلام فقالوا يا آدم قرت عيناك بتوبة الله عليك
فقال آدم عليه السلام فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم اورثت ذريتك التعب والنصب
واورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين
من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة
على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن
قد يدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيه ترك المعاصي في الحال والعزم
على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه • واما التندم على ما سبق
والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة
بما فات من العمر وضاع في سخط الله تعالى • فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف
بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب
لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من
خلق الله تعالى وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال • فان قلت افليس
للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله تعالى
والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في
المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع
انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بان لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم
الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد
من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة
اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة
وانجزام الارادة وهما من خلق الله تعالى وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله
تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق
الله تعالى حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق
الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما
في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة
الجازمة والارادة والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته
شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق
الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق
العلم لا ان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا
ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير
لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي
والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى
ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح بالبصر ترتيبا كليا لا يتغير
وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي
العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر • واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن
جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل جازم قوي في نفسه يسمى
القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد

مسخر تحت قهر التقدير يسبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا ايها الرجل قد تحركت
وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت
ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل
انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل
واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال
باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على
الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضا ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط
سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينيا ان لا خالق الا الله تعالى ولا مبدع سواه • فان قلت فقد
قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا متناقض
فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال • فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلدة حيوان
عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر
عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقعت يد بعض العميان على رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على
اذنه فقالوا عرفنا فلما انصرفوا سالهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل
اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منه • وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة
فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق
احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه
اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه
صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم
المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها
الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد
وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله • **بيان ان وجوب التوبة على الفور** اما وجوبها
على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتقضي عن وجوبه هو الذي عرفه
معرفة زجر عن ذلك الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا يتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد
ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد
لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم
المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون الزنا
مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن
بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي
بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة
الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة باروائها
المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان
بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العين فاقد لجميع اعضائه
الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها
الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا
صدمته الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم
ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء

الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مومن كما انك مومن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر
اني شجر وانت شجر وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند
ذلك ستنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف
ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار ● هذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته
الهايلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات
المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت
فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان
فلا تزال تجتمع في الباطن تغير امزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي
فان كان الخايف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور
فالخايف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه
عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا للبدن المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين
وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات
الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي يتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون
عشر عشير مدته اذ ليس لمدته اخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر
اختيار الاطبا ولا ينفع بعده الاحتما فلا ينجع ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت
عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يومنون ● ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافرون اذ بين
لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مومن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة
عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقا
للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شي واحد وهو ان وجود الفرع وبقاه جميعا يستدعي
وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاوه يستدعي وجود الفروع فبقا الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل
فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر
في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها لم تعمل عملها الذي يراد له ثم قام مولا الحجة على
صاحبه ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب التوبة
عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة** اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها
المومنون فعمم الخطاب ونور البصيرة يرشد اليه ايضا اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى
الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة
التي هي وسايل الشيطان الى اغوا الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ
ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملايكة واذا اجتمعا قام القتال بين الجندين بالضرورة
اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج
الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان
ووقع للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل
الذي هو حزب الله تعالى وجنده ومنقذ اوليايه من ايدي اعدايه شيا شيا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب
للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود
الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع
عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله
وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملايكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات

ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم صلوات الله وسلامه عليه
يقولون لي هند لها الغدر وحدها ● سجية نفس كل غانية هند ● بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن
فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ
مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيا ما لم
يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال ورا الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب
حدود الله في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه
وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنه احد من البشر كما لم يستغن عنه ادم
صلوات الله عليه فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا ● واما بيان وجوبه على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر
فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبيا عليهم السلام كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبيا وتوبتهم وبكايهم على
خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس
الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور عن العلم بالله تعالى وبصفاته
وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع
ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ● فان قلت لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهم والخواطر
نقص وان الكمال في الخلو عنها وان القصور عن معرفة كنه جلال الله تعالى نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال
الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضايل لا فرايض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال
والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال
فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة
بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة
فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المراة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد
وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد
من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في
المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من
الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيية الحسنة
تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو اثار السييات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد اثارها اثار تلك
السييات هذا في قلب حصل اولا صفاوه وجلاوه ثم اظلم باسباب عارضة ● فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس
شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المراة كشغله في عمل اصل المراة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى
التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال ● فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى
الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله
حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش
لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست
واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود
من الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع اي لمن يريدها
فانه لا يتوصل اليها الا بها ● فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها
كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته

ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط
لمثل هذه الحياة عين ولا يد ورجل فاصل الواجبات الداخل في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل
الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيها سعي
الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليها كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى
عيسى صلوات الله عليه الى ان توسد حجرا في منامه فجاء الشيطان اليه وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث
فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه الحجر
توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى صلوات الله عليه لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان
نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك
الخليع ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه
موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به • او ترى ان الصديق بعد ان شرب اللبن وعرف انه على
غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا
يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرف
ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف
خلق الله تعالى بالله تعالى وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله تبارك وتعالى واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا
واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور • فهذه اسرار من استنشق مبادي روايحها علم ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد
السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني رحمه الله
حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف
من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة
بكى عليه لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة
لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا
ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة
فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان
نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب
مصيبته وقد رفع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلم اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة
وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة
ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطا للعبد يا ملك الموت اخرني
يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول
فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس
عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه
فان كان ممن سبقت له الحسنى خرج روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضا بالشقوة والعياذ
بالله الرحيم خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن بل التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل
المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان
الموت ياتي بغتة • ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من

المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو • الثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة الاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر
ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى
ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله تعالى
عنده وكذا ساير اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده
سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك
عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني • والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في
امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله
تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرايطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصاير
المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لان ينظر
بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق
وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون
وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في
الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب
وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما
عليك التزكية والتطهير فاما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح
من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا
متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة
تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة
الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه
فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول
والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون
على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول
باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب
باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين
على الدنيا المعرضين عن الله تعالى بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصاير في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل
الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات • وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن
الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة
لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها فبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل
فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال
صلى الله عليه ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل
الجنة • وقال صلى الله عليه كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ويروى ان حبشيا قال
يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم
فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه • ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سال النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال
وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال

صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا اما لا يحصى **واما الآثار** فقد قال سعيد بن
المسيب انزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين انهم ان تابوا
قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها
العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة المّ بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب
ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك
لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس
ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا
منك فيغفر له ويروى ان رجلا سال ابن مسعود عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فراى
عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس
وقال عبد الرحمن بن ابي القسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان
يكون المسلم احسن حالا عند الله تعالى ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي
مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه
اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان
احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب
عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المراة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك
عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك
وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري رحمه الله ان لله عبادا نصبوا
اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم
وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله تعالى وبرسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت
وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا واورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا
الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة
وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحيرة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى
نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة
ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة
من ان قبول التوبة واجب على الله تعالى فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله تعالى الا ما يريده القائل بقوله
ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب
العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله تعالى
الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الله تعالى الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به
المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك
في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول نشكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة
فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء يشربه للاسهال في انه هل
يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره
وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها **الركن الثاني**
فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها وكبايرها اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت
التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى
من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط
اقسامها **بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد** اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحها

في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات
بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منها اثرا
من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية
فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنا وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان
يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي
كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات **الثانية** هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة
والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال **الثالثة** الصفة البهيمية ومنها يتشعب
الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل
الشهوات **الرابعة** الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك
الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم يتلوها الصفة
السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات
الربوبية وهو الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر
الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها
على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى
بيان تفصيل ذلك فانها واضحة **قسمة ثانية** اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد
فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله الانفس
وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين
بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء
على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب
وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم
وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب به
حتى يقضى عنه **قسمة ثالثة** اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قائلون لا صغيرة بل كل
ما خالف الله تعالى فيه كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون
كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكباير وفي
لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكباير وقد قال النبي عليه السلام فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس واليمين الغموس فاختلف الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك
فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع
يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما توعد الله عليه بالنار فهو
من الكباير وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة
وقال ابن مسعود لما سئل عنه اقرا من اول سورة النساء راس ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه فكل ما نهى الله تعالى
عنه في هذه السورة الى هنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكباير سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول
ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن
من مكره تعالى واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل
هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل ما يغير الانسان وساير
الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا وهو يعلم
واثنتان في الفرج وهو الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من
الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه

حق فلا بد من قسمتهما وان يسالاه حاجة فلا يعطيهما وان يستباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن
ليس يحصل فيه تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا ومال اليتيم من الكباير وهو جناية على الاموال
ولم يذكر في كباير النفوس الا القتل فاما فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض
له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكباير السبتان بالسبة ومن الكباير
استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زايد على قذف المحصن • وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي
ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير وقالت طايفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو
كبيرة • وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القايل السرقة حرام
ام لا ولا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده للسرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص
في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى
ما فوقها فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنى وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى الضرب صغيرة
بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة ويعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق
على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول
تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات
لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان تعلم معنى قوله
تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الآية وقول رسول الله صلى الله عليه كفارات لما بينهن الا الكباير فان هذا اثبات حكم للكباير
والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما تعلم استعظامه اياها والى ما تعلم انها معدودة في الصغاير والى ما يشك فيه
فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يقول اني اردت بالكباير عشرة او خمسة ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلث من الكباير وفي بعض سبع من الكباير
ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكباير وهو خارج عن الثلث والسبع علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعدده
الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبه نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف
به اجناس الكباير وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفه بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكباير فاما اصغر الصغاير فلا سبيل
الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصاير جميعا ان مقصود الشرايع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة
لقايه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف نفسه وربه
فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبيا صلوات الله عليهم ولكن لا يتم هذا الا في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلم الدنيا مزرعة
الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما
يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكباير ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس
فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرايع كلها وهذه
ثلثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما
يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكباير على ثلث مراتب
الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله تعالى هو الجهل
والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله
والقنوط من رحمته تعالى فان هذا ايضا عين الجهل بالله تعالى فمن عرف الله تعالى لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه
الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى
حسب تعلقها بذات الله تعالى وبافعاله وبشرايعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة
تحت ذكر الكباير المذكورة في القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل تحته والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في
غير مطمع **الرتبة الثانية** النفوس اذ ببقايها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله تعالى فقتل النفس لا محالة من الكباير

وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ الحياة في الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها
بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة
تحريم الزنى واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود
واما الزنى فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش
الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنى ولا ينتظم امور البهايم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن ساير الفحول ولذلك لا
يتصور ان يكون الزنى مباحا في شرع قصد به الاصلاح • وينبغي ان يكون الزنى في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود
ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة
داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته **الرتبة الثالثة** الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس
عليها وعلى اخذها كيف شاؤا حتى بالاستيلا والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان يحفظ لتبقى ببقايها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي ان يكون ذلك من الكباير وذلك باربعة
طرق احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك • الثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به
في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر
يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه • الثالث تفويتها بشهادة الزور • والرابع اخذ الوديعة
وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها
دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان يكون مرادا بالكباير وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد
عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربوا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد
ان تختلف الشرايع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكباير فاكل الربوا اكل برضا المالك
ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربوا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة
او الغصب من الكباير فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكباير بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما
لا يجوز اختلاف الشرايع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين • اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكباير وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا
لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكباير ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر
ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكباير بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في
انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال • واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها
مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب
الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرايع
فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويحد المشهود
عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فتحديده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في
رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا يلتحق بالكباير في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده وظن انه يساعده على الشهادة
غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكباير • واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من
هلاك نفس او مرض او غيره • واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون في محل التوقف واذا قطع
بان سب الناس بكل شيء سوى الزنى وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلايهم من اوطانهم
ليس من الكباير اذ لم ينقل ذلك في السبعة عشر كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على
تسميتها كبيرة فليلحق بالكباير فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما
انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان يكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه
مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيهما فطلب رفع الشك فيه محال • فان قلت فهذا اقامة

برهان في استحالة معرفته وكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيره وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا يكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق بها حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه من امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادات وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليه اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغنا على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك تسمى القريب الداني منها دنيا والمتاخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر قال صدقت وجاء آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه

وقد سبيت في معركة وقال آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج راه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى عن قوله علوا كبيرا وكذلك قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى عن قوله علوا كبيرا ومن هنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس منه فاذا المعبر صادق في تعبيره وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهو بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الى الغرض المقصود فنقول توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن تعريفه الا بضرب الامثال فليفهم من المثال الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكين والمعذبين والناجين والفائزين ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمنهم هالك ومنهم معذب مدة ومنهم ناج يحل في دار السلامة ومنهم فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات الماوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الآيسون عن رحمة الله تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها

اما المرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله وبرسله وبكتبه

فان السعادة الاخروية في القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق
والجاحدون هم المنكرون المكذبون فهم الآيسون عن رحمة الله تعالى ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين
وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا في نار جهنم بنار
الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من
يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه
فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل

ففي فؤاد المحب نار هوى ٭ احر نار الجحيم ابردها

ولا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رأى من
غلب عليه الوجد غدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه
الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب
قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلك من النار والسيف
الا من حيث انه يفرق بين جزء وجزء يرتبط احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط
به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهي اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك
من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن
رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطنة اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب
الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الاعداء
ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير
الطعام لذيذا وذلك لمن استغرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب
من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذن فلا يكون هذه الصفة الا في
القلب فمن لا قلب له ليس يوجد له هذا الحس كمن لا سمع ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان
قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب
هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه
وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك
والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيب وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد
من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق آدم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامدين
على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسفين في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة
الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ٭ ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا
الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده ٭ **الرتبة الثانية** رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه
فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة
بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان يذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل
الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في
فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب
ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط

معذبا بامرين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه
والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى
الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج عن النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل ٭ واعلم ان في
الاخبار ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة الف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الف سنة حتى يجوز
بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيه لبث وبين اللحظة وسبعة الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر
وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض
المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب
اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بالمال وبقتل الولد
واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب
الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب
فلشدة قبح السيئات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعها فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف لارباب القلوب
مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب
والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما حكى عنه رسوله
عليه السلام سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط
الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ٭ **فاما التفصيل** فلا يعرف الا ظنا ومستنده
ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن
جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه
اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب
الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه
فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله
في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون
ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى
الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى
وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم
بالله عز وجل ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق
وانما يغوص فيها الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله تعالى لا نهاية لمنازله والسالكو
لسبيل الله تعالى لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا
على درجات فالاعلى من درجات ارباب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر
وادى كل الفرائض اعني الاركان الخمس التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكوة والصوم والحج ٭ فاما من ارتكب
كبيرة او كبائر او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امره مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا
لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك
وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عز وجل عذابا يزيد
على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح
الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في

درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين في الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف
فلا تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او بعشرة فان هذا جهل بطريق الامثال بل هذا كقول
القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يسوى عشرة دنانير واعطاه مائة دينار فان لم تفهم من المثل الا المثل في الوزن
والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضع في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها
دون اشخاصها وهياكلها فان الابل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة
دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل
لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة
لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب بها الصبي بل القروي البدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها
مثقال ووزن الابل الف الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى
تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي به يدرك بها ارواح الجواهر وساير الاموال
فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ
يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف تكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن
تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذا ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة
والعارف مرحوم اذا ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل
وغني قوم افتقر والانبيا مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلا من الله تعالى
وبلا موكل بهم سبق بتوكيله القضا الازلي وهو المعني بقوله عليه السلم البلا موكل بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل فلا تظنن
ان البلا بلا ايوب وهو الذي ينزل بالبدن فان بلا نوح صلوات الله عليه ايضا من البلا العظيم اذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاوه
الى الله تعالى الا فرارا ولذلك لما اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى عليه السلم لقد اوذي
باكثر من هذا فصبر فاذا كما لا يخلو الانبيا عن الابتلا بالجاحدين فلا يخلو الاوليا والعلما عن الابتلا بالجاهلين ولذلك قلما انفك
الاوليا عن ضروب الايذاء وانواع البلا بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين
وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الابل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين
من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقايق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر
مرات واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس
وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم
الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وساير البهايم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة
البهايم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله
انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى افق البهايم وترك الرقي الى افق الملا الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها
عليه كافرا بالنعمة ومعترضا للنقمة الا انه اسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة
سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني
وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة
مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة
رووسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رووسهم عند ربهم فبين
انهم عند ربهم الا انهم منكوسون محجوبون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رووسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل
وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج
من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله
فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة

والمال مدة الحياة فحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان بل ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها
الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسايط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتي تحقيقه في
التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في
قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان وآخر من يخرج من في قلبه
مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال
والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد
فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله
تعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا
وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملايكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم
على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه
عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلا ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة
افضل منها فكيف امحوها فقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من
اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه
يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين وان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يتوب
المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك
لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحيا وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر
الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة له اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب
الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية الازلية التي
لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت
طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب
القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله عز وجل ولولا ذلك لم يكن
العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
ولما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب
انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيها اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيه وانما
الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما
رأى **الرتبة الثالثة** رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا
فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا
على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا
من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طايفة من الخلق فيه معلوم
يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع
عليه تحقيقا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاوليا والعلما والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عايشة لما
مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه اغلب
في هذا المقام **الرتبة الرابعة** الفايزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز
على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهولاء هم المقربون وما يلقى هولاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن
فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
وقوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا

لا يتصور ان يخطر على قلب بشر في هذا العالم ● فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم
لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك
قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شئ
سواها حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال
الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره
وصار همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي
التي توصل في الاخرة الى قرة عين لا يتصور ان يخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب
الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك
صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات **بيان ما يعظم به الصغاير من الذنوب** اعلم ان الصغيرة تكبر
باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها
لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الما تقطر على الحجر على التوالي فتوثر فيه
وذلك القدر من الما لو صب عليه دفعة لم يوثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشيا تستبان
باضدادها وان كان النافع من العمل هو الدايم وان قل والكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيات
اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغاير فقلما يزني
الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغاير سابقة ولاحقة
ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ● ومنها ان يستصغر
الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب
عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب
هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيات ولذلك لا يواخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري
في الغفلة وقد جا في الخبر المومن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره ● وقال بعضهم
الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شي عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المومن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به
راى الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيايه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطية وانظر الى
كبريا من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله تعالى
اتم فكانت الصغاير عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كباير وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي
في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة تكبر بمعرفة قدر المخالف ● ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح
بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم
اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه
ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه
ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله
تكبر به الصغاير فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف
بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناوه الذي فيه دواوه حتى يتخلص من الم شربه
لا يرجى شفاوه ● ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما
فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ● ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد
اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه

او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيية الاسباب له صار
جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله
ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله تعالى ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة
وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ● وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته
ثم يهونها عليه ● ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه
مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار
عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه
الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة وهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم امادا متطاولة
فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيية فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من
اوزارهم شيا قال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضا العمل والعامل وقال ابن عباس ويل
للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار سفينة
تغرق وتغرق اهلها وفي الاسراييليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار ● فبهذا يتضح ان امر العالم
مخطر فعليهم وظيفتان احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاوه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم
على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق
فيتبع عليه ويقتدي به العلما والعوام فيكون له مثل ثوابهم فان مال الى التجمل مال طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون
على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلما في طوري الزيادة والنقصان
تتضاعف اثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها **الركن الثالث في
تمام التوبة وشروطها ودوامها الى اخر العمر** قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه
العلم بكون المعاصي حايلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط
فلا بد من بيانها **اما العلم** فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسياتي **واما الندم** فهو توجع القلب عند شعوره بفوات
المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكا فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته
طال عليه مصيبته وبكاوه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي شي ادل على نزول العقوبة من
المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده لا يبرا وانه سيموت طال
في الحال حزنه فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار
ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض به للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى
فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع ● وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افيدة ومن علامته ان تتمكن مرارة
تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسراييليات ان الله تعالى قال لبعض
انبيايه وقد ساله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات
والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه ● فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع
فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال المه وتناثر
شعره وفلجت اعضاوه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن
ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للعقل والمشاهدة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان
التايب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق
الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتايبون فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب
مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها

من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن
ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث مخالفته امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه
وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي
وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره
الى اول يوم بلغ فيه بالاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي
قصر فيها والى المعاصي ما الذي قارفها فان كان قد ترك صلوة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها
من اخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب
الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم
يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائها واما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه
لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة على الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف
الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رضي الله عنه فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب
ذلك الزكاة ومعرفته ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسال كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان
قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروجه والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من
الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات او الصدقات ما يحج به فانه ان مات
قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط
عنه الحج هذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فيجب ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه
ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها
وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كالنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع
الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها
بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي
من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله
تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف
فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا
ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود
سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها
والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد
لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على
نوع واحد من العبادات فان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب
الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس لها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم
ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب
ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد
ولم يكن له اعمال يكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة
الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت غم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهي
خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل عليه السلم
دخل على يوسف عليه السلم في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله
قال اجر مائة شهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم العباد
ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر

وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق
بملكه الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقذف بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله
ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان
على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع
حيث كفر القتل بالاعتاق ثم اذا فعل ذلك كله لم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال
او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطا فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق
اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان
يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو
زنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس
من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله
قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد فالحد يقع موقعه وتوبته تكون صحيحة مقبولة عند الله تعالى
بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني
فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وقد زنيت فرده الثانية فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم
فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت
فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى قال اما الآن
فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت اتته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال فاذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي
في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها
وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم
سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت
واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه فان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع
تلبيس كترويج زيف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من
مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي
في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة
وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموعا عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن
فليكتبه وليكتب اسماء اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليرد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة
وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى
له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة
حسناته بقدر كثرة مظالمه فان لم يف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذه طريق كل
تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر بالحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف
فربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات
هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما الاموال الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه
ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال
والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه
او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات
ليؤخذ عوضا في القيامة واما من وجده واحله بطيبة قلبه فذلك كفارة وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال
المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة ياخذها

من حسناته او بحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته عليه مال و ذكره وعرفه للناس بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته
باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منهما ثم
بقي له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر بها مظلمة الميت والغايب **واما الذكر والتعريف** فهو سيئة جديدة يجب
الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم يسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف
به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل قلبه فان الانسان عبد الاحسان فكل من نفر بسيئة
مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة توددِه وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به اعتذاره اليه
من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه في قدر
سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه ايضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا
مالا فجا بمثله فامتنع من له عن القبول وعن الابرا فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شا ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة
احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي الخبر المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين
نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة
فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك
فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا
ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان
الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال
قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال
فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي **فاما العزم المرتبط بالاستقبال** فهو ان يعقد مع الله تعالى
عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما
انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم
يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة او الصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان
له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع
الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق
في ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد
اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر
العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا فليست هذه
توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قايلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا يصح ان
عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها
سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا
ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله تعالى وان قال من ذهب الى انه لا تصح
اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليه دون
الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه
بفوات محبوبه سوا كان بالسيف او السكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سوا عصى بالسرقة
او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتا للمحبوب من حيث انه معصية فلا
يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض لو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال
ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات المعصية والمعصية من حيث

مخالفة الامر واحد فاذا معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة تلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات
فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق
هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا
يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطا
فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن الكباير دون الصغاير او عن الصغاير دون الكباير او عن كبيرة دون كبيرة
اما التوبة عن الكباير دون الصغاير فممكن لانه يعلم ان الكباير اعظم عند الله تعالى واجلب لسخط الله ومقته والصغاير اقرب الى
تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خايفا
من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن
وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم معصوما فلا يستدعي معصوما فلا يستدعي التوبة العصمة
والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعره معه بانه ربما لا يظهر ضرر
السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده فان اكلهما جميعا بحكم شهوته يندم على اكل العسل
دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكباير دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكباير اشد واغلظ عند الله تعالى
كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله تعالى يتسارع العفو اليه
فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغاير والكباير لان الكباير ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك يتوب عن
بعض الكباير التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال
عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجح شر الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما
على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغاير وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير
المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خايف على معاصيه
ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب
توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا
قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية
وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وقد يكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه
من الله تعالى قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول
هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان
بالكلية بل اجاهد في بعض المعاصي عسى ان اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور
من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كان صلاتك لغير الله تعالى فلا تصح وان كان لله تعالى فاترك الفسق لله فان امر الله
فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلوتك التقرب الى الله عز وجل ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران
ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز في الاخر فاقهره فيما اقدر عليه وارجو ان مجاهدتي
فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته
ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل
ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال عليه السلام الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني كلها يتبين ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكن لانها متماثلة
في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضا السخط
ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك
بعض شهوته لله كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه
لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما
في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور

الخلاف حالة في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع
الأوامر والنواهي ● فإن قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فأقول لا لأن التوبة عبارة
عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة
كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم لو كان شهوة الوقاع باقيا لكان حرقة الندم تغلب
تلك الشهوة وتغلبها فإني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة
ومات عقيب التوبة لكان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار
أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهرت قصده فإذا لا يستحيل أن يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ
إلا أنه لا يعرفه من نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار
ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين أحدهما
حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن
يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة
يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا ● فإن قلت إذا فرضنا
تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل
فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة
فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور
عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع
نفسه له حالتان إحداهما أن يكون انقطاع نزوعه إليه بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل منه إذ تركه
بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين وأعني بقوة
الدين قوة الإرادة التي تنبعث بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما
قطعا وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل
العنين أفضل لأنه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع
لأن المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وإن غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر
غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس وكلب أفضل
في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط
على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويتعدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما
أعلى رتبة وأحرى بإدراك سعادة الصيد **الحالة الثانية** أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة
السابقة إذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلا تهيج إلا بإشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء
الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها فقول القائل إن ذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة
بمقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته فإن عجز
عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة
فأنت بعد في طلب الظفر ● ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف
القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم الكلب الصيد وراض الفرس فهما ناعمان عنده بعد ترك
الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولغلط زل في هذا فريق فظنوا
أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات
وإماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل
في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ● فإن قلت
في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه

ويحترق ندما عليه أيهما أفضل ● فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وقال آخر
حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام المتصوفة أبدا يكون
قاصرا فإن عادة كل واحد أن يخبر عن حال نفسه فقط فلا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة باختلاف الأحوال وهذا نقصان بالإضافة
إلى درجة العلم فإن معرفة الأشياء على ما هي عليها أفضل وأعلى ولكنه كمال بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور
النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره إذ طريقه إلى الله تعالى نفسه ومنازل أحواله وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم والتعليم فالطرق
إلى الله كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية ● فأقول تصور
الذنوب وذكرها والتفجع عليها كمال في حق المبتدي المريد لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق
ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى الغافل كمال لكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان
فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك فإن ظهر له مبادي الوصول وانكشف له أنوار
المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق في بلد
من البلاد نهر جار طال تعب المسافر في عبوره من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على
تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك وكان على
طرفه أنهار وهو يخاف على نفسه إذ يخربها فليعطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله
فإن حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا
لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا إلى التلويحات منه في كتاب العلم من ربع العبادات وفي
ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة أن يكثر الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شابا فلا ينبغي أن يطيل فكره
في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي أن يتفكر في لذة
النظر إلى وجه الله تعالى فقط وذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي أيضا قد يستضر به
فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدنك من التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته فإن قياسك نفسك
على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم
فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة
إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأدب النفس ولكن تسهيلا للأمر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم إني لا أنسى ولكني أنسى لأشرع ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي
في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسين
كخ كخ لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام ولكنه إذ
علم أنه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل إلى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طيرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير تلطفا
في تعليمه فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين **بيان أقسام العباد في دوام
التوبة** اعلم أن طبقات التائبين أربعة **الطبقة الأولى** أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من
أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو
الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح
واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت
أوزار وضعها الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة
ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها وإلى ما لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها ثم يتفاوت
درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف
قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت
حسناته وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات

مع صدق الشهوات ثم يصبر عنها ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة من اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء

الطبقة الثانية

تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتصميم وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليه ولكنه كلما اقدم عليه لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيرجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الفقيه والطبيب بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واهي راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واهي بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا

الطبقة الثالثة

ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وساتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من حملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به يستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع

العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر

الطبقة الرابعة

ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله تعالى فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وكطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبه بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم كما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جائعا يزعم انه ينتظر فضل الله تعالى بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه الحماقة في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب دينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد فان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا فكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب الساقة بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب

ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح فليكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوما

وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الأخبار يصلي أربع ركعات وفي الخبر إذا عملت سيئة فأتبعها
حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار
وفي الخبر الصحيح أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله
تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أوما صليت معنا صلاة الغداة فقال نعم قال إن الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على أن ما دون
الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن إلا الكبائر فعلى الأحوال
كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات • فإن قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من
غير حل عقدة الإصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله تعالى وكان بعضهم يقول أستغفر الله
من قولي أستغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار
فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار
ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا
أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فإن ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين
هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول
إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له • فأما إذا انضاف إليه
تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح بأن يدفع بها
السيئة وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين
مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها
ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر علي فإذا فرغ من
المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة وإذا عمل حسنة قال يا رب تقبل مني • وسئل أيضا عن الاستغفار
الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة
إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده
مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر
وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه
إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال إنما يكون حبيبا إذا
كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن للتوبة
ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات
فبعضها محو لأصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك
بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها
بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وأنه
لا يخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها
ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات إلى أن يثقل فيشيل كفة
السيئات فإياك وأن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل
تعللا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول أي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا
اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فإذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا
يضيع عند الله تعالى أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان
في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما
يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر
والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله تعالى إذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر

ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود
لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى أن
يقول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان
نعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو
من جملة معاني قوله تعالى إن الله لا يضيع أجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها
إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف
في الدنيا لأدنى الطاعات وتضعيف الآخرة أكثر لو كانوا يعلمون فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فيفتر رغبتك
في العبادات فإن هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا
والسرائر فأي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف
إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه • **وأما الظالم** المغرور فاستشعر في نفسه
خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل
غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه • **وأما المقتصد** فلم يقدر على إرغامه بإشراك
القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول
فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك ذمت حياكته فترك الحياكة
وأصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة وأصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة
ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإن عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولذا قالت
رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تذم غفلة القلب
فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة اللسان فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين
لا إلى استغفار واحد • فهكذا ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الأبرار
سيئات المقربين فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن يؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي
ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه
في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولي الله تعالى

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على
الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز
نادر **القسم الثاني** هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج
في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه • واعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء
إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطل الشيء
إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب
المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء
إذا للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل
واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فتقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب عما به من مرض
الإصرار فإذا لهذا الدواء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر فلا بد من بيانهما • فإن قلت أينفع كل علم في حل الإصرار أم لا بد
من علم مخصوص • فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج
الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علما مخصوصا فكذلك داء الإصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان
ليكون أقرب إلى الفهم فنقول يحتاج المريض إلى التصديق بأمور الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل
إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه

الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سبب وهو المعصية
وهو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان • الثاني أنه لا بد وأن يعتقد المريض
في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان
ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف • الثالث
أنه لا بد وأن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون
شدة الخوف باعثا له على الاحتماء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب
الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى إليه من ذلك من غير شك وارتياب حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر
الذي هو الركن الآخر في العلاج • الرابع أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عن كل شيء عنه ليعرف
أولا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة
علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة
وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها
ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب
العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة
أو مسجد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى
لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب
دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه
لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم
الناس دينهم فإن الخلق لا يولدون إلا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع فالدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا
ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان فالعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج
بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل
والأغلال ويكف شره عن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل أحدها أن المريض به لا يدري
أنه مريض والثاني أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما
بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في
علاج مرض البدن من غير اتكال • والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار
مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم
بما يزيدهم مرضا لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من
أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء
بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا
ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ
في الأسماع وأخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله
ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي
العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة
إسرافه على الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس
استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب • فأما معالجة المغرور المسترسل
في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فإذا فساد
الأطباء هو المعضلة الزباء التي ليس تقبل الدواء أصلا • فإن قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في وعظه مع
الخلق • فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب

وهي أربعة **النوع الأول** أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار مثل
قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما يا ليت هذا
الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا
وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا • وقال بعض السلف إذا أذنب
العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه
وإن لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من
السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله
يتوب إلي فأغفر له لعله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن
تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده • وفي حديث عمر الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت
المحارم أرسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبضت
إصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن إن بين العبد وبين الله تعالى حدا من المعاصي
معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي
أن يستكثر الواعظ منه إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف دينارا ولا درهما وإنما خلف العلم والحكمة وورثه
كل عالم بقدر ما أصابه **النوع الثاني** حكايات الأنبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع
ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة حتى روي أنه لما أكل الشجرة تطايرت الحلل
عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل
الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم إلى حواء باكيا وقال
هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب • وروي أن سليمان صلى الله عليه لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في
داره أربعين يوما وقيل إن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه
لمكانها فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شج وضرب
وحكي أنه استطعم من بيت امرأة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية فأخرجت عجوز جرة فيها بول فصبت على رأسه إلى
أن أخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين أيام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت
الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم
في عذركم الآن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه • وروي في الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة وأرسل عبده ليحملها
إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله تعالى ببركة تقواه فكان في بني إسرائيل نبيا وفي قصص
موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي لأجل الله تبارك وتعالى • وروي
أن سليمان كانت الريح تسير به فنظر إلى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك
قال إنما نطيعك إذا أطعت الله تعالى • وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك
يوسف قال لا قال لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر
لحفظي له وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وأمثال
هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم أن الأنبياء لم يتجاوز
عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء
يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر • فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في
تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب
فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله تعالى في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف
به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر كما حكي في قصة داود وسليمان حتى يضيق على العبد رزقه بسبب ذنبه
وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال

ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه
ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه
وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه
يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون
وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول
هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب تتعجل
عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك اورثتك ذلك وقال بعضهم
اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني
حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة
الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلثين سنة وقال ابو سليمن
الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر
يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابن عمرو ابن علوان في قصة تطول
قال فيها فكنت قايما اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الارض واسود جسدي كله
واستترت في البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد
وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قايما بين يديه فساومت نفسك بشهوة حتى
استولت عليك برقة فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال
فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد • واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره
لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره
بل من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان تكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشي كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف
شقاوة وان اصابه نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه والمطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة في
حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية فكفارة لذنوبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات
على آحاد الذنوب كالخمر والزنى والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع
للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة
ويشتغل بعلاجها فليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له آخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى
واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع واياك وما يعتذر منه • وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان
تكون ملكا في الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك قال ازهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السايل الاول
مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السايل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السايل مخايل الحرص
على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة • وقال رجل لابراهيم بن
ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس
وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الياس وكانه تفرس فيه آفة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله
في وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السايل اولى من ان يكون بحسب حال القايل • وكتب معوية الى عايشة رضي الله
عنهما ان اكتبي الي كتابا توصيني به ولا تكثري فكتبت اليه من عايشة الى معوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام
عليك • فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى
اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلم • فاذا على كل ناصح ان
تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية مواعظ الشرع مع كل

واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان • فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع او سأله
من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل • فاعلم ان طريقه في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما
على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية والاغذية للكافة والادوية لارباب العلل • ومثاله
ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية
الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب
الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله تعالى يعزك الله تعالى وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك
ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وكلا على اعناق
الرجال وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلوتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط
ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك
وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن
يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما
لو جاءك الموت عليه رايته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلم للخضر اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا
تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك
يا ابن عمران • وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف
اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كي لا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد
منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه • وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما
بعد فخف ما خوفك الله تعالى واحذر ما حذرك الله تعالى وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر
اليقين والسلم وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات
امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب • واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن
نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن
فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك • وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه
يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء • وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله
وعدوة اعداء الله اما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم • وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك المقدرة من ظلم
العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئا الا كان زايلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله تعالى
آخذ من الظالمين للمظلومين والسلم فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي
تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الوعظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ
يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم
ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القايل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب
الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين • فهذا احد اركان العلاج واصوله **الاصل الثاني** الصبر ووجه الحاجة اليه
ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول لما الغفلة عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج
الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر
فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة
الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر وكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة
فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات
التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة
من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذايذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم

الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد
فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث
من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعث الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله تعالى وتيسيره من وراء
ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغا واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبيا
الا شرح طرق الهدى وانما لله الاخرى والاولى • فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر
والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو التصديق بالله
ورسوله فهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مومن • فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان
اذ كل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها
ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر
الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي واستولى بسبب الاعتياد والالف
والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلم اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال
وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت الا يبقى احد الا دخلها
وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلم اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب
فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت الا يدخلها احد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المآل سببان
ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا
بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر • الثالث انه ما من مذنب مومن الا وهو في
الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف
التوبة والتكفير فمن حيث رجائه توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان • الرابع انه ما من مومن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب
العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبات للاصرار مع بقاء
اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي
يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا
هو الكفر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظر قريب وان
الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في
دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في
ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشيا عنده تركه
مع ان الموت الم لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منه فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر
كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون الانبيا المويدون بالمعجزات دون
نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا يشهد له الا عوام الخلق كيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في
الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول
اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف
اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم
الآخرة • واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما
ليس اليه وهو البقا فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة
الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتاكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي

لم يوكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها
ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود
اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع
قوته عن مقاومة ضعيف واخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف **واما المعنى الرابع** وهو انتظار عفو
الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو مثل من ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقرا مضطرين منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور
على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله في
صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري
او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكن وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من
فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة **واما الخامس** وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي
تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبيا المويدون بالمعجزات
صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته
كذلك فهو اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلا وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك
لطعامك في البيت لحظة انه قد ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه هل تاكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فيقول
اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحيوة والموت
بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الانبيا كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات
وصدق كافة العلما والاوليا والحكما بل جميع اصناف العقلا ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل
واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلا الا من صدق باليوم الاخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته
فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له
توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طائرا يختطف في كل الف
الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الآباد شي فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة
مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الآباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلا المعري •
قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما • ولذلك قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا
وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال • فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال
القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن باصل الشرع وتفصيله • فاعلم ان المانع
من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عذاب الآخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان من النعيم
المقيم وهذا فكر لذاع مولم للقلب فينفر الطبع عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر
شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله ونفس من انفاسه شهوة
قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او
في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك • واما علاج هذين المانعين ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز
من الفكر في الموت وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر
على تقدير الموت وما بعده ومتالم به • واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة
اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن
كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول
انس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف
بما يضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكن يصبر عليه مدة وقد صار الخير ديدنا كما كان
الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للخوف والمهيج لقوة

الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا يدخل في الحصر فصبر الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير توفيقا اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال يا امير المؤمنين لعلي رضي الله عنه اخبرنا عن الكفر على ماذا بني قال على اربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلما ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله تعالى ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف ولذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فلنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى م ⁂ اخر كتاب التوبة والحمد لله حق حمده وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين

كتاب الصبر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله اهل الحمد والثنا المتفرد برداء الكبريا المتوحد بصفات المجد والعلا المؤيد صفوة الاوليا بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى اصحابه سادة الاصفيا وعلى آله القادة البررة الاتقيا صلوة محروسة بالدوام عن الفنا ومصونة بالتعاقب على التصرم والانقضا • اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاخبار وشهدت له الآثار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل للوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان فكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر

الشطر الاول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر قال الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين • وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول

واما الاخبار فقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الآية • وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي الصبر وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال

مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح صلوات الله عليه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله تعالى يحب الصابرين والاخبار في هذا مما لا يحصى

واما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر • واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقد قال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل واما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد فكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر منها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا

واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليها شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف

واما الانسان فانه خلق في ابتدا الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذا الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم برفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله عليه السلام ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ **فاما الدوا النافع مع كونه مضرا في الحال** فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات لها مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله تعالى والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الشهوة

ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل ثمرة حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين في
مقابلة باعث الهوى والشهوة وثبات باعث الدين حال ثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات
في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي
ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما يتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين
المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين
الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة
الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الوشت ينبغي ان
يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو
بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به
محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت
له سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما يثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك
سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبان فلاثباتهما الحسنات
والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما
وكتبهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه
الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني
بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها
يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا **اما في القيامة الكبرى**
الجامعة لكافة الخلائق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الناس والخلق وفيها يساق المتقون والمجرمون الى الجنة والنار
زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة
الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم
وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزلت مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة
جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان فاعلم انك ارضي مخلوق
من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس حظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى
بدنك ظرف ومكان انما تخاف من تزلزلها ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهوا ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس
يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك
ورأسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر
ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت
الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال
نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا واذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم
انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا
التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت
حتى ألقت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة
ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك
التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو
حصته منه فالانجلاء بعيد لك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة فوق فمن لا رأس له لا
سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد اشغل والهول بعد متأخر وذلك اذا جاءت
الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال وهذه الصغرى وان طولنا في وصفها

الراس
الساخة

فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين
احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل
واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة
الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة
فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس
النشأة الاولى بل اعداد النشأة ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين
مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين
وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال
فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال افلا يكفيك القيامة الصغرى او ما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا
او ما سمعت بكربه في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت او ما تستحيي من استبطائك هجوم الموت والساعة اقتداء
برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم
المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤون افيظنون انهم في الدنيا خالدون او لم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا
عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى
الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في
مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين
اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة
فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري تظهر مبادئ
اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة
لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب وفي الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف
ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي
سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق
الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين
والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا
وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات
ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق
على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة
بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة
ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر
نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الى آخره
الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في
الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان
بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان
باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب والشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم

صبراً عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر

اعلم أن الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ سمي حلماً ويضاده التذمر وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى والصابرين في البأساء أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فإذاً هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني أولاً فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل وإلى الفريقين الإشارة بقوله سبحانه وتعالى أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال إحداها أن يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين وإياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية

الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله تعالى وإليهم الإشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقاً إلى التوبة ولكن قال إن الله غفور رحيم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقاً لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما حقه أن يستسخر وسلط من حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون متسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فمهما استسخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله تعالى وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن أرق مسلماً لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه النعمة واستيجابه

لنقمته لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق في الأرض **الحالة الثالثة** أن يكون الحرب سجالاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله جل وعز خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك فعطله فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً ولذلك قيل

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أوله ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكأن هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم أن الصبر ينقسم أيضاً باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو كليهما فهو إذاً لا يستغني قط عن الصبر

النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل من المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذته ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله تعالى في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر النعم عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت

فتنة السراء **النوع الثاني** ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي
او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام
منه فهي ثلثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان
الضرب الاول الطاعة والعبد محتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي
الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له
مجالا وقبولا فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت
قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان اشتعاله وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك منهم ليس يصدر
الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل
كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على
الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر
عن شوائب الريا ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفا وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص
وآفات الريا ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى بل قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب
الى الآخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدايد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين
صبروا اي صبروا على تمام العمل **الحالة الثالثة** بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والريا
والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما
الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى
هي المروة وصلة الرحم وكذلك يحتاج الى الصبر **الضرب الثاني** المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي
في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه ويروى من
جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان
العادة طبيعة خامسة فاذا انضاف الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على
قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء
والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى
والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس شهوتان احديهما نفي
الغير والاخرى اثبات نفسه وبها يتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر
تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات بعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة
تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض
الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنى ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر
فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة ويختلف شدة الصبر في
آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركات اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسواس
فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه
هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس **القسم الثاني** ما لا يرتبط هجومه باختياره وله
اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون
فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقسم صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله
وقال فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافات ولذلك مدح الله
تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله
عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن
والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك اليمنى فحول اليه الخد اليسرى ومن اخذ رداءك فاعطه
ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر
لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا **القسم الثالث** ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب
مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع البلا فالصبر على ذلك من
اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس الصبر في القرآن على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم
الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضل هذه الرتبة مع انها من الفضائل
على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين
فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن
اليقين قال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من
عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا
وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم
اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عليه السلام يقول الله تعالى
اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته
فالى رحمتي وقال داود عليه السلام ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان ولا
انزعه عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها
افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله تعالى
قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوك
زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة
ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما
تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان صلى الله عليهما يستدل على تقوى المؤمن بثلث
حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من
كمه فقال بارك الله له فيها لعله كان احوج اليها مني وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق
فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر
سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى الاختيار فهو مضطر شاء ام ابى
فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع
وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور
داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة
فاسترجعت كما روي عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية من البيت فقدم
ابو طلحة فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة
ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا فقال وما لهم قلت اعيروا عارية

فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا امّك هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم
قد قرأوا القرآن وروى جابر انه عليه السلم قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة • وقد قيل الصبر الجميل هو ان
لا يعرف صاحب المصيبة اذ لا يشبه غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك
مقتضى البشرية ولا تفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه
فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على
الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا • وكتب ابن ابي
نجيح يعزي بعض الخلفا فكتب ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى وجل عنده فيما ابقاه واعلم ان
الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون
فيه فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير
المصايب وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصايب والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام
في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر
عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد
وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع زمان والة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد
به انسا بالله تعالى او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات
مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره
او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم
مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دايم فللشيطان جندان جند
يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق
من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا
يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا للمخلوق من الطين
فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا ادم
صلوات الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر انقيادا له
واذعانه وانقياده بالاذعان سجوده منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل
وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا
ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن
عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فيشتغل
قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثنا عن سلطنة هذا اللعين فلا
تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه مثل الهوا في القدح ان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان
تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهوا لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين
يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان
الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان
ويبيض ويفرخ ثم يزدوج فرخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد ساير الحيوانات
لان طبعه من النار واذا وجد الحلفا اليابس كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل يسري شيئا فشيئا على الاتصال
فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفا اليابس للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال
اذا لم يكن شهوة فاذا اذا تاملت علمت ان اعدا عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله

حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة
مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عنها وهذا صبر دايم لا يقطعه الا الموت ٥ **بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه** اعلم ان الذي
انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفا فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها
تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم اخر وعمل اخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة
واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض
الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك
عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر
والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما
الاخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث
الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفها ثلثة امور احدها ان ننظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة
من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدايم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه
فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة • والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر
يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنعه الا تغميض الاجفان او
الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه • والثالث
تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات
وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء مضر يضعف عن ساير الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلثة اسباب **فالعلاج الاول** وهو قطع
الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته **والثاني** يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب
الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها **والثالث** يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها
من القوة ما تصبر على التاديب • واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوايد المجاهدة وثمراتها
في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والاخرة وفي الاثر
ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له
ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو
من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة
الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر • والثاني ان يعود هذا
الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان
الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين
وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقها والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة
فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرايه اياهم بموسى
عليه السلم حيث قال انكم لمن المقربين • والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك
منذ الصبى حتى يالف به ويستجري عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين فلا يقوى
على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن
استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر
العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلايق
كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقا والاصدقا والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير
من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك

ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله وسائر أبواب معرفة الله حتى إذا استولى
ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المرتبة
في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون
الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر
والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد
الأنواع الشاغلة وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فإن
تهيئة ذلك أيضا يحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن تولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم
له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت
السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن
أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى
الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات
الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب
الدنيا فإن المجذوب إلى أسفل السافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد
بقوله عليه السلام إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله أسباب الرزق
فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها
وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى أنه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما
يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر
فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرضها لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى
انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان
فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمة الله تعالى حتى يستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء
وهي لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم
من أقطار الجبال والبحار بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار
ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فيشرق أنوار المعارف من باطن القلب وإظهار ماء الأرض بحفر
القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء إليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى
جميع معارف الإيمان تذكرا فقال وليتذكر أولوا الألباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج
الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العوائق كلها مقدم على الصبر على الخواطر قال الجنيد
المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر
مع الله تعالى أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق على النفس الخلق وحب الجاه فإن لذة
الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة
من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للأمور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى
قل الروح من أمر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلطه وغرته بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد
عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء
لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وأمنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما
على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك
مشوب بأنواع الآلام ومطوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر وألم ولا يقطعه قاطع
ولكنه آجل وقد خلق الإنسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة

وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الأحمق من
أتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره فاشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم يتدل الموفق بحبل
غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذول بقوله كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى إن هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل فأوحوا إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه فاشتغلوا
بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل فالتوراة
والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد والمراد منهم أن يكونوا
ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة فأما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فالقرب من الله تعالى
بإدراك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه
بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضا ولو كان تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا
لا تخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه ثم لا يسلم ويتم الأسباب تنقضي العمر حتى
إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس
فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح
والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسد الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان
لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه
وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم اغترار الإنسان
إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا وينال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة
ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة فقال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو
عبد لي فقال كيف ذلك قال أنت عبد لشهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكتهم فهؤلاء كلهم عبيد لي فهذا إذا هو الملك في الدنيا
وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على
الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط
فيه وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنهما والصبر عند فواتهما إذ تصير بتركه ملكا
في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة أسبابه
فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع الجاه
لئلا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا
فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أفعالا
تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم
وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي أن يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل
باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة إلا المضادة الثالث أن يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف
الأقصى من التبذل فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم إذا قنعت نفسه
بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت
فيه وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله إلى نفسك
فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه
فإذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضف إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب
رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورا لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل
فإن تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق الصبر عليه معه فينعكس

ج

مشربا

امور فيصبر عما كان محبوباً عنده مفقوتاً وما كان مكروهاً عنده مشروباً هنيئاً لا يصبر عنه وهذا لا يعرفه الا بالتجربة والذوق وله
نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهراً فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم
انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض الصالحين العارفين انه سئل الشبلي عن الصبر
اية اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله قال لا فقال الصبر مع الله تعالى قال لا قال فايش قال الصبر عن الله تعالى فصرخ الشبلي
صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله
وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود
وقيل الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل وهذا آخر ما اوردناه شرحه من علوم الصبر واسراره **الشطر الثاني من**
الكتاب في الشكر وله ثلثة اركان **الركن الاول** في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه **الركن الثاني** في حقيقة النعمة واقسامها
الخاصة والعامة **الركن الثالث** في بيان الافضل من الصبر والشكر **الركن الاول في نفس الشكر بيان فضيلة الشكر** اعلم ان الله
تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم وقال وسنجزي الله الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر
ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد
مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله
على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وجعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى الحمد لله الذي
صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
وروي عن عطا انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن ابيها فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت
واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت
قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد
فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكا ينبغي ان لا ينقطع ابدا
والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها
الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فساله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكا الخوف
وهذا بكا الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا يزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال
الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب
عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها
الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال
نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود
رضي الله عنه الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر وحقيقته** اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم
وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل **اما العلم** فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه
والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل
بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور
بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من
نعمة ومنعم ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما
في حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والاوساط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس
والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان والتقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف

انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع
هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال افضل
الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ليس شيء من الاذكار يضاعف كما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك
اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل
على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي
الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في ايصال ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في
النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص من
توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغذ
ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل
الموصل والخازن ايضا مضطر من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته
لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغذ فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك
فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها
اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة
الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه
الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد
خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما
اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى
نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى
الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها
شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذا
لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان
معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل **الاصل الثاني** الحال المستمد من اصل
المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا
كان جامعا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا
فنقول الملك الذي يريد الخروج الى السفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه احدها
ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل
من غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء او اخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح **الوجه الثاني** ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل
من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان
لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا ولاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك **الوجه الثالث**
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يترقى الى درجة الوزارة من حيث
انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من
ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون
الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها
مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن
معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه
على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء ثوابه وانما الشكر التام في الفرح

الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه
على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن
عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث يحمله
في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة
على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره
اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا ۞ فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن اهلا فمعزى فان لم يكن هذا
فالدرجة الثانية اما الاولى فخارج عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الله تعالى للنعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها
اليه **الاصل الثالث** العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان والجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه ۞ واما بالجوارح فاستعمال نعم
الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه بمسلم وشكر الاذنين ان تستر
كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مامور به وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال واعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك كان السلف
يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد
سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك
الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى
ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبد مع كونه ذلا
قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال
يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة
فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول
معاني الشكر المحيط بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض
احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على
بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان
ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال
من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين
لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر
القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها
ما كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل قط اصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع
المعاني او لم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات
فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء **بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى** لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق
منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم
او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون
شاكرين لهم الا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن
الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا او ساجدا
فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نركع او نسجد اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى

في افعالنا كلها **والوجه الثاني** ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا هو نعمة اخرى من نعم الله تعالى في جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور
التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له فركبناه
او اعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى الشكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى
ان يكون الشكر محالا في حق الله عز وجل من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم
ان هذا الخاطر قد خطر لداود صلى الله عليه وسلم وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية
من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تبارك وتعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي
خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحي
اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان
الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف
ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى تلويحات فنقول
ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر
من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له
بنفسه قوام ومثل هذا الغير فلا وجود وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره
فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود الحق هو
القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو
قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير القيوم الحي وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا
المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب حيث
قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى
فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم
ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه يشير به الى ان المحب والمحبوب هو وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد
عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا
احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعه فان احبه فما احب
الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي
فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل
يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة العارف فمن ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله
تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين فما ارسلوا
عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال اليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الاية وكذلك امة نوح عليه السلام
كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين **النظر الثاني**
نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان
المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت
وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم
من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود
حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه
ربك **الفريق الثاني** ما بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم
عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما ان قبله جاحد تحقيقا
فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص
من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من

نقصان ما ابتدأ سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته ما سوى الله تعالى ولا يرى
الا الله تعالى فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله عز وجل دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات
لا تحصى فبهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي يحصل به انوار الابصار والانبياء هم
الكحالون وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد
هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدوا الاوثان قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في
بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ما ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

شعر

لكل الى الشأو العلي حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات • ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب وقيل له واسجد واقترب قال في سجوده
اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك • فقوله اعوذ
بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله تعالى فقط فكأنه لم ير الا الله تعالى وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة
الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب
ورقي من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى
نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي
ثناء عليك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدته وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه
وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله تعالى
وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته ما سوى الذات الحق
ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية وكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى
ذلك نقصانا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين
مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها
فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا
الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن
شكرتم لأزيدنكم • واذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء
بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف
طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة
الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد
قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احداهما ان
يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته • والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا
حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يتقوى على القيام بخدمة تغني منه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام
عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزلة
العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا
في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي اراد الملك منه • واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى
الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه
وكفره ان لا يستعمله فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في
الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد
كفر نعمته اي استعمله فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته
اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو تبعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم محتاجون الى استعمال الشهوات
ليكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعمالها في نيل

درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الآية فاذا نعم الله تعالى آلات
يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين
ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا
يرضاه له فان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل
ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله
تعالى في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جاحد في غير محبة
الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان
هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا
ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله تعالى في جهة محبة الله تعالى فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة
بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله عز وجل ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو
الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر
بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده
ولكن بمعنى انك محل له فقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء ان جعلك خالق الاشياء
شيئا وانما انت لا شيء اذا كنت انت لك وانا لنفسك شيئية من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك
شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا
كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل فتبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله
محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم
فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى ولكن
بعض افعاله سبب لبعض افعاله اي الاول شرط كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق
العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد
لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى
لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه • فان قلت
فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى • فاعلم ان هذا القول
من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور
وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب
حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله تعالى الحسنى بعد عن سماع كلام الله
تعالى وكلام رسوله عليه السلام وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف فاذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك بقي في
حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود
الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو
تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد
القهار ولا قادر الا الملك الجبار • واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لا يسمعون
هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى
فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما
يحبه الله تعالى اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعمالها في مكارهه
ولتمييز ما يحبه الله عز وجل عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر
بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك

ينبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني
وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك
المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكم في خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار
فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها
حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام
وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصر عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم
شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق
والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء ليستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
فجميع اجزاء العالم سماؤها وكواكبها ورياحها وبحارها وجبالها ومعادنها ونباتها وحيواناتها واعضاء حيواناتها لا تخلو ذرة من ذراتها
عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش
واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب والعضلات
وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظة وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس
والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى فيها وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في
جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله تعالى فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد
ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار
يتم بهما وانما خلقا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد بهما وهذا لان المراد
من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا
والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الذكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام
البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك
لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله تعالى فقد كفر نعمة الله تعالى في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه
على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول
من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان
محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا
وهو يحتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من
تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي منها مثله في الوزن
او الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى
بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل
واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير
حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما
من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض
ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى
لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض
في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج
الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه
كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي
كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة

الشكر

الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا
من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض
المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا
حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات
الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله
حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا
من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص
والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في
المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر
في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربوا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض
في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه
فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به
الى المقصود فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي
جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا
عنده فينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا
للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود
التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم فتتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود
الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا
ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم
على الارض واخذها بعينها فلا يمنع مما لا يتشوق النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ
صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة في الردي فذلك مما قد يقصده فلا جرم يمنعه منه ويحكم بان
جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفات
دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا
تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة
مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة
واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة
فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريد له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان
تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم
يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك
الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا اغلظ في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب
نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث
فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد واما
جيد بردئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط
الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربوا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن
الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رضي الله عنه في التخصيص بالاطعمة
دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه

ص

اذ خصه بالاقوات لكن لكل معنى يرعاه الشرع فلابد وان يضبطه بحد ويحد به هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فراى الشرع
التحديد بجنس المطعوم احمى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا تقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن
التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فتعين المعنى بكمال قوته يختلف
بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف
فيه الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى تحريم الخمر بالمسكر وقد حد شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعوا
الى كثيره والداخل في الحد وداخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقد
فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن اوتي الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك
ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفك عنهما ونعني بعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يناطق
بعوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت
نعمة اليدين اذ خلق الله تعالى لك اليدين وجعل احدهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل اذ
تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوجك من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها
خسيسة كازالة النجاسة واذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من
حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا برقت مثلا في جهة القبلة او استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق
الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات ليكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا
اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك
وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق فاذا رميت البزاق الى جهة القبلة
فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت
لان الخف وقاية للرجل وللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران
لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم قد جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل
عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه
الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال
هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال للذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والآخر الاخذ
باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى
حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات
وبعضها فوق بعضها فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بذلك السكين اعز
اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب وتسامحنا به في الفقه مع العوام
فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها
يؤثر في القرب بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من
كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم
تخلق للعبث بل للطاعة وللاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليها الماء وخلق فيه قوة
الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول
عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعل فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في
بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في الارض جميعا نعم ان كسر ذلك من
مال غيره فهو حرام وهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله تعالى كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص
واحد به من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد

فهو اولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فان بقي ذلك في موات لا يسعى ادمي اختص بغرسه او بغرسه فلابد من طلب اختصاص آخر وهو
السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا
لملك الملوك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله
تعالى والارض مائدة الله تعالى وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيده واحتوت
عليها براجمه فجاء عبد آخر واراد اخراجها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا
مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ
اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان تفهم امر الله تعالى في عباده ولذلك نقول
من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله تعالى من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله تعالى وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع
حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر
الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو بحكم نقصانهم
لا يطيقونه وتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ
الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ
قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله تعالى من مال الله تعالى
الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله تعالى ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر
يحتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب
التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام
بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى
وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله
وامورا اخر وراء هذا تستغرق الاعمار دون استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من يعرف اللغة
وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت رجع حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض
افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة
حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم
ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله تعالى فاين العبد في البين حتى يكون
شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق
الى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغاياتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع
في الشبر فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع
وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة
لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرف فهمهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش
عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا
من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب
استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات
ومصدر انقسامها واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها
امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها
كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمها والى ما يقف دون الغاية وكان
لكل واحد نسبة الى الصفة المسماة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة
المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية

تخفى في التشبيه توهم لفظ المحبة والكراهة منهما امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه
واختراعه الى من سبقت لهم في المشية الازلية ان يستعملهم لاستيفاء حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث
عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشية خاصة
فاستعير للنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب
وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال
وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا
والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه
ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على
الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت
الامور في ازل الازال وهكذا تسلسلت الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ
القضاء وقيل انه كلمح بالبصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب احاد المقدرات بعضها على
بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس
خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان
بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا
خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأ مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا
يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليها
فقيل لهم تأدبوا بادب الله تعالى واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير
اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى السماء الدنيا
من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس
والكواكب في جنح الليالي فيحيى به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم
شربنا شرابا طيبا عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضلة ... وللارض من كأس الكرام نصيب
فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقود والاعمى
يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه
اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر
على ان يستجر وراءه آخر فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض
والسباحة يمكن ان تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى يقال
انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران
لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه
وكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده امين
محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال قل نزله روح القدس
من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف
للعبد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى
العبد الذي يحبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وكان له عبدان فلا يعين للتنظيف
والحجامة وتنظيف القاذورات الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض امر الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما واكملهما واحبهما
اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي فلم يكن فعله على ذوق فعلي فانك اخطأت اذ اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص
الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم
فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا يصدر

والى من ينظف منزله عن المزابل

منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك
تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد
وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن
ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك
وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم المشعوذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان
اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا
يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق
منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا يدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس
تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة
السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر
فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وهذه امور لا
يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله
تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج
عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون
العبد مستعملا في اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد احبهم الى الله تعالى واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له
مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب اسمه اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله تعالى بهم الانبياء وهم اشرف
مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله تعالى بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة
نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله تعالى
بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم ولاجل
اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف
والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء الصالحون الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم يتم حكمة الله بهم الا فيهم ومن عدا هؤلاء همج رعاع واعلم
ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال
سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير
فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى
سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر

الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص
وما يعم فان احصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى
القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر
فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية
التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب
يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية
والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة لنشرحها بتقسيمات

القسمة الاولى

ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع
في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ
باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا
كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار وتظنه

الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال
النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة
والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام
ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليه فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبي بجهله يتقلد منة
من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من
الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق
جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو **قسمة ثانية** اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها
كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه
وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه امور
تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله تعالى ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق
نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع الخذلان بلاء في
حقه **قسمة ثالثة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هي مؤثرة لذاتها والى مؤثرة لغيرها والى مؤثرة لذاتها ولغيرها فالاول
ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل
بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات
لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال
محبوبة في انفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربوا ويظنون انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب
بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول
ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها
على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا ويقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى
عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا
وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث هما
جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكون نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان
مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته يستوي عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة
واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر
تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن
في سائر الاحوال **والشرور ايضا تنقسم** الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق
هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر
كالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك
الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه
فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص
لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع
الزائد والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ يقال استراح من لا عقل له
فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند
خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة
واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن
تسكينها بما يقوم مقامه **قسمة خامسة** اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه
بها ومشاركته لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات **اما العقلية**

فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها
بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم
والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة دائمة لا تمل
فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي
ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج
الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا يمتد اليه يد السارق بالاخذ ولا يد السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه
في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى
المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف
ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا
واما لقصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالصبي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك
لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته للبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة الحكمة والعلم ثلثة اما من لم يحي بعد باطنه
كالصبي واما من مات باطنه بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى
مرض العقول وقوله لينذر من كان حيا اشارة الى من يحيى حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله تعالى من الموتى وان كان
عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان بها بعض
الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات والثالثة ما يشارك بها سائر الحيوانات
كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة
لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب
الرياسة **واما شهوة البطن والفرج** فكسرها مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها
بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال يشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى
في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريها الفترات فتعود اليه الصفات البشرية
فتكون موجودة لكن تكون مقهورة ولا يقوى جهل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله
ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله تعالى وانما لذته بالجاه والرياسة
والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله تعالى والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال
الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة اما
الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية
الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور تتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار
الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان يقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان
يكون نادرا الا انه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من
دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الآخرة
كما ان الصورة في المرآة تابع لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة ان كان هو الثاني في رتبة الوجود فانه اول في حق رؤيتك فانك
لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا
في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك
والشهادة محاكية لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم
الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم
الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا شانها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك

المهما حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان
ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا
ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الآخرة
فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الآخرة ولا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم**
اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها الى اربعة
امور بقا لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا
عيش الآخرة قال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس
من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال عليه السلام وهل
تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة **واما الوسايل فتنقسم الى الاقرب الاخص** كفضايل النفس والى ما يليه في القرب كفضايل
البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوزه الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع
بين هذه الاسباب الخارجة من النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا اربعة انواع **النوع الاول** وهو الاخص
الفضايل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهو العلم
بالله تعالى وصفاته وملايكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة
ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل
الذي انزل الله تعالى على لسان رسوله عليه السلام اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن اخصى
نفسه لترك شهوة او ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان
ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا
الميزان فاذا الفضايل الخاصة بالنفس المقربة الى الله عز وجل اربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر
الا بالنوع الثاني وهي الفضايل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيا هذه الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشي من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع
الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل النفسية الداخلة وهي اربعة هداية الله تعالى ورشده وتسديده
وتاييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحد الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما
حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى سعادة الآخرة البتة
الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضايل النفسية بكسب العلوم
وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية واما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة
مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى
النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود
اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجا بغير سلاح وكباز يتصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات
في طلب الاقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى يشغله عن الفكر والذكر لا يندفع الا
بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقيل لبعض الحكماء ما النعيم قال الغنى فاني
رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رايت الخايف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له
وكان ما ذكرناه اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافى في بدنه امنا
في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله
عليه نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له وقد
ذكرنا فوايد الاهل والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له
بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين

فهو اذا نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الضيم والذل ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يوذيه وظالم يشوش
عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه فلذلك قيل الدين والسلطان توأمان
وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم
ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد
وكلب يدفع الذيب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى ما يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبيا الذين لا ملك لهم ولا سلطنة
يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علما الدين لا على قصد التناول من خزاينهم او الاستيثار والاستكثار في الدنيا
بمتاعهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدايه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه
كان اقل من نعمته عليه حيث كان يوذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة فان قلت وكرم العشيرة وشرف الاهل هي من النعم
ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش ولذلك كان عليه السلام من اكرم ارومة في نسب آدم
عليه السلام ولذلك قال عليه السلام تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضرا الدمن فقيل وما خضرا الدمن فقال المراة الحسنا في المنبت السو
فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ايمة
العلما والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضايل البدنية فاقول لا خفا بشدة الحاجة الى الصحة والى
القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحقر
من جملته امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن صحيحا سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغنا ولكنه من
الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل
الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل
الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضا حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطته الثاني ان الجمال في
الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب
الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيات البدن وقالوا الوجه والعين مراة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور
والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا
فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن
ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم
رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقها اذا تساوى درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى
ممتنا به وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستوا
مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضا وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها فان قلت فقد ادخلت
المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله وكذا العلما وقال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي في ذم النسب الناس ابنا ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه
وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة
المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليها ثم تنزيل النقل على
وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة والتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف
فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج
ترياقه النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلا مهلك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن
ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك
فقد هلك ولذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه رسوله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على التقوى المال وكذلك مدح
الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما
قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الريا فهو ذم الجاه اذ الريا مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب
وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم

يهلكون بسبب المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى
كل أحد لما تصور أن تنضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه ولا أن ينضاف إليه الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم
صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وإصلاحه
وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض
في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا
ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه
ويعرفه أن فيها سما قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيه من نفع الترياق فإن ذلك ربما يغره فيقدم عليها من غير تمام
المعرفة وكذلك الغواص لو علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر
فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد النهي والزجر مهما رأى أباه يحوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا
يقرب منه بين يديه فكذلك الأمة في حجر الأنبياء كالصبيان الأغبياء ولذلك قال صلى الله عليه إنما أنا لكم مثل الوالد لولده وقال
إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم وحظهم العظيم في حفظ أولادهم عن المهالك فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك
وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه فإن الإنفاق فيه
الترياق والإمساك فيه السم ولو فتح الناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الإنفاق
فلذلك قبحت الأموال والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا
ولذاتها • فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر
إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله • فأما إن سمحت نفسه بإطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله
عليه السلام ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة
ألف درهم في موضع واحد ويفرقه في موضعه ولا يمسك منه حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأغنياء يدخلون الجنة
بمشقة استأذنه عبد الرحمن بن عوف في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو
العاري ويقري الضيف الحديث فإذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها
فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار
فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه • فإن قلت فما معنى النعم التوفيقية
الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد • فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين
إرادة العبد وبين قضاء الله تعالى وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق
بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء
بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل • إذا لم يكن عون من الله للفتى • فأكثر ما يجني عليه اجتهاده • فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى
طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد يكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد
صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي أعطى كل
شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم
ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله فقال ولا أنا وللهداية ثلاث منازل الأولى معرفة
طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على
لسان الرسل ولذلك قال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي
مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار ومن جملة المعميات
الإلف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وعن الحسد والكبر بقوله تعالى وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشرا منا واحدا نتبعه • فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء
والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله العبد بها حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق

في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل الذي يحصل التكليف وإمكان تعلم العلوم به وهو الهدى
المطلق وما عداه حجاب ومقدمات له وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة وإن كان الكل من جهته فقال قل إن هدى الله
هو الهدى وهو المسماة حياة في قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله أفمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه **وأما الرشد** فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه
وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين • فالرشد عبارة عن هداية
باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالصبي إذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء
لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطي الهداية وميز بها عن الجاهل
الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة **وأما التسديد** فهو
توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليستد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من تيسير
الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مهما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية
لتستيقظ وتتحرك والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء إلى صوب السداد **وأما التأييد** فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية
أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى إذ أيدتك بروح القدس ويقرب
منه العصمة وهي عبارة عن جود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس
وإياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يتسبب إلا بما يخوله الله تعالى من الفهم
الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر
عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشرة
أسبابا ويستدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين ذلك رب الأرباب ومسبب
الأسباب وإن كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها **بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء** اعلم أنا
جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي
الأسباب التي بها تمت هذه النعم لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا
يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة
للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب
الإدراك ثم أسباب الإرادة ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء
الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك اعلم أن الله خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد
والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي
في الأرض وهيئ له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق التي تراها في كل ورقة يغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب
إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورق حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس
أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك
فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء • فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس
التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهو
وهو أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس
أن يحس بما يلاصقه ويماسه فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في
الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا
هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط فافتقرت
إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا
من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لا تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر

لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدرات
والحجب فتبصر عدوا ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا والاحجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب
فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدرات عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب
فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام
عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان لا يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذا اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله
فتهلك كالشجرة يصب في اصلها كل مايع ولا ذوق لها فتجتذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدم
دماغك ادراك اخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت
شيا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك
اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة
والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس
كلها فلو لم يكن لك الا ذلك لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص اذا قيدت وقد
تلقي نفسها في البير ولا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت
اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهو العقل
فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المال وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في
الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيها معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة
الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحس في حقك فيكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة
وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الاراييح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى
باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرود والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة
ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص
والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها فهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف
القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام
عجيبة لا يمكن استقصاوها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضا مرة في الطلب
ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياق نعمة الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها
فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات
مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها
بياض البيض وبعضها كانها الجمد ولكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهياة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت
طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنها الاطبا والكحالون كلهم فهذا في حس واحد
فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا يمكن ان تستوفي حكم الله تعالى وانواع نعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة
مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف الظن بجميع البدن وجميع اعضايها وعجايبها فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق

الادراكات **الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات** اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك الغذا من بعد ولم
يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشيا
له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى
شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها
بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذا وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه
الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا
كالزرع لانه لا يزال يجتذب الما اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الما
اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجايب

صنع الله عز وجل في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليه من الفقار
الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ما المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في
بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية
قسمة اجزايها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وساير الاعضا لقضيت العجب من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا
عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك
لا يكفيك فانه ياتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للافات
ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذا فان كل احد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك
اذ الشهوة والغضب لا تدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما ما في المال فلا يكفي فيها هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة
تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل
اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا تغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة
افردت بها عن البهايم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا
اوفى من هذا **الطرف الثالث في نعم الله عز وجل في خلق القدرة والآت الحركة** اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا
معنى لها الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شي بعيد عنه مدرك له لكنه
لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيها فلا بد من آلات الحركة وقدرة في تلك الالات على الحركة لتكون
حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضا التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو
للطلب كالرجل للانسان والجناح للطاير والقوايم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا يختلف الحيوانات
اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداوه ويبعد غذاوه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها
ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضا التي بها تتم الاكل فقط لنقاس عليها غيرها فنقول رويتك الطعام من بعد
وحركتك اليه لا يكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان الى الاشيا ومشتملتان على مفاصل
كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي
الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب وتدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها
وضعا ان بسطتها كان لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها
روس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشيا الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها براس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام
باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام فيه فجعل الفم منفذا
الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعها
فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن
به الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن
كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل
ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن
فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله جل جلاله فان كل رحى بناه الخلق فيثبت
منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحى الذي بناه الله تعالى اذ يدور فيه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه
واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تستجره الاسنان الى
نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام
من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فايدة الذوق وعجايب قوة النطق
التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك طحنت الطعام وقطعته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان تنزلق الى الحلق بنوع رطوبة
فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام ولينظر كيف سخرها لهذا
الامر فانك ترى الطعام من بعيد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك

ثم هذا الطعام المطحون المعجن من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا يقدر على ان يدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة فهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما ودما وعظما على هذه الهيئة بل لابد وان يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترب ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزائها فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى يستولي عليها قوة الكبد فتصبغها بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احديهما تشبه بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى تشبه بالرغوة وهو الصفراء ولو لم يفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيها من المائية ولولاها لما انتشرت في تلك العروق الشعرية ولا خرجت منها صاعدة الى الاعضاء فخلق الله تبارك وتعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا للكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما لم يدخل في تجويف الكبد بل اتصلت بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منها المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلث نقيا من كل ما يفسد الغذاء وقد اطلع الله تعالى من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا يدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حل بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق الاسود والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث الاستسقاء وغيره ● ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق آخر الى الامعاء ليحصل بها في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فينضغط حتى يندفع الثفل وينزلق ويكون صفرته لذلك ● واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل منها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل ● واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرت كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها تصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي آلات من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلتها ولا شيء منها الا وفيها حكمة او اثنتان او ثلث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فينعض ويرتج فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر الله تعالى وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها

وقوامها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليها من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرهما كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببها بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا يقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة تنطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة او بتطفية انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقتها انوارها التي كانت تستفيدها من الروح وهو انوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعمة الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن كفر بالله وتعسا وسحقا لمن كفر نعمته سبحانه ● فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه ● فاعلم ان هذه غفلة من الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعاني كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفتها ووجودها وكيفية سريانها في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء بها حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل ● واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم يصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق ● واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف الانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن انه راى الملك ولا يشك في ان خطاه فاحش وهذا الخطا افحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله ان يتحدث به بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي ● واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ● ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل

الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة

لان يعطيها الآدمي بعد ذلك بشهوته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركته في البيت لم يزد لانه ليس يحيط به الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائه ولو تركته في الماء لم يزد ولو تركته في ارض لا ماء فيها لم يزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤه بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو ترك في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركه في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليه ثم الهواء لا يتحرك اليه بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيه واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما الالقاح في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الخريف والربيع على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة اليه فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك له في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال ضربتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة فالمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة بعضها معلومة للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السماوات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السماوات والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رأيت لعب المشعبذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذن المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك

اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد يبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن او تنهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين واحسن احوالهم ان يأخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدائد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما يحتاج اليها الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة

اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض والثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الآلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر اعمال الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة ما عمل الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلا لعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله تعالى عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل مثل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا من غيرها فسبحان من الحق ذوي الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك

كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت مشيته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم
دون الاستقصاء **الطرف السابع في اصلاح المصلحين** اعلم ان هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اداؤهم وتنافرت طباعهم
تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله
بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا
وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم
هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والتنافر
فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف
هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض
فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد
ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحارث والحارث بالحجام وينتفع كل واحد بكل
واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر
كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في
ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوا وهم اليه في اصلاح
الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة
بينه وبين الله فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح
آلات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصانعين والانبياء يصلحون العلماء الذين هم
ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال
ومنشأ كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا اعزازه ايانا عن ان نطمح ببعض الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه
لتشوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا
وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء
الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار **الطرف الثامن
في بيان نعم الله تعالى في خلق الملائكة** ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم
ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة
الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية
والارشاد وغيرهما اعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يتغذى الا بان يوكل به سبع من الملائكة هو اقله الى عشرة الى
مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما
وعظما فاذا صار لحما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع
لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير
لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله تعالى عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمة الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك
آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم والعروق ولا بد من خامس يدفع الفضل
الفاضل من حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من
سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ
على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع الى فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق
الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل
والا بطلت الصورة وزاد في بعض المواضع وضعف في بعض المواضع بل لو لم يراع هذا العدل في الغشية والتقسيط فساق الى راس الصبي

وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الى احدى الرجلين مثلا لبقي تلك الرجل كما كان في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل
وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه
يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهؤلاء هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح
وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزأ حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب
الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد
الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت
جبار السموات والارضين مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات
والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد بها فان قلت فهلا فوض
هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم
الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعها كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها
بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة
تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة
بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس
فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل
بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن
والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني
الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع
الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار
لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا
يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم
يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك
فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه
نعمة الله تعالى عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا
لا نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف احاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا
قد اسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء
الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو شكر النعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم
الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات
والارضين والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل تطريفة نعمتين
في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن
الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمع ونعمة الله تعالى
في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا من الهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان
من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق
لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء اشباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج
وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة
فيطبقهما مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته
جفن خلق له يدان فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار وانا تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل
يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى

وما بينهما فان كل ما خلق الله تعالى في الملكوت السموات والارض ع

فلنرجع الى غرضنا فنقول قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان ولا يقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا بالراس ولا الراس الا بجميع
البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالما والارض والهوا والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شي من ذلك الا بالسموات ولا السموات
الا بالملايكة فان الكل كالشي الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضا البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود
من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس
اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وان الملايكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة
لا يمكن احصاوها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بطرفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة حسنة
تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى ايوب ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان
فاذا شكرني على نعماي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندي
اني اشكر شكرهم وملايكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة • فاعلم ان في كل نفس ينبسط
وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق
قلبه بانقطاع روح الهوا وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من
عشر لحظات فعليك في كل لحظة الف الف نعمة وفي كل جزء من اجزا بدنك بل في كل جزء من اجزا العالم فانظر هل يتصور احصا ذلك ام لا ولما انكشف
لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت
اصلها وان طمنت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه
يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع عينه في العالم على شي ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله تعالى فيه
نعمة عليه فلنترك الاستقصا والتفصيل فانه طمع في غير مطمع **بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر** اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر
النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا النعمة ظنوا ان الشكر عليها ان
يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريد بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد
حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلا الشيطان **اما الغفلة عن النعم** فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما
يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل
واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم لحظة انقطع الهوا عنهم ماتوا ولو حبسوا في
بيت حمام فيه هوا حار او في بير فيه هوا اثقل برطوبة الما ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشي من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا
غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة
في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم
الخلق وبذل في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السو حقه ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة
فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة
وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة
الف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الف قال لا قال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا
فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا فقال اما تستحيي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا • وحكي ان بعض القرا
اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان قايلا يقول له تود انا انسيناك من سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال
فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ماية الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه • ودخل ابن السماك
على بعض الخلفا وفي يده كوز ما يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك وبقيت عطشان فهل تعطيه قال
نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ما فبهذا تبين ان نعمة الله على العبد في شربة ما
عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مايلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر
اشارة وجيزة الى النعم الخاصة • فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله تعالى نعمة او نعما كثيرة يخصه لا يشاركه
فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق
والعلم • اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض من الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقلما يسال الله العقل فان من شرف

العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر
واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى
فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي • واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما
يذمه من حيث انه يرى نفسه بريا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيي • واما
العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطا حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح
فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله تعالى فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه
مساويه فاظهر الجميل وستر على القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة
يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل من هذا الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه
الله في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او في ساير محابه
امورا لو سلبها عنه واعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا
لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض
به بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر
فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على
الجملة واما في امر خاص فاذا لله تعالى عليه نعمة ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض
فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر
الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله تعالى وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته
نفسه على سيية يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا
كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين
الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا • فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من
خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بايات الله تعالى
فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال ان القران هو الغنا الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من اتاه الله القران فظن ان احدا
اغنى منه فقد استهزى بايات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقران وقال الغنى غنى النفس وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا
اغنيته عن ثلثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال
اذا القوت ياتي لك والصحة والامن ۞ واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن ۞ بل ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من
نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى
في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة
واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلما من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار
وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجايه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الاخرة
بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ بدله هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان
لذة العلم دايمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة
ولا يفي مرجوها بمخوفها والمها بلذتها وفرحها بغمها هكذا كانت الى الان وهكذا يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها
العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى
اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عنا دايم وتعب قايم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غفل
وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقع ارباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبايلها ولا ينبغي ان تقول المعرض عن الدنيا
متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتالم المعرض يفضي الى اللذة في الاخرة وتالم

المقبل نقص في الأمر في الآخرة فليعز المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون فإذاً إنما السبيل طريق الشكر على الخلق جهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة وإن قلت فما علاج هذه
القلوب الغافلة حتى تستشعر نعمة الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله
تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصته أو أشعر بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبداً إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله
بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها الحدود وكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم
ثم يتأمل في صحته وسلامته فيستشعر قلبه نعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ومشاهدة الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون
بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى
أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً أما من عصى فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى
جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه
ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكونوا في الدنيا وقد بقي لهم من العمر ما بقي فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور
العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من الأنفاس فإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف
العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتستشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد
كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تأكيداً للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً وكان يضع غلاً على عنقه وينام في لحد ثم
يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن تعالج به
القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل
نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج
الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا تمام هذا الركن

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر
إذاً وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلاً من الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف
يشكر على ما يصبر عنه والصبر يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة
على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان وفقد البلاء نعمة وفقد النعمة
ولكن سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فالإيمان وحسن
الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق وإلى مقيد
أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما أبداً وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق
وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق
في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد
لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه تركه بل كل بلاء يقدر
الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر بل بإزالة الألم وإنما الصبر
على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذاً يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه
وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضاً
كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة
إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في
الأرض وقال إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه
وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن تكون
بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذاً نعمة في حقهم إذ قد سبق المعرفة كمال ونعمة فإنه صفة من صفات الله تعالى ولكن قد
يكون في العبد من بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش

وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده
وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفه أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه
في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ولو
عرف وآذى كان إثمه أعظم لا محالة فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إبهام الله أمر القيامة وإبهامه
ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإبهامه بعض الكبائر وكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله
تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن لله تعالى في كل موجود نعمة وهو حق وذلك مطرد في حق كل واحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام
التي خلقها في بعض الناس وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم فإن لم تكن نعمة في حقك كالألم الحاصل في المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه
بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهي أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فمصائب قوم عند قوم فوائد
ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم به ففرح أهل الجنة إنما تضاعف إذا تفكروا
في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليه من حيث إنها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم
بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فإذاً
فصح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فإذاً في خلق البلاء أيضاً
نعمة إما على المبتلى وإما على غير المبتلى فإذاً كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعاً
فإن قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من
وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل
بها ويشكر عليها أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى ولو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا
كان يرده ويحجزه فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا الثانية أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل
اللص بيتي فأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى صلى الله عليه
في دعائه إذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى فيها علي أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم وإذ لم
أحرم الرضا فيها وإذ أرجو الثواب عليها وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له اشكر الله تعالى فضربه
فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون فقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فأرسل إليه فقال اشكر الله تعالى فكان
يحتاج المجوسي أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف حتى يقضي حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى هذا وأي بلاء
أعظم من هذا فقال لو وضع الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فإذاً ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في
سوء أدبه ظاهراً أو باطناً في حق مولاه لكان يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة
فهو مستحق للشكر ومن استحق أن يقطع يديه فترك إحداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست
من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا
تخرج للاستسقاء فقد احتبست الأمطار فقال أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر فإن قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم
على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم أن الكافر قد خبئ له ما هو أكثر وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب
كما قال الله عز وجل إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منك ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى
وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم فمن أين
تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخر عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو
أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن يؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة
تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا
يعاقب ثانياً إذ قال صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أذنب ذنباً فيصيبه شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً الرابعة
أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من
جميعها فهذه نعمة الخامسة أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه
نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر

جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء فقد تكون اسبابا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي
هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شيء من هذه الاسباب
يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله تعالى
واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه
واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء
بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى
السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمومن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له

الوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من
غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب الى الدنيا والانس بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته
واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها غاية اللذة
كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحيوة الدنيا
ورضي بها واطمان اليها والمومن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا
في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذه الجهة فيجب الفرح به واما
التالم فضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك
تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من
دخل دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه لانه يورث له الانس بمنزل
لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه
والدنيا منزل والناس دخلوها من باب الرحم وهم خارجون عنها الى باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلبهم
عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان
الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يومن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة • وحكي ان اعرابيا
عزى ابن عباس على ابيه فقال • اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس • خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس
فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به
خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز من قائل من سلبت كريمتيه
فجزاؤه الخلود في الجنة والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي عليه السلم لا خير في عبد لا يذهب
ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال صلوات الله عليه ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا
يبلغها بعمله حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في
ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله الا تستنصره لنا فجلس محمارا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل فيحفر
له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه قال ايما رجل حبسه
السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر
مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر
والمرض والموت • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا
وثجه عليه ثجا فان دعاه قالت الملئكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني
شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير او ادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء باهل الاعمال فوفوا
اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصيام والصدقة والحج ثم يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينشر لهم الديوان يصب عليهم
الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء

وفوا

من الثواب فلذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شكا نبي من الانبياء الى ربه تعالى فقال
يا رب العبد المومن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي
عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا
واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته
في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه
الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا ما تجزون به يعني
ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله تعالى ما يحب وهو مقيم
على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم
ابواب الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة • وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان رجلا من الصحابة راى امراة كان
يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه فاخبره فقال النبي
عليه السلم اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله تعالى قالوا بلى
فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه في الدنيا فالله اكرم
من ان يعذبه يوم القيامة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غضب ردها
بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله تعالى من قطرة دم اهريقت في سبيل الله تعالى وقطرة دمع في سواد الليل
وهو ساجد ولا يراه الا الله تعالى وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من الخطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء
انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلم فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا
فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للاخر ما تقول فقال الاخر اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال
سليمان عليه السلم ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب
سليمان عليه السلم الى ربه تعالى ولم يجزع على ولده بعد ذلك • ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي
من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحبه احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال
عورة سترها الله ومونة كفاها الله تعالى واجر قد ساقه الله تعالى ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى حيث قال واستعينوا
بالصبر والصلوة الاية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام
فقال ابن المبارك اكتبوا عنه • وقال بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى
ليتعاهد عبده المومن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله تعالى يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة انفس على اربعة
اجناس على الاغنياء بسليمن وعلى الفقراء بعيسى ابن مريم وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله عليهم • وروي ان زكريا عليه السلم
لما هرب من الكفار واختفى في الشجرة فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة بالمنشار فلما بلغ المنشار راس زكريا ان منه انة فاوحى الله تعالى
اليه يا زكريا لان صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلم على الصبر حتى قطع بشطرين وقال ابو مسعود البلخي
من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه تعالى • وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار
والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله تعالى قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما
اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ
ثلثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك
وفضائحك

بيان فضل النعمة على البلاء لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا ان نسال الله تعالى البلاء
فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول هو والانبياء
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسالك الصبر
فقال صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله تعالى البلاء فسله العافية وروى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية
فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن
وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي

من ان ابتلى فاصبر وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار
نعمة باعتبار امرين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منها اما في الدنيا او في الدين والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان نسأل الله
تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه ونسأله الثواب في الاخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر
فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال سمنون
وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر
فكان يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان يكون هو في النار دون سائر
الخلق فغير ممكن ولكن قد يغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه محب لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام
ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق
يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كانت تراود زوجها فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن
عليه السلام ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمن عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقول الشاعر
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال فما اراد الهجر فكيف اراد
الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يلتمس رضاه الذي يتوصل به الى مراد
الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا وسيلة الى الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله
مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه
رضا فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد
ما فيه الرضا فلذلك فقد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضى الله تعالى عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير
شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يستبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا
تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه
لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والاخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون هما
سيان وقال اخرون يختلف باختلاف الاحوال فاستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل
المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان **المقام الاول** على سبيل التساهل وهو ان ننظر الى ظاهر الامر ولا نطلب
بالتفتيش تحقيقه وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو
الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل بالطيور البياض
وضروب الحلاوة بل باللبن وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا له بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته
فنقول هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر
فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضايل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل
كقوله عليه السلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر
اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت
لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم
الشاكر بمنزلة الصايم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر وكان هذا
منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاقه للشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج الفقراء
وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن والمشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان
لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم
والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه واخر اصحابي
دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لغناه وفي لفظ اخر يدخل سليمن بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب
الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال

الفقر والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثاني** هو البيان
الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار حقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع
الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة مع الجملة بل يجب ان تفرد الاحاد بالموازنة
حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه
المقامات تنتظم من ثلثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلثة اذا وزن البعض منها بالبعض
لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الافضل فاما ارباب البصاير فالامر عندهم بالعكس
من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة
افضل منه واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى البعض وكذا احاد الاحوال اذا اضيف بعضها
الى البعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة
ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان يعلم ما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر
بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فايدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله
تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وارفع علوم المكاشفة معرفة الله تعالى وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة
ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها
من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كانت تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله
تعالى فان بعض المعارف يفضي الى البعض اما بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهي افضل
واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق
تعالى فاذا فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة كما ان تصقيل المرآة يحتاج الى
ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب
هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليها
وكل عمل فاما ان يجلب اليها حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليها حالة مهيأة للمكاشفة
موجبة صفاء القلب وقطع علايقها عن الدنيا واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته
متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا
بالقول المطلق ربما نقول الصلوة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن
التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليال وصيام ايام لان
الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما
هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الاحوال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم
خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا اشتغل بدواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك
الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام ماية سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال
فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال تختلف الاعمال وعند ذلك
يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ ولو قال لنا قايل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب الا ان الخبز للجايع افضل والماء للعطشان
فان اجتمعا فينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب
النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين يراد
له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا
من القلب وتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة ودونه الحالة ودونه العمل فان
قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات
فكيف لا يكون الفعل وهو الانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء يراد لعينه او على انه افضل
من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه

فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه
فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه
مثالا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم والقرآن واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة
ليبقى له محفوظا فقال انه محفوظ ولا حاجة بي اليه لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على
ذلك بالجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيستكبر هذا
الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا [illegible]
لابي بعقد هؤلاء العبيد فضلا من عدم علمهم بالقرآن فربما اتكل بسبب هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى
العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخداع والمثال طايفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا
وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف
اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا
شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين او لاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا
لله فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات
صفة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا
يبين لك ضلال من ضل في هذا الطريق فاذا المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو
كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون
له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها
وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في
ربع المهلكات والقلب بحسب تاثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة
فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى الخصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز
ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت
معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعنا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى
من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما
يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع الى
ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فاثبات باعث الدين في مقاومة باعث
الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به
باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلثة الطاعة والمعصية
والبلايا وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ضروري كالعينين مثلا واما يقع في محل الحاجة
كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب العمى في بعض
المعاصي وشكر البصير عليه من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصيته والآخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين
لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقعت عينه على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع
النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرهما
بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله تعالى فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان رتبة شعيب عليه السلم
مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلم وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلم لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب
الاطراف كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من
الدين وشكره استعماله فيما هو آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال
فانه اذا لم يعط الا قدر الضرورة وما وراءه محتاج اليه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف

الى الخيرات ولا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح
بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء او ترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة
اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصيته بل يصرفه الى
التنعم المباح فالصبر ها هنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله
الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته
واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر
صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب
وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على
اجر الشكر في الاخبار والآيات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعم الاموال والغنى به والسابق الى الافهام
من الشكر ان يقول الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة
والى المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح
في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتنعمها وتفرحها فاذا كان الاثنان قايمان لله
تعالى بشرط ما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر
في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر
فدعا عليه الجنيد فلحقه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع
الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير
صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من ماله
الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها
ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل
على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر الم الصبر فان كان هذا متألما بفراق المال فيتجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم
ان الذي تراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما ينتزعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا
فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبه وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتادب اكمل من الكلب
المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير
ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل
البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراد من عموم الخلق فاذا ذكرت لا تفصل
الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق فتفصل
فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر
مع الالم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل
في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله تعالى عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر
والمعرفة بعظيم حلم الله وكثيف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر
ايضا نعمة من نعم الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر اذ قال عليه السلم من لم
يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي
النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات
مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار فقد روي عن
بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك
كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم
يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة

كل ليلة البس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ • فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة على شكر
الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذا لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم بالصواب
تم كتاب الصبر والشكر • الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين وسلام

كتاب الخوف والرجاء

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى
ساقهم بلطائف الائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف وزجر العنيف وجوه
المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر
والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى اله واصحابه وعترته • اما بعد فان الرجا
والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن
وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضا الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم
والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذا من بيان حقيقتهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول
في الرجا والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي
يجتلب به الرجا

بيان حقيقة الرجا

اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما
يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض
فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا
الان حقيقة الرجا والرجا ايضا يتم بعلم وحال وعمل العلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم للحال من جملة الثلث وبيانه ان
كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى
سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما يسمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد
خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا
وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجا فالرجا هو ارتياح القلب
لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق
وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا
معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه واما
ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها وقت المغرب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف
انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها
ومجرى حفر الانهار وسياقة الما اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة
يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض
سبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما
يحتاج اليه وهو سياق المياه اليه في اوقاته ثم طهره عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله
دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجا وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب
اليها الما ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجا وان بث البذر في ارض طيبة ولكن
لا ما لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجا فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار
محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع

والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديه فانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى
الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجا حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الشرع والايمان
في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب
لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله سبحانه وتعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا • وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن
الساعة قايمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا • فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من
فضل الله تعالى تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة • واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان
يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية يسوه السيئة ويسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة
ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة
وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه
ان اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم ايضا قد يرجون رحمة ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من
ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاوه المغفرة حمق كرجا من بث البذر في ارض سبخة
وعزم على ان لا يتعهدها بسقي ولا تنقية • قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع
القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل والتمني على الله تعالى
مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية
الاسباب على الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاوه فلا يزال يحمله صدق الرجا على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل
حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض
سبخة وان الما معوز وان البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم وهو
ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجا بل هو رفيق له كما سياتي بل هو باعث اخر بطريق الرهبة كما ان الرجا باعث بطريق الرغبة
فاذا حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله عز وجل
والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان يظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف
لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجا والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو
البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم جئت لاسالك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت
على شي منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك
بالاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي شي من اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير
من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد
الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجا لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن
الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس • وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه
اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة
اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال قال الله تعالى انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شا ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال
ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط
لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله تعالى اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا
غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم الاية وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقاه الله تعالى حجته

لقاه الله خ

من حسن بذره وطاب ارضه وغزر ماءه خ

قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال الله تعالى فقد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز عن المعسر
فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات
قال عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان
تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني
الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا
الجميل ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجا فقيل له ما فعل الله بك قال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي حملك
على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورؤي يحيى بن اكثم في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين
يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك
ان لا تعذبني فقال تعالى صدق نبيي صدق انس صدق الزهري صدق معمر صدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى
بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيمة
اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا ينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
لجبريل عليه السلام اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى
مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله
تعالى اذهبوا به الى الجنة دل على ان رجاءه كان سبب نجاته **بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل حال الرجاء ويغلب** اعلم ان هذا الدواء
يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه
واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور
المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء
لمن غلبت عليه البرودة وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب
ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات
والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا
الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضا تكاد لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب
فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب
واستنطاق الخلق بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي رضي الله
انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس او فيمن غلبه الخوف
اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى
يستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شيء من الادوية
صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار **اما الاعتبار**
فهو ان يتأمل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم في كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة
الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له
كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به
مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة
كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى
انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب
النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا
الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد

وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تأمل حق التأمل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها
في مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيه من الرجا
فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول آية ليهدي عبده الى طريق
الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه **الفن الثاني استقراء الآيات والاخبار** فما ورد في الرجا خارج عن الحصر
اما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها
لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين
وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي عليه السلام لم يزل
يسأل في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجا آية في كتاب الله تعالى قوله يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن اهل البيت نقول ارجا آية في كتاب الله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى **واما
الاخبار** فقد روى ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل
والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه
الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار
وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه اني اجعل حساب امتك اليك فقال
لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا
رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري
لئلا تنظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع الشرائع
واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله
عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع
صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقال العلماء قد اتم نعمته
علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى
للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد
حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب
الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها
سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى القي من
حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس في حديث انه عليه السلام قال اذا اذنب
العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته قال
الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى ان الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها
صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله عز وجل الى سبع مائة ضعف واذا هم بخطيئة لم يكتب
عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله تعالى وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب
وعينيك من اثنين النظر الى ما حرم الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي حديث طويل لانس
ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي
فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صدق الاعرابي الا ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة

وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المومنون
كلهم اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المومن افضل من الكعبة
والمومن طيب طاهر والمومن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده
الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما خلق الله شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه
قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن
كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة
من ايمان وفي خبر آخر لو اعلم الله تعالى الكافر سعة رحمته ما ايس من جنته احد ولما تلا صلى الله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم
فقال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلم قم فابعث بعث النار من ذريتك فقال كم فقيل من كل الف تسعمائة وتسع وتسعين الى
النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وقال
ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها
الا الله تعالى انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف يسوق الخلق بسياط
الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم
بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن منافيا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا
الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فليتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر
لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون ليغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب
قيل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله
يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر عنده منها
تسعا وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان
يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله تعالى
الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال اعملوا
وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين
وقال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمومنين في قولهم
ولا تحمل علينا اصرا الآية وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي انه قال لما نزلت قوله تعالى
فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى اكرم من ان يعاتب من عفا
عنه فبكى جبريل عليه السلم وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلم ويقول كيف اعاتب من عفوت
عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى **واما الآثار** فقد قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا
فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني
عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف
المومن اذا عصى الله تعالى ستره الله عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه ان العبد اذا
كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو فيقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى
حتى متى تحجبون صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي
الطواف ليلة وكانت مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت
يا ابراهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المومنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب
المومن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي
مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساك

فرحا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على
نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر
ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت
في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان
يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة
ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد
تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلم وخلفه عابد من عباد
بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه ولو نزلت فكنت معهما ثالثا فنزل فجعل يريد ان يدنو
من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي
الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلم فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم قل لهما ليستانفا
العمل فقد احبطت ما سلف من عملهما اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازرى على
نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة
عنقه حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله تعالى لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى
علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب منه ما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلوته
فنزل ليقطع طرفا من الذين كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك الى الاسلام
وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب
ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسال
النجاة من النار فاعطيت كل عبد سوله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منه على الخائف فكم من فرق
في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه
سلوا الله تعالى الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه
شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري
ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد
رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في
الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلم فقال
ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلم يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على
كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم خلف المجوسي واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا
يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له
كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال يا استاذ بم نلت
هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج راى في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء فجاؤا
ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السوال كانه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي
الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما
من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال
لفقير شيئا ويقول من دفع اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال
لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الآخر قال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الآخر قال ان يتوب الله تعالى على سيدي
فدعا وقال الآخر قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور ورجع الغلام فقال سيده لم ابطات فقص عليه القصة
فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم قال لك اربعة آلاف درهم
قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر قال هذا

الواحد ليس الى قطابات تلك الليلة رأى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك ترى اني لم افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام
وللمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين ● وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال
فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكن
صغروا امره فقلت وايش كان هذا فقالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا فرأيت تلك الليلة كانه
اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار
الناس اياي وقال ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون
ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا انما
سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ● وكان بعض الصالحين من السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك
ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى
كانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجتلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا
شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر النفوس لا تصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيمون الا
بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء
الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال
الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الرجاء والخوف فانهما زمامان يمنعان النفس
عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها
فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود
غاية المقامات ولكن الآن انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل ● اما العلم فهو العلم بالسبب
المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب
قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام
خاليا عمن يتشفع اليه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب
لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف
بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهو سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه
بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان
والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق
هو الخوف فكذا الخوف من الله تعالى تارة يكون بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون
بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل يكون قوة خوفه
فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا
كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول
والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط
واليأس ● واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف
من بكى ومسح عينيه بل من ترك ما يخاف العذاب عليه وقال ابو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه
وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم يحتمي مخافة طول السقام ● واما في الصفات فهو ان
يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه
سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد
والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة

والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه
يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى
عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب
قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره
في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن
ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به البأس وهو الصدق
في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى
نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة
فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف مؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو
كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم
الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما تقول الانسان اما عربي او عجمي
والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا
فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه وكذلك اذا قلت انه صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف
ولا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ
المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا
واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر
كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة
ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو
الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع
وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو
كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية لا يؤلمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا
العارفون والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلماء بالله وبا
وبافعاله وذلك مما عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت
واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا
تستحق ان تسمى خوفا ● فاما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل
والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز
اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه ● واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه
فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به
فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى
القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله من الدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم
وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي
الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر
الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحيوة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم
فان قلت فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما ● فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف
كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله
تعالى وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل السالك سبيل الله تعالى بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة

شهيد وشهدا ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن
هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي تعطل العمر تعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة
الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة
النبيين والصديقين فاذا الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات
بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة وان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر
درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك
مع بقا الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل او الصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب
الرجا وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار
واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي لادائها الى مكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت
ولا بد لكل خايف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه
ومقام الخايفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب
عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفا بتمام حقوق الله تعالى او خوف زوال
رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلا العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله
تعالى الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله تعالى او خوف البطر بكثرة نعم الله تعالى عليه او خوف الاشتغال عن الله تعالى او
خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوايل طاعاته حيث يبدو لهم من الله تعالى ما لا يحتسبون او خوف تبعات الناس
عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح
قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة
السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فايدة وهي سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى
المخوف فمن يخاف استيلا العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن
الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال
المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضا في ام الكتاب
والخايف من الخاتمة بالاضافة الى الخايف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه
تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الاخر
بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهو التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع
فكذلك الالتفات الى القضا الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله تعالى كتب فيه اهل الجنة باسمايهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى
وقال هذا كتاب الله تعالى كتب فيه اهل النار باسمايهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقا حتى يقال كانهم
منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم
ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضا الله تعالى والشقي من شقي بقضا الله والاعمال بالخواتيم وكما
ان اقسام الخايفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا
محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات
فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله عز وجل خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف
صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله تعالى حق المعرفة يخاف الله تعالى ولم يخف معصيته
ولولا انه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها وسهل له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق
منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها فلا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت
له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شا ام ابى وكذا المطيع فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم

الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة
جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا
والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي
اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف
يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضا الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي كما يشا ويحكم كما يريد حزم عند
كل عاقل وورا هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه تعالى في صفاته الا بمثال ولولا اذن الشرع لم يستجرئ على ذكره
ذو بصيرة فقد جا في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان
كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت
اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك
شفقة عليك وابقا على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة
اذ لا ينقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي
اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلا في الجنة ولا ابالي وهؤلا في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة
والخوف المعرفة بالاستغنا وعدم المبالاة

الطبقة الثانية

من الخايفين ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت
وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحيا من كشف الستر والسوال عن النقير
والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها وانكالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار
النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف
احوال الخايفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب من الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين
والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف
النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله تعالى لولا منع الشرع اياه من
انكاره فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين بالنظر الى الالوان
والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهايم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس
اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخايفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشي بقدر
غنايه في الافضا الى سعادة لقا الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقا مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله
فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقا الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة
الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع
حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشي كما
تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات
ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال
الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر
وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخايفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال تعالى هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلما فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جا في خبر موسى عليه السلام واما الخايفون فان لهم الرفيق
الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلما والعلما لهم رتبة مرافقة الانبيا لانهم ورثة الانبيا وهم
الرفيق الاعلى هو الانبيا ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقا في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى
كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضايلهما حتى
ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال

الحمد لله رب العلمين والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولذلك
وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم
مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب
ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم
بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم
ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان
اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلوا الجنة بغير حساب
وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل
من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبر ما رايته قط • فقال يحيى بن معاذ
ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلام انه تعالى يقول واما
الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى
اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلى شيء منها عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد
جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء وقال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا
واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا • وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون
من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب
وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين
وقيل ليحيى بن معاذ من امن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع
بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك
حتى يدركك الخوف • وقال ابو سليمن الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات
الواردة في الامن من مكر الله تعالى وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن
كما ان ضد الرجاء الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل
ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فهو اذا
لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر
وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو
مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو
الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة واذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد
طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود
المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى ويدعوننا رغبا
ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وكذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء وقال تعالى لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما
ورد في القران الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل
البكاء من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال
تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن
يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله تعالى على النار

وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم
لا يلج النار احد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال نعم
من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم اهريقت في سبيل الله
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال
صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك • وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقال بلغني ان
النار لا تمس موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ
حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمن الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم ترهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم
القيامة فان سالت دموعه اطفى باول قطرة منها بحارا من نيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمن البكاء من
الخوف والرجاء الطرب والشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله تعالى حتى يسيل دموعي على وجنتي
احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار
وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا
انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت
انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
اقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب
وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم
كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء
وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق
المسبب

بيان ان الافضل غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت
وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل
ام الماء وجوابه ان الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا
فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما
القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف افضل وان كان
الاغلب هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا
الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفرا ومرض الجوع
اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب • فان نظر الى مطلع الخوف
والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة
كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام • واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه
المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم
اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي • فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل رجاؤه
وخوفه ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك
ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله تعالى رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وقال عمر
رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا
ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر
ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاؤه • فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على الاغترار

فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي ان يستوي خوفه ورجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجا وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها وجا بجميع شروطها غلب على قلبه رجا الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقين • فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض وطهارتها وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وانما مثال مسئلتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري اتكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده وجا بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والريا وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة ان قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة انه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقا قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفا عيبه منه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر • وفي رواية الا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه • واما غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستندا الى الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون الياس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبد الله بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبد بالخوف والرجا استقام في محجة الاذكار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبد بالرجا فهو مرجي ومن عبد بالمحبة فهو زنديق ومن عبد بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته • واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقا الله تعالى فان من احب لقا الله تعالى احب الله تعالى لقاه والرجا تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى يثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب عند الموت على القلب حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه • فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعد لعباد الله الصالحين مما لم تر عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين

ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الما البارد والغرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا من القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا • ولما حضر سليمن التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلما حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكر لهم آلائي ونعماي فاذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله تعالى وانما يحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمن الداراني في المنام وهو يطير فساله فقال الآن افلت فلما اصبح سال عن حاله فقالوا انه مات البارحة

بيان الدوا الذي يستجلب حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منه فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرايصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته • واما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته • فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر والمطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته • فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير • واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في دجلة وهذه خشية العلما حيث قال انما يخشى الله من عباده العلما ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيجترئ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع وراى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شا ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشا ولا يبالي

ويحكم ما يريد ولا يخاف قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله هؤلاء في الجنة
ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يمدّ المطيع باسباب
الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يمدّ العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة
كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف
لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبّر صلى الله عليه وسلم اذ قال حج آدم موسى وقال خلقك الله
تعالى في الجنة ونهاك عن الشجرة وفعل بك كيت وكيت فاكلت الشجرة واخرجت نفسك وذريتك من الجنة فقال آدم وهل كان ذلك مكتوبا
علي في الازل قال نعم فقال صلى الله عليه فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين
المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد
فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب
ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان اضيف الى علم الله تعالى لم يجز ان يسمى اتفاقا
والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك
وانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع
هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله ● فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق اسباب العذاب
واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا للاسباب
شاؤا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا للاسباب شاؤا ام ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة
فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى يفاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار
والآثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى
لانهم الانبياء والاولياء والعلماء ● واما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد المرسلين الاولين
والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار
وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله تعالى
وما ادري ما يصنع بي ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمن بن مظعون
وكان من المهاجرين الاول فقالت ام سلمة هنيئا له الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان ● وقال محمد بن خولة
الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضائل علي
ومناقبه وروي في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه
وقتلت في سبيل الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل عليه السلام
على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه من هذه المتالية على الله تعالى فقال المريض هي امي يا رسول
الله صلى الله عليه فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه يقول
شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من
الابعاد كقوله الا بعدا لثمود الا بعدا لعاد الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ
لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة
اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا منخفضين في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف
الخاتمة اذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله
تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ● والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه
قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ
لكم ايه الثقلان وقوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي
ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن الآيتين وقوله وان منكم الا واردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم

الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله وقدمنا الى ما عملوا من
عمل الآية وكذلك قوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر الآية ● فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء
مع ما فاضت عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
وجبريل بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله تعالى هو علام الغيوب
وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله تعالى قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد
امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله تعالى وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض
بجبريل في الهواء فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه وابرهيم الذي وفى اي
بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى عليه السلام حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال لا تخافا انني معكما ومع
هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتباس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف
انك انت الاعلى ● ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الارض احد يعبدك
فقال ابو بكر دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه
مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن
بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة عرف قصور معرفته عن
الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما يقال له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
تعالى قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم الآية ● فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس اليه من الامر شيء وان الامور مرتبطة
بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان
وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشية من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من
امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد
ثم يخبر عنهم ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم الآية
فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر آنفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم
واستقراء الخاتمة من حال الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير
والعمل علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات
كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك
موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانه وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس
من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله تعالى لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم
من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس
وتقطعت القلوب من خوف تقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة
فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب ● وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام
عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله
ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم
الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ● ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله
تعالى اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله تعالى بامثال الجبال من الخطايا وحكي
عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه
واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا
بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد

عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول
إذا توجهت إلى المسجد كان في وسطي زنار أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس
مرات وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وروي في أخبار الأنبياء
أن نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن
تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه فقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ
أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر
وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أني أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال
صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق
حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي لفظ وإذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون
النفاق بتفاسير لا يخلو عنها إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل
والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونه منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب
عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله عليه السلام فيصير بها منافقا إني لأسمعها من
أحدكم في اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن يكره من الناس ما يأتي به نفسه وأن يحب على شيء من الجور
وأن يبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق أن إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم
بما يقولون فإذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع
فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك
ما روي أن نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون
فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق
وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان
فيه مغرز إبرة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها
النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم
لبعض العارفين إني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة
والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله تعالى صانع فيه
وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

بيان معنى سوء الخاتمة

فإن قلت إن أكثر خوف هؤلاء رجع إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين
إحداهما أعظم من الأخرى **فأما الرتبة العظيمة الهائلة** أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما
الجحود فيقبض الروح في حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي
البعد الدائم والعذاب المخلد **والثانية** وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل
ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه
إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة
لا تأخذ إلا المحجوبين فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله عز وجل فيقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك
أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى
للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال
فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ
في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة

فجر خ

إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار
ولو بعد ألف سنة فإن قلت فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة
فاعلم أن من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الإيمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو أن القبر
إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنان وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الأخبار فلا يفارقه
روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند
الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية
إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته
ولا تظنن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فيجمع الأجزاء المتفرقة وتعاد
الروح إليه الذي هو محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما
على حالة تضادها إن كانت والعياذ بالله شقية فإن قلت فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة فاعلم أن أسباب
هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين أحدهما
يتصور مع تمام الورع والزهد والصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد فإن عاقبته مخطرة جدا وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهبا
وأقول إنه بدعة فإن بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده
على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر وإما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فإذا قرب
الموت وظهرت ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا إذ حال الموت
حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند
نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لأجل إحالته فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له
إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله تعالى ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته
عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم
له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل
قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون
في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن
هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الأمور على ما هي عليها فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف
ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما
نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر
أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجملا راسخا كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر
ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا أصغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة
البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله
جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها
كؤود ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلب بما جبلت عليها من حب الدنيا محجوبة وما ذكره
الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما ألقي إليها في مبدأ النشوء آلفة وبها متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق
مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والمأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الأمر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات
الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فإذا فتح باب الكلام في الله تعالى وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم
واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي كمال الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب
المصغين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة
ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان
وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أن ما وقع له من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وسيعلمون نبأه

بتعجيل وينبغي أن يتمثل في هؤلاء عند كشف الغطاء ما قال • أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر • واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسله وكتبه
وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرمي به موج إلى موج فربما يتفق أن يلقيه
إلى الساحل وذلك بعيد والهلاك أغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرروها في
تعصباتهم أو دون الأدلة إن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا به فهو آمن من مكر الله تعالى مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث
فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر
وأنى يتيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد
الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة • وأما الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان
ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس لا يظهر له أثر في مخالفة
النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب
على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعني حب الله تعالى ضعفا
لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهو المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره
بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض لله بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا
أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها
هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها
مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله تعالى أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد
من هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه
ولهذا قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب
إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره • فإذا من فارقه روحه في حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهور
بغض فعل الله تعالى بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله تعالى
قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم
العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم
فضلا عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام • وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار
فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك لأن مقارفة المعاصي سببه
غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته وإن كان ميله الأكثر
إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله تعالى وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما يقبض روحه عند غلبة
شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى والذي لا يقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة
فهو أبعد من هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعته وقلبه بها
أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال
التي عهدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى إن المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في
اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بأسباب التجارة أكثر مما يراه الطبيب والفقيه
لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبه النوم ولكنه
فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة
لحصول ذكره في القلب طول الإلف وطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجحة ولذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات
الفاسقين فتكون غلبة الإلف سببا لأن يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل إليها نفسه فربما يقبض عليه روحه فيكون ذلك سوء
خاتمة وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك

آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة
فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما وإما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان
وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وإنما يكون ذلك بواسطة أو واسطتين مثل أن ينتقل من شيء إلى ثان ومنه إلى
ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام أسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات
الموت ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنه وفي قمع
الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات
الموت فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول
خمسة ستة أربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه له قبل الموت ولقد قال بعض العارفين من السلف إن العرش جوهرة يتلألأ
نورا فلا يكون العبد على حالة إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش وربما
يرى نفسه على صورة معصيته وكذلك يكشف له في القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح
وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة فإذا
رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت
الاختيار دخولا كليا وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فلهذا أعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا
أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه تعالى ولكن اضطرابات
الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمه الله
يصف لي وجه حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني
مناما لي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة والإنكار لما أقوله لك لما
جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال إذ قل ما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره
في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء
كما هي عليها من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله تعالى من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف
ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والأولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك
أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم تسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح
وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك ولكن أعجب
ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف
نجا من دنيا فسد فيها خيارنا • وكان الثوري يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الإسلام وبالجملة من وقعت سفينته
في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أكثر اضطرابا من السفينة وأمواج
الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وإنما المخوف عند الممات خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل
الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي
الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم
تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطة وكان موت الفجأة مكروها أما الموت فجأة
فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثالها إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة • وأما الشهادة
فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب
إذ لا يهجم أحد على صف القتال موطنا نفسه على الموت إلا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته فمن كان راضيا بالبيع الذي بايعه الله
تعالى به إذ قال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد
حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب
لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة
فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيه فاشتغل بالاستعداد له فواظب

على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك وينصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل طرفة واياك وان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله تعالى على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرده ضعيف الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا ينبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة وكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة فراقب انفاسك ولحظاتك واياك وان تغفل عن الله تعالى طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم • واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك • واعلم انه ان كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه • اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات • واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة وكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك تضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به البرد والحر عن بدنك وكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار واخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضروراتك امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك • واعلم ان متسع التاهب والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاة في غير وقت ارادتك ولم يفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانتك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عينك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان منها لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون •

بيان احوال الانبياء والملائكة في الخوف

روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصف تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرا صلى الله عليه آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق وروي انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال عليه السلام ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب

ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري • وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت افئدة الملائكة • وعن انس انه عليه السلام سال جبريل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبريل عليه السلام ما ضحك ميكائيل منذ خلق النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم • وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله صلى الله عليه لا اشتهيه قال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم لضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حيوة فانية فان الحيوة بيد الله تعالى الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزقا لغد • وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام الى الصلوة من مسيرة ميل خوفا من ربه • وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك • وقال الفضيل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل ان تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون • وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب اما ترحم بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك • وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فامر سليمان ان ينادي بصوت يستقرئ البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فليات قال فتاتي الوحوش من البراري والآكام وتاتي السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته ويغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فياتي سليمان ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيحكم بينهم • وقال يزيد الرقاشي

خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة الف قال وكان له جاريتان اتخذهما
حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنه دخل
يحيى بن زكريا عليهما السلم بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي
وسلكوا فيها السلاسل وشدوا الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب
فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه
خمسة عشر سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد
كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا
لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به
اضراسك عن الناظرين فاذن فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه وكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين
اتت اليه امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين • وقال له
يوما زكريا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا
كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى وقيل كان خليل عليه السلم اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له
الجبار يقرئك السلم ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وقال عيسى عليه السلم معاشر
الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب
في طلب الفردوس كثير • وقيل كان الخليل عليه السلم يقول مثل ذلك فهذه احوال الانبياء فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تعالى
وبصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطاير ليتني مثلك
يا طاير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة
وددت اني كنت نسيا منسيا • وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القران مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ
يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه
عمر خطان اسودان من الدموع وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون
ولما قرأ عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه • ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة
والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس
ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وقد سلم عن صلوة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت اصحاب محمد عليه السلم فلم ار اليوم
شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين
جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبتل ثيابهم والله كاني بالقوم
كانوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم • وقال عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفيني الريح في يوم عاصف
وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي ويأكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له
اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم • وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان
النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى
غشي عليه ثم افاق فقال وعزتك لا اعصيك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القران من
شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والاية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين ولست من المتقين اعد علي القول ايها القارئ فاعادها عليه فشهق
شهقة فلحق بالاخرة • وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف
البصرة وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة
ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت
ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه • وروي ان الفضيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة

حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس
عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا
وبين يدي ربنا موقفنا • ومر الحسن بشاب وهو مستغرب في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط
قال لا قال وهل تدري الى الجنة تصير او الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس
جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل • وقال عمر بن عبد العزيز
انما جعل الله تعالى هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا مت ان امرهم ان يقيدوني
ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلم
فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر
ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى عليه السلم لم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي
في يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وقال ابو جعفر منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الي نظر الساخط واعمالي
تدل على ذلك • وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي
لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه
ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا اغفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا
مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق • وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية
النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال النبي عليه السلم جهزوا صاحبكم
فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله قد بين لنا انا واردوا
النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها • وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة
عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين وكان لا يسأل الله
الجنة ابدا وكان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لا يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع راسه
الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون
قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام
وفينا كهول وشبان يصلون صلوة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم
على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله تعالى
المطيعين وكيف اهان العاصين فبينا هم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه
يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله تعالى في ذلك المكان • وقال
صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فصعق ثم افاق
وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا • وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلوة الغداة
فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين
اعلم انك اول خليفة تموت فبكى فقال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم اب الا ميت فبكى فقال زدني يا يزيد فقال
يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الاية
وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلثة ايام لا يقدر عليه • ورأى داود الطائي
امرأة تبكي على راس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا به الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري
فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل سألت الله
تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله عليه السلم لو تعلمون
ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا • وقال العتبي اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته
توجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما

مدرار ومان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورأى الفضيل يوما وهو يمشي فقيل الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والهاً من الخوف وقال ذر بن عمر لابنه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت اسمعت البكا من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة. وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله تعالى قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة الندا بالعرض على الله تعالى وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيا من بعض عجايب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحيا في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر فدخلنا عليه فقرات هذه الاية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستاذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرات ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستاذنا فاذا امراة من ورا الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فاني جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يودي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل. وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا ابدا فما راى ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت. وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هو قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا امير المومنين اني والله رايت عجبا فقال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جي بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجي بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جي بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جي بسليمن بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جي بك والله يا امير المومنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المومنين اني رايتك والله قد نجوت اني رايتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه. ويحكى ان اويس القرني كان يحضر القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المومن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام وياليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قدم لضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يومنني ان يكون الله تعالى قد اطلع في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل. وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي اري بك فقال يا ابا العباس ذلك اللفظ من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة. فهذه مخاوف الانبيا والاوليا والعلما ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفا القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا

ای صح

ذکره

واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله تعالى عنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول بلساننا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاونا وبه اغترارنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هايلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى التوبة سراير قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جا وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية احوال الخايفين على ما اوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خايف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت له زدني شيا عسى ان ينفعني فقال الظمان يجزيه من الما ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والريا وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطا ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الان قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم فوادك فضلا من ظاهر بشرتك والسلم ٥

تم كتاب الرجا والخوف

الحمد لله وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا ه

كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد له الظلال ويندك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل بصيرته المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيايه حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبها والكمال ما استقبح دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال فاستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوزة شوها عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلففة بجلبابها لتخفي قبايح اسرارها بلطايف السحر والاحتيال وقد نصبت حبايلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تحتوي معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبايح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس ذو فصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فنا ولا زوال والصلوة على سيد الانبيا وعلى آله خير آل. اما بعد فان الدنيا عدوة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيات وبغضها ام الطاعات واس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوايها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزوا العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد

منهما درجة في نيل السعادات وحظه في الإعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما
وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منها ونبدأ بذكر الفقر **الشطر الأول**
من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر
على الغنى وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبول العطا وبيان تحريم السوال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسوال
وبيان أحوال السائلين **بيان حقيقة الفقر** واختلاف أحوال الفقير وأساميه اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه
أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج به فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في
أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى
وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا
فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله والله الغني
وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى
أصناف حاجاته لا تنحصر لأن حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول
كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرا بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال
عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حالة باسم ليتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها **الحالة الأولى** وهي العليا أن يكون بحيث لو
أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهي الزهد واسم صاحبه الزاهد **الحالة الثانية**
أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا
الحالة الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه عفوا صفوا
أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب
مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الحالة الرابعة** أن يكون تركه للطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو
بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسمي الحريص **الحالة الخامسة** أن يكون ما فقده من المال مضطرا
إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة
وإما قوية وقلما ينفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو
أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده فإن
وجده لم يفرح به ولم يتأذ وإن فقده كذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها إذ أتاها مائة ألف درهم من العطا فأخذت وفرقت في
يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم يضره إذ
هو يرى الأموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن يكون في يده أو في يد غيره وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني
لأنه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فإن من
كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو إذا فقير من وجه وأما هذا
الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى الخروج وليس يفرح به
ليحتاج إلى الدخول فغناه إلى العموم أميل فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات
لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد
فإن استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله تعالى له ليبقى استغناؤه الذي زين
الله به قلبه فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي أعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا
العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين إصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني عليه مع هذا
الكمال إلا مجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا إذ
حسنات الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله
حجاب عن الله تعالى إذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون السموات والأرضون حجابا بينك وبينه تعالى فلا حجاب بينك وبينه إلا
شغلك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوات نفسك شغل بغيره تعالى وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال

محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله تعالى مثاله
مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو
في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه فكما
أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما
أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب
في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في البعد والمشغول
ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب
لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما
مستدبر للكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال
المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول وليس بمحمود بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج
منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها فلا ينبغي أن يظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى
ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي أن
يشتغل بالآخرة فتبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق من الحج فإذا ظهر أن الزهد
في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي والقانع
والحريص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغني بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك
بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته يؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن الماء محتاج إليه كما أن المال محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله تعالى بقدر الحاجة ولا أبخل به
على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووثقت
بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان
الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها إلي فإن العدو يوسوس إلي أن اللص قد أخذها فقال
أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فتبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها بسببه
الضعف والنقصان فإن قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فأقول كما هربوا من الماء على
معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم فتفرقوا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونها مع أنفسهم بل تركوها في الأنهار والبراري
للمحتاجين لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبها أو بغضها وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر
فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فإنما
أن ينقل عمن خاف لو أخذه أن يخدعه المال ويتقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في
حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإنما ينقل من قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا إلى
درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن
أخذها ولكن لعلمه فإنه لو أخذها لأخذها أولاده إذا رأوه وهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء فقد
عرفت إذا أن المراتب ستة وأن أعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص وأما المضطر فيتصور في حقه
أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة أما تسمية
المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل أن يسمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء
استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها فإنه أحق باسم العبد من الغافلين
وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين
هذين المعنيين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قوله عليه السلام أعوذ بك من الفقر وكاد الفقر أن يكون كفرا لا يناقض قوله
أحيني مسكينا وأمتني مسكينا إذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى
الله هو الذي سأله في دعائه **بيان فضيلة الفقر مطلقا أما الآيات** فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من

دیارهم واموالهم • وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح
الفقر **واما الاخبار** في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير
فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال
فقير يعطي جهده • وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الفقير
المتعفف ابا العيال • وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام • وفي حديث آخر باربعين خريفا اي
اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني
الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجتين
من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه يجري
على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان
يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع
من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة
المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف • والثاني ان له في نفسه صفة بها يتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا
صفة بها يتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى • والثالث
ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات • والرابع ان له صفة بها يدرك ما
سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيها من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم
ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف
تقسيمها الى ستة واربعين بحيث يقع الرؤيا الصحيحة واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون
الا بظن وتخمين ولا يدري تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه ام لا وانما المعلوم بجامع الصفات التي بها يتم النبوة واصل
انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك يعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق فاما لم كان الفقير الحريص مثلا
على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام
فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين لا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور
فان ضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة ذلك ولنرجع
الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها • وقال صلى الله عليه وسلم
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد • وروي ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق
رسول الله صلى الله عليه ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد
ثبتك الله بالقول الثابت • وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم واذكر الله
تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا حبيبي • ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت راسه
لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت
اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها • وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد
عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر فقال قل له يقول محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا
برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله اني لامين في اهل السماء امين في اهل الارض ولو باعني او
اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا الآية تعزية له عن الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس • وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسمه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا • وقال كعب الاحبار

قال الله تعالى لموسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين • وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا
هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوت واحد ثم مر باخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج
من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل للملائكة
اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب • وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت
اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث آخر فرايت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب
والزعفران • وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر • وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه
وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه • وفي حديث آخر رايته دخل الجنة زحفا • وقال عيسى صلوات الله عليه
بشدة يدخل الغني الجنة • وفي خبر عن اهل البيت انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه
قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا • وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل
ذنب عجلت عقوبته • وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان
يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر • وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامي
اليه ان يقال يا مسكين • ولما قال سادات العرب واغنياؤها للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك
ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة
واصحاب الصفة من الفقراء فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك لانهم شكوا اليه التاذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف
في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الاغنياء ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري
وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجمعهم واياهم في مجلس فنزل عليه قوله تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحيوة الدنيا
يعني الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء • وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن الآية واستاذن ابن ام مكتوم
رحمه الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي عليه السلام فانزل الله تعالى عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول
وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف
فمن اطعمك في او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من
فعل به ذلك فياخذ بيده ويدخله الجنة • وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول
الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا
به الى الجنة • وقال صلى الله عليه دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم
ونظرت في اسفلها فاذا فيهم من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير
واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني
فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر
الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من
اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا
الحد • ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم • وقال صلى الله عليه
الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله
لابره • وقال عمران بن الحصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها
فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة
فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران

فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على الاعباة قال اصنع بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة قالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة وروي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء

واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امراته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايهما تريد • وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رضي الله عنه فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا • وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين • وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني فعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه • وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال ابراهيم تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا افعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر • روي عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة • وروي عن علي رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل صلى الله عليه وسلم اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه السلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون هذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني

من الكتاب ان شاء الله تعالى **واما الآثار** في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم • وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص • وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر • ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة • وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس • ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن • وقيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس • واقنع بيأس فان العز في الياس •
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم • ان الغني من استغنى عن الناس •
يا جامعا مانعا والدهر يرمقه • مفكرا اي باب منه يغلقه •
مفكرا كيف تاتيه منيته • اغاديا ام بها يسري فتطرقه •
جمعت مالا فقل هل جمعت له • يا جامع المال اياما تفرقه •
المال عندك مخزون لوارثه • ما المال مالك الا يوم تنفقه •
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة • ان الذي قسم الارزاق يرزقه •
فالعرض منه مصون ما يدنسه • والوجه منه جديد ليس يخلقه •
ان القناعة من يحلل بساحتها • لم يلق في ظلها هما يورقه •

بيان فضل الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر فلا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال • والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك وكانوا يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد عطاء ايضا لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق • اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اهل الجنة اليها كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير

او مومن فقير والثانية يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسمايه عام • والثالثة اذا قال الغني سبحن الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع
اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يوتيه من يشا اي مزيد ثواب الفقرا على الذكر • واما قوله ان الغنى
وصف الحق اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني اي بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب آخرون فقالوا التكبر
من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبوديه افضل للعبد كالخوف
والرجا وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل
حب العز والبقا شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها
تعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما تناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك
تناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل
الغفلة على العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى
مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عايقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه
ولكن لان فيه فقد العايق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنا عن الله تعالى مثل سليمن النبي صلوات الله عليه وعبد الرحمن
عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته
وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون شاغلا من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل
على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه او في وصاله وربما يكون
شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها
مشغول بحفظها وبالتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالما استوى الفاقد والواجد اذ كل
واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجايع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت
الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السرا اشد من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة بلينا
بفتنة الضرا فصبرنا وبلينا بفتنة السرا فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفرد الذي لا يوجد في الاعصار
الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضرا اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنا
وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلم لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم • وقال
بعض العلما تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى
من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال والما والذهب والحجر انما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله
تعالى بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول اليك عني اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله
عنه يقول يا صفرا غري غيري ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان راى
برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلم ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا
فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا
وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش
من الله ومن حبه ومهما انقطع اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان
مومنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى
عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الآخر ومثلهما
مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الآخر بل عين القرب من احدهما
هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله تعالى فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه
عن الدنيا وانسه بها فاذا فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا
مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما
يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا

فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به
انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفواد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنيا الا الانبيا والاوليا واذا كان
ذلك محالا او بعيدا فليطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته
تضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تاثيرها في اثارة
الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي
النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بسمك • وقال ابو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف
عام وقال رجل لبشر بن الحرث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في
ذلك الوقت فان دعاك افضل من دعاي • وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر
في جيد الحسنا وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنيا وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف
من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح
من وجوده وما ذكره عطا من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي
عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقايه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال
يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله تعالى ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غنى يريد بقا المال وما ذكر من ان
صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شي للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت
بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق يصير الاسما التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من
كل واحد نصيب • واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى واما التكبر
على من يستحقه كتكبر المومن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذا
وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله انه اكبر من كل شي وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه
ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من
الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة روية محققة لا شك فيها لكان
صفة الكبر حاصلا له ولايقابه وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف
تتفق فلجهله به وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لايقا به لقصور علمه
عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشي على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كان معرفة بعض الاشيا قد
يضره صار ذلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور في العبد من صفات
الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبيا والاوليا والعلما فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى
يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحنه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان

المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص
نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر
واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر ان كان
مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله
بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرا مدخولا بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطراب فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة
او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في
الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على الطريق واستويا في ان كل واحد ليس بتعرض لمعصية بسبب
الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر تتجافى قلبه عن
الدنيا ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا
الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب

مايفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحب وكل
من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان
حريصا فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل
عايشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستغيل به ادعية الفقراء والمساكين وهممهم
والثاني الفقير عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته
ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما
يضطر اليه فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وبقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني
هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما
عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى

بيان اداب الفقير في فقره

للفقير اداب في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادبه في باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه
الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه
به ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها له بل ربما يتقلد منة منه فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط
ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا
وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له فرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا على الله تعالى
واثقا به في قدر ضرورته انه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر
ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته
اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل الذي لا
يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلثة اثلاث شغل وهم وطول
حساب • واما في ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث
ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف • وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة
وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه • قال علي رضي الله عنه ما احسن
تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط
الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مرائي واذا خالط السلطان
فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل
وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا للعطاء • واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع
بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى • روى عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف
فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف
وينبغي ان لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته
وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله
تعالى لموسى صلى الله عليه ففهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي
اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذه فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح
الضعيف وطمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان اداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال

ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ • اما
نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام
درجات الشبهة وما يجب اجتنابها وما يستحب • واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية
او الثواب وهو الصدقة والزكوة او الذكر والريا والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية

فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيه منة فان كان فيه منة فالاولى تركها فان
علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط
ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي
وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله تعالى ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث
ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز
وجل يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان
ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا
يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذ والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد
لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء
الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج شيء من يده
ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب • وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا
فقال ومتى اعيش الى ان اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني
ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد وما ينبغي ان يقبل الا من مثلك • الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او
زكاة فعليه ان ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار
الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه
ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه
الثالث ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد
وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان ياتيه من
صلة فقال انما ارد عليهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فيذهب اموالهم ويحبط اجورهم • واما غرضه في
الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه فيما لا بد له منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهات
والافات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ قال صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا
وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر فلا يرده
وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط • وقد كان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له السري
يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي
قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او
دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء
والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الاخرة
فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله تعالى فهو من سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه
الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذه ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل
الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر او كلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكاة
مع جملة من احكام الفقر فليطلب منه وامتناع احمد عن قبول عطا سري السقطي انما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر
ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الافات اذ لم يامن
مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد
فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان
لا يكاد يواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال

أربعة بثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلثا فلا حاجة بي إلى الباقي فرد فقال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت إلي فأخذ بيدي فطاف بي معه أسبوعاً كل شوط منها في جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة وذاك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقاً بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فإذا أنت في أخذ الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تعص الله تعالى متعرض للحساب وإن عصيت الله تعالى متعرض للعذاب ومن الاختبار أيضاً أن يعزم على ترك لذة من اللذات تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفواً صفواً لتمتحن بها قوة عقلك فالأولى الامتناع عنه فإن النفس إذا رخصت في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم فهو الزهد فإن أخذت وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه إلا الصديقون فأما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما حلا في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله تعالى لا على اعتماد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه عن بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فقيل معناه يبيع أحد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فإذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله تعالى لا من المعطي لأن المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقاً في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لأصحابه إن هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا إلا شاباً كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى صلى الله عليه يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث إنه مسخر مأجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم أنه قد وردت مناه في السؤال وتشديدات ووردت فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنها بد فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة الأول إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا بضرورة كما تحل الميتة والثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا بضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسؤول والثالث أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما

مؤذيان والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئاً فكان يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلاً يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانياً يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال لست سائلاً ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراماً لما ضربه ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا الاستبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله تعالى ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباً في معصية الله تعالى وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريقة شرعها نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فإن ذلك أيضاً معصية بل الفقه الذي لاح فيه أنه رآه مستغنياً عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئاً فإنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذباً فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إذ لا يعرف أصحابها بأعيانهم فبقي مالاً لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كأخذ العلوي بقوله إني علوي وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطراً إليه أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنها فهذه أربعة أحوال أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحاً والمسؤول منه بكونه راضياً في الباطن والسائل بكونه عاجزاً عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعاً وهذان طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحته في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضاً ينبغي أن يسترسل عليه الإباحة لأنها أيضاً حاجة محققة ولكن الصبر عليه أولى وهو بترك السؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروهاً مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق علي فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصاً ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فليستر به الخروق في ثيابه عن أعين الناس وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز وكمن يسأل لكراء الفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاث من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال من هذه المحذورات فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن يطالبني رعونة النفس بثوب فوق وهي فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فإن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه

المكارم فيفرح بوجود مثله ويثقل منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذا فسبيل الخلاص
عنه ان لا يعين شخصا بالسوال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص
مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايضا ايذا فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر
عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل
مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متاذي به وينبغي ان يسال من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحيا من السايل يوذي
كما ان الريا مع غير السايل يوذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحيا منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه
به فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ
لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحيا وخوف الملام وسياط الباطن اشد نكاية
في قلوب العقلا ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير
فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقراين الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه
ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سوال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده
كالالسنة عند ساير الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا
في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علما الاخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة
سلطان الدنيا فاذا ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحيي ان يسترده ولم
يسترد فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهبة والمقابلة لتنقضي عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان
يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسوال الذي حصل به الاذى
فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السايل انه راضي ولا يكون هو في الباطن راضيا
فاقول لهذا ترك المتقون السوال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيا اصلا فكان بشر رضي الله عنه لا ياخذ من احد شيا
اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السوال والامر
بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه
من غير كراهة واذا فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من
كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قراين الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من
اصدقايه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والاقط وكان هذا
فيما ياتيهم من غير سوال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للريا والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك
فاما السوال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلثة من الانبيا في مقام الضرورة سليمن
وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك في انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السوال من الاصدقا
والاخوان وفي حق الاخوان فقد كانوا ياخذون مالهم بغير سوال واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا
القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار
اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السوال وحد اباحة السوال ان يعلم ان المسوول بصفة لو علم ما بك من الحاجة
لابتداك دون السوال فلا يكون لسوالك تاثير الا في تعريفك اياه حاجتك فاما في تحريكه بالحيا واثارة داعيته بالحيل
فلا ويتصدى للسايل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ
في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه وليترك
حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقراين الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف
حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة ترايا له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقراين الدالة على الكراهة وبهذه الدقايق
يطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم لان
من لا كسب له ولا كسب لابيه مما ورثه فياكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سوال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث
لو انكشف لما اعطي بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسوال فاين من يطيب قلبه بالعطا اذا سيل واين من يقتصر

في السوال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من يد الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو
الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن
غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده

بيان مقدار الغنى المحرم للسوال

اعلم ان قوله صلى الله عليه
من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم ولكن حد الغنا مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل
يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غدا يوم او عشا ليلة وفي حديث
اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ اخر اربعون ومهما اختلفت التقديرات
وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه
تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم به
صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في
الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر
على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفقته عياله وولده وكل من تحت كفالته واما الاقدار فالثوب يراعى
فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس فاما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا
اثاث البيت ولا ينبغي ان يطلب رقة الثوب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر
من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما
قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفي طلبه في بعض الاحوال رخصة
واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السوال للزينة وللتوسع فهو سوال عن ظهر غنى واما
بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكنه فلا شك فيه فاما سواله للمستقبل
فهذا له درجات ثلث احدها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين والثالثة ما يحتاج اليه
في السنة وليقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال السنة فسواله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه
ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصر اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك
وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السوال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السوال لانه مستغن في الحال وربما لا
يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشا ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر
وان كان يفوته فرصة السوال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السوال لان امل البقا سنة غير بعيد فهو بتاخير السوال
خايف ان يبقى مضطرا عاجزا عمن يعينه فان كان خوف العجز عن السوال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السوال خارجا عن
محل الضرورة لم يخل سواله عن كراهية ويكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها
يحتاج الى السوال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به
ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجي الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله
تعالى اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله تعالى قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغا الى تخويف
الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين وقال الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والسوال من الفحشا التي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان داخل السنة اشد
من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة ورا السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا
وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهي من امهات المهلكات

بيان احوال السايلين

كان بشر رحمه الله يقول الفقرا ثلثة
فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا من المقربين في جنات
الفردوس وفقير يسال عند فاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السوال وعلى انه مع الفاقة
يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك
قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السوال فقد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابرهيم هكذا
تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقرا عندكم يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا

من سال عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه او ليستكثر صح

فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة
من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى
اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو
لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حالة تقتضي ان يكون السؤال مزيدا
لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم رأى ابا الحسين النوري رحمه الله يمد يده
ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان
النوري لم يسأل الناس ليعطوه انما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وكأنه اشار به الى قوله عليه السلام يد المعطي
هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان
فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به
مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له
انا لا اقبل منك شيئا ووزنت واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه
وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت
ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم
واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب
وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه
فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان
كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه
ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة
وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم اليقين
وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن
زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسأل
الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس
والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات
السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول
لظهوره اقيم مقام الحال الذي به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم
هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها
ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل
عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة
وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا
فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى
تارك الدراهم والدنانير زاهدا لا ان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده من المرغوب
عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا
وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد
يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف
فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن زهد في الدنيا كما خص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل

في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب
محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا
ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك
من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم
الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة من بعض المعاصي صحيح
فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات
دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظورات وانصرف عنها
ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله تعالى عدولا الى
الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال
الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيماذا زهدت

واما العلم الذي هو المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع
فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي
لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج
بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر
التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه
يبيع نفسه وماله كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا
يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد
الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى التعريف بخساسة الدنيا الاشارة
بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى التعريف بنفاسة الآخرة الاشارة بقوله قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه
على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في
دعائه اللهم ارني الدنيا كما تريها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير
والعبد يراها حقيرا في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات
الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في
درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا
الى غيره

واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان
العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي
الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه
من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط
الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم
الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب وقت فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه
بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في ابن يامين وان كانوا قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا
بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت
عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك
الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان لم تأتك
الدنيا فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة

فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من
الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة
في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من
تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك
فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة قال ابن شبرمة
لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين على عهد النبي
عليه السلم انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شي محبته لفعلناه حتى نزل قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل
منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وليس من الزهد ترك المال على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على
سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تتركها لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة
الآخرة فاما كل نوع من الترك يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن
الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك
تركه طمعا في الذكر والثنا والاشتهار بالفتوة والسخا واستثقالا لما في حفظ الاموال من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين
والاغنيا ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير
نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون آنسا بغير الله تعالى ومحبا لما سوى الله تعالى ويكون مشركا في حب
الله تعالى غير الله او تركها طمعا في ثواب الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسرايا والنسوان
طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة
والآخرة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك
ما وعد في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها
في الآخرة اصلا **بيان فضيلة الزهد** قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير فنسب الزهد الى العلما ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجا في التفسير على الزهد
في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن
الاعمال قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الآخرة فيه وصف الكفار فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحيوة الدنيا
واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن
الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله
عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له منها ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه
وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا
في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين
يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل
مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله
فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله
فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه
ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا
فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال وما حقيقة ايمانك قال
عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم

عبد نور الايمان قلبه فانظر كيف بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه
اذ قال عبد نور الايمان قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن
دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله تعالى حق الحيا قالوا انا لنستحي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين
ان ذلك يناقض الحيا من الله تعالى ولما قدم عليه وفد وقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلا والشكر عند الرخا
والرضا بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا
تنافسوا فيما انتم عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جا بلا اله الا الله لا يخلط معها
غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا
طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها شي من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر
السخا من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من
الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا
على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه
وعرفه دا الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل
وهي كانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال تعالى واذا العشار عطلت
فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى
عن ذلك ثم تلا قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به وروى مسروق عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك
قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عايشة والذي
نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر
الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل
الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله
ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا وجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال له ابنته حفصة
حين فتح الفتوحات البس الين الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعم وتطعم من حضرك فقال
عمر يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة
وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي عليه السلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليهم خيبر ناشدتك
هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مايدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمايدة
فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع بالارض وانشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة
مثنية فثنيتموها له باربعة اثنا فنام عليه فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليل بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها
وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا
يخرج به الى الصلوة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كسائين ازارا وردا وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد
طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال عمر حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات
زيادة من قول عمر وهو انه كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما واني ساصبر على عيشتهما الشديد لعلي ادرك معهما
عيشتهما الرغد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا
العبا وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ما مدين
كان خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا كان ما اختاره انبيا الله والمرسلون وهم اعرف خلق الله تعالى بالله وبطريق

الفوز في الآخرة • وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة قال عليه السلام تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله تعالى عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر قال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته • وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال كيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال عليه السلام ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال عليه السلام من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات • وعن عيسى وعن نبينا عليهما السلام اربعة لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردناه كفاية • **واما الآثار** فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله ترفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما انتقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين • وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا • وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قالوا كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها • وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله تعالى ثلث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله • ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ايما يدركه المسا نام • وقالت امرأة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة او النار • وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والمعجب محبط وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المؤدي الى السقم • وكان الثوري يقول

الدنيا دار التوا لا دار استوا ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخا ولم يحزن على شقا وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشيا الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون بشيء من امر الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالعفو

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلث درجات • **الدرجة السفلى** منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما يغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل او كثير • **الدرجة الثانية** الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان • **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله على المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد وكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ صبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده • **واما الانقسام بالاضافة الى المرغوب فيه** فهو ايضا على ثلث درجات • **الدرجة السفلى** ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما ورد به الاخبار اذ فيه ان الرجل ليوقف في الحساب ما لو ورد مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم • **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله عز وجل ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم وفي نعيم قائم لا آخر له • **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تعالى وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله تعالى فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله تعالى

من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف الدرهم
وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله تعالى وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك
اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن
ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة
ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة
عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا
لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه
فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان
اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها
اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في
كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه
وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد
في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى
العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال
ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد
ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع اخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس
في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في
الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في
الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا
حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف
حال المنافقين **اما الزاهدون المحبون لله تعالى** فقاتلوا في سبيل الله تعالى كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين
وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله
تعالى او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على
فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده
ثمان مائة ثقب من اثار الجراحات فهكذا كان حال الصادقين رضي الله عنهم اجمعين **واما المنافقون** ففروا من الزحف
خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى بالذي
هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **واما المخلصون** فان الله تعالى
اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا او ثلثين سنة بتمتع الابد استبشروا
ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض
اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا
اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك
تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات
وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات

فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج
يطلب ذهب الزهد وما فصل بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال ادريس ايضا الزهد هو ترك الطلب
المضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة
وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض
ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد
منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب
الى ان الزهد هو التواضع وهذه اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا
ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى
وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف
حقائق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من
قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته
وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف
فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف
فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل
الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء
يشغلك عن الله وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا
للزهد وقد قرا ابو سليمان الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا ليتفرغ قلوبهم
من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه واما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة
كما قال ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل
درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما
يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه
الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في
نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض
في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين الثياب واستراحة
حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد
الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري ان جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحب
الحائط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته
الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا
انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله تعالى فكيف
يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف
عن الدنيا الى الله تعالى الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت
من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله تعالى فان ما لا يتوصل
الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله
تعالى مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك
فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن
فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت
لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب

اويس

ويرجع حاصله الى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد فلا يكون
القلب منصرفاً اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة
فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعاً لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس
القلب معه فيكون فيه انس بالدنيا ونقصان في الانس بالله بقدره ووقوع الانس بغير الله تعالى ولذلك كان داود الطائي له حب
مكسور فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا • فهذه
مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقاً فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل
على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين •

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول
كالخيل المسومة مثلاً اذ يقتنيها الانسان ليركب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول
في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب
لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء في ربع المهلكات
ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض
فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فلا يقنع به واما عرضه
ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر
دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله ولم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا
والدرجة الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوماً • والثالثة ان يدخر لسنة وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك
فتسميته زاهداً محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جداً فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ
من الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين ديناراً فامسكه وانفقه في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط
الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره
الله تعالى في طعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له
من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز
البر غير منخول فاذا ميزت النخالة وصار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر ابواب الزهد فضلاً من اوائله • واما
الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة
او مرتين فان صار دائماً او اكثر مرتين في الاسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن اصلاً واما
بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائماً واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل ليلة ولا يشرب
واعلاه ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام واسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات
ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عايشة رضي الله عنها
كانت تأتي اربعون ليلة وما توقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل بم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر
والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق
اصابعه ويأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد • وقال عيسى عليه السلام بحق اقول انه من طلب الفردوس فخبز الشعير
له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز البر
وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره
وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه اهل قباء بشربة من
لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعاً لله تعالى واتي عمر رضي الله عنه بشربة
من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابه • وقال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه
ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب تعالى
انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده

والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله **المهم الثاني** الملبس واقل
درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل
وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في
البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله
المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ • واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستره سنة واقله ما يبقى
يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهراً او ما يقاربه وطلب ما يبقى الى
اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة
ينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا وليكن نظره فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة
اخرجت لنا عايشة كساء ملبداً وازاراً غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهوراً ابداً ولا انام بليل على دثار ابداً ولا
اركب على مأثور ابداً ولا املأ جوفي من طعام ابداً وقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلينظر الى عمرو بن الاسود • وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيباً واشترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصف واشترى سراويل بثلثة
دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكان يسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او
سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات • ولبس رسول الله صلى الله عليه
يوماً واحداً ثوباً سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله صلى الله عليه انزل هذا
عليك من الجنة تعجباً وقد كان اهداه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسله الى رجل من المشركين
وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه لبسه اولاً تأكيداً للتحريم كما لبس خاتماً من ذهب يوماً ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال
وكما قال لعايشة في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثاً ثم حرمها لتأكيد
امر النكاح وقد قال شغلني في خميصة لها علم فلما سلم النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساه فاختار
لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا
هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس صلى الله عليه وسلم خاتماً ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة
اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجداً وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي
خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه وعن سنان بن سعد قال حكت للنبي عليه السلام جبة صوف من صوف
انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها وما البنها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي
قال وكان عليه السلام اذا استعمل شيئاً لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان يحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكة
وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكا وقال
يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه ان من خيار امتي فيما
انبأني الملأ الاعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم ويبكون سراً من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم
ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش • فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه
في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا
عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عايشة رضي الله عنها خاصة وقال ان اردت
اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من
ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا
من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال • وكان يقول ان الفقير ليمر بي
وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي
سفيان ونعليه بدرهم واربع دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف

البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمن الثياب ثلثة ثوب لله وهو ما يستر
العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور
العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل
قميصه على راسه • وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر
عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجه الله تعالى كان حقا على الله تعالى ان يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت واوحى الله تعالى الى
بعض انبيائه قل لاوليائي لا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تدخلوا مداخل اعدائي فتكونوا كما هم اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان
على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبيد الله بن
عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن
عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا
في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه فقال هو ادنى الى التواضع واجدر
ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله تعالى ليسوا بالمتنعمين وراى فضالة بن عبيد وهو
وال مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا
وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال
عمر اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم • وقال عليه
السلام ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلام ازرة
المومن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله تعالى يوم القيمة
الى من جر ازاره بطرا • وقال ابو سليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مراي او احمق وقال الاوزاعي
لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة
ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي
وقال ابو سليمن لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شي الا واحدا سوى السراويل فانه
كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي
ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن
عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا
على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية • وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق
من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة
كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي **المهم الثالث** المسكن وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب
موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف
او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرا او اجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم
يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف
اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون بالجص والقصب او بالطين او
بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا
وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة
الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى
واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من
الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني درز الثياب
فانها كانت تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر
ياتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم

علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال
الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر
بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال
عليه السلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهي فقال ان الامر اعجل من ذلك • واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو
بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته
فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم وقال عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد
الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض انه الرياسة والتطاول
في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد وقال عليه السلام للرجل الذي
شكى اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة • ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر
وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين
يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بني له بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف
وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهوص
ثم رايته الان مبنيا باللبن قال فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص وكان اصحاب الرهوص خيرا من اصحاب اللبن
وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا
نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهو عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع
بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال
عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر الى بناء
مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن ممن نظر اليه ولم يعتبر
وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم
المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا
يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا
استغني عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف
ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن
يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون
استعمال آلة واحدة في اشيا للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في
نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة
فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال
الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بالشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت
عيناه فقال له صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك
وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه اما ترضى يا عمر ان يكون لهم الدنيا
ولنا الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك • ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في
بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا
فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا
عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي
احمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجار رسول الله

صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته
برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم
فدخل عليها فقال بابي انت وامي قد احسنت ورأى صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت
الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية
فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة
او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن
محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده • وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا
قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه **المهم الخامس** المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في
كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقد قال حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف يزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد
الصحابة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك
عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمرأة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال
كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون
من الزهد تركه وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن يترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل
عن ذكر الله تعالى فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن تركه احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة
فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان
فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهو كمن يترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب
وليس ذلك من الزهد لان في تركه فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير
خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوان ولا اشتغال
القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء
والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة
منهن او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة الدون او اليتيمة على
المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث
والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرأ ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله تعالى
فهو محذور فيهما جميعا **المهم السادس** ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب
بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من
يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب
هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب
اما لجلب نفع او لدفع ضر او الخلاص من ظلم • فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستأجر عنده قدر وانما
يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او يكون بين جيران
يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه
الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا
فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما
التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل
عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه
اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره • واما المال فهو ضروري في المعيشة
اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام

هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن
له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من
كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج
من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة
الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل
الزهد اهله بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه
كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت
فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ولبس
محدود بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة
وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة وان لم يكن دواء نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض
تناوله وما بينهما متشابه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك
ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة
والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما
روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض منه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تبارك وتعالى
اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها شيئا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه
ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر
احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته فيأكلونه
وربما يكونوا اعداءه وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز
لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع
شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل يقيدها بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل
والولد وشماتة الاعداء ومراءاة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر
عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا
في هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي
تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون
مثل شخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المؤلم ببدنه
وتألمه من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بالم يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره
فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين وبالنزوع الى الدنيا يحجب عن
لقاء الله تعالى وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة
اليه فنسأل الله تعالى ان يقرر في سمعنا ما نفثه في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك
مفارقه ولذلك قال الشاعر • لو دود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه • ولما انكشف
لاولياء الله تعالى ان العبد يهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال
الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله تعالى لهم ازهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم • وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد
فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن
هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب كان يخاف
من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين
هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض عمن تولى عن

ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك
في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا استطيع فقال عليه السلام يعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر
شارقه الا واربعة املاك ينادون في الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي
الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا
للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب **بيان علامات الزهد** اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس
كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الراهبين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام
ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة بهم معرفة الناس حالهم ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من
الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع الاصواف الفاخرة والثياب
الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم
مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على
السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجؤوا الى المضايق وكل
هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون
الى الدنيا متبعون للهوى هذا كلام الخواص فاذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على
ثلث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم بل ينبغي ان
يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده والثاني ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد
في المال والثاني علامة الزهد في الجاه والثالث ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن
حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من
انس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله تعالى فاما
الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن
الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني اسألك ايمانا
يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا
مقام العارفين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان لا يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده
الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان
اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير
فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد
الا بالزهد في جميعها وكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه
وآخره ان يترك كل ما سوى الله تعالى حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسأل الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا
وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله عز وجل غير ماذون فيه واذا لاحظنا
عجايب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه امر فلا نعد في ان نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة
الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله تعالى ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر
لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال
يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد
هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلثة دراهم
وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان ان علامة الزهد قصر الامل وقال سري لا يطيب عيش الزاهد اذا
اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصرآباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك
الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع

الزاهدين قال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر بحيث لو قطع الله تعالى عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما
ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها
والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من
امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه
حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى تم كتاب الفقر والزهد والحمد لله على اتمامه وصلى الله على محمد وآله

كتاب التوكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعز والجبروت الرافع للسماء بلا عماد المقدر فيها ارزاق
العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات
الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق
عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله تعالى خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رزاق عباده
ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اصحابه
وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين
وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها
شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في
وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر
ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا
ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد
في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

فضيلة التوكل اما من الآيات فقد قال الله عز وجل وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين
واعظم بمقام موسوم بمحبة الله عز وجل صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد
فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحكيم
لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر
حاجته مثل حاجتكم فكيف يتكل عليه وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل
ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار **واما الاخبار** فقد قال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيأتهم فقيل لي ارضيت
قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله فقال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون
ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله
منهم فقام آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤونة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله

أوثق منه بما في يديه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلوة ويقول بهذا أمرني ربي وقال تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلم وقد رمي في النار من المنجنيق ألك حاجة فقال أما إليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى وأوحى الله تعالى إلى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا **وأما الآثار** فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت علي أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت إلى آخرها فقال ما ينبغي بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتبه الله تعالى لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني رضي الله عنه أين تأمرني أن أكون فأومى إلى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك أيضا ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوي سمي يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة الذي يترجمه قولك له الملك والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه **فأما التوحيد** فهو الأصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات تتعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذا لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب **فالمرتبة الأولى من التوحيد** أن يقول الإنسان باللسان لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق **والثانية** أن يصدق بمعنى اللفظ بقلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام **والثالثة** أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار **والرابعة** أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه **فالأول** موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة إلا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هو عليه لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن ذلك رتبة العوام والمتكلمين إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالأول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة الأولى العليا لا خير فيها بل إن أكل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر وإن اتخذ حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة

على الجوز للصوان ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشر وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهر النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار وإذا فصل أمكن أن ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالإضافة إلى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقال تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشرة وكأنه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن يسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخر سواه كثير بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا فتستفيد بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال فيماذا أنت فقال أدور في الأسفار لأصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال فإن قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبتنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو النفاق فهو واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي ينبني التوكل عليه إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والأرض وإذا انفتح لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا أيضا شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور ولذلك قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له

ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الامر يضاهي التفات من اخذ ليحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ
يشتغل بذكر الحبر والكاغذ والقلم الذي يكتب التوقيع به ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل
ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب
عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخر القلم
في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن
مزج توحيدك بهذا الشرك فيأتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل
من الله تعالى وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك
فيه ويقول نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله
المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم
مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فرأت راس القلم يسود الكاغذ ولم يمتد بصرها الى اليد
والاصابع فضلا من صاحب اليد لغلطت فظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها
فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف
في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات وقد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في الارض والسموات
بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت
لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان البهائم شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه
البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي
كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات
والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له
ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر
لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء
كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن
افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار
فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها
عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا نفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد
كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله
تعالى للكاغذ وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب
فيه فقال الكاغذ ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره
ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة
وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد فاختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما
تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال
سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت علي ثيابي
واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو يستخدمني ويمشيني على قمة راسي ولقد
نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا
الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة فهي التي تردني وتجول بي في
نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منه مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى

ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني
مركب اتحرك بمن ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي
فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبا اياها قبل التحريك وما كنت
احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني
وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله
اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة
المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم
فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب
رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت
عليه وسخرت له والزمت طاعته ولكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم
وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد على نفسه والتحير
في حكمه فانا ساكن لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة ليقوم بموجب
حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا افارقهم فالراحلون هم فقال صدقت واقبل
على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج
ما اشتعلت بنفسي ولكني اشتعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم انما انا نقش نقشت
في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا
بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه
على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك
اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا
سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا
فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه
كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج منه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام
الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ
والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى
منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم
الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل اوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك
والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت
يشبه السفينة التي بين الماء والارض فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في
عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من
غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق
الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري
واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لك من علامة فقال نعم
افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان
كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم
اذ انزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى
قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى

لا يشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راس ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فاسأله عن شانه وسافر اليه وقال ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال القلم اونسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته هو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده فراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يجوز مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته وظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شانه وتحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ لا حكم لليد في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة فراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجواب لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر وهو الظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الاول والآخر وهما متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير المسافرين

اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعله نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فما كل مرض يقدر على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيهم ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيتها اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوت بصره ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولا ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام فيحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فراوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل اذا شاء ويشاء شاء ام لم يشا فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشية اليه ومهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكرناه متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرية والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتبة وهذه الثلث في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي

لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحجر
الى الارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك
لو قصدت عين الانسان بابرة وطبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لا يقدر عليه مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا
تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل
بالقدرة والارادة وقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق
وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه
وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير
وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان
دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ويحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف
وذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية
وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر
وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا
مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم تنتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو
ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة
عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر
الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه لم يمكنه
لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل
او الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق
فان العقل ههنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه
وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف
للقتل فانه يرمي نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي وان كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم
العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة
لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى
لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولما فاذن معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه
محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق
مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة
ثالثة لما ان كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه
وفعل الله يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات
لا يمكن ان يستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت
فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد
حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك
حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي
لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون فانهم وقفوا على كنه معناه بل وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن
الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية
ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقال الحياة حصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك
في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم
ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله

عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين
السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط
قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد
شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا
نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا
قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فيقدر ان القدرة الازلية حاضرة
ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه
فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث وربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن
الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث
من اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة
والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير والبدن لم
يتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة
والمقدورات حادثة وهذا باب لعالم اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل
وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث
من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما
اخف مؤنتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقتها ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان
قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا
فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم
اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن
الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد
فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط
الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى
فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك
ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها
بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال
افرايتم ما تحرثون اضاف الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا وقال فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل في
التفسير معناه اذا قرا عليك جبريل عليه السلام وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب
هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه
وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الذي علم بالقلم ثم قال
الرحمن علم القران وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج
فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف
ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم
ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا
يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين مجرد وكذلك ذكر الله في القران الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طرق الاستدلال مختلفة

فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت
ربي وهو معنى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحيي المميت ثم فوض الموت والحيوة الى الملكين
ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا
على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا
فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة تأتي
لا على الوجه الذي يأتي الانسان اليها ولذلك لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عليه السلام عرف الحق لاهله فكل من
اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز
وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه
تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف
الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد • الا كل شيء ما خلا الله باطل • اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو
باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته
وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون
فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان • فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب
والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه • فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته
فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد
يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما
سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق
المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا
يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم
من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق
اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم والحكمة
لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص فيها
جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض فيها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال
او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها من
تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض
لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن
منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض
الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا
الليل لما عرف النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح
البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل
النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس
فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت ابقاء على الروح عدل
لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب
فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين
ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع عن افشاء سره المكاشفون

والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة
التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة **الشطر الثاني** من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله
الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد وللمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان
التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره **بيان حال التوكل** قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم **فاما الحال**
فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد
عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق
من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما
اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا او قصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب
الوكيل في الخصومة مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به
القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة **اما الهداية**
فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا **واما القدرة والقوة** فليستجري على التصريح بالحق فلا
يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف آخر من الصوارف
المضعفة للقلب عن التصريح به **واما الفصاحة** فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب
عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس **واما منتهى الشفقة** فليكون باعثا له على بذل
كل ما يقدر عليه في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر به خصمه او لم يظفر هلك به حقه او لم
يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم يطمئن نفسه الى
وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله
في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت
تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه
كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة
من الخصال الاربعة قطعيا وكذلك سائر الشفقة والخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر
الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل
في هذا المثال فقس التوكل على الله عليه فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله تعالى كما سبق واعتقدت مع
ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء
منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه
وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة
عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربعة واما
ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير
نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت
في قبر او في فراش او في بيت نفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن
ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في
هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او المبيت في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف
قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا
يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من
يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس
تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الى ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا

وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فإن اليهودي مطمئن القلب في تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يتبعون الظن
وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فإذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد
الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله
تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد أذله الله • وإذا انكشف معنى
التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات • الدرجة الأولى ما ذكرناه وهو أن
يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل • الدرجة الثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى
كحال الطفل في حق أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها فإن رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وإن نابه
أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها
ثقة ليس خاليا عن نوع إدراك بالتمييز الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه
ولا على إحضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان تألهه إلى الله ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف
الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ
ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه • وأما الأول فمتوكل بالتكلف
والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات إلى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه فقط وحده وإلى هذه
الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأماني قال وأوسطه ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثالثة
وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه • الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت
بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى
الحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأن كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فإن الصبي
يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثال هذا مثال صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه لم يتعلق بذيل
أمه فالأم تحمله وأنه لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته
وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه
وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط • فإن قلت فهذه الأحوال هل يتصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر
والمقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الإمكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام
الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجل فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضها عارض كما أن انبساط
الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة
التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فإن البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك
لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم • وأما المقام الثاني فيشبه صفرة
المحموم فإنه قد يدوم يوما ويومين • والثالث يشبه صفرة المريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول • فإن قلت
فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية
بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق
بأمه فقط والمقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك
تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته
• فأما الذي يعرفه بإشارته فإن يقول له لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا
لتوكله عليه إذ ليس هو فزعا منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة وإلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ
لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا في قوله لما حضر بقوله • وأما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحاج الخصيم
إلا من السجل فمن تمام توكله إن كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاهما وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه
عند مخاصمته فإذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله
فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا إلى محاجته فقد ينتهي إلى

والاول

الثالث في

المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول وقوة وقد كان فزعه إلى حوله وقوته في
الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا
تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضا مع التوكل
بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل
لكان حضوره وإحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فإذا لم ير مفيدا من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جعله مفيدا لمحاجته
وعرفه ذلك بإشارته وسنته فإذا لا حول ولا قوة له إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالق حوله
وقوته بل هو جاعل لهما مفيدا في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وإنما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول
والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدا إذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فإذا لا حول ولا قوة إلا بالله
حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وذلك قد يستبعد
فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه
المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحديهما إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة
إضافة لشيئين إلى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة للكل إليه • فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين
شيئين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن التوحيد له قشران ولباب وكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات
وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين وإلى اللبين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله صادقا مخلصا وجبت
له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع
وأضاف إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا
حديث ولكنه حديث نفس وإنما الصدق والإخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة
من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وإن كان لا ينتهي إلى الملك أما ترى أن الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين
تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين • ولما انتهى إلى أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه
والأشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم
من لذة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفع منها درجة الملائكة أفترى
أن أحوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزو والسفاد أعلى وأشرف وأجدر
بأن يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله تعالى في أعلى عليين هيهات هيهات ما أبعد عن
التحصيل من إذا خير بين أن يكون حمارا أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه
كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي نزوعها إلى صنعة الإسكافية أشبه في جوهره منه بالكاتب وكذلك من كان نزوع نفسه إلى نيل
لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم أولئك
كالأنعام بل هم أضل وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها ذلك للعجز وأما الإنسان ففي قوته ذلك
والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال وإذ كان هذا كلاما معترضا فلنرجع إلى
المقصود فقد بينا معنى قول لا إله إلا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله ومن ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل
فإن قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة شيئين إلى الله تعالى فلو قال قائل السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه
مثل ثوابه • فأقول لا لأن الثواب على قدر درجة المثاب ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول
والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الأرض والسماء ليست من جهة الآدميين فهو
من الله • فأما الحول والقوى فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يرى أنه يدقق في الرأي والمعقول حتى
يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون إذ أثبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد
وإثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله
لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان إحداهما النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والغيم والمطر
وسائر الجمادات • والثانية النظر إلى اختيار الحيوانات وهو أعظم العقبتين وأخطرهما وكأنه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب

هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق ومستقصى ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل

ليتبين ان شيئا منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سياتي ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير ● وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه ضمنا فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك وان كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة ● وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك فالاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم عليه السلام اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل عليه السلام له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر جبريل عليه السلام لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز ● وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها ● وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات ● التوكل ثم التسليم ● ثم التفويض ● فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول به فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول

في جلب النافع ونقول فيه الاسباب التي بها جلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه اليد وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس

من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك ● واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل

الدرجة الثانية

الاسباب التي ليست متعينة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعالي مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة ● فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه بغير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى ● والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيجاهد نفسه والمجاهدة عماد التوكل وهكذا كان يفعل الخواص ونظراؤه من المتوكلين ● والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش به والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم فيه ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب الخفي لا الى السبب فان قلت فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام او مباح او مندوب ● فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يعلم فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل متطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه

لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا
ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال
وقال عيسى انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام
كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان
كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية فيشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده تعالى ولا يرون الواسطة • **الدرجة الثالثة** ملابسة
الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه
وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما
اخذ الشبهة او الاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي
مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف
المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك وامثال هذه الاسباب
التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه • وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق
ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب منقسمة
الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى المقطوع والى المظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود
حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل • فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال
والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات • الاول مقام الخواص ونظرائه وهو
الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته
على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الراحلة قد يؤخذ زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع
الزاد كما انه ممكن مع فقده • المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول
ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره من جهة الاسباب
الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان
نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى
بتعريفهم وتحريك دواعيهم • المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب
آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك
ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسباب له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته
بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل
وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال
القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال المتوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق
رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت
لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك
رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل
فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله
تعالى هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر
وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا
وصاحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ
الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح

الزاد

منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو
حاضر عندي والجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب
لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم
بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق • فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته
او يخرج ويكتسب • فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك
وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى
فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب
وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم • كان احمد بن حنبل رضي الله عنه قد امر ابا بكر المروزي
ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذ فسأل احمد
عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد
النفس له لم يقبل منه شيئا • وقال الخواص بعد ان سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رأيت الخضر ورضي بصحبتي الا اني فارقته خيفة
ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار
ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا • فان قلت ما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه
اذا سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في
السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل
فتركه لان الثعلبي كاتبه بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارأيت ان اخذ الله سمعك وبصرك فالرزق على من فوقع ذلك
في قلبه فاخرج آلة المغازل وقيل تركها لما توهنت بالتنمية وقيل ترك ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسين
دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقه • فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة
لا يمكن • فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت
فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه لكان سببا
لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه
بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل
بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير
بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا
فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني رحمه الله
لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر
كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق
سواه وبان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة
الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تبنى على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام
مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب
فقد طعن على التوحيد • فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله
تعالى في تيسير الاسباب الخفية • فاقول نعم هو ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله عز وجل
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف
الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب
الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي
عن عابد انه علق في مسجد ولم يكن له معلوم فقال الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي
في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما

تقف بين الله تعالى وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اي فضل وعن الهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال
امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن
الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجايب صنع الله تعالى في وصول
الرزق الى صاحبه وفيها عجايب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابرهيم بن
ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابرهيم و
قال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجيت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه
بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر • انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا نايع انا عاري • هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار • ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وقرا وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة
فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستماية دينار ثم لقيت رجلا آخر فقال هذا نصراني فجيت الى ابرهيم واخبرته بالقصة
فقال لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابرهيم يقبله واسلم • وقال ابو يعقوب الاقطع
البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيا يسكن ضعفي فرايت شلجمة
مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرميت بها
ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا
في البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من تقع عليه
بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت
قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة
ايام وانت تطلبه من الوادي • وقال ممشاد الدينوري رضي الله عنه كان علي دين فاشتغل قلبي فرايت في النوم كان قايلا يقول
يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطا فما حاسبت بعد ذلك قصابا ولا بقالا ولا غيرهما • وحكي عن
بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا
يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني
شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجي صاحبه فآخذ منه شيا ثم رمت الي شيا من الدراهم وقالت انفقها
فاكتفيت بها الى قريب من مصر • وحكي ان بنان احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفر
فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا
فقال انها لبنان الحمال اهدت اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة • وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر
ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل
وبقي عنده القرص • وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم
فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها
الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني
الى القرية • وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك
عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر رضي الله عنه فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر رضي الله عنه اني اشتقت
اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء
رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر ينتابه بعد ذلك ويجلس اليه وقال
ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا استغيث
فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البير لئلا يقع فيه احد فاتيا بقصب
وبارية وطما راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جا وكشف
عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي

هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول
نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف • تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غايبي واللطف يدرك باللطف
ترايت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك في الكف • اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتونسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحيوة مع الحتف • وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان
به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله
عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا **بيان توكل المعيل** اعلم ان من له عيال فحكمه
يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر من ابواب
الايمان ذكرناها من جملته ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة
في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فهذا به يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عنده
الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط فيه نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذا لا يمكنه في
حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب • فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم
او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين
عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه
ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا بان يساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيق ذلك ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته
لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي رضي الله عنه نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له
لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة ايام • وقال
ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر
بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا
ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا او ملازمة البلاد
والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلوا عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقا ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار
عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى
اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة
واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك
والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن
امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة
الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما اشعل في قلبها من نار الحب
ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذا الكثيف
فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه
الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل تيسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة
فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت
قدرته نعم كان المشفق عليه شخص واحد وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة ومرتين
وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس
بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد
كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهو مشفق خاص فلما راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله داعية من الرحمة على
واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رايء الى الآن في سني الخصب يتيما قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب
وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ
ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الف نعم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد

الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له ام واب فيجبر ضعف
شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه
واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هذا مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا
فعليه الكسب فلا معنى للمتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما للبطال وللتوكل وان كان
مشتغلا بالله ملازما للمسجد او للبيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله
بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل من بين الناس وما رأى الى
الآن عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه
ولقد احسن الشاعر حيث يقول • جرى قلم القضاء بما يكون • فسيان التحرك والسكون • جنون منك ان تسعى لرزق • ويرزق في غشاوته الجنين
فان من كان لله تعالى كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله
الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مدبر
الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل به الى المشتغل به الحلوا والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة
على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص
شعير او حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة
النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من
غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا او في النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب
فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده
رزقه ان سكن والا نادرا ان تورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة
لم ما قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار • وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا
والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن
الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكر عن جهل فاياك ان تجمع بين الافلاس عن وجود
المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه يأتيك لا محالة وان فررت
منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب وان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية ثم لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا
الرزق الذي يدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله تعالى
من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض
وسببه في السماء قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا مطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد رضي الله عنه فقالوا
نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت
فنتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة • وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني
جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله عز وجل صبرا فلما هممت بذلك
سمعت هاتفا يقول • ويزعم انه منا قريب • وانا لا نضيع من اتانا • ويسألنا القوى جهدا وضعفا • كانا لا نراه ولا يرانا
فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله
فان اسوأ احواله ان يموت ولا بد وان يأتيه الموت كمن يأتي من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون
من جانب والذي ضمن رزق العارفين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجربه تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد
عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون
منتظرا للقلم الكاتب بل للقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل • فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام
مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام

بل يأتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من
دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع
يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي
سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد
من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس
على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو
رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا اخلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال وقفوا
في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة كثيرة وامرهم ان يعطوا بعضهم
رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا
خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم
واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان انفذ فيه عقوبته على ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يؤذ
الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في
مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطأه غلماني فما اوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على
الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم
فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى الغد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين
فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا الرغيفين
لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة وما فازوا بالخلعة • وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكنا لا نأخذ اذا اعطونا
الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا • وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان وقالوا
ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا فاستبنا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة
ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية من الزوايا واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما
حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد
فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة
فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة
للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعلق
في الاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات
والمساجد على هيئات السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئات التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم
الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة
ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضا للسبب بمجرد حضوره واشتهاره
وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف

الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال
او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلاثة احوال **الاولى** ان يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري
مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا القدر الذي يتأدى به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره
على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية** المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل
ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم **الثالثة**
ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل
الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين • وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه

لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الأربعين أيضاً وهذا الاختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار
يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فإنه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية
ويسمى أصحاب النهايات السابقين وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات وكذا السابقون وأعالي درجات
أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل
وأما عدم أمل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فإن ذلك كالممتنع وجوده · أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات
الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمراً للإنسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يأمل أكثر من شهر فهو
أقرب إلى المقصود ممن يأمل سنة وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فإن تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص
للأمل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوماً لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما
قال خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً لأن استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفاً على مدة مبلغها ما ذكر فإذاً ما وراء السنة
لا يدخر لها إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا
الأسباب فإن أسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالباً ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله
ومن كان أمله شهرين لم يكن درجته درجة من أمله شهر ولا درجة من أمله ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر
الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً وإن ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر · وقد روي في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم علياً
وأسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال لأصحابه إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه
لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواماً قواماً كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة
الصيف لصيفه وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز
والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج إليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج
بترك الادخار ولا يستشرف نفسه إلى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فإن كان يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه
عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافياً بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى
لأن المقصود إصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن
الله تعالى وإلا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم
التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال
بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله القلب
فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد · فأما المعيل فلا يخرج عن
حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر بتكرر
السنين وادخاره ما يزيد عليه مصدره ضعف قلب وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل
الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة فقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى أم أيمن
وغيرها أن يدخر له شيئاً لغد ونهى بلالاً عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال النبي يا بلال أنفق ولا تخش من ذي العرش
إقلالاً وقال له إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين عليه السلام وقد كان قصر أمله بحيث كان إذا بال تيمم
مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وكان عليه السلام لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه ترك تعليماً
للأقوياء من أمته فإن أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوته وادخر لعياله قوت سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن
ذلك للضعفاء من أمته ثم أخبر أن الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه تطييباً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم
الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين
كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو أمامة
الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجد ديناران في داخل إزاره فقال عليه السلام
كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالتين أحدهما أنه
أراد كيتان من النار كما قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه

فهو نوع تلبيس والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك
أن لا يكون عن تلبيس فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا ينقص بقدره من الآخرة · وأما
بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر عن الحسين المغازلي من أصحابه قال كنت
عنده ضحوة من النهار فدخل كهل أسمر خفيف العارضين فقام إليه بشر قال وما رأيته قام لأحد غيره ودفع إلي كفاً من دراهم فقال اشتر
لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فأكل منه وما رأيته أكل مع غيره قال
فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك
أنكرت فعله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر
معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف

اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس
أو مال وليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجرى السيل من الوادي أو تحت
الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها
وإلى مظنون وإلى موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فإن الكي والرقية قد يقدم
على المحذور دفعاً لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين إلا بترك الكي
والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعاً للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها
من الأسباب نعم الاستظهار بأكل الثوم عند الخروج سفراً في الشتاء تهييجاً للقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق
في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا نال الضرر من
إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون
وقال ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع أذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل وقال نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في أذى الناس · أما الصبر على أذى السباع والعقارب
فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لإعانته على الدين وترتيب الأسباب
ههنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالإعادة وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب
البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً ولذلك قال عليه السلام
للأعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله فقال اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا
أسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه السلام فأسر بعبادي ليلاً والتحصن بالليل اختفاء
عن أعين العدو ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن أعين الأعداء دفعاً للضرار وأخذ السلاح في الصلاة
ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمقطوع وإنما الموهوم
هو الذي يقتضي التوكل تركه · فإن قلت فقد حكي عن جماعة أن الأسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فأقول وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا
الأسد وسخروه ولا ينبغي أن يغرك ذلك فإنه وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في
الكرامة وليس ذلك شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا تقف عليها ما لم تنته إليه · فإن قلت وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليه
فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن العلامات السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال
يعضك ويعض غيرك فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلي لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخراً لك فربما ترتفع درجتك
إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكلب إهابك أولى بأن يسخر
لك من كلب دارك فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر · فإن قلت فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً
من العدو وأغلق بابه حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً فأقول يكون متوكلاً بالعلم
والحال فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب بل بدفع الله تعالى إياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم
من بعير يعقل فيموت أو ينفلت وكم من آخذ سلاحه يغلب فلا يتكل على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب كما ضربنا الأمثال
في الوكيل بالخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته وأما الحال فهو أن
يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك

فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة ولا ارجعها او عارية وديعة فتستردها ولا ادري انها رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق غيري وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضايك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذاك الذي ذكرناه اولا علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فيعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير • فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يشرب منها واناء يتوضا منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع به عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكها ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زايد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين • فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا ياسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلي بفقده حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة لي كانت في وجودها الى الان والخيرة الان في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن لا يتصور ان يدفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث ان ميسر الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذا فرح وقال لولا انه عرف ان الغذا ينفعني وقد قويت على احتماله لما قدمه الي وان اخر عنه الغذا بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذا يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عبيده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل يسرق متاعه او لا يسرق فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الاخرة وكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه حتى يقول ليتني كنت فقيرا

بيان اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم

للمتوكل اداب في متاع بيته اذا خرج • الاول ان يغلق بابه ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار رضي الله عنه لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطه ويقول لولا الكلاب لما شددته ايضا • الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم اذ امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال له خذه فلا حاجة بي اليه قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوساوس الشيطان بسرقته ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها • الثالث ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل او في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان

لو اخذه غني او فقير احديهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام اذ جعله في حل • والثاني ان لا يطلب مسلما اخر فيكون ماله فدا لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصر الظالم بمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع • فاما الخلق والحيوة والرزق والبقا فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك امر السرقة • الرابع انه اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى فلا يبالغ في طلبه واساة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله تعالى فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد ذلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله عز وجل فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل الا تذهب فتاخذها فقال اني قد كنت قلت في سبيل الله • وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله تعالى بك قال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس صعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال اني لما رايت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل قيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكر فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو واصحابه وردوا الذهب فابى وقال خذوه حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبل والحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا ليعطي فقيرا فتاخر وكذلك في الدراهم وساير الصدقات • الخامس وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ فيه بطل ايضا اجره فيما اصيب به وفي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاء قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة قال فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه • وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرايت لو ردت عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللتها له • وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله • وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم • السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيامة ولا يكون له حجة • وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه

الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المريض وامثاله

اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية

اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال غاية التعمق في ملاحظة
الاسباب • واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطبا ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف
المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله فقد قال عليه السلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا
السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدوا والرقى هل ترد من قدر الله عز وجل فقال هي من قدر الله تعالى وفي الخبر
المشهور ما مررت بملا من الملئكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى
وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص عنه اذ لا فرق
بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك
ذلك بل هو كصب الما على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج من سنة الوكيل اصلا وفي خبر
مقطوع من احتجم يوم الثلثا لسبع عشرة من الشهر كان له دوا سنة • واما امره فقد امر صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي
والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب
وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد
فقال اني اكل من الجانب الاخر فتبسم • واما فعله فقد روي في حديث طويل من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل
شهر ويشرب الدوا كل سنة وتداوى صلى الله عليه غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان
يغلفه بالحنا وفي خبر اخر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حنا وجعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره
بذلك خارج من الحصر وقد صنف كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلما في اسرائيليات ان موسى عليه السلم اعتل
بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرات فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دوا فطالت علته
فقالوا ان دوا هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي
لا ابراتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه
اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشيا غيري • وروي في خبر اخر ان نبيا من الانبيا شكا علة يجدها
فاوحى الله اليه كل البيض وشكا نبي اخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي
ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر
الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفسا الرطب فهذا يتبين ان مسبب الاسباب
اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز
دوا الجوع والما دوا العطش والسكنجبين دوا الصفرا والسقمونيا دوا الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع
والعطش بالما والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في
حقه بالاول والثاني ان الدوا المسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخر في الباطن واسباب المزاج ربما يتعذر الوقوف
على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيبقى على الدوا عن الاسهال • واما زوال العطش لا يستدعي سوى الما شروطا
كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الما ولكنه نادر واختلاف الاسباب ليس يخص في هذين
الفنين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم
حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى عليه السلم انه
قال يا رب ممن الدوا والشفا فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطبا قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي
فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا
فليس شرطا فيه • فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد
والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقلما يعتاد الكي
في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنه بامر وهو انه احراق

بالنار في الحال مع الاستغنا عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دوا يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية
محذور السراية مع الاستغنا عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه
عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم
عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملئكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا
كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من امر الملئكة وقال
لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها فقد ردها علي بعد ان كان اخبره بفقدها فاذا الكي وما يجري مجراه هو الذي
لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو موهوم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها

بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه

اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان
كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل لو دعونا
لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد • وقيل لابي الدردا في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال
مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول
فقيل لو سالت الله تعالى ان يعافيك قال اسله فيما هو اهم علي منهما • وكان اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت
ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكانت فيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيا وكان احمد بن حنبل يقول
احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدوا وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب ايضا اذا ساله • وقيل
لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه
فاذا من ترك التداوي وراه فيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن
التداوي فنقول ان لترك التداوي اسبابا الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله فان الدوا لا ينفعه
ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي
من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعايشة رضي الله عنها في امر الميراث انما هي اختاك وما كان لها الا اخت واحدة
ولكن كانت امراته حاملة فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا
يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثاني** ان يكون المريض مشغولا بحاله
وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال
اني عنهما مشغول وكلام ابي الدردا اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب
بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذ قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع
فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رضي الله عنه حيث قيل له ما القوت
قال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن
طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخل عليه علة فردوه الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت
ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث** ان يكون العلة مزمنة والدوا الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع
جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى
اي ان الدوا غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب
على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد
بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدوا عندهم شيا موهوما لا اصل له وذلك
صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في
الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا المرض لينال ثواب المرض بحسن
الصبر على بلا الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه نحن
معاشر الانبيا اشد الناس بلا ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه وان كان صلب الايمان شدد عليه البلا وان كان

في ايمانه ضعيف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبده ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلوتهم قاعدا مع الصبر على قضاء الله تعالى افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة في الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصايب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ● وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعة يتعجب من ذلك ويقول صلوته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة وللصلوة قايما وسئل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شي منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدوا ولو كان هو الماء البارد يسال عنه لم اخذت ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان الم غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة

السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلوات الله عليه لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانه يهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسال ذلك طايفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلم لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه ● وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته

السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفايت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلو المومن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية بترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي دا ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون قيل العوافي وان الانسان ليطغى ان راه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربع ماية سنة فلم يصدع له راس ولم يحم له جسد ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا من دعوى الربوبية وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض ويختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان

السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال وقالوا لا يخلو المومن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المومن من نار جهنم ● وفي حديث انس وعايشة يا رسول الله هل يكون مع الشهدا يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا يشك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال

فلو قال قايل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفا ودرجة الاقويا توجب التوكل ترك الدوا فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ان ذلك شرط ايضا فليكن من شرطه ان لا يدفع العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوبا فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احديهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله عز وجل فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه وكان غايبا فلما اصبحوا جا عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول اذا سمعتم الوبا في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية ● فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل وان قلت فلم نهي عن الخروج عن البلد وسبب الوبا في الطب تغير الهوا واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهوا هو المضر فلم لم يرخص فيه ● فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهوا لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقد المتعهدون ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحا منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعا بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى اشتكايه سائر اعضايه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يوثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر قلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا

فقال ماذا أعددت لها فقال ما أعددت لها كثرة صلوة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني إن من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الخوف من النار فقال حق على الله تعالى أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة قال حق على الله تعالى أن يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا حب الله تعالى فقال أنتم المقربون أنتم المقربون وقال عبد الرحمن بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله تعالى لم يجد البرد وعن سري السقطي رضي الله عنه قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه وتعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فإذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمي مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته

الأصل الثاني أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر

الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركها من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذا حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا

الأصل الثالث أن الإنسان لا يخفى عليه أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه هذا مما يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أقسام المحبة وأسبابها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي ذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب وعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما أنه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فإذا المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب

السبب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهي جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فإن المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود إلا أن الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فإذا يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه

السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فإن كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء ويؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لينفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله تعالى جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال

الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال • اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشوبا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وساير الاشيا ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شي من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشيا فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شي فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن اللايق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شي كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شي في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك ساير الاشيا • فان قلت فهذه الاشيا وان لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس • فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وساير خلال الخير وشي من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمسة بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبيا وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك رضي الله عنهم اجمعين حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب فليت شعري من يحب الشافعي رضي الله عنه مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة • فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقا تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقايق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضايل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غايبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وساير الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض ابليس الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخا ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالنظر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحايط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبيا لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد وصفنا ذلك في كتاب اداب الصحبة عند ذكر الحب في الله تعالى فليطلب منه لانه ايضا من عجايب اسباب الحب فاذا رجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقايه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقايه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سوا كانت من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله تعالى

بيان ان المستحق للمحبة هو الله عز وجل وحده وان من احب غير الله تعالى لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول عليه السلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذا حب العلما والاتقيا لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصاير الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تبارك وتعالى بجملتها ولا يوجد في غيره تعالى الا احادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفا العقول استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تعالى

فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله • فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله عز وجل فان من عرف نفسه وعرف ربه تعالى عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى وبالله والى الله تعالى فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالابقا وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله تعالى عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شي له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قايم بذاته وكل ما سواه قايم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه تعالى احبه ومن عرف

الدنيا زاهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه تعالى الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى هو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص وهذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفايض منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقايق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه تعالى وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهايم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت التي لا يطا ارضها الا من يضرب الى شبه من الملايكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملايكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهايم **واما السبب الثاني** وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدايه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله عز وجل فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعده اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكني اقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزاينه ومكنك منها لتتصرف كيف تشا فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله تعالى عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل فيها احسان الله تعالى اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الما في جريان الما فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار او الثنا والصيت والاشتهار بالسخا والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه ايضا في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثنا والشكر والثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلمه اليك فكذلك كل محسن لو خلاه الله تعالى ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله تعالى الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثنا او غرضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه تعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف

الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته **واما السبب الثالث** وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فاذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله تعالى هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع اصناف الخلايق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضا والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضا الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة اقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم ينخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة من بدن الانسان الما والغذا ومثال الحاجة الدوا واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا ينخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره ايضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى **واما السبب الرابع** وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبيا والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضا وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رضي الله عنه فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبنا البنا انكشف له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة وكلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم اشرف واجمل وكذا المقدور كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله تعالى وملايكته ورسله وشرايع انبيايه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله تعالى بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم من الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخيرات الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسما على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تبارك وتعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلما جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل

زمانه والجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته
والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم
معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه وتعالى على علوم الخلايق
كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية • واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز
نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد
رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا
ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا من المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان
قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم
لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات
نفسه وعلى بعض اشخاص الناس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا
بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره
مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها
ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره
فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله تعالى خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك
واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض
فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي
يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله
تعالى لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة
قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه
فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال
قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا • واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الخبائث فهو احد موجبات
الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور
كمال التقديس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام • واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص
بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص فالكمال لله تعالى وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور
ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد
بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم
المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا
بل بالاضافة الى ما هو اشد منه نقصانا كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل
وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد
الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته وبسطته
رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته
القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض والسموات • خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت
المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس
في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه
كما قال سيد الانبياء انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك

فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف هي اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال
والمحاسن او ينكر كون الله تعالى عز وجل موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه
فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب
مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان
يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تبارك وتعالى الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها • وفي الزبور
من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع • ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا
فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله
فقال انتم اولياء الله تعالى حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء
ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل **واما السبب الخامس للحب** فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء
منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس
العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما
استقصيناه في باب الاخوة في الله تعالى من كتاب اداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحاب فالمناسبة
قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين
من غير ملاحظة جمال او طمع في مال او غيره كما اشار اليه عليه السلام اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى
المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء
الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي
امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من
صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من
الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز
ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر
ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى
الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه ان الله تعالى خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة
المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لبعض
انبيائه مرضت فلم تعدني قال وكيف ذلك قال مرض فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل
بعد احكام الفرائض كما قال تعالى ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر
والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلم
فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت • وقال آخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه
والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسن النوري عن هذا المقام كان
ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل • لا زلت انزل في ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله • فلم يزل يعدو في وجده
على اجمة قصب قد قطعت رؤسها حتى تقطع قدماه وتورمت ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها
واقلها وجودا • فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها
فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المقبول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب
من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب ونقص عن كماله
ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف

وبطشته

واوقاها

التي هي نهاية الجمال والكمال ولا شريك له فيه وجوداً ولا يتصور ان يكون ذلك امكاناً فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان
الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذاً لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه اصلاً

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها
في نيلها بمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثاً بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو
مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة
شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة
السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والاستنشاق فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى
مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد
تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة
والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق
لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر حكيم
موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلاً بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة
فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله
تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم
وهي لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في
شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح
به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل
ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص الصفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح
الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم
ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله
تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى
ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به يجد له لذة وان جهله يتقاضاه طبعه ان يتفحص فان علم بواطن احوال رئيس
البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره
وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن احوال الملك والسلطان
الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد
وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما
هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى
واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك
والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بادنى جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت
لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى
انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما يستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما
يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في
مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر
الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع اولاً كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف
والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل البالغ في الجمال
بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان يكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها

ومرتبها

وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى المليح علم به ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا
حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من
لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس
والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للذوق ومعاني
الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة
وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي
الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياماً كثيرة فاختياره الرياسة يدل على انها الذ عنده
من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر
لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبى واللعب فلذة معرفة الله
تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية
العبارة عنه ان يقال لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن
لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعاً فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر
الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعاً
بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها الآية فيستعظم بالاضافة اليها
لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية من المزاحمات
والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا
خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها
ويقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت
اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي اذ الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها
ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل
نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة
وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذاً جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ
منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف
فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلاً الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة
معارفهم فهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال
من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة ولا للصبي ولا للمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال
مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه
اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه
القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند
الاخشم كما لا لذة للوقاع عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلم من حاسة شمه
ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور
الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضاً
معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله جل ذكره وقد
انكشف له من اسرار ملك الله تعالى ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به
ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى
فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عباداً ليس

يشغلهم عن الله تعالى خوف النار ورجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى ولذلك قال بعض اخوان معروف له اخبرني يا ابا محفوظ
اي شيء اهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي
شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك
وبينه معرفة كفاك جميع هذا ۞ وفي اخبار عيسى عليه السلم اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه
وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله
تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله تعالى قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن موفق انه قال
رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل
ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق
العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي رضي الله عنه عبد الله تعالى لا خوفا
من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل
ولذلك قال ابو سليمن من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه
تعالى ۞ وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه ۞ وقالت
في معنى المحبة نظما ۞ احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك ۞ فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك ۞
واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراك ۞ فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك ۞ ولعلها ارادت بحب
الهوى حب الله تعالى لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبها له لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها
وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها عليه السلم حيث قال فيما يروي عن ربه تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى
الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رايت جليسا
ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا
فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لها منها واذا حصلت امحقت الهموم والشهوات كلها
وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه
الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة
وشكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله تعالى عرف ان اللذات المتفرقة بالشهوات المختلفة
كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي ۞ فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ۞
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ۞ وكذلك قال بعضهم
وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته ۞

وما ارادوا بها الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل
والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم
ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء
ثم يظهر بعده لذة الزينة وهو لبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء
فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واغلبها واقواها كما قال
تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الاية ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى
ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب
النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي
يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الروساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل
بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المشكلة
من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا
ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها فاذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين
الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان الصورة المرئية صارت
بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يراه عند تمام الضوء فانه لا يفارق
احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف
وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر استحق
ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتين احديهما
اول والثانية استكمال له وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فليسمى
الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان
سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب
لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض
البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن
الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق
بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلم لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان
كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدا فصار كالمراة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح
والتصقيل وهولاء هم المحجوبون عن ربهم تعالى ابد الاباد نعوذ بالله منه ۞ ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن
قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية
واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المومنين كما ورد به الاخبار سبعة الاف سنة ولم يخل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة
وكدورة ما وان قلت ۞ ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله
ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيرها وانى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله تعالى
عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق
وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات
بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل
متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل
وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال
الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهد في الاخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف
والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك
المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله
تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يوثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة
النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا
ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصل الزرع فمن لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت
المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف
النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما
يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة تجلي

ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف

انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على لذة المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات
ملكوت السموات والارض وساير الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم
يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهولاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا
ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وساير الخلق مشغولون به ولذلك
لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم
يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستانف لاحد في
الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه
من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط الا انها ينقلب مشاهدة بكشف الغطا فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق
اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا
يشتهي الا لقا الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتاذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل
السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان • فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان
كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فيضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر ساير لذات الجنة فيها •
فاعلم ان هذه الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة
ضعيفة وقلبه مشحون بعلايق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة
في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقا والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روايح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم
التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها
كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة • والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس
التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه • الثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في
ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعيد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب
حايل كادراكه مع التجرد • الرابع اندفاع العوايق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر
الى المعشوق كالتذاذ الخايف المذعور او المريض المتالم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر
الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حال اجتمع عليه عقارب وزنابير توذيه وتلدغه
وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرات على الفجاة حالة انهتك الستر واشرق به
الضوء واندفع عنه الموذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف
تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق
مثال للبدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب
والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاتها الى اسفل
السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته
فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوايق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم
يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل ويعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما
يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة قايمة في هذه الحياة الفانية فلا
يزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون • فكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقا الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال
في المعرفة فان المعرفة كالبحر والبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة بكنه جلال الله تعالى محال وكلما كثرت المعرفة بالله عز وجل
وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا
يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على
المجاهدة والانقطاع عن علايق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا
في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل له بطول العمر فراى نفسه مقصرا عما يحتمله
قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان
اتسعت احبوا البقا وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة
والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة
ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند ذوي الكمال وان لم تكن كذلك عند النقصان كما لم يكن الرياسة
الذ من المطعومات عند الصبيان • فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم ان الناس اختلفوا فيه وارباب
البصاير لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه
عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سوا كان بالعين او غيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه
ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز الحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز • فاما الواقع في الآخرة من
الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر
وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى اعلم **بيان الاسباب
المقوية لحب الله تعالى** اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك
سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر
ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب
العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاوه حتى ينتهي الى
الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير
الله تعالى من القلب فان القلب مثل الانا الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الما وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب ان يحب الله
تعالى بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله تعالى ينقص منه حب الله عز وجل
وبقدر ما يبقى من الما في الانا ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد
والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد
في الارض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله تعالى فلا
يبقى فيه شركة لغير الله تعالى فيكون الله تعالى محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة
له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى
عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا
ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور
وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله تعالى ولا
يوتى احد من الدنيا شيا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب
بقدره ولا يطيب قلب امراته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي
القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد
اليهما بزمام الخوف والرجا فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجا هي مقدمات ليكتسب بها احد
ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله تعالى واوله الايمان بالله تعالى واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا
ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعها طهارة
القلب عن غير الله تعالى فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله تعالى وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني
المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة • السبب الثاني لقوة المحبة

قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله تعالى لها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال له وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة • اما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي • والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر • فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة • فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد به على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب • واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب وآيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن نكتفي بالرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجائبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيف وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال عليه السلام الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين فانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال آلة الطيران وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصدها مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة مرآة الحدقة عن الغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه • واما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الآخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء اشباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار • واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسها الى الكوة فاذا جاوزها ورأى الظلام ظن انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركها غيرها • فانظر الى النحل وعجائبه وكيف اوحى الله تعالى اليه حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى له اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركه وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنأ عيشه فسبحانه ما اعظم شأنه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما احاط به الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين يشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف

الثلاثة في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية وإذا كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب
مثالا فنقول أصحاب الشافعي رضي الله عنه مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لأنهم يشتركون في معرفة فضله ودينه
وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه
له أشد فمن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب
تضاعف لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب
شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع أن فلانا
مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير إذا فتش عن
التصانيف واطلع على ما فيه من العجائب تضاعف حبه لا محالة لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل
والمصنف والعالم جملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده ● وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله عز
وجل فيها حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنع الله تعالى ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله تعالى وجلاله
وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله تعالى اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة
وله حبا وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت
بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا إليه ومنعما عليه ولم يحبه
لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الإحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق
للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه ● فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في
المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا **بيان السبب في
قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى** اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن يكون معرفته أول المعارف
وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول ونرى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها
لمعنى لا تفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته
للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه
وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته
وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس
ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه إلا دليل واحد
وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة
والباطنة من حجر أو مدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا
وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا
بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في
العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات
المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد وهو ما أحسسناه من حركة يده فكيف
لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادي
بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف
عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإنا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها كما نعلم
أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم
ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك
لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتار الليل
ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع
إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق

والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه
فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان
بأضدادها وما عم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت
في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول
عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض
وغيرهما فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي البياض إلا البياض فأما الضوء فلا يدركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا
تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه
وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع أن النور
أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره ● انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب
ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السماوات
والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت
التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة
الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا
يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وإنما الوجود للواحد
الحق الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض
وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر
والمصنف ورأى آثاره من حيث إنه آثاره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم
تصنيف الله تعالى فمن نظر إليها من حيث إنها فعل الله تعالى وعرفها من حيث إنها فعل الله تعالى وأحبها من حيث إنها فعل الله تعالى
لم يكن ناظرا إلا في الله تعالى ولا عارفا إلا بالله تعالى ولا محبا إلا الله تعالى وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله تعالى بل لا ينظر إلى
نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنها عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وإنه فني من نفسه وإليه الإشارة بقول من
قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها
عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم
فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى إنما يدركها الإنسان في الصبا
عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط
وقعها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله عز وجل خارقا للعادة
عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد
قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار
والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها فهذا وأمثاله
من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس
في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات إذا صارت مطلوبة صارت
معتاصة ● فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل ● شعر ● لقد ظهرت فما تخفى على أحد ● إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ● فكيف يعرف من بالعرف استترا ● **بيان معنى الشوق إلى الله تعالى** اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة
لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف
مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار **أما الاعتبار** فيكفي في إثباته ما سبق في إثبات
الحب فكل محبوب فهو مشتاق إليه في غيبته فإن الحاصل الحاضر لا يشتاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى نيل أمر والموجود
لا يطلب ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فأما ما لا يدرك أصلا فلا يشتاق إليه فمن لم ير
شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق إليه وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه

مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فمن غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو راه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية ومعنى شوقه تشوف نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم من التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات فكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الآخرة

وأما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما اشرق منه في الدنيا استنارة ناقصة فيكون اتمامه بمزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد باتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه

وأما شواهد الأخبار والآثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت

عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا علينا بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود عليه السلام ايضا قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود عليه السلام ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلده لي ولا تقلده دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدني فعلي ان ابادر الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني

واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي ان لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى افعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تضاد عملك فتكون متعنا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك اللتين في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرجوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا ابيح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها • يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها • يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي • يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي • فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد على من ادعى انه حبيب الله تعالى فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث • وقال زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم تنطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الالهية فهو حاضر

وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه تعالى فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره في رأيه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به والاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ من قربهم مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا ويتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علومه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان تفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه • واما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله عز وجل • فان قلت فمحبة الله عز وجل للعبد ملتبس فمن اين يعرف العبد انه حبيب الله تعالى فنقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له مالا ولا ولدا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلني عن نفسه بحمار • وفي الخبر اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا فقال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه اذا احب الله تعالى عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقال اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله عز وجل واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض

للانسان قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له من الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو
علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فانها ايضا علامات حب الله تعالى للعبد **القول في علامات**
محبة العبد لله تعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع
النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان
على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان
يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا
للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول
الى المشاهدة قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم • وقال
بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله تعالى على
السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله تعالى حيث قالوا انا نحب الله تعالى فجعل القتل في
سبيل الله تعالى وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون • وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت
وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروى
ابو اسحق عن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن
جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني
فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت
قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقان في خيط • وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله آخر قسمه كما ابر اوله وقد
كان الثوري وبشر الحافي رضي الله عنهما يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد
اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه • فان قلت فمن لا يحب الموت
فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول — كراهة الموت قد يكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا
يناقض كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب
الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج
اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم
انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
اراد ان ينظر الى رجل يحب الله تعالى بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا
غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها **واما السبب**
الثاني للكراهة ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة فليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تعالى فذلك لا يدل
على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه
فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته
الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد • ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب
اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما
يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ويؤثرون على انفسهم
ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل •
اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا
لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه

الى الليل فلما دعاها ليلا سوفت الى النهار فقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة
سواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله
تعالى امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه
تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في الفعال بديع • لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع • وقيل
واترك ما اهوى لما قد هويته • وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي • وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس
كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبة الله تعالى سبب محبة الله تعالى له كما قال
يحبهم ويحبونه واذا احبه تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك
قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا • فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها
ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه
لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل فقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية
عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب
البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان
قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من
نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك • ومنها ان يكون
مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى
حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلبه
فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من
احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوزه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله تعالى على قلبه احب
جميع خلق الله تعالى لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة
والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه واحبوني لله تعالى • وقال سفيان من احب من يحب الله تعالى فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما
يكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في بدء الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا
ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من
لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه
الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله تعالى وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله تعالى وقال سهل علامة حب الله تعالى حب
القرآن وعلامة حب الله تعالى وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب
السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا لا ياخذ منها شيئا الا زادا وبلغة الى الآخرة • ومنها ان يكون انسه بالخلوة
ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت به بانقطاع العوائق فاقل درجات الحب
التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم او الاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى
كيف تصح محبته • قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله عز وجل وفي اخبار داود عليه السلام
لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان
اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله تعالى كان بقدر انسه بغير الله تعالى مستوحشا من الله عز وجل
ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان
برخ نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء
وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت

مستهدي الى الملك الشجرة فكنت انس بصوت هذا الطائر قال فيفعل فاوحى الله تبارك وتعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم قل لفلان
العابد استانست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم
بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم
كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته ووقع الحريق
في داره فلم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت
الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا
مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب لا يطمئن الا بمحبوبه ● وقال قتادة في قوله
تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق
من ذاق خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم
من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء
حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن
معاذ من احب الله تعالى ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله
تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ● ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تأسفه على
فوت كل ساعة خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال
بعض العارفين ان لله عبادا احبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على فائت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم
تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على
محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة
الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه
ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه
خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ● ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال
بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة قال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة يفتر بدنه
ولا يفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يداخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب لله تعالى من طاعته ولو حل
بعظيم الوسائل وكل هذا وامثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه
وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله
تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته ومن كان احب اليه من
المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال
سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني
فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد
لمعبود فكان هذا سببه ● ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله تعالى رحيما عليهم شديدا على جميع اعداء الله تعالى وعلى كل
من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه
وصف الله تعالى اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر الى وكره ويغضبون
لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلا فان
اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى
ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه ● واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من
شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا شرابه وعذب مشربه
ومن امتزج بحبه حب غير الله تعالى تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان
الابرار لفي نعيم الى قوله يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب

بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان
الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون وكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث
يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في
الاخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص
بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشرب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع
بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق
عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة
عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة
اقوام اخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك
معنى العليين عظم امره فقال وما ادريك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة ● ومنها ان يكون
في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة
كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها
خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين
اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه
وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف
البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان
يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو
ملعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله وانما كان استغفاره من القدم
الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي
عنه تعالى انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات
عقوبة العموم فاما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر
الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم بن ادهم قائلا يقول في
سياحته على جبل ● كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا ● فاضطرب وغشي
عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت
ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان
تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا
يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به
واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى والنسيان
وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف الله تعالى ما
يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبرية
والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره
وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام
الذكر وملاله لوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى
مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه لصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من
احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى

المحب المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش
ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب
عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من
سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم يثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في
الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله
ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها
فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني
هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف
عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله تعالى عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر معشاره
وهو جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد • عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب • كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري • له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد • ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رضي الله عنه ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي

سرت باناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه • تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى • ومصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد من صفاته • وما كتمه اولى لديه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك
الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول
الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء
الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم
كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته • ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار
الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى
ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب
سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما
يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر • يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبدي الدمع اسراره • ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول

ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به
كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله تعالى ودخل
ذو النون المصري رضي الله عنه على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكن
اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه
فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر • فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود
وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله
وافعاله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب
اطلاع الحبيب فقط فاما ارادة اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم
شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك
غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه

كما ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروف الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين
فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم
الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم
قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين
سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات آيات
السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله تعالى من شيء فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى
نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد
تخفيفا عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه فاستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته
واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رضي الله عنه فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف
لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي
ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في
البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا اسل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح
لغلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته • ومنها الانس والرضى كما سياتي وبالجملة
جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله تعالى
لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه
الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم
وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته
الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من
يحب هواه وهو عدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله تعالى وهو الذي فقد فيه هذه
العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء والقراء السوء اولئك
بغضاء الله تعالى في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن
القائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي
في علامات الحب ابياتا وهي

لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة • والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه • طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب
ومن الدلائل ان يرى متفهما • لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا • متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه

ومن الدلائل ان تراه مشمرا • في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه • جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل ان تراه مسافرا • نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى • من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا • ان قد راه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلما • كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا • بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى • والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والشوق والخوف من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب
نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال
انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب فاذا غلب عليه الفرح
بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم
يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر
امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب
تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما
يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب

فاذا كان الغايب حاضرا فالى من اشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الا ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن
غلب عليه حال الانس لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من
الانس بالله تعالى وذلك لان الانس بالله تعالى يلازمه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا
على القلب كما روي ان موسى عليه السلم لما كلمه ربه تعالى مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب
عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكما في دعايه يا من آنسني بذكره واوحشني
من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلم كن لي مستانسا ومن سواي مستوحشا • وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة فقالت بتركي ما لا
يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا
لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة
من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة
قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكما عجبا للخلايق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب
كيف استانست بسواك عنك • فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم
بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب
في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق في عذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة
الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله تعالى وهذه علامته وهذه شواهده
وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصاير
اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي
الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير
متصور وهذا كله كلام ناقص لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل
الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله واستحال عنده
خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل في الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والانسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال •

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال
والافعال والمناجاة مع الله عز وجل وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم في مقام الانس
ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله
تعالى كليمه موسى عليه السلم ان يساله ليستسقي لبني اسرايل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى يستسقي لهم في سبعين الفا
فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري
ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلم فلم يعرف فبينا موسى ذات
يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى
بنور الله تعالى فسلم عليه وقال ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه
ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما
عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطايين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك
ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرايل بالقطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله تعالى
اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى
يوميذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت
على الله تعالى ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة

ثيابهم لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجا ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر
لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى قال فعزم عليها فطفيت • وكان ابو حفص
يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف
ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري
لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر
عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القا
يل قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه • تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا • ولا
تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القران تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت
فجميع قصص القران تنبيهات لاولي البصاير والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار
فاول القصص قصة ادم عليه السلم وابليس اما ترى انهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتبا والعصمة
اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما ادم عليه السلم فقيل فيه وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال
مختلفان فقال اما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الاخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود
مع طايفة فقال واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فكذا
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلم ان هي الا فتنتك تضل بها من
تشا وتهدي من تشا وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله
اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سو الادب
لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن
الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم قال الحسن العرا
هو القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في
القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات
وكان عيسى عليه السلم من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس • واما يحيى بن زكريا عليهما السلم اقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق
حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلما قد عددت من
اول قوله تبارك وتعالى ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين
خطية بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل للعزير مسالة واحدة سال
عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعور من اكابر العلما فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك
وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه فقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمن يا راس العابدين ويا ابن
محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لين اخذته عطفة من عطفاتي عليه
لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل اصف على سليمن اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع
راسه ويديه نحو السما وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن
فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به
عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به
غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به المشية
الازلية وهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران شي الا وهو هدى

ونور ومعرفة من الله تعالى بالطائفة فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيائه وفي اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه ومعرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتمل سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله لم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا يتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى يشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معناة في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما يستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله تعالى فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته

في الرضا

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهي من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم بذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوا غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله جل جلاله ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله سبحانه وتعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد

واما الاخبار فقد روي ان النبي عليه السلام سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال عليه السلام من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فيقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد عليه السلام فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال عليه السلام اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عليه السلام انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله عز وجل ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب بحلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال واي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا لم يصبر على بلاي ولم يشكر لنعماي ولم يرض بقضاي فليتخذ ربا سواي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب اليه ثم اوحى الله تبارك وتعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان آدم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا ابة اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد

واما الآثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله تعالى لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضا من الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكر منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها واستضافها ثلثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وهي نائمة ويظل صائما وهي مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر بن عبد العزيز ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله تعالى ان تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون راضيا عن الله تعالى فقالت اذا كان

سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري
قال ابو سليمن الداراني ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال اليس مراد العبد من
الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله تعالى من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا
وحظهم من الرضا على قدر عيشتهم مع الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين
وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع
البلا الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان
الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس وتصيبه
جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به
على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة
يتالم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور
مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه
ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلا الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق
من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه
في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور
البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بجلال فمن ينكشف له شي منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما
يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي
مرارة وجعه • وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع • واما
الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من
الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة لفعله فهذا حال الراضي بما
يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله
راضيا به ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله
تعالى عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه
لا لمعنى اخر وراه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون
في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة كمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار
والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة
التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلا هذا الحب فمن اين
يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد
الموت حية عند الله تعالى فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين
الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال
الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة
على ضربة وقال بعضهم احببت كل شي يحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد
ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم سكت قال
لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا • وقال يحيى بن معاذ الرازي
اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمان مائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب
وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل
اعمى مجنون مجذوم قد صرع والنمل تاكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها وقال ابو عمرو

محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذا الا النظر الى وجه يوسف فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران
ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رايت بالبصرة
في خان عطا بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول
يوم الفراق من القيامة اطول • والموت من الم التفرق اجمل • قالوا الرحيل فقلت لست براحل • لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلم
قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني
بهما ما شيت انت وسلبتني ما شيت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول • ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه اشتكى
له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر
في جنازته وما رجل ابدا سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله تعالى رضينا به وقال
مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الما ويحمل لهم خباهم والكلب
يحرسهم فجا الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جا ذيب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا
له فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي
من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلب والحمار والديك وكانت الخيرة في هلاك هذه
الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله ويروى ان عيسى عليه السلم مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب
الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلم يا هذا
اي شي من البلا اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله تعالى في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له
صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلم
وتعبد معه • وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايمك لين كنت
اخذت لقد ابقيت ولين كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مركبان ما ابالي
ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمن الداراني لقد نلت من كل مقام حالا الا الرضا
فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلايق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف اخر نلت غاية
الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلايق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة
لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه
الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعار حصول رضا محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلا
هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقويا ويظن
ان ما هو عاجز عنه عجز عنه الاوليا وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلا الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي
قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من
طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلثين سنة
لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضا حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلا فجعل يبكي لما يرى من
حاله فقال لم تبكي فقال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الي الله احبه الي ثم قال احدثك شيا لعل الله ان ينفعك به
واكتم علي حتى اموت ان الملايكة تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلا ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه
النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلايه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا
ان تحته شيا حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداوك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت
نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر ايام وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
الى مكة وكان قد كف بصره جاوه الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن
السايب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قاري اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها فقلت يا عم انت تدعو
للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله تعالى اليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضا الله تعالى عندي احسن من بصري • وضاع لبعض الصوفية

ولد صغير بلله ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي
وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له
وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته
لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل
انست به فقال لا فقال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان
معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت بعد في طبقة
اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ● ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه
وجمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا
على بلائي ● وللشبلي ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران ● وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله تعالى وقد
كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله تعالى
والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة ويستنكفون منها واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك
فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله
فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك
ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله تعالى وحده وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب
الموعود كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب
بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل
فما لجرح اذا ارضاكم الم ● وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة
دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين
عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت
معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت ● علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكا ● فقال لها الفتى
احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو
ميت وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع وهو يظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر
فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون
المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية
آه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه فقالت الجارية له ما هذا
فقال الرجل هذا موضع قولك آه ● وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول
من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ۵ ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوقين
والتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال
في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات والموزونات
فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب ۵

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه
عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه
وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل
وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء على ما نقلناه في كتاب
الدعوات يدل عليه ولقد كان صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا
واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال
على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر

لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي به آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال
تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله تعالى حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها
ورجل آتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن وهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو
آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما فعل ● واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد
القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
وقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن
وقال ايضا المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيمة وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض
في الله وشواهد هذا قد ذكرناه في باب الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده ● فان قلت
فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله
تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في
شيء واحد ● فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكر
مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة
واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك
وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى
من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث
انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم
ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا
وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم انه
ايضا عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة
فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعرضك اياه للبغض
والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر
ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك
الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف
هذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل
بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب
شتمه فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه
عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني
ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه
عندي من حيث انه وصف له وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي فاما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث
انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد
لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى جره ذلك
الى حب المعصية وجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا لنجره الضرب الى الغضب
والغضب الى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما
حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت
مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى ان يبغض من ابغضه الله تعالى ويمقت من مقته الله تعالى ويعادي من ابعده
الله تعالى عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا
بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب

باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا ينقرد جميع ما ورد به الاخبار من البغض في الله تعالى والحب في الله تعالى
والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله تعالى وهذا كله يستمد من سر
القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن
قال ليس الشر من الله عز وجل فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه
غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال عليه السلم القدر سر الله تعالى فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة
وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض
من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وساير الاسباب المعينة على الدين غير مناقض
للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعا ليستخرج الدعا منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك
جلا للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في
العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعا سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد
ذكرناه ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان
الرضا مقام ملاصق التوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار البلاء على
سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض
الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتا فهو شكر والشكوى مناقض للرضا لانه مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القايل
الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها
ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر بها
الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهر فيه المعاصي لان كل واحد فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد
بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيها المطعونون مهملة لا متعهد لهم فيهلكون هزلا ولذلك شبهه رسول الله صلعم
في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب
التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه
وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف
الصالحون والايمة الماضون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت
المشرق والمغرب فما رايت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله تعالى وتستصغر فيها معصية الله تعالى ولما
قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد فقال ما رايت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قاريا حيران ولا ينبغي ان تظن ان ذلك
من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد ريث
استعداد القافلة ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز
وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض الله
قرينا من البلا وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الدا العضال وقيل قسم الخير عشرة اجزاء
فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض
فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال ياتينا احدهم في زي الرهبان
فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا
بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد اثر في نفسي
قيل واين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سيل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة
يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان
منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمين النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قايلا على الدوام ربنا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا كثر نزل البلا ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تبارك وتعالى واتقوا فتنة

لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شي من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلقا الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما
هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلثة رجل يحب الموت شوقا الى لقا الله تعالى ورجل
يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيا بل ارضى بما اختاره الله تعالى لي ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا
افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاة قبل
اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقا فقال سفيان لم قال لعلي
اصادف يوما اتوب فيه فاعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيا احب ذلك الى احبه الى الله تعالى فقبل الثوري
بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين
انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة
وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلم فتبسم
وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ان يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلم انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى
الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال
ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن
رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة
فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلوة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه
رافعا اخمصيه مع عقبيه ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك
فاعطيتهم المشي على الما والمشي في الهوا فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من
كرامات الاوليا ثم التفت فراني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني
بشي فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى
ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى
اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن
فذكر اشيا قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شيت
قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين
فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول
فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رايت الله تعالى فاغناني
عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان
ترى الله عز وجل سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذاك قال له ويلك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على
مقدارك وترى ابا يزيد عند الله جل جلاله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا
على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد
فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن
صاحبكم كان صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رانا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام ضعفا المريدين
فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم
فسكت ثم قال لله تعالى عباد في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم
قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشيا لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور
ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجايب
الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك
مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك

به وهذا بالاسلم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراً رايتهن يتساعين في الهوا عليهن
ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراً فوقهن
في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت اتضرع وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل
اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه
المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه الاحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج
حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهراً او باطناً ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصناً بحصن الخمول فهي اوايل
سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاشيا من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات الالتفات الى الخلق يفيض عليه
نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديدة
اذا تشكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المراة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدى والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان انكشاف المرائي فيه عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات
الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من راه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يستنشق روايح المكاشفة من سلك
شيئاً ولو من مبادي الطريق كما قيل للبشر باي شي بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي امري
وروي انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله تعالى عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه
يسترها عن الخلق وقيل سترها عليك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم قال اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله تعالى مرة ان يريني
اياه ليعلمني شيئاً كان اهم الاشيا علي قال فرايته فما غلب على همي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئاً اذا قلته حجبت في قلوب الخليقة
فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون
غيبك واحجبني في قلوب خلقك • قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار
بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشيا لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون
به فكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله تعالى ففي امثال هولاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون
انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تابى الا اخفاءهم
كما قال عز وجل اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله تعالى لابره وبالجملة
ابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب
المنكسرة المستشعرة ذل انفسها استشعاراً اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا
لم يحس بالذل ولم يشعر ايضاً بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلاً في حقه بل
يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروايح فان فقدنا مثل هذا
القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله تعالى فليكن محباً للاولياء
الله تعالى مؤمناً بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب
فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى
منتهى الضعة والخسة حتى روي ان استاذ الجنيد وهو ابن الكريني ان رجلا دعاه ثلث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه
فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب
يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت • وعنه ايضا قال نزلت في محلة فعرفت
بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي
قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضرباً فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي
فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله عز وجل
وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حايل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها او بنفسها واعظم
الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شيخاً مشاهداً عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوماً
يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وانا اصدق به واحبه

فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل لي
حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة
وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزاً واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند
الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف
قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شي فقال لا اطيقه فقال
قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض
دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا واقل
درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضاً وهذه امور جلية من الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة
عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرة الشي وحتى لا يعرف
احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشي من عمله واذا عرض له
امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة آثر امر الاخرة على امر الدنيا • وقال عليه السلام لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب
لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل
داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر وخشية الله تعالى في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها عليه السلام لاهل
الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد
مجاوزة مقامات عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له
غيري ولا يؤثر علي شيئاً من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعاً وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الماً فمن لم يبلغ الحب الى هذا
الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته
في الزيادة والنقصان لا حصر لها ولذلك قال عليه السلام للصديق ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل
ايمان كل من آمن به من ولد آدم • وفي حديث آخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه
يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخا وقال عليه السلام رايت ميزاناً دلي من السما فوضعت في
كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر رضي الله عنه في كفة وجي بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان
استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت
ابا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه • **خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها** • قال
سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا
كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن
ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته • وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض
زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله تعالى احذر ان تذل لغير الله تعالى وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف
ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقيل للشبلي • يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم • يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم •
ولغيره • اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت • فاحيا بالمنى واموت شوقاً فكم احيا عليك وكم اموت •
شربت الحب كاساً بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت • فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت •
وقالت رابعة يوماً من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوماً في المحبة
فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي
جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي من احب الله تعالى
عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش • وقيل لرابعة كيف حبك للرسول عليه السلام فقالت اني والله لاحبه
شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال
ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة

ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات
واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله عز وجل بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب
على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما
وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم
ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة • وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع
على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها افعلى ثقة انت
من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه • واوحى الله تبارك وتعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني
كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين
عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي
اذا رجع الي • وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم
تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي
للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه
رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس
عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك • وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله تعالى انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة • وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح
العارفين جلالية وقدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك
مالوا الى الدنيا • وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني
كما ترى وقيل الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى تحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر
كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله تعالى اعلم •

تم كتاب المحبة والشوق من ربع المنجيات والحمد لله على اتمامه وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين •

كتاب النية والصدق والإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم • نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا
الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد
المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين • اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار
القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم
هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص
من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله تعالى مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا • وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب
المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية اولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل
بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب
الباب الاول في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث** في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة
بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار • **بيان فضيلة النية** قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله تعالى ورسوله فهجرته
الى الله تعالى ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء
امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة
فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه وقال
صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله تعالى علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما
في الاجر سواء • ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في
الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في
ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية • وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل
الحمار لانه قاتل رجلا لياخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي عليه السلام من غزا وهو لا ينوي الا عقالا
فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه
وآخرته الا ما جعلت له • وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين
الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد
ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله تعالى فقره بين عينيه
وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن يكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث
ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم
وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما المقتتلون على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة
تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله تعالى ومن قاتل لتكون كلمة الله
تعالى هي العليا فهو في سبيل الله تعالى • وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف
عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي
حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم
من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة • **واما الآثار** فقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب
سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وان نقصت نقص بقدره وقال
بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية • وقال داود الطائي من كان اكبر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه
بالدنيا لردته نيته يوما الى نيته الصالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض
العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير • وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه
عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما
استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله ولذلك قال بعض السلف ان نعمة الله تعالى عليكم اكثر من ان
تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت
ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة

في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال
بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه
حتى ينظر في ماذا نوى فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية
في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة
للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري
فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة
انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه
بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق لنفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر
والنافع حتى يجلب ويهرب فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية
والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك
للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة
والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك
لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو
لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون
الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة
وتحقق الميل فاذا انبعثت انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية
عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك
هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة
بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين
فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر
لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما. اما الاول فهو ان ينفرد
الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه
ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في
القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره
وممازجته. واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على
حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته
وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها لمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب
في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لولا
عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل فكان الباعث الثاني رفيقا للاول
فلنسم هذا موافقة البواعث. الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون
ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه
فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون
بحيث لو كان منفردا لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء
فلو اجتمعا اورث مجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة. والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا
يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد
القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان
ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من
نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس
المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل
تابع للباعث فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله عليه السلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا
صحيح ولكن ليس المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان
سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان
نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير
من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر
الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من
جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة
طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه. واما سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل
فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطرق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح
بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء
مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها
وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى الا من مات
محبا لله عز وجل عارفا بالله تعالى ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة
تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنها شهواتها
حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها
كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة
عليها فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتقوى بسببها
فالمائل الى طلب العلم وطلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال
المطلوبة بها تأكد ميله وترسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي
ينظر الى وجه حسن فيميل اليه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والملاحظة والمجاورة تأكد ميله حتى
يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه وان فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل
ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي
تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا للآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية
هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب
علاقة حتى يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم
امر مخوف تأثرت الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا
والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاته فيها فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال عليه السلم
ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح
ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان نعود القلب
ارادة الخير ونؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض المطلوب
منه لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء
الواصل الى المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو
خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في

وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا فإذا استعان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبّله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لأن من يمسح رأس اليتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه بتأكيد التواضع وكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا إذا فعل عن غفلة فإن قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهو صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى والتقوى هاهنا أعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة من القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لتنكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة **بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية** اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات **القسم الأول** المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام إنما الأعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت عن علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام تقرب العلماء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور المقصورين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين والمساكين واليتامى فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى أمثاله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعصية من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرا في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإنما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله تعالى وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والخيل فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب

إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاون به أعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا للدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ● وحكى بعض أصحاب أحمد بن حنبل أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كان مراقبة السلف لأحوال طلبة العلم فهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر منها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فإذا قوله عليه السلام الأعمال بالنيات يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة **القسم الثاني** الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله تعالى وأن داخله زائر الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور إكرام زائره ● وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا ● وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى أو لاستماع ذكره أو للتذكر به كما روي من غدا إلى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها أن يقصد إفادة علم بأمر بمعروف ونهي عن منكر إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته ● وسابعها أن يستفيد أخا في الله تعالى فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله تعالى وفي الله ● وثامنها أن يترك الذنوب حياء من الله عز وجل وتجنبا من أن يتعاطى في بيت الله تعالى ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال أخا مستفادا في الله تعالى أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء ● فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث** المباحات وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنها في القيامة أنه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل أنه صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية ● فإن قلت فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى ● فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الأوقات

يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبه يكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم يبقى ● واما الحسنة فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائر الله تعالى الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله تعالى بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل ● مهما رحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم هم ● وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكر له لم ينبعث له قلبه ولا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيره ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن كان قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فيكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله تعالى واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك ● وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تبارك وتعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضه فلم يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله تعالى وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار وقد روي عن زكريا صلى الله عليه وسلم انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا له رغيفين اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض ● وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني

حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريض اخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار ● **بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار**

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنية فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله تعالى او اكل لله تعالى ويظن ان ذلك نية هيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما ينبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذ لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امراته وكان يسرح شعره ان هات المدري فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدري نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ● ومات حماد بن سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ● وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد ● وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر واذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بلسانه بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى وقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته ● واما الطاعة على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود

في الآخرة وان كان من جنس المالوف في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة
عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله • واما عبادة ذوي الالباب
لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهو لا ارفع درجة من الالتفات الى
المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر
نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن
يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا
من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة
الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء
فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله تعالى وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانه لا يشعر به اصلا ولا تلتفت اليه
ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم • رأى
احمد بن خضرويه ربه تعالى في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني فرأى ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب
كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ورأى الشبلي في المنام وقيل ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان
الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة
الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها
الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة
في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون
ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في
الحال للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه
ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلوة قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لي على
الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق
بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق
في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يفر
بين يدي قرنه ويولي الخصم دبره يستجره الى مضيق فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب
والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض
على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجاتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته • فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا
دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال
صلى الله عليه وسلم ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله • وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على
من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام انما نصر الله تعالى هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم
وصلواتهم • وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من
عبادي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص
العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلام ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال
صلى الله عليه وسلم يستأل يوم القيامة ثلث رجل آتاه الله تعالى العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب كنت اقوم آناء الليل والنهار
فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملئكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى
لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملئكة كذبت
اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت

وكماله خ

اي خسارة

بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملئكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال
ابو هريرة رضي الله عنه ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة
ودخل راوي الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
الآية • وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله
تعالى فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال
اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي
قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال ابليس
يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم
الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه القتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في
امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس
يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل
عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين
من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق
الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله تعالى ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء
بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح رأى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده
ولم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما
انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو
كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني
فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله تعالى لك وهذه المرة
غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد عن الشيطان الا
بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي • وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما
يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري من خلصت نيته كفاه الله عز وجل ما بينه وبين الناس • وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل
من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط خلط
عليه ورأى بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت
لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت
له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل له قد وجه حيث بعثت لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله تعالى
فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله تعالى لوجدته في حسناتك • وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الى فوجدته
لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من الفرث والدم • وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا
فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امرأة
فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا
الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به
بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال
سألني ان احج فقلت لا قال فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض
لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة • وروي عن بعضهم قال غزوت في البحر
فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في

اليوم كان تخصيص بركا من السما فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملا عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله تعالى ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يرى • وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله تعالى عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها • وقال السوسي مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفي عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الريا فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الريا من ربع المهلكات واقل امورهما ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى في القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الريا او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلما او الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف ويتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السوال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنازة اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال عز وجل انا اغنى الشركا عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضاف هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا

في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضا الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله عز وجل فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في الصف الاول لاني تاخرت يوما بعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الناس تعرضا لهذه الفتنة العلما فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلا والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثنا والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله تعالى والنضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس منك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه لتصدي ابي بكر رضي الله عنه للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان ذلك كان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح له اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلما لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك على نفسه قبل التجربة والامتحان وذلك محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس والشيطان وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر بذلك

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفي من جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة • وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب • وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق • فاما من يعمل لرجا الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ • والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما

ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره • وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى آفة الرياء فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفى عن العلائق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى بن مريم ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل العمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض للرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات • وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما • وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا •

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلوته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فيخشع جوارحه ويسكن اطرافه ويحسن صلوته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين **الدرجة الثانية** ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه لو كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به **الدرجة الثالثة** وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان يكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيها في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلوته في الخلوة ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة الخلق واحدا فكان نفس هذا ليس تسمح باساءة الصلوة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان يستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان **الدرجة الرابعة** وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك

اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة للنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون له في انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس الطبع به فالشيطان يرغبه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي الجاهل فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن تغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب • واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومفض للعقاب نعم العقاب على العمل الذي لله اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة فاذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة في الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة يكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط ثواب جهادهم بالكلية بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة • فان قيل فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة

وسائر الحظوظ وقد روى طاوس وعدة من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي عليه السلام أنه قال أدنى الرياء شرك وقال أبو هريرة قال النبي عليه السلام يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له وعن عبادة أن الله تعالى يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى أبو موسى أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال عليه السلام من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبه بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد الخبر فمطلقه للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم الإنسان عند الشركة أبدا في خطر فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن ينال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو وبعيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما أغنياء والأخرى فقراء فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله وللغنيمة أنه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فإن هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلا نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأمن إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن يكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا أعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف في أعماله فتكلم أبو سعيد يوما في إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد لا تفعل فإن الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك تم

الباب الثالث
في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي عليه السلام إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الأنبياء في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصورا الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر الله لي ورحمني وأعطاني ما لم آمل فقلت له أحسن ما يوجه به الكذب وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح

رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال الشبلي رضي الله عنه إن كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فالله يغرقه كما أغرق فرعون وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص من البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز أنفع من العلم ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل الصالح ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنى من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي إذا طلبت الله بالصدق أفادك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال أبو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد رضي الله عنه في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في العمل وصدق في النية والإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة عن الصدق ثم هم أيضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه **الصدق الأول** صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأوقات والأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكي عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي بإصبعك دائرة وضعي الإصبع على الدائرة وقولي ليس ههنا فاحترز بها عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم الظالم أنه ليس في الدار فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا إلا عند الضرورة والكمال الثاني أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله مشغولا بأماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله إياك نعبد وقوله أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وإنما العبد الحق لله تعالى

من أعتق أولا عن غير الله فصار حرا مطلقا فإذا انفكت بهذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله تعالى فشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم يجاوز هذا إلى مقام أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب أو إبعاد فتفنى إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل فهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه فهذه درجة الصديقين • وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول • الصدق الثاني في النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعلم ولكن كذبه في إرادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قول الله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أنه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فإنه كذب في ذلك وإن لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق لا بد وأن يكون مخلصا • الصدق الثالث صدق العزم فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله مالا تصدقت بجميعه أو بشطره أو إن لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم أبال وإن قتلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله بظلم وميل إلى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فإنه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد تصادف العزم ولا تنتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه • الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤونة فيه خفيفة فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق على قلبه ذلك وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع فشهد أحدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو إلى أين فقال واها لريح الجنة إني أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر أخته ما عرفت أخي إلا بثيابه ونزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف صلى الله عليه على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر • وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء ثلاثة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا أدري قلنسوة عمر أم قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني رجل مؤمن جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم غائر فقتله فهو في الدرجة الثانية • ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة • وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله لنتصدقن ولنكونن من الصالحين فرزقهم فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون

فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الأسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا أجده الآن لأني لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا إلى السماء • الصدق الخامس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك لأجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فإذا مخالفة الظاهر للباطن إن كان عن قصد يسمى رياء ويفوت به الإخلاص وإن كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة • وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا • إذا السر والإعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا • فإن خالف الإعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا • كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى • وقال عطية بن عبد الغافر إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة فيقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له فلم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانيته منه وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال أبو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فإذا مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق • الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا إلى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا • وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي فإذا قوي يسمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال النبي عليه السلام لجبريل عليه السلام أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى أرني فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي صلى الله عليه فإذا هو قد سد الأفق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه مغشيا عليه فأفاق وعاد جبريل لصورته الأولى فقال عليه السلام ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رأيت إسرافيل إن العرش لعلى كاهله وإن رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور

فضل سر العبد على العلانية

الابانة

الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله تعالى وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلوة وتبعوا الجنازة ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد وصدق المعرفة وصدق الطاعة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي فان من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم

تم كتاب الصدق والاخلاص ويتلوه كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لله وحده والصلوة على محمد واله اجمعين

كتاب المراقبة والمحاسبة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضماير القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله انشرحت القلوب للايمان وانشرحت ومن يمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته تترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة على سيد الانبياء محمد وعلى اله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله

٤١٠

يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة وتتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة

اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او صرفها الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى فيه وانسأ في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من هذه الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كانت دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستأنف لها وصية في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والفرج والبطن واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة

وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضا فوصيها بحفظها عن معاصيها
اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله
تعالى يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت
له من النظر الى عجايب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتدا والنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومطالعة كتب
الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لاسيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع
ولا مؤونة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعا
على الاعدا والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في افات اللسان فهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم
والتعليم وارشاد عباد الله عز وجل الى طريق الله تعالى واصلاح ذات البين وساير خيراتها فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول
نهاره الا في الذكر فنطق المومن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما البطن فيكلفه ترك الشهوة
وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط عليها انها ان خالفت شيا
من ذلك عاقبها بالمنع عن شهواتها ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضا واستقصا ذلك يطول ولا
يخفى معاصي الاعضا وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر
عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان
شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفا بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد
المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشي من
اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله تعالى فيها فعليه ان يشترط
على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد الآبق فان النفس
بالطبع متمردة عن الطاعات مستغنية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا وما
يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهو المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة النفس
فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
وقال عز من قايل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى
عبادة بن الصامت انه عليه السلم قال لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته وان كان رشدا فامضه وان كان
غيا فانته وقال بعض الحكما ان اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضا الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب
اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المومن اذا ابصر العاقبة امن الندامة وروى شداد بن اوس عن النبي عليه السلم انه قال الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب
وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهياوا
للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخا قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله تعالى
قال ويل لديان الارض من ديان السما فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير المومنين انها الى جنبها في التورية
ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال دان نفسه فعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا
وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها وباشرها **المرابطة الثانية** المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه
فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم
درجاتها **اما الفضيلة** فقد سال جبريل النبي عليهما السلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال ايضا اعبد الله تعالى
كانك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك وقال تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال الم يعلم بان الله يرى وقال عز وجل ان الله كان عليكم
رقيبا وقال جلت قدرته والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قايمون وقال ابن المبارك لرجل راقب
الله تعالى فساله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله تعالى وقال عبد الرحمن بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال
ابو عثمن المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا افضل الطاعات

مستعصية

المراقبة الحق على دوام الاوقات فقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قايما
وقال ابو عثمن قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى
رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطايفة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب
ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك
وقال اذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم
اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله تعالى مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف
عليه السلم فقامت وغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن
بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحي فقال ممن استحي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل
للجنيد بم استعين على غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة
من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس فيها حوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن
يسكنها قال يقول الله تعالى انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي
وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسيل المحاسبي عن
المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وروي
ان الله تعالى قال لملايكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك
واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل
لم يتزين القلب بشي افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده حيث كان وسيل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسيل ذو النون بم ينال
العبد الجنة فقال بخمسة استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس فيه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار
الموت بالتاهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل شعر
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب
وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني قال لين كنت اذا عصيت الله تعالى خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولين كنت
تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري رحمه الله عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية وعليك بالرجا ممن
يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السو وانما يراقب
الناس لا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر
عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذيب قال فاين الله عز وجل فبكى
عمر رضي الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة
بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور
بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر تلك الحالة
اعمالا في الجوارح وفي القلب **اما الحالة** فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه
واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما
كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت
يقينا اعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت
فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم
ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة
التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيها متسع للالتفات الى
الغير اصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب **اما الجوارح** فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات
فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا يحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد

الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستوفي بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير
تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه
ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد
هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم
بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له
وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل
عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما لقيت
وما رأيت احدا ● وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم
انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي
ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء قال من غفر الله تعالى له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل
عنك فهذا الكلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك
الا بما هو فيه ● ودخل الشبلي رضي الله عنه على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال
له من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فاذا ارادت الصيد رابطت رأس الجحر لا يتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن
خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد
اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء
فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما
بالله تعالى الا رددتما على السلام فرفع الشاب الراس من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا قليل
فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فاخذ كليتي ونظر الي وطاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا
الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان بعد العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب
ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رأيتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث
قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي ان انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته
وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا ● فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلبهم الاجلال
والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك **الدرجة الثانية** مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله
تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال
الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون
عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين
بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي
احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك
من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى
ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل
ونظر في العمل **اما قبل العمل** فلينظر الى ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره هو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان
فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيا من الله تعالى وانكف عنه ثم لام نفسه
على رغبته فيها وهمه بها وميله اليها وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها فانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في
بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلثة دواوين
الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك
فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه ● سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره
ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص

فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا فقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله تعالى او لمراياة خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال
عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد
استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تعبدون من دون الله عباد امثالكم
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ● ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف
العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا
بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين
باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه ● وقال الحسن رحمه الله كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه
وقال الحسن رحمه الله رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر ● وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله
عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا
يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو
الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمه وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في
هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فلا تظنن ان الجاهل بما يقدر على
التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات
النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه
في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد ان يراقب نفسه
عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس
فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم
والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو
الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله
من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا
فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك
قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله عز وجل فان مستقر انوار
القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد
اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عادم الرغبة فيها وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان
فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود
اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الآدمي به حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست
في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو
الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب لتتفرغ
لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انكم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه
المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة
وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما
ليس لك به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به الظن بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل
عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق الاكبر رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل
باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى ● وقال عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر
استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم

يمن الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى جده امتنانا على عبده وكان فضل الله
عليك عظيما وأراد به العلم وقال فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال جلت عظمته إن علينا للهدى وقال ثم إن علينا بيانه وعلى الله قصد
السبيل • وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي
الصدق السلامة ورب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن
نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما
أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أصبت من يديك فلا تجزع على ما لم
يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه وإنما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نال لك
من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك
وهمك فيما بعد الموت • وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله رضي الله عنه ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فإذا النظر الأول للمراقب نظره
في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فقد استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من
عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وأظهر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه
لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه • **النظر الثاني** للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق
الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة
وسكون فإذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد
مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع
عليه قال إبراهيم بن أدهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك كذلك وإن كان ينام فينام على اليد
اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعه فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء
بالمراقبة فإذا لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراسته
عن الآفات ولو كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة
الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليه ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة ولا بد له من
الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض الله عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب
حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد
من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته
في هذه الأقسام الثلثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو
قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك
من الدنيا وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة
أو في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن
يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة استوفى حقه منها كما
استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر
أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع
أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم
وبمعناه على العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة
يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن هذه الساعة عون له على الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي
أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والتفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل
من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعها وكيفية ارتباط
قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا
بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليها ويودون

لو استغنوا عنها ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى
صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين
وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع
الله تعالى فله في النظر منها إلى الصانع مجال رحب إن فتح له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا • وقسم رابع ينظرون إليها بعين الرغبة
والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون
الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ وللطباخ ولقدرته وعلمه هو الله وأن من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير إذن الله تعالى فقد
ذم الله تعالى ولذلك قال النبي عليه السلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال
وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول • المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة
ثم حقيقتها • **أما الفضيلة** فقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى
من الأعمال ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه
السلم جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت قال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان
غيا فانته عنه • وفي الخبر ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون
والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منها بالندم عليه وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال تعالى
إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون • وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة
إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة
شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب
إلي من عمر رضي الله عنه فقال لا ما أحد أعز علي من عمر رضي الله عنه فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها
وحديث أبي طلحة حين شغله الطير في صلوته فتدبر ما شغله فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته • وفي حديث ابن سلام
أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك قال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن
المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما يشق الحساب يوم القيمة على قوم أخذوا
هذا الأمر عن غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات
حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه شيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا
أبدا إن شاء الله • وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني
وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس
اللوامة قال لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشربتي ماذا أردت بأكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب
نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى
وكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي وقال ميمون بن مهران رحمة الله عليه التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم
ومن شريك شحيح وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار
آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل
صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول امرؤ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب
إلى غيره امرؤ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرؤ نظر في مكياله امرؤ نظر في ميزانه فما زال يقول امرؤ امرؤ حتى أبكاني • وحكى
صاحب للأحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار
ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا **بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل** اعلم أن العبد كما
يكون له وقت في أول النهار يشارط فيها على نفسه على سبيل الوصية بالحق ينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس ويحاسبها
على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو
فاتهم لكانت الخيرة في فواته ولو حصلت لهم لكان لا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل فيما يتعلق به خطر الشقاوة و
والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر

في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فيحاسبها على الفرايض فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما السنين فاذا هو ستون فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى المليك باحد وعشرين الف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى • فهكذا ينبغي ان يحاسبها على الانفاس وعن معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه متساهل في حفظه والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشفت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث في ذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله عز وجل بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له بذلك وانزل في بعض الكتب ذكره • ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتاخر حتى اصبح ويسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله تعالى في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتاخير آليت لا اغتسلن الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس • ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك • ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش • ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها • وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا له انه نايم فقال انوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت انوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما لله تعالى علي عهد لا انقضه ابدا لا اوسدتك الارض لنوم حولا الا لمرض حايل او لعقل زايل سوءة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته • ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع • وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي عليه السلام الم يكن لك بد من الذي صنعت لقد

فتحت لك ابواب السما ولقد باهى الله تعالى بك الملايكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي عليه السلام يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم • وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها • ودخل ابن المبارك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل • وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجة فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله تعالى حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر عدونا فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله تعالى اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث طلحة وانه شغل قلبه في الصلوة بطير في حايطه فتصدق بالحايط كفارة له وكان امير المومنين عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالليل ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السما ما دام في الدنيا • وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد على نفسه شيئا فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك خيرا • وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلت بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان الجنة النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظايف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة باحيا تلك الليلة وبان تصدق بارض له قيمتها مايتا الف درهم • وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا فاتته صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين • وفات عن ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيل علاجها ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عباد الله تعالى من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلايل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله منه ونحن نورد من اخبار المجتهدين وفضايلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتدا بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول للملايكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطوونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله

بصنيعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم
تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة
أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة وحكي أن قوما دخلوا
على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض
فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها
وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهاري وأسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب
الله تعالى وعقابه وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة
خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف
وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا عند أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا
يسرة فقيل له في ذلك فقال إن الله تعالى خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت له خطيئة وقالت
امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلوة وقالت والله إني كنت لأجلس خلفه فأبكي له رحمة عليه وقال
أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام
كما ينتقى أطايب التمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب
نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله تعالى لم
يأمرك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد
من رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست
بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب إليه الصلوة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد
أن يصلي لك في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا
في علة الموت وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد
بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي
قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه
فقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال
دخلت على فتح الموصلي فرأيته وقد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدمع يتحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له
بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق
الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صح لي الدموع فقال فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت
فما صنع في دموعك فقال قربني ربي تعالى وقال لي يا فتح الدموع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت
على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل إن
قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب إنا قد
أخطأنا الطريق فكيف هو فقال ها هنا وأومأ برأسه إلى السماء فعلم الناس ما أراد فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا
ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم
فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته
وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة
فأشرف علي وقال يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله تعالى في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على
آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله
قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا
وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب فالعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه وقيل

لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذا لفارغ وكان أويس القرني رضي الله عنه يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وهذه
ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال
الرفق أطلب دعيني أتعب قليلا وأتنعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط إلا ساجدا على وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد
القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عمر بن أخت بشر بن الحرث الحافي سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لأمي جوفي وخواصري
يضربان علي فقالت له أمي يا أخي تأذن لي حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندي تحساه يرم جوفك فقال لها ويحك أخاف أن يقول لي
من أين لك هذا الدقيق فلا أدري أيش أقول له فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهما فقال عمر ورأت أمي ما بشر من شدة الجوع وجعل يتنفس
نفسا ضعيفا فقالت له أمي يا أخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما أرى بك فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني وإذا
ولدتني لم يدر ثديها علي قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار وقال عبد الله بن داود كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان
لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم
كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا أبة ما لي أرى الناس ينامون وأراك لا تنام فيقول يا بنتاه إن أباك
يخاف البيات ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدة قالت فمن هو حتى نطلب إلى
أهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا والدة هي نفسي وقال الربيع أتيت أويسا فوجدته
جالسا قد صلى الفجر ثم جلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلوة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه
حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم مكث مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة ومن
بطن لا يشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال له يا أبا عبد الله ما لي أراك كأنك مريض فقال وما لأويس أن لا
يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم وقيل قد ورد شمنون في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة وعن أبي بكر
المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي وكان منصور بن
المعتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت أمه
ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا أماه أنا أعلم بما صنعت بنفسي
وقال أحمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال [illegible] من النساك أتيت
إبراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر
وأذن المؤذن فوثب إلى الصلوة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد
الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة أحيانا وفي أودية النار أحيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني أدركت
رجالا كان أحدهم يصلي فيعجز حتى ما يأتي فراشه إلا حبوا وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل في أحد
عينيه الماء فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أني صرفت
طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها
وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح وإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل
قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار
وروي عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت
الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى
ابتل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه
قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول أنت أولى بالضرب
من دابتي وكان يقول أيظن أصحاب محمد عليه صلوات الله وسلامه أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا
وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزيدا وكان
إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وإنه مات وهو
ساجد وكان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها

أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى
مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية
وتدعو وتبكي وقال محمد بن إسحق نور الله برهانه لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فكان يصلي على قدم واحد
حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل ● وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل
للحسن ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن قيس يقول إلهي خلقتني ولم تؤامرني
وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك إلهي كيف أستمسك إن لم
تمسكني إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح ● وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام
يقطع الليل بثلث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه فيتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه
يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض
البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه وانظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا
بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون
فلا تقومون وترحلون فيتواثبون فيسمع من ها هنا باكي ومن ها هنا داعي ومن ها هنا قاري ومن ها هنا متوضي فإذا طلع الفجر نادى
بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى ● وقال بعض الحكماء إن لله تعالى عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه
وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين
الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن
واصف أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ إليها
بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ● وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هنالك
فإذا أنا بصوت قد علا وإذا لتلك الجبال دوي عالي فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم
فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد
هذه الآية حتى إذا صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو
يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين
وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء
جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعي ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون
وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف
سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى خر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه
فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطري هب لي إساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني وعن ذنوبي بكرم وجهك
إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته
ذنوبه إني لفي هذا الموضع منذ شاء الله أجاهد إبليس وهو يجاهدني فلم يجد عونا يخرجني مما أنا فيه غيرك فإليك عني يا مخدوع فقد عطلت
علي لساني وملت إلى حديثك شعبة من قلبي فأنا أعوذ من شرك ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي
الله أخاف أن أشغله فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته ● وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في مسيري إذ ملت إلى شجرة لأستريح
تحتها فإذا بشيخ قد أشرف علي فقال لي يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت
اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال
يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي من المحبة لك وأجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان
لي الرجوع عن الإعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني وقد أنشد وأفيه
نحيل الجسم مكتئب الفؤاد تراه بغنة في بطن وادي ● ينوح على معاص فادحات يكدر ثقلها صفو الرقاد ● فإن هاجت مخاوفه وزادت فدعوته
أغثني يا عمادي

بعينه في

فأنت بما ألاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد ● وقيل ● ألذ من التلذذ بالغواني إذا أقبلن في حلل حسان
منيب فر من أهل ومال يسيح إلى مكان من مكان ليخمل ذكره ويعيش فردا ويظفر في العبادة بالأماني تلذ له التلاوة أين ولى وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان فيدرك ما أراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان ● وكان كرز بن وبرة رحمة الله
عليه يختم القرآن في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل
سبعة آلاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة قال فكيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني
أنك إن عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة
فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك
عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أجمع
للقلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم يكن إبل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء
بهم والكون في غمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تنخرط في
سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقويا لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال
النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ولنذكر
الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها
ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها فإذا
كان السحر وطلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أو رددتها علي فأعزى وعزتك
هذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ● ويروى عن عجردة أنها كانت
تحيي الليل وكانت مكفوفة فإذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل
مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك
الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر وقال يحيى بن
بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها
قال أنت وذاك قال فأتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت
والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء فلم تزل تردد وأنى لي
بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمود بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام
على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه المرأة
قال أمة سوداء من أهل الأبلة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختي والله قال فبينا أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء فلما
رأيتها ناديتها يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك قالت فتبسمت إلي وقالت لم يأن لقدومك ولكن
احفظي عني اثنين ألزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى مت ● وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية
وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما
غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام وبحبه لي أيقظ عيني وكثير
من خلقه نيام وقال أبو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل
أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرفت عليها فما أراها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء
وهي مستقبلة القبلة ثم تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك
متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله بعد فلعله أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير
وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ويبكي فلما قرب مني السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من أنت غير فازعة مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا
وهل يوجد مع الله تعالى غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي أبكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه قالت فإن كنت
صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لأن البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها وقال

احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني
عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي اربعين
سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص وياليتها اذ عصت
لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي
وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب
في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها
انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الآن فقد ذهب عني احدهما ● وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم
يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال
بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين
بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله تعالى خير فما يضرهما ما ذهب
منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله تعالى شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت
معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى
تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت في المحراب وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت
ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان تصوم له غدا وكانت ● شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم
رجائي لجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت
الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها
حسن نظرك فالويل لها ان لم يسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه
ان يشفعه عند مماتي بغفرانه الهي كيف اياس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان
محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني
فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك
ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك ● وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت
وصلت حتى اقعدت فكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي
وكلم كبدي والله لوددت ان الله تعالى لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان
تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في
الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات ● المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر فان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة
كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم فبالوقوف عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل
الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك
رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها
وتنخدع بتزويرها وقل لها ارأيت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت
انت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل تختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم
وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد
وانت متعرض له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار
الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ● فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على
الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتفنيدها بسوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت
بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت
ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت

ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله تعالى راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن
بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي
مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد
انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين
ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب
الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس
بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شيء دون شيء ولا في صيف دون
شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في سن الصبى دون الشباب ولا في الشباب دون الصبى بل كل نفس من الانفاس
يمكن ان يكون فيها الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك
من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم ● ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله تعالى لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه
عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك له ومقتك عليه فبأي
جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر
عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله
واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله عز وجل في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا
تكلينه الى كرم الله تعالى فاذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبها
وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك
افتحسبين ان الله كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى
ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته
بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر
ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب
وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك
فاقبرك افتكذبينه في قوله تعالى ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه
يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل
عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك
في الحال من غير مطالبة ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او صار حر
جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمه الا يوما
او اقل منه ما هذا من افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به
فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبي انك وعدت بالامهال
مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارأيت لو
سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين
من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله تعالى
ثم هبي ان الجهد في آخر الزمان وآخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين به فان اوحي اليك
بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب والمشقة
افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيها مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله تعالى فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره

تطرحينه على النفوس هذا المحال وجوده اما تأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتيه اوما علمت ان
الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها
فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخر الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع
ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب
يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واية حماقة
تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما احمقك واقبح
اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان
كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة ايام
ليصح ويتهيأ لشرب الماء طول العمر واخبره ان شرب الماء مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة
ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلثة آلاف يوم
وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر ولو طالت مدته وليت
شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله
تعالى ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او حمق جلي ● اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وعظم قدر الثواب
والعقاب ● واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع
انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من المال وكلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل
تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك
فالانفاس معدودة واذا مضى نفس منك فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب
قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدتها فتجمعين الحطب واللبد
والجبة ولا تتكلين على الله تعالى وفضله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير
جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد
والطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى
في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجه من بين حديدة وحجر حتى تدفعي به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب
والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن
عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ● ويحك انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك
فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بداكم تعودون وسنة الله تعالى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت
الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة من عقاب الله
تعالى وثوابه عن اهوال القيامة واحوالها فانت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج
من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء او من الحمقى
اما تعلمين ان الدنيا دار لملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر عليه
السلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما
تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم
المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله تعالى ارضهم وديارهم اعداءهم اما
ترينهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور
تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما
تستحيين من مساعدة هؤلاء الحمقى وتحسبين انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه
والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين
في

نفسك العقل والذكاء ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك حب
الجاه وادهشك عن فهمه اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك
افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما ورد
على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت
ملكا من الملوك سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب وكيف وتاتي ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك
امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصرك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة
شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا
ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء
فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين ابد الابدين
لتكوني في صف النعال من الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك
واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي ربك عنك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة
هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية
واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان
عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك فقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين
انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فات منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه
لو قدروا عليها فانت تضيعين ايامك ويحك اما تستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ● ويحك اهو اهون الناظرين عليك ويحك
اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله تعالى وانت منه فارة وتذكرين بالله تعالى وانت له ناسية اما
تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلا تطمعي في تطييب غيرك وانت غير طيب في نفسك لو عرفت
نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشومك ● ويحك قد جعلت نفسك حمار الابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر
بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيها من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين لعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله
تعالى ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله مائتي الف سنة واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس
فما اجراك على المعاصي ويحك يا نفس ما اجهلك ويحك كم تعقدين وتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك اتشتغلين مع هذه الخطايا
بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا
وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات
ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس
منك التراقي ان يبدو رسل الله اليك مخلدة بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك
الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك
ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك
فكم من مستقبل يوما لم يستكمله ومؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند
الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله عز وجل على نفسه الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه
حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين فاعدي للسوال جوابا
وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود
اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات
الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح وياكل ويشرب ويلهو وقد حق له
في كتاب الله تعالى انه من وقود النار ● فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك
للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا
للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه

هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة
فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم يزل فبالمواظبة على الصيام فان لم يزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم يزل فبصلة الارحام واللطف
بالايتام فان لم يزل فاعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد
خلق الله تعالى الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة
من الكبائر نعوذ بالله منها ولا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء
فانظري الآن هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من
بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا
تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطع منك الحيل
وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك
على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت اليه
مضطرة والى رحمته محتاجة وضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظة ولم يكسرك التوبيخ
فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا رحمن يا رحيم يا حليم
يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجرئ الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف
الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين ●
اقتدا بابيك آدم عليه السلام وقال وهب بن منبه لما اهبط الله تعالى آدم الى الارض من الجنة مكث لا يرقا له دمعة فاطلع الله تعالى عليه في
اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت
بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقا بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلا بعد
العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الفنا والموت بعد الخلود والبقا فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك
لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت
عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام
عند ذلك ثلثمائة عام ● وكان عبد الله البجلي كثير البكا يقول في بكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت
بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى وا عبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى وا عبيداه ان كانت النار لك مقيلا وماوى وا عبيداه
ان كانت المقامع لراسك نهبا وا عبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة
عابدا يناجي ربه تعالى وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض
ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن
من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسواتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع
المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم اتوب وفي كم اعود اما آن لي
ان استحيي من ربي تعالى ● فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضا ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام ●

تم كتاب المحاسبة والمراقبة ويتلوه كتاب التفكر والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين ●

كتاب التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى
حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيدا كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت
بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرا فانك لو تفكرت في جلال الربوبية

لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا
وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا
وكفرا وعرفانا ونكرا ● وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشرية ظلما وجورا
فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا ● والصلوة على محمد اذ كان سيد ولد آدم ولم يعد سيادته فخرا
صلوة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سما الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم كثيرا
اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا
يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن
جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو
مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا
فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شا الله تعالى ●

فضيلة التفكر

قد امر الله تبارك وتعالى بالتفكر والتدبر
في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال
ابن عباس رحمه الله ان قوما تفكروا في الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي
عليه السلام انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا
فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله تعالى
طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا ● وعن عطا قال
انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم
زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شي رايتيه من رسول الله صلى الله عليه قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى
مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي تعالى فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه
حتى اتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما
يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ابي ذر
بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل
قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ● وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل
ويقول اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شي له عبرة ● وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك
فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرا فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن
نظره اعتبارا فهو لهو وفي قول الله عز وجل ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال
النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين
بفكرها الى ما قد ادخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمن يطيل الجلوس وحده فكان
يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة
دليل على طريق الجنة ● وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل ● وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى
من افضل العبادة ● وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط ● وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله
تعالى ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه
فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي ● وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكا وقلوبكم التفكر
وقال ابو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة
يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف ● وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه
ويروى ان الله تبارك وتعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه

جملوا ان لم يتكلموا وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال ابو اسحق بن
خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمرا فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السما ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب
صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف فظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت
بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد
والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رضي الله عنه استعينوا على الكلام
بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية
والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكما ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل
ان تقدم وقال ايضا الفضايل اربعة احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب
والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلما في الفكرة وما شرع احد في ذكر حقيقته وبيان مجاريه

بيان حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان الفكر احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد
ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه اعتمادا
على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة **الطريق الثاني** ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين
المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار
المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التامل والتدبر والتفكر
فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم
الصارم والمهند والسيف يتوارد على شي واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من
حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه
يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر
فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايدة
التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفايدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق
بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت
معرفة اخرى وازدوجت معرفة اخرى حصل منه نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق
زيادة المعارف بالموت او بالعوايق وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي لطريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم
لفقدهم راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن
صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج
المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبيا صلوات الله عليهم
وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه المعارف ويحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها
ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سيل
عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان
الآخرة ابقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى
معرفة ثالثة واما ثمرة الفكرة فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال
القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدا والمفتاح
للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح
بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من
المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى
بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال

اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت
ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار
المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة
تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد
فيخرج منه نار يستضيء به الموضع فيصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضا للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع
بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويولف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث
النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضا
للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال
والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيما ذا
يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية
وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب
كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري
الفكر

بيان مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك
القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان
تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب عز وجل
او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب عز اسمه اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمايه الحسنى
واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال
وهو ان حال السايرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقايه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق
الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم
بالفكر فيه ومشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته
وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى
يتصف بها فان تفكر في شي خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق
العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره
محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه
ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم
المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله تعالى او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات
والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضا السبعة
والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف عن صف القتال وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره
التفكر في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله تعالى ام لا فرب شي لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني
التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه الثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له في الاستقبال
فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى ان يتداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات تنقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه
الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مايه والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام
يطول ولكن انحصر هذا القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع
مثالا ليقيس به المريد سايرها وينفتح له باب التفكر فيتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل
يوم جميع اعضايه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية منها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم
او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزا
والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القران

والسنة على شدة العذاب فيهما ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة
والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا ينكر عليه مهما تكلم بما يكره الله تعالى او يضع حجرة في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له
فهذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما
يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل
والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله تعالى ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله تعالى واما باكل الحرام
او الشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه
والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل
صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم واحد حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة
المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها **واما النوع الثاني** وهو الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبة
عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق
بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب
الله تعالى وسنة رسوله وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم
فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على
استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى
فيه بتضييعه وتعطيله فكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم وبالوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح
وبالسوال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول
انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب
الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه
ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر
في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات **واما النوع الثالث** فهي الصفات
المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والريا والحسد
وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد
بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة
حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في
ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت
العلامات على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده ويتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى
في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله تعالى وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضاي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي وبنفسي
ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير
عند الله عز وجل وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا
بتغير حاله عند سوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا
وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهايم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى
وصفات الملايكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهايم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهايم اشبه وعن الملايكة المقربين ابعد
وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له
من تحصيل ما في هذه الكتب **واما النوع الرابع وهو المنجيات** فهو الندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع
له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة

الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة
والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليتحقق
عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه وفي
ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله سبحانه وتعالى
وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع صنعه كما اشرنا الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال
الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سوال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته
وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب
والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او
يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر اهوال القيامة في قلبه ثم صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها
وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها زفيرها وتغيظها وهلم جرا الى جميع ما ورد في القران من شرحها
واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهذا
طريق النظر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه الاحوال
كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما تذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال
وفيه شفاء للعالمين ففيها ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيها ما يزجر عن ساير الصفات
المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو ماية مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من
ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر
عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور
الحكمة لو تامله العالم حق تامله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه
الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم
ولحال بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى او مكروهة
والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة ويتنزه باطنه وظاهره عن
المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من ساير العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في
جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب
كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق
فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان
الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك
فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين فاما التنزه عن الصفات المهلكات
فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وساير الطاعات فيجري مجرى تهية المراة جهازها وتنظيفها
وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرية الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء
المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب او طمعا في الاجر
فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة
اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه تعالى فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا
ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت
فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات
عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع

وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء
والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة
فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا
بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك
يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر
واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء
والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد
نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره
بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل منها مثاله العالم الورع فانه لا
يخلو في غالب الامر عن اظهاره نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها
الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه
لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده بل هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق
وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف
من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله تعالى لا يحب المتكلفين والشيطان قد
يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه
بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين
ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في
موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايرون تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض
تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره مستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب الذي يظن
العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة
العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي
جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان
يتقي شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني
فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء
ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو
والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى
الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل
بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما
ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم
ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن
لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي
ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار
فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون
فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا
والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة
التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه

مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله تعالى وعظمته والتنعم بمشاهدته
بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا
وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة
ولا طريق له في اكمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر
يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

القسم الثاني الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه وفيه مقامان **المقام الاعلى** الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع عنه
حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام
النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما
يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق
دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر فنظره المختطف اليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهشة
واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح
به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل
عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعف طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له رأس ورجل
ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا
وصف بطيخ هندي لا وصف الاله تعالى لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه
فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته
ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان فلا يد ولا رجل ولا طيران لانكر ذلك
وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري
وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن
اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه
لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال
علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما
استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في
الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل
لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم
بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس
فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل
ولا نبهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر
وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة
الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه
بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال التفكر في هذه
الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارضون وما بينهما
فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها
وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها

وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام
ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاتها وهيآتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك
مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها هو الله تعالى وفي حركتها حكمة او حكمتان
او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهدة لله تعالى بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على
التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وكما قال ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات
فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف
على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك
في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة
خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة
والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير
ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها
الهوا فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالف والمحبة في قلوبهم وكيف
قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق
وجمعها في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء
ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب
من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد الرجل واليد
وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة
والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل
طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه
الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها
قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق
ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل
حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي
العظم والصق بالطرف الآخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر نقرا غائصة فيها موافقة لشكل
الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد اذا اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف
خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى
به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح
للطحن وبعضها حادة للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات
فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لتنطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر
من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة فيتصل به من اسفله عظم العصعص
وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز
ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعين
عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من
ذكر اعداد العظام ان تعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان تنظر منها في مدبرها وخالقها
انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان

يحتاج الى قلعه او نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون
فيها ليستدلون بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهي العضلات
فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير
والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت منها واحدة
لاختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص فامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها
ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل
ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه
وصفاته لترى فيها من الصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء قذرة فما صنعه
في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف
صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع
للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال الله تعالى أانتم اشد خلقا ام السماء بناها
فارجع الآن الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة
او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته
بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب من صورة
الانسان وقال الناظر اليه كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك
الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحائط واليد والقدرة والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما
منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها
في الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة
فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها
وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب
طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة
السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها وشق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن
لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه
عن النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق
الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا
ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية
الرؤوس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام
ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف
ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول
والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت
في الظلمة ثم زين الراس بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجبين برقة الشعر واستقواس الشكل وزين
العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة
والكلية لخدمة الكبد والطحال تخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب المائية والمثانة تخدم
الكلية بقبول الماء عنها ثم يخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد
الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع
ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت
الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطها كان له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت

الله الضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها
من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه
الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة
من غير حاجة الى الطلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلث
ولو كشف الغشاء والغطاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا شيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا
لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما
ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما
خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لم يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف
واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمة على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في
حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل • ثم كيف هداه الامتصاص حتى يستخرج من المضيق
اللبن الكثير عند شدة الجوع به ثم انظر الى عطفه ورافته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني
عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي
كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله تعالى الرحمة على قلبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه • ثم انظر كيف رزقه القدرة
والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا
او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا • فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية فالعجب
كل العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه
وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وغيره ثم يغفل
عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب
مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام
وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله
تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين
والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهيمة
بكثير لان لا قدرة للبهائم على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله عز وجل فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلا واذ عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى
ملكوت السموات • اما الارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قرارا
لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم
وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل الارض
فراشا واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها وطن للاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا
احياء وامواتا • فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها
اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر
العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به
كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال
والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة وان قلت
ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة • ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فلا ترى فيها شيئا الا ترابا متشابها فاذا انزل عليها

الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر
فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا
النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل
الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم تنبت من
الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج الفلاح في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخيل يؤبر
والكرم يقطع والزرع ينقى منها الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو
اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها واحوالها وعجائبها انقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر
فهذه عجائب النبات • ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال
كيف تخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص
والحديد وبعضها لا ينطرق كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي
منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنها بلدة لتسارع
الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجواهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن
تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا
منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق • ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على
اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو
والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي
ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة والنملة او النحل او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها
وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر فترى العنكبوت تبني بيتها على طرف نهر فيطلب اولا موضعين
متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به
ثم يغدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينها متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد
القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضيف السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى باللحمة ويرعى في جميع ذلك تناسب
الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله
فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر
ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى نفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب
ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها مسكينة
عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته
وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله
وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلا
قها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله
ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها
وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية
لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازة
لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في
علمه من غير تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة
من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن
ذا الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله عز وجل ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته

ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال
عن الما بالاضافة الى الما كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض
فانسب اصطبلا الى جميع الارض فاعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض والتي فيها فتامل عجايب البحر فان
عجايب ما فيها من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعتها ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات
العظام ما ترى ظهورها في البحر فيظن انها جزيرة فتنزل الركاب عليها فربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف
من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكر اوصافها في مجلدات
وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبها ثم انظر كيف خلق اللولو ودوره في صدفه تحت الما فانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور
تحت الما وانما هو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها البحر وتستخرج منها ثم انظر الى
عجايب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الما وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح تسوق
السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجايب صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله
ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الما وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزا كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول
للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حيوة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ما ومنع
منها لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها لو ملكه واذا شرب فمنع من اخراجه فيبذل جميع خزاين الارض في اخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم
الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالى في شربة ما اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتامل
في عجايب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة
عن جلالة بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قايلة اما ترى وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف
حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتقطع بانه صنعة آدمي عالم
قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله
بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشا مغموسا
في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش يظهر
شيا شيا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم
افما هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر
النطفة وباطنها وجميع اجزايها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم بها
ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من
عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى
واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه
فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ومن آياته الهوا اللطيف المحبوس بين مقعر السما ومحدب
الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهوا ومستقلة سباحة فيها
باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الما وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله تعالى الهوا وجعله
ريحا هابة فان شا جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال تعالى وجعلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهوا الى الحيوانات والنبات فتستعد للنما
وان شا جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر
الى لطف الهوا ثم شدته وقوته مهما ضغط في الما فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الما فيعجز عنه والحديد الصلب يضعه على
وجه الما فيرسب فيه فانظر كيف تنقبض الهوا من الما بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الما وكذلك كل مجوف
فيه هوا لا يغوص في الما لان الهوا ينقبض عن الغوص في الما فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها
معلقة من الهوا اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهوا القوي على
ان يمتنع من الهوي والغوص في الما فسبحان من علق المركب الثقيل من هوا لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب الجو
وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السما والارض وقد اشار القران الى

نستحيي

عن احبابه

جملتها في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر
بين السما والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينيك وتسمع الرعد باذنك
فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى العالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصايه فتامل السحاب الكثيف
المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شا ومتى شا وهو مع رخاوته حامل للما الثقيل وممسك له في جو السما
الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الما وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله عز وجل وعلى الشكل الذي شاه فترى السحاب يرش الما
على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة منها باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها
لا يعدل عنها ولا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او
يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها
عينت لكل جز من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر
الظاهر انه رزق الدود الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد
الصلب من الما اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر
ما لاحد فيه شرك ومدخل بل ليس للمومنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته
ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الما لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت
له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الما الذي طبعه الثقل وما الذي رقي الما المصبوب في اسفل الاشجار الى اعالي
الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيا شيا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر
في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جز من كل ورقة ويجري اليه في تجاويف عروق شعرية صغار ترى منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر
من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر وما تشعب عنها جداول ثم تنشعب من الجداول سواقي اصغر
منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الما في اجوافها الى ساير اجزا الورقة
ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى ساير اجزا الفواكه فان كان الما يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان
كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهي الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول
الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات
فقد فاته الكل حقيقة فالارض والبحار والهوا وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر وانظر كيف عظم الله تعالى امر
السما والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القران بها كقوله والسما ذات البروج والسما والطارق وما
ادريك ما الطارق النجم الثاقب والشمس وضحيها فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله تعالى بها فكيف ظنك بما اقسم الله به عز وجل واحال الارزاق اليه
فقال وفي السما رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكرة وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون
فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السما وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله
ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال آانتم اشد خلقا ام السما بناها
رفع سمكها فسويها فانظر الى الملكوت لترى عجايب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى
زرقة السما وضو الكواكب فان البهايم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابرهيم بقوله تعالى وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقران يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر
عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا وهو عالم الغيب
والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السما فتجول
بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث
قال راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شي اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهوا المكتنف

بك ثم الحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها تميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشير من جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما من كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور جوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيف وستين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها أصغرها هي مثل الأرض ثمان مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار تعالى إلى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الأخبار أن بين السماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان مقدار كوكب واحد من الأرض فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا من أن تدرك سرعتها لكن لا تشك في أنه في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال جبريل من حيث قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك فأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر ما يأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملوك والملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنها وعن التفكر فيها بل لا قدرة لها على المجاوزة

بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضها وسقفها وحيطانها وسائر بنيانها وغفلت أيضا عن سكانها فأنت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبها ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له لو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه الأنبياء قليل بالإضافة إلى ما عرفه الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل عليهما السلام وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وإنما لكل عبد منها بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف إليه ما فصلناه في كتاب الشكر فإنا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فعل الله تعالى فقط وكل ما نظرنا فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأل أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه

تم كتاب التفكر بحمد الله ومنه وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين

كتاب ذكر الموت

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة فنقلوا من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب إلى التمرغ في التراب ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا أو اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للأشقياء وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الإنعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا أما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعريج إلا عليه ولا اهتمام إلا به ولا حوم إلا حوله ولا انتظار وتربص إلا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر إلا القليل والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور وفيه أبواب ثمانية

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

الباب الثاني في طول الأمل وقصره **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت
الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين رضي الله عنهم اجمعين **الباب الخامس** في كلام
المحتضرين من الخلفا والامرا والصالحين **الباب السادس** في اقاويل العارفين على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور
الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور **الباب الثامن** فيما عرف من احوال الموتى
بالمكاشفة في المنام **الباب الاول** في ذكر الموت والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل
قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واوليك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك او تايب مبتدي او عارف منتهي **اما المنهمك** فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره
ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا **واما التايب** فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي
بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه
من كره لقا الله كره الله لقاه فان هذا ليس يكره الموت ولقا الله وانما يخاف فوت لقا الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقا الحبيب مشتغلا
بالاستعداد للقايه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقا وعلامة هذا ان يكون دايم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دايما لانه موعد لقايه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقا وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحب مجيه ليتخلص
من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جا على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب
الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التايب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب
الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشيا اليه احبه الى مولاه فهذا قد انتهى
بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا يستفيد بذكر الموت
التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهي من اسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت
كيفما كان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله عز وجل وقال
صلى الله عليه وسلم لو ان البهايم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عايشة رضي الله عنها هل يحشر مع الشهدا احد يا رسول الله قال نعم من
يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للاخرة
والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه تحفة المومن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المومن اذ لا يزال فيها في
عنا من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم
الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المومن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم
والصغاير فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتناب الكباير واقامة الفرايض وقال عطا الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه
الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه
يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد
فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه
رجل فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا
له اوليك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة **الاثار** قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال
ابن خثيم ما غايب ينتظره المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت
في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة
الفقها فيتذاكرون الموت والقيامة والاخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف
بين يدي الله تعالى وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصيبات الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول في
وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن البصري فانما هو النار وامر الاخرة
وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها
فجاءت تشكر عايشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلم اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى

تخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله
لبعض العلما عظني فقال انت اول خليفة يموت قال زدني قال ليس من ابايك احد الى ادم الا ذاق الموت وقد جا نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم
حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن
الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش
ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمن الداراني قلت لام هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا
ما اشتهيت لقاه فكيف احب لقاه وقد عصيته **بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب** اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة
الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه
ان يفرغ العبد قلبه عن كل شي الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر
ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين
مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محا التراب الان حسن صورهم وكيف تبددت
اجزاوهم في قبورهم وكيف ارملوا نساهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر رجلا
رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقا ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب
وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت
رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك واكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر
سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه
الندا اما بالجنة واما بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدردا اذا ذكرت الموتى
فعد نفسك كاحدهم قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رايحا الى الله تعالى
تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة
المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر
بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير ومهما طاب قلبه بشي من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته ونظر ابن مطيع
ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا
ثم بكى بكا شديدا حتى ارتفع صوته **الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته**
فضيلة قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر فاذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ
من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروي عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم
خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من
يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابنا وللدنيا ابنا فكونوا من ابنا الدين ولا تكونوا من ابنا الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت
مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت
ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال
تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بماية دينار
الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت
عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله تعالى روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني
لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الما فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الما منك قريب فيقول ما يدريني لعلي
لا ابلغه وروي انه عليه السلم اخذ ثلثة اعواد فغرز عودا بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله
ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن ادم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلم مثل ابن ادم والى
جنبه تسع وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم ورا الحتوف
والامل ورا الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله بن مسعود

خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا ووسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله
ورسوله اعلم فقال هذا الانسان للخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا
وذاك الامل يعني الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والامل وفي رواية ويشب
فيه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل
قيل بينما عيسى صلوات الله عليه جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة
واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل
وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال صلى الله عليه
كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله
عليه يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل

الآثار

قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله عز وجل من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش
ولا قامت بينهم الاسواق • وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري
بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي رضه
ثلث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك بملاء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه ام راض
وثلث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار •
وقال بعضهم رأيت زرارة بن اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر
الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء • وسأل المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد
عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب • وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود
بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه • وقال داود الطائي لو املت ان اعيش
شهرا لرأيتني قد اتيت عظيما وكيف اؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له
يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها الي اخ وقال احب ان تفطر عليها
فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته
ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ترغبوا
وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي
بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله
وانما يفرح من امن اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر
صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم تبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت
به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احدهما وكتب اخ له اما بعد
فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام • وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت
من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام
قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبيد الله بن شميط سمعت
ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رأيت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رأيت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول
عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترئون ان ملك
الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول
رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمن بن عبد الملك في المسجد الحرام
اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك
ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك
وحشمك ففارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى الدنيا عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة

قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء كثيرا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي
لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك
منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع
ثم يلحقك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار وسعرت
النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين • فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج
وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلا عن الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النائمين
وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن له وبه والسلام
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما
بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله تعالى من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف
واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون
غاديا ورائحا الى الله تعالى قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب
وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله تعالى عادلة امر فيها
بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات • وقال القعقاع بن
حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد
منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك
ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار • وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية
وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم ان كل شيء
يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه
اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون • روي ان معروف الكرخي اقام الصلوة قال محمد بن ابي توبة
فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم بعدها فقال معروف رضي الله عنه انت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ
بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل • وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء
وكتب على اهلها الظعن منها فكم من عامر موثوق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن
ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينما ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وهو بها
قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما
تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون
بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم
الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا •

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان
احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه
عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغول بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما
يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل
ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه
فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى ان تكبر ثم تتوب
واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او
تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك ولا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض
في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال
الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون وا حزناه من سوف والمسوف
المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض

في الدنيا الحافظ لها فراغ منه وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها • وقيل: فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله عليه السلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان
قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا
لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان
ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد فكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان
الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر
نزوله به ووقوعه فيه ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما
موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع دفعة لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره
ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت
ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم
الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب
حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا
كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا
اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه
وليتدبر انها كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في ان الدود يبدا بحدقته اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا
وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى
الاستعداد له **بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره** اعلم ان الناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك
ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا
شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم • ومنهم
من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا
جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل مدة الشتاء او الصيف فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف
ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى عليه السلم لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من اجالكم فستاتي
فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لاجال غيركم • ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر على البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه يتيمم مع
القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي
صلوة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها
باخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه
مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى فان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل فكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما
يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب
العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل
استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر ذلك الا لمن فرغ عن الغد وما يكون فيه فمثل
هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين

فان السير جاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بالمبادرة الى العمل اغتناما
لكل نفس امهلت فيه **بيان وجوب المبادرة الى العمل وحذر افة التاخير** اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في
غد وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد
نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة
بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او
الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال عليه السلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
وكان صلى الله عليه اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه انا النذير والموت المغير والساعة الموعد • وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه والشمس
على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال عليه السلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من
اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه اذا خطب فذكر
الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود
تلا رسول الله صلى الله عليه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل
يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي
في قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر ذكرا للموت واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا
وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا
للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت • وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل
علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلوته ومر داود الطائي
فساله رجل عن حديث فقال دعني اني ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الاخرة وقال المنذر
سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر اي الموت حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني • وكان يقول
الحسن في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرا نظر
لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخولك
في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت
فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته شدي رحالك فليس
على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار
فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا
يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه
وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عليه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها
حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره
عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعته معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه
سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء • وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة
وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور • قال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف
يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله
عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة • وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا

وحياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم وأيقنتم فلا يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الآذان وتخرجوه من هذه الآذان فإنه من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا على ما تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً رحم الله تعالى عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة ولبس خلقاً ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك • وقال عاصم الأحول قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم ٥

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك • وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور • واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه • فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف والنشر بالمناشير إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه فلو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر • وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن قال إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت • وروي أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود وقد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين عاماً ما سكنت مرارة الموت من قلبي • وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه كان عليه السلام يقول اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعني على الموت وهونه علي • وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف • وسئل عليه السلام عن الموت وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف • ودخل عليه السلام على مريض ثم قال إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته • وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش • وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره • وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم • وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار • وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيراً عن المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة • وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر • وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات • ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الأرض كلها لذابت • وروي أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك • وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير • وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت • وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم • وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى • وقال الرسول صلوات الله عليه إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله تعالى وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاثة **الأولى** شدة النزع كما ذكرناه **الداهية الثانية** مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فروي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه • وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن داود كان رجلاً غيوراً وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا رجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتاً فجاء داود عليه السلام فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذاً ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه • وروي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فيا ليت ما كانت من تلك الجموع كانت فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كانت وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكي أن للأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال • وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم وإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال فمن أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه • ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قالا له جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق قد أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا لا جزاك الله عنا خيراً

فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا **الداهية الثالثة** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة
فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين
اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم
من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان
قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى
النار ● ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا
جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام بنار وروي في الحديث عن النبي عليه السلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبده قال يا ملك
الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان
الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة غير بشارة صاحبه ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم
ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا جهدنا
به فكان معصوما ● وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله تعالى ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه
وعزه وشرفه وقيل لجابر بن عبد الله بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه
ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلم الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان
يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لا لثواب ولا لعقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى
سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة
ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي عليه السلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست
شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق
لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري رضي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة
فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال
عثمن اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم
وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله ● وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت
فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين
ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب
سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا لم يبق له مطلوب سوى الله الواحد كان قدومه بالموت
على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب
على تحقيقه وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله تعالى بالقبول ● واما حسن الظن فهو
مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجا وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني
كيف ظنك بالله تعالى فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة تكبيرة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال
الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل عليه السلم على شاب وهو
يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه
الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه كثيرا تقول يا بني ان لك يوما فاذكر
يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما قال يا اماه ان
لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان
شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤي
في النوم فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله تعالى قد غفر لي ● ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال الى اين يذهب بي قالوا الى الله تعالى

قال فكراهتي ان اذهب الى من لا نرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال لي ابي عند حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى
وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها

قال اشعث بن اسلم سأل ابرهيم عليه السلم ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال
يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله تعالى
فتكون بين اصبعي هاتين قال وقد دحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث شاء قال وهو يبشره بانه خليل الله تعالى وقال
سليمان بن داود عليهما السلم لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف او كتب تلقى الي
فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات
وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس
كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلم فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال
اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى اليه رأسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب
لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي فاقضي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم لقي عبدا مؤمنا
في تلك الحال فسلم فرد السلم فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي
فوالله ما كان في الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب
من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي حال شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضأ واصلي
فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد ● وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال
لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال ما
يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا
كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس
انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه
بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعة افزعته وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقال ما شانك فقال ادعوا الي مولاكم فقالوا والى مثلك
يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم وقرع الباب اشد قرعة من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك
الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا قولا لينا وقولوا هل تأخذ به احدا فدخل عليه اصنع في مالك
ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن
عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله تعالى المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي وترد المتقي عن بابهم وكنت
تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في الخير نفعتك خلقت
ابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ● وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار
من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امرأة في
فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت الملائكة الجبار
الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف
من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني
البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري قال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلث مرات فمن وجده منهم قد
استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما
اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه
ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم ● وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا
ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب داره فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن ادخلك علي في داري فقال اما الذي ادخلني
الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان

مريد قال فاسقط في يدي الجبار وارعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستخذيا متذللا له فقال اذا انت ملك الموت قال انا هو
قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى
اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى
ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباكي قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش
عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمن بن داود عليهما السلم فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا
ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني عنه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعل الريح
ذلك ثم قال سليمن لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان
اقبضه في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك ه

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين
وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله تعالى وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله
ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه
الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن
فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط
شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب
الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح
مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله تعالى ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم
العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد
سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين فلعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات
بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا
ان كنا كذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله تعالى رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا • فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى
سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين
وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه عليه السلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله
آواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب
الى الله تعالى والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقروا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلم ورحمة الله •
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلم عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته
وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها امته فقال الآن قرت
عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة
فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم اصبحتم تزيدون واصبحت
الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم
ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله تعالى فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه
على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت
عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله تعالى بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي
اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه
فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت
لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا • وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ازداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه
الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم
لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه فخرج متوكئا على علي رضي الله عنه والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه
معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون
علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع لكم ونعي اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق
بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها
وان الامور تجري باذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله تعالى غلبه ومن خادع الله خدعه
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم ان تحسنوا
اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى
وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه
اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس
رضي الله عنه يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش
بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون • وروي عن ابن مسعود انه قال صلى الله عليه لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال دنا الاجل يا رسول الله
فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى
والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى
قال فيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر قال كيف الصلوة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله تعالى لكم
وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي
علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول من يدخل علي من خلق الله تعالى ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة
وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال
فمن يدخل القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي • وقال عبد الله بن
زمعة جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب
الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر
يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا
قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلوة التي صلى عمر رضي الله عنه
وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه امرك ما فعلت فيقول
عبد الله بن زمعة لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في
الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله تعالى وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وهو حي ابدا
الا ان يشاء الله تعالى فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله عز وجل والقضاء قضاؤه وعصمه الله تعالى من كل ما
تخوفت من امر الدنيا والدين قالت عائشة رضي الله عنها اذا كان اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه راوا منه في اول النهار خفة فتفرق
عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح
قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس وتنحيت في
ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلم فقال رسول الله
صلى الله عليه اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني وقال ان الله تعالى ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت
لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتيني جبريل عليه السلم فهذه ساعة جبريل عليه السلم قالت عائشة رض

فاشتغلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكانما ضربنا بصاعقة مما يخبر اليه شيئا وما يكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة
ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل عليه السلم في ساعة فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ السلام عليك يقول
كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال
اجدني وجعا فقال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك الى ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر فقال جبريل عليه السلم
ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك
مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنساء فقال ادني مني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال
ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت اخبرني
وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك في اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت ابنيها فشمهما قالت وجاء ملك الموت
فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تأمر يا محمد قال الحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد
تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال عليه السلم يا رسول الله هذا آخر
ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والله
بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا
قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من
انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك
من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا
فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء احد يحجبني وانما صدهم الله عنه لانه ولاه
جبريل عليه السلم وميكائيل عليه السلم وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة
انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة ● قالت عايشة رضي الله عنها
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم والله لا يزال الامة تصاب
فيها بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حيث ارتفعت الرنة
وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط الآخرون
فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون ومعهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد
وعثمن فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايدي وارجلا من
رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه الموت انما واعده ربه تعالى كما واعد موسى وهو آتيكم ● وفي رواية انه قال يا ايها الناس
كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه قد مات الا علوته بسيفي
هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل
حال ابي بكر والعباس فان الله تعالى عززهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعوا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله
الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون ● وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم
اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس
من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية وكان الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ ● وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل
بيت رسول الله صلى الله عليه وهو يصلي على النبي عليه السلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال
فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع
لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلية وعممت حتى
صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون

فاما لا تستطيع تغيبه عنا فلعله واذ كان الفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك واذكرنا بالحق فلولا ما
خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ● وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج
اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا وما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت
كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له واذكروه وقطعوا
البكا فلما انقطع البكا فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله تعالى
واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوه وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر
واليسع حضرا النبي عليه السلم ● واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده
فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان
الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم
واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم
مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة
والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ● ايها الناس انه من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله تعالى قد اختار لنبيه عليه السلم
ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه عليه السلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال
ابن عباس لما فرغ ابو بكر رضي الله عنه من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله تعالى اما ترى ان نبي الله عليه السلم قال يوم كذا
وكذا او يوم كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر لكأني لم اسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان
الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله تعالى نحتسب رسوله صلى الله
عليه ثم جلس الى ابي بكر ● وقالت عايشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجرده
عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله تعالى عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل
لا ندري من هو اغسلوا النبي عليه السلم وعليه ثيابه فانتبهوا فغسل عليه السلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه
اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء
ان نقلب لنا منه عضوا لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله
عليه فانكم ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى الله عليه ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه ● قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه
وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظانا على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في
حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته صلى الله عليه عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة ٥

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عايشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها
الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما
فان الحي الى الجديد احوج من الميت ● وقالت عايشة رضي الله عنها عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال ابو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه ودخلوا عليه وقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال
لما اريد ● ودخل سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم
ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن الله تعالى في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس
ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم
ارسل الى عمر فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار
وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته

بليهم وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القايل انا دون
هولاء ولا ابلغ مبلغ هولاء فان اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القايل انا افضل من هولاء ان الله عز وجل ذكر اية
الرحمة واية العذاب ليكون المومن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله تعالى غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون
غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن
المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من
قال هولاء الكلمات ثم مات جعل الله تعالى روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار
واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان ● اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم
جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم
شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني ممن
تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شي الا
باذنك فاجعل حركاتي في تقويك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين ● اللهم انك
خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم
فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفى
اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاوه غيرك فانك ثقتي ورجايي ولا حول ولا قوة الا بالله ● قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تعالى ٥

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قايما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما
فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس
فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه
حتى طعن ثلثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر
نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد لا يدرون ما الامر غير انهم
فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فغاب ساعة
ثم جا فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله تعالى لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت
وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شيت فعلت اي ان شيت قتلناهم قال بعد ما تكلموا
بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقايل يقول
اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال
فدخلنا عليه وجا الناس يثنون عليه وجا رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله صلعم
وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس
الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه
فوجدوه ثمانين الفا او نحوه فقال ان وفي به مال ال عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في
قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المومنين عايشة رضي الله عنها فقل عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المومنين
فاني لست اليوم للمومنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يدفن مع صاحبيه فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها
قاعدة تبكي فقال يقرا عليك السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم
على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جا فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت
قال الحمد لله ما كان شي اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلموا وقولوا يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني
الى مقابر المسلمين ● وجاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن
الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من الداخل فقالوا اوص يا امير المومنين واستخلف فقال ما ادري احق بهذا الامر من هولاء النفر
الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمن والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن
عمر وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذلك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز

ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردا الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا
يوخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرايهم
واوصيه بذمة الله تعالى وذمة رسوله عليه السلام ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به
فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي
عليه السلام قال قال لي جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر ● وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل
ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ منكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله
تعالى بمثل عمله منك وايم الله تعالى ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي عليه السلام يقول ذهبت انا وابو بكر
وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمن بن عفان رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمن لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا اخي رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم الليلة وهو في خوخة في البيت فقال يا عثمن حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ما فشربت
حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شيت نصرت عليهم وان شيت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده
فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمن في الموت حين جرح ماذا قال وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول
اللهم اجمع امة محمد عليه السلام ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة ● عن ثمامة بن حزن
القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمن رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم اللذين البآكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او
حماران واشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه قدم المدينة وليس بها ما
يستعذب غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة فيجعل دلوه مع دلا المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي
فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ما البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله تعالى والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ال فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم
تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال
انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته
بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني
شهيد وروي عن شيخ من ضبة ان عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدما تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين اللهم اني استعيذ بك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني ٥

وفاة علي رضي الله عنه

قال الاصبغ
الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يوذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية
وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول ● اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ● ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم لعنه الله فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي
امير المومنين صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة ● وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب
الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ● ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه
الحسين رضي الله عنه فقال يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهما ابواك وعلى خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليها السلام وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن
الحسين قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون
وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق
لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين الا برما ●

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن ابي سفيان الوفاة قال
اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضر
ريان وبكى حتى علا بكاوه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك

ولم يبق باحد سواك. وروى شيخ من قريش انه دخل مع جماعة على عبد الملك في مرضه فرأوه في جلد عضو نا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما
بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا ان نقضت
ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف لها من
دار. وروى ان آخر خطبة خطبها معاوية ان قال ايها الناس اني من زرع قد استحصد واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من
هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله تعالى بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير
ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي
واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله تعالى في الوالدين فاذا ادرجتموني في جديدتي
ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين. وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش
بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا. ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب
به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال
الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه. وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه
كيف تجدك يا امير المؤمنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم الآية. وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم
موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته
يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا اسمع له حركة ولا
كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت. وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين قال
احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه. وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا
آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل احسست بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد
عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان
شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فما لبث الا اياما حتى مات. وقيل لما حضره الوفاة
بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسأل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت
فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله تعالى الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما
قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر
فقيل له في ذلك فقال اني ارى خضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض. وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه. وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول
عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت. وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل لا باس عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا
هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة. وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر الى صناديق فقال من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا. وقال الحجاج
عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال
اقالها قيل نعم قال عسى.

بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف

ولما حضر معاذا الوفاة قال اللهم اني قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا
لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان
كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك. ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي
جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا
قيمته بضعة عشر درهما. ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه. وقيل فتح عبد الله بن
المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون. ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله تعالى
رسولا يبشرني بالجنة او بالنار. وجزع ابن المنكدر عند الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت
شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم. ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا

ولكن ابكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء. ولما حضر فضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي. ولما حضر ابن
المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هوذا تموت فقيرا غريبا فقال
اسكت فاني سألت الله تعالى ان يحييني حيوة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان. وقال عطاء بن يسار تبدى
ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد. وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله
من المتقين. ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد في اوله. وقال
الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك
مني وهوذا تطوى صحيفتي. وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول: حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر
ابيت كؤوس للمنايا عليهم * فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر * همومهم جوالة بمعسكر * به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه * وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري * فما عرسوا الا بقرب حبيبهم * وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر
وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا. وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي
قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة. وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله. وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري
فقدم فقير وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا الى مكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء
وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات. وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها
موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة. ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت
لما قرب اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول
يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشأ يقول: وحقك ما نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى اراكا
اراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من جناكا. وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره. وسأل جعفر بن نصير بكران
الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلوة
ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره
ادب من آداب الشريعة. وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد. وقيل
لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله عز وجل ان اوصي بهم الى غيره. ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه
فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك على الصغير ويعاقبك بالكبير. ولما
احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم. واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي
على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة. وقال الجنيد دخلت على سري السقطي رضي الله عنه اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول
كيف اشكو الى طبيبي ما بي * والذي بي اصابني من طبيبي. فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشأ يقول
القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق * كيف القرار على من لا قرار له * مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شيء فيه لي فرج * فامنن علي به ما دام بي رمق. ويحكى ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا قل
لا اله الا الله فانشأ يقول: ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج * وجهك المامول حجتنا * يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا * يوم ادعو منك بالفرج. ويحكى ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة
وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات. وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي
ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله تعالى حجبته عنه. ويحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الله حين
جاءه الحق فقال اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام
يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفى. ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده مقلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق
والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله تعالى في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح
يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شيء من عمله. وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول
يمكنك ان تعمل ما شئت فلا تفوتني. ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء
فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي. وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره

[illegible] الوفاة فقيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر ودخل المزني على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت
فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى
النار فأعزيها ثم أنشأ يقول
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل   تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد   وكيف وقد أغوى صفيك آدما
ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح لي بالسعادة أو الشقاوة فأنى أوان الجواب فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء والشوق والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم

الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم أن الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير إلا لأهل الغفلة فإنه لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى الجنائز ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت ولا أعلم ما دمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز ولا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليه ولا سبب لهذه الغفلة إلا قساوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول
تروعنا الجنائز مقبلات   ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب   فلما غاب عادت راتعات
ومن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الخاتمة مخطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى فلما أدلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته ولم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملها إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأوه كالمنتظر للجنازة فقصد أن يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقيل له في ذلك فقال رأيت في المنام أن انزل إلى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين من أعمال الخير شيئا قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق والثانية أنه كان أبدا لا يخلو بيته عن يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد تملأها بهذا الخبيث يعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره
فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالك ناجيا

بيان حال القبر وأقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلي ما شأنك جاورت المقبرة قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة

افرانه خ
وتلهوا خ
والتنبه خ

عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لي وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرونني معادي وإن قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بي عقيما إن لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة فوقف ثم يقول يا أهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر ولا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فيقول يا ابن آدم ألا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله عز وجل وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك سكوت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت
وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية   لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال أبو موسى التيمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال
أخاف وراء القبر إن لم تعافني   أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد   عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى   إلى النار مغلول القلادة أزرقا
وقد أنشدوا في أهل القبور
قف بالقبور وقل على ساحاتها   من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها   قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد   لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن   تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة   يفضي إلى ما شاء من
والمجرم الطاغي بها متقلب   في حفرة يأوي إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه   في شدة التعذيب من لدغاتها
ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول
عدمت الحياة ولا نلتها   إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى   وأنت بيمناك قد وسدوكا
ثم قالت يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول
أتيت القبور فناديتها   أين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه   وأين المزكى إذا ما افتخر
قال فنوديت من بينهم أسمع صوتا ولا أرى شخصا

الحيلة خ
مغلول القلادة أزرقا
راحاتها

وهو يقول • تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر • تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور • فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما
قال فرجعت وانا باكي ه ابيات وجدت مكتوبة على القبور • وجد على قبر مكتوب ع تناجيك اجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وانت تموت ع • وعلى قبر اخر • ايا غانم اما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم ه • وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب
يمر اقاربي جنبات قبري كان اقاربي لم يعرفوني • وذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون ان جحدوا ديوني • وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع
ووجد على قبر مكتوب • ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس • فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس • لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس • قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الاجداث مندرس
وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان • فلما ان بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني ه • ووجد على قبر طبيب مكتوب
قد قلت لما قال لي قائل صار لقمان الى رمسه • فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء جسه • هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر اخر مكتوب ع • يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل • فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل ه فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو
الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد
من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم
يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر
بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة في الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر
على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت اخا لي في الله
تعالى فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها اي الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال
الم تر حيث كانوا يدفنونني فان فلانا قام وصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان اقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو
مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى
الوطن الى ان يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله تعالى وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى
والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك
قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم
الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء للولد عند الموت فانه ارجى
دعاء واقربه الى الاستجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي
ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف
اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك • ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد
ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به
ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت
له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله تعالى حاجة
فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك • ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن
فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال فكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال
الاكبر للاخر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام
فلجأ الى الجبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه في طلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان
يتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين محبوبة
لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن فيه فقد روي عن علي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة للاخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه في الف
مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفيه قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي
الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم
ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك به فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرهن ولا يخلون
في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها
وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الاخرة واغسل
الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى • وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة • وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن
جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي عليه السلام من زار قبر ابويه او
احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما
فيكتبه الله من البارين وقال عليه السلام من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة
وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي عليه السلام حتى اذا امسوا عرجوا وهبط
مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة
مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة او اكثر
يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف • وعن ابي امامة قال رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي عليه السلام
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي عليه السلام ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه حتى
يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم
عليه رد عليه • وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال
انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم
او ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله
ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه • وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو
اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع
الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد
الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله تعالى وحشتكم ورحم الله تعالى غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله تعالى
حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينما انا نائم اذا انا
بخلق كثير قد جاؤوني قلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك
قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية في منامي
وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين
الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه
من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حيث
وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن
والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل

يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من
الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما
وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجه
دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى حواء ولا بأس بقراءة القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع
أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا إن القراءة على القبور بدعة
فلما خرجنا من المقابر قال محمد لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن إسمعيل فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال فأخبرني مبشر بن إسمعيل
عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد
فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ وقال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن محمد يقول إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين
وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم ● وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت
ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة قال ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن
نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا
من دعائهم نور أمثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه
وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب
سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار
خرجت إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور
فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة
فيا لها نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكر عمر بن عبد العزيز
حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت
الحدق فسالت على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا على الصدر
وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ● ويستحب أيضا الثناء على الميت وأن لا يذكر إلا
بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه لا تسبوا
الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا وقال صلى الله عليه لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار
فحسبهم ما هم فيه قال أنس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا
بأخرى فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم
شهداء الله في الأرض وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله فيه غيره فيقول الله تعالى للملائكة
إني قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي ۵ **الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت
في القبر إلى نفخة الصور** ۵ **بيان حقيقة الموت** اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو
العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدة وكل من لا يؤمن
بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون
إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وأن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا وكل هذه
الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية
بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات
للروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح
تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل
ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد
ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم القيامة والبعث والله تعالى أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وإنما تعطل
الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة

العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح
هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء
لم يبطل منها العلوم والإدراكات ولا يبطل منها الأفراح والغموم ولا يبطل منها قبولها للآلام واللذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى
المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له
كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية
نعم تغير حاله من جهتين أحدهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه
وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين
أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسلب الرجل عن المال والألم
واحد في الحالتين وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به
ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه
وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله تعالى ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين
محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال
الحياة ● والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فإذا
ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله
عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض
غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه
نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ
المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته
ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن فقد ترد روحه
إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه
اعتمادا على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت
فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من
يتشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم
فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر
أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة
أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف
الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد
على أن يقول الروح من أمر ربي فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على
أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة **أما الآيات فما ورد في الشهداء** إذ قال تبارك وتعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم ● ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان
قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال عليه السلام والذي نفسي بيده إنهم لأسمع
لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية نص في أرواح الشهداء ولا يخلو الميت
عن سعادة وشقاوة وقال صلى الله عليه القبر إما حفرة من حفر النيران وإما روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في أن الموت معناه
تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون
أصله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه أنه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده
غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة
المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن أبي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على كل نفس

ان يخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة ام من اهل النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا
ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب
الدنيا وامن عذاب الله تعالى وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قال فان لم يمت قال
يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن فالموت اطلاق المؤمن من السجن وانما احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب
للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله تعالى وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال
عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين يخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره
حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان
في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات
واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله تعالى لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله
وحل راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد
اشتراها وتشوف اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في
بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم
ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يدعون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن
مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير
تاخير وهو امر ينكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث
يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا
جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه
قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها
لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبك وانت في الجنة فقال ابكي اذ لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد
فاقتل فيها قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون
مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار
فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها
فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة
سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا
رأى الضوء ورضع لم يحب ان يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين
ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح
منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية
فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن
دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان
ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا
الا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي عليه السلام
لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند
عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال صور طير بيض في
ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان
الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فيقول ارواح الموتى للروح التي
تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي جسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا
ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد

قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي
عليه السلام انه قال نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في
كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى
امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة
وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذادا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر
اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا ويصاعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي قال
عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك مطيعا لله كنت
عليك رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا قال محمد بن صبيح
بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره يعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر
اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رأيت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها
المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته
الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في
حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلوة
والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال في القيام لله عليهما
فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظمأه لله تعالى في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد
اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة
خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة
فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن
عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره ويقول ويحك ابن آدم اليس
قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء ابن عازب خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر
ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله تعالى ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه
صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس فيها باب الا يحب ان يدخل روحه فيه فاذا صعد بروحه قيل
اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا
وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه
آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا
عملك الصالح والله انك كنت لسريعا في طاعة الله تعالى بطيئا عن معصيته فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا
له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان
في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه
كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء وليس فيها باب الا يكره ان يدخل بروحه فيه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل
اي رب عبدك فلان لم يقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية
وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح
الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله تعالى وعذاب اليم فيقول بشرك الله تعالى بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث
والله ان كنت لسريعا في معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم
معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود

فيه الروح فيضرب بها ضربة يسمعها من على الارض غير الثقلين قال ثم ينادي منادٍ ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش
له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص
الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان
فتسل روحه كما يسل الشعر من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله تعالى وكرامته فاذا اخرجت روحه
وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين ○ وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فينتزع روحه
انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله تعالى وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك
الجمرة فان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت قال رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار
قال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا فيقول الجبار تبارك وتعالى كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم المومن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت
فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا اهل تدرون ما التنين تسعة وتسعون
حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ○ ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد
هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم يتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات
فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة
هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية
وكلها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق
فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ○ فاعلم ان لك
ثلث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا
تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا
يؤمنون بنزول جبريل عليه السلم وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلم يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة
والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين
والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى ○ **المقام الثاني**
ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه
ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك
غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ حاصلا فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد ○ **المقام الثالث** انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي
يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر
وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة
صورة الوقاع لم يكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد
لثمرته لا لذاته فهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات
وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه موذيا حتى يحل
بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على
نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ منه جميع ذلك في حيوته ولا يرجو استرجاعها اليه فما ذا ترى يكون
حاله اليس يعظم شقاوته ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فلا اتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات
الدنيوية كلها دفعة واحدة ○ شعر ○ ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد ○ فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتوخذ منه الدنيا وتسلم الى
اعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله تعالى يحجبه عن لقاء الله تعالى والتنعم به
فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى هو الذي يعذب به اذ لا يتسع نار الفراق

الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ○ واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله تعالى وكان مشتاقا
الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع
الامن عن الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يوخذ منه وبين ان تلدغه عقرب
آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات
فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره
واعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك اذا مات
لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحيوة يتسلى باسباب يشتغل بها حواسه من
مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذا انسدت عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذا كل
قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعني بقولهم نجا
المخفون وان كان مثقلا اعظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك صاحب الدرهم اخف من صاحب
الدرهمين وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم اخف من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة
عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك
وانما يكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في
حيات القبر وعقاربه وفي سائر انواع عذابه ○ رأى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف
الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابه لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله تعالى قميصا قال فما لبس قميصا ثلثين سنة فان قلت فما
الصحيح من هذه المقامات الثلث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم
يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله
باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة
والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلثة نعوذ بالله من عذاب الله تعالى
قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك
ولا تشتغل بمعرفته بل تشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه
سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب
عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له ○ فاما
البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان ○ **بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب
القبر** قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير
فيقولان ما كنت تقول في النبي فان كان مومنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه فيقولان ان كنا لنعلم
انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له
نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت
اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه فلا يزال
معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك
اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك اربعة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك
فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق
الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال فاذا
اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير
من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت
اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان
ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم ○ قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من

جلد في رأسها مثل غرب الجمل تضربه بها إلى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاءت قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وإن أتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه قال سفيان تحاجش عنه أعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ وعن أنس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه فساءنا حاله فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ٥

الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به أصلا فإنا إن عولنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله عز وجل إنما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنياوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبر أن الله تعالى أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم فإنما الممكن في أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهو من أنوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من أجزاء النبوة وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه قال عليه السلام أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا نشاهده بهذه العين ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغذ أو رق بل ينبغي أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثالا لا يقربه إلى فهمك ● فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور ولو وضعت في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الأغلب وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة

وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم أن تركد الحواس فلا تورد على القلب شيئا فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر أن هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت ● فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس عن الأكل والشرب ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك وإما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون وإليهم الإشارة بقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأعلم العلماء وأعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكر في خطر تلك الحال إذ الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأسبابنا وذوينا وأهلينا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل وقد قال لأمته إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فإنما أمته من اتبعه وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا للعاجل الدنيا ثم تطمع في أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبعد ظنك وأبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ● ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شأني فالتفت إلي وقال ألست المقبل وأنت صائم قال قلت والذي بعثك بالحق لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا وقال العباس كنت ودا لعمر فتمنيت أن أراه في المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغي إن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك فقال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم ● قال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فأقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله تعالى عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولا أن يريني إياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الإثنين في كل الليالي والأيام قلت وكيف ذاك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه

[illegible] تعالى بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين ● وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني
رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي
ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله تعالى اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت
الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راسي اربعة سودان معهم
اعمدة حديد فاقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله تعالى وجه ابيك فقلت
من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ● وقال بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ
اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع
ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة ● واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك
قبل قتله فانكر ذلك اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا
دمه ودم اصحابه ارفعهما الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ● وروي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت
تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله تعالى بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم

قال بعض المشايخ رايت منصورا في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ادخلني في الجنان فقيل لي يا منصور هل استحسنت منها شيئا قلت لا
فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي ● ورأى يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال
ما خلطت جدا بهزل ● وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم قلت ما فعل الله بك قال وقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به
في الدنيا الا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته
فاستحييت من الله تعالى ان اذكره ● وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك
اذ انشقت السماء ونزل ملكان بيد احدهما طشت وبيد الآخر ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر
حتى غسلوا ايديهم ثم وضع الطشت بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء
مع من احب قال بلى قلت واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم ● وقال الجنيد رايت في النوم
كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول
كلام موفق والله ● وراى مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة ● وقال رجل من اهل
الشام للعلاء بن زياد رايت في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليهم ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا بعينه على
الجنة ● وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا
فقال اما والله لقد اعقبني ذلك فرحا دائما فقلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم الآية ● وسئل زرارة بن
اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل ● وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل
اتقرب به الى الله تعالى قال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت
عيناه ● وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله تعالى بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفره منه
لم يغفر لي ● وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي
وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها ● وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله تعالى
بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما
مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة ● وقال
بعضهم رايت في المنام جارية ما رايت احسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت لها بم ماذا اضوء وجهك فقالت
تذكر الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى ● وقال الكتاني رايت الجنيد
في المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت العبارات وما حصلنا الا على ركيعتين كنا نصليهما في الليل
ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله تعالى بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله
ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي تعالى ● ورأى بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك

فقال رحمني ربي تعالى وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ● ورأى ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله تعالى بك
فقال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي ● وقال ابو بكر الكتاني رايت شابا في النوم لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت
فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون فقلت من انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب
فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة ● وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا
لاضربه فلم يفزع فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب ● وقال المسوحي رايت ابليس في المنام
عريانا يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة
بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية ● وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان
النبي عليه السلام جاءني متوكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر
من خيره ● وعن ابن عيينة قال رايت سفيان الثوري في المنام كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة ويقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له
اوصني فقال اقلل من معرفة الناس ● وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله تعالى بك فقال
نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد ● فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد ● فدونك فاختر اي قصر اردته
وراى الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته ● ورأى مجنون بني
عامر فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ● ورأى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال رحمني
فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ● وراى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا
فاعتقوا ● وراى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة
سبحان الحي الذي لا يموت ● ورأى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري
قدم على الله تعالى وهو عنه راض ● وراى الجاحظ فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال لا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه ●
وراى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي
فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ● وراى النصراباذي
بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا
الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحباب ● وراى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل
من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى القاك ● وقيل راى ابو ايوب السختياني جنازة عاص
فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق ● وقال بعضهم رايت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا
فقلت اي ليلة هذه فقالوا الليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه ● وقال ابو سعيد الشحام رايت سهل الصعلوكي في
المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع التشييخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله تعالى بك قال غفر لي بمسائل
كانت تسأل عنها العجز ● وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤدب ● شعر
وكنا على ان لا نحول عن الهوى ● فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا ٥ قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة
وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت فقال بلى قلت فما صنع بك ربك تعالى قال غفر لي مغفرة احاطت بكل
ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية ● وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي رضي الله
عنه بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله تعالى بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ● ورأى رجل من اصحاب
الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابي الحسن على اهل
زمانه ● وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قال اويس القرني رضي الله عنه فاتبعته فقلت
اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله تعالى فاقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته
ولا تقطع رجاك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني ● وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد
كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله تعالى ● وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فراها
ابوها في المنام فقال لها اخبريني عن الآخرة فقالت يا ابة قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان

أو ركعتان في مسجد عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها. وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله تعالى
بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة على بيتك فلما أصبحت جئت إلى بيتي وإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم
المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين. وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في المنام في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن
شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب. ورأى رجل
من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير
له. وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال
يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني
فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله تعالى طلبتي وسهل لي الخلاص
مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات ولا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله تعالى زلفى
فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من أول نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو في النار

وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة
الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المساءلة
عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها
وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم
وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى لقاء الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى به يختم الكتاب إن شاء الله تعالى

في صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر
ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما
بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من
قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم
واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر
نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا
بلسانه ومكذبا بقلبه وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني
وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وإنما قصور البواطن عن قوة اليقين
والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا
يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى أولم
ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وقال أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى. فخلق الآدمي
مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته فكيف ينكر ذلك من حكمة الله تعالى وقدرته من
يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي
الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض
على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من نفخة الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة
فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو
النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم
وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام
ينظرون. وقال فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير. ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا

من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان جديرا بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها
من في السموات والأرض إلا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد
التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن متى يؤمر فينفخ. قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق
ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من في السموات
والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح
جبريل وروح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل
فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم
حين بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخ. فتفكر في
الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت
فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من المترفين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم هم
أذل الجميع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة
بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق
والتوحش عنهم وذلك قوله تبارك وتعالى وإذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة
من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك
هنالك

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بالبعث والنشور وهم حفاة عراة إلى المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى
فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت
فيه يساقون إليه زمرا فيجيء من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقتهم الراجفة تتبعها الرادفة والراجفة
هي النفخة الأولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد والعفرة بياض ليس بالناصع النقي والنقي
هو النقي عن القشرة والنخالة ولا معلم أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا
في الاسم قال تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص ويذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما
فيها وتمد مد الأديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها
فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر
وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينما أنت كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة
قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل
كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش
المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت
سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك
لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من الالتفات والنظر كيف وبعضهم
يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذي أمشاهم على أقدامهم
قادر أن يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف
لأنكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة
لمخالفتها قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد لها إنكارا فأحضر في قلبك صورتك
وأنت واقف عريانا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا تنتظر ما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم بهذه الحالة
فإنها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع
من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير وأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة

أمرها ثم أدنيت من رؤوس الخلائق قاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين
مستظل بالعرش وبين مضحى بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف
الأقدام وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والإخزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق
القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع إلى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم
بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس
لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى
يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة
إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة العرق ومن شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة
فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ الفخذ ومنهم من يبلغ خاصرته
ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة
كربهم وإن فيهم من ينادي ويقول رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم
ولا تدري إلى أين يبلغك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله تعالى من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة
مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيستخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل
والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيم شدته
طويل مدته **صفة طول يوم القيامة** يقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمرهم يقفون ثلثمائة
عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون شربة ولا يبلغ وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار
ثلثمائة عام وقال عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف
سنة لا ينظر إليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت
أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري واعتذر
كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا عليه السلام لمن يؤذن له فيه
لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي
في عمرك المختصر واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم
خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أهون من
الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المتقين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيدك
فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فإنك لو صبرت سبعة
آلاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون ألف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا **صفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها** فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت
والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار
سجرت والنفوس إلى الأبدان زوجت والجحيم سعرت والجنة أزلفت والجبال نسفت والأرض مدت يوم زلزلت فيه الأرض
زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم حملت فيه الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت
فيه الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة يوم رجت فيه الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا
فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة
كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم علمت كل نفس ما أحضرت وتشهد بما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق فيه الجوارح
يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق أراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس
كورت وأنت أيها القارئ العاجز حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بأن تنشق
مرارتك فيما شاب فيه شعر سيد المرسلين وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القراءة فالقيامة أحد ما ذكر فيها وقد وصف الله
تعالى بعض دواهيها وأكثر أساميها لنقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكثير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي
الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت منها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميها فهي يوم القيامة ويوم الحسرة
ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة
ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة
ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب
ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد
ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم
ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة
ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق
ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعد ويوم التغابن
ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا يوم تشخص فيه الأبصار
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار ويوم تقلب وجوههم
في النار يوم لا يجزي والد عن ولده يوم يفر المرء من أخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون
ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم ردت فيه المعاذير
وبليت السرائر وظهرت الضمائر وكشفت الأستار وخشعت الأبصار وسكنت الأصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت
الخطيئات وسيق العباد ومعهم الأشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلي
الحميم وزفرت النيران ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطق جوارح الإنسان فيا أيها الإنسان ما
غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك
فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله إلينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا
غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم
ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون
أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للخلاص من دواهيه
فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع الرحمة **صفة المسائلة** ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال
شفاها من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من
أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام
العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مشفقين مما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا
صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا مأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك تنادوا أقوام
من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم أن يكون فيهم
فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا
محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسألن
الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالأنبياء يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم يذهل فيه عقول الأنبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم

الى الخلائق وكانوا قد علموا فيدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحت العلوم الا من يقويهم الله فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى فيقول الله تعالى له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال سنين فيا لهيوم يقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يراد احد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فجاء بها جبريل وقال لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوعدة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا على الركب جثيا وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قوائمهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي وانفصمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راوا ما قد اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لامره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل لك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن ان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت النجوى من رسول الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة فهذا انما يرجوه عبد مؤمن يستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم فلم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائش وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك فانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله تعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل أكنت اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك مني اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسائله

رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم اولك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينيك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء قال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والآخرون واما ان يقال لك خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تعالى وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا فانية لم تبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الشمائل والايمان فان الناس بعد السؤال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يأبى الله تعالى الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيئات ام الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذها ام بشماله وعند الصراط وعن انس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمعت الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس فقالوا وما هما يا نبي الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذه بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلببه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار

اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله
حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم
هوا فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذ وقف بك على بساط العدل
وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت
فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم ● قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا
المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلوة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار ● فانظر في مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الريا ومكايد الشيطان فان
سلمت واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل
لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام
والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى شاتين ينتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال ابو هريرة في قوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة والبهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ
من عدل الله تعالى ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك
خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها
نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم
بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمجاورة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم
فان العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انه سينجيه فما يزال عبد يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من
حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم
يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله
ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من
قرب انا الملك الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار
ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ياتي الله عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله
عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة
اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض
الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين
في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله
تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق شيء من حسناته قال يا رب فليحمل عني من
اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى
للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي
صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني
قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله
يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في

ينتطحان ٤
والمباعدة ٢
عراة ٤

نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف الله حتى عفى عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء
وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض
وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا من الاوزار ظهرك ونضرة نسيم
النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون
بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى
ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك وان كنت تعلم انه خير
منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلم تدرك ذلك الابه
والآن تكون الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيم فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد
السوء لا اقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق
اجمعين وعند ذلك تتناول عليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا
بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا
تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وينادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله تعالى عن فضائحه ومخازيه ولعنه
بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا
من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح
العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم ● فهذه احوالك واهوالك
وانت بعد لم تشعر بالخطر العظيم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون
الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط
الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر على اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل بك
من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي
على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة من المشي على بساط الارض فضلا عن حدة
الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك واحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون
ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فيتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم
فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك
تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول عليه السلام يقول سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر
جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت
لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله
وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك
فان كنت غير مؤمن به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم
خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله بطاعته وترك معاصيه ولو لم يكن بين يديك الا هول
الصراط وارتياع قلبك من خطره في الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط
بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل
شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو قال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبيه ملائكة يقولون
اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبوا
حبوا ومنهم من يزحف زحفا ● فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون
فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة

خاشعة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم الله نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه يضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا وان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء لان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقاء اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة فقالوا نستعيذ بالله نسلم نسلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك من السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته متشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك ان تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة وما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى • وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام الناس وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير مفتخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فدفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهس منه نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول

لهم آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح قال فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك تعالى الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى موسى عليه السلام فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله واني قتلت نفسا ولم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا عليه السلام فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك تعالى الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من باب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى • وفي حديث آخر هذا الشأن بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو في قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله لا اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال تعرفني فقلت لا من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري • وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله ينتظرونه حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله تعالى وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانا حبيب الله تعالى ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله تعالى لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله به نبينا عليه السلام وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال آية انزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي تعالى في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي ما بين صنعاء والمدينة او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السما وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله طوله ما بين عمان وايلة ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر وارده واني لارجو ان اكون اكثرهم وارده فهذا رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شي وهكذا امال اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله عز وجل فلا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضا والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت ان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها وتامل في حال الخلايق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينا هم في كربها واهوالها وقفين ينتظرون حقيقة انبايها وتشفع شفعايها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قايلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجا مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فيقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون لو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عايدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمايلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النيران كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ويشجم بالمقامع هاماتهم فتتفجر الصديد من افواههم وتتقطع من العطش اكبادهم تسيل على الخدود احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها وتتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلايق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحمم واعميت ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزايهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضايهم هذه جملة احوالهم وانظر الآن في تفصيل اهوالها وتفكر اولا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي عليه السلام ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او واد الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقرا المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضا السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن الى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى الى قعرها

ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خايض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال حبة فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طايعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال اوقدت تلك النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقدت عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقدت عليها الف سنة حتى اسودت فهي سودا مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتا ونفس في الصيف اشارته الى ان حر الشمس وزمهرير الشتا من نفسها وقال انس بن مالك يوتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويوتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد ماية الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض العلما في قوله تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون انها لفحتهم لفحة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب وسات مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال ايضا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه من ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله تعالى به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم ان يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبيت ان بين دعايهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا ولم يود زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في عظم اجسام اهل النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزايها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة رضي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثمائة ذراع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة
على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام
كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة
كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم نذكر الآن في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يتسلط عليهم في
اول القائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك ● وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت
فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون احيانا من
ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله عز وجل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا
تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب ● قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة اخرى قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت
يوم القيامة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف
عام وليتني كنت ذلك الرجل ورأى الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي ● فهذه اصناف
عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة
فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بشهوات حقيرة في الدنيا
اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا كيف لم نكلف انفسنا الصبر
اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا وبقينا الآن في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم
وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله

لكنها ح

صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا
ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا ما اريتنا من
ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم
العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم ● قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى كم
من بدن صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود عليه السلام الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف اقوى على حر
نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك وانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار باهوالها
وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري
الاشارة به الى يوم القيامة ولكن ما قضي امر يوم القيامة بل في ازل الآزال ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق له القضاء فالعجب منك حيث
تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري الى ماذا موردي والى ماذا مآلي
ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر
لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا
الا وتيسرت لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد
قال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك في الدارين ● القول في صفة
الجنة واصناف نعيمها اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد
عن احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود

لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقد حل بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبه تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة
وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر
ومتكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن
الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان
عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم

والبؤس

مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين
بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الله الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف
من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها
ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب
فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم
ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته
وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا
لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغير الى اهلها كيف يانس
بدار قد اذن الله تعالى في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف
الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغيص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور
ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى
سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعيم يترددون وهم من زوالها آمنون ● قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا
تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان
الله تعالى بيان واقرا من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف
تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها ● وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول
المعاصي ومن قتل في سبيل الله تعالى دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما
على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم
امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها
عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت
عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله
لك من الكرامة كذا وكذا ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في
الدنيا فقالت انت رايته فيقول انا رايته وهو باثري فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه
فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره ان يبصر
لاذهب بصره ثم يطاطئ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال صلى الله
عليه وسلم آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الآن

في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة
المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله
تعالى بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك
بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من
اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراؤن اهل
الغرف فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى
والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة
غرفا من اصناف الجوهر كله من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول
الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال
امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم
الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلوة الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس
نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس ۰ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ
في كل قصر سبعون دارا من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة
من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على
ذلك اجمع ۰ **صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وانهارها** تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم عنها لقناعته
بالدنيا تمتعا عنها قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك ۰
وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله تعالى
الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك
ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله تعالى ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في
القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله تعالى
في سدر مخضود يخضد الله تعالى شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه
الآخر قال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق
فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري
ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم
تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر ۰ **صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم
وارائكهم وخيامهم** قال الله عز وجل يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما
تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة أتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين فقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون
فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء
اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا ۰ وفي رواية ان على كل زوجة سبعين حلة
وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وقال النبي عليه السلام الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح

قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض ۰ **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل الجنة مذكور في
القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله فجاءه حبر من احبار اليهود فذكر اسولة له الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال
فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها فقال ينحر لهم ثور الجنة الذي
كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت ۰ وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلعم
وقال يا ابا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه بلى والذي
نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك
لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي
فقال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم
بصحاف من ذهب قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى ۰ وقال ابن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب
اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا
من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها ۰ **صفة الحور العين والولدان** قد تكرر في القرآن اوصافهم
ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولو
ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة
وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيذخ عليها خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر
فقلن السلام عليك يا رسول الله قلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن
يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام
قال مجاهد في قوله تعالى ازواج مطهرة يعني قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد ۰ وقال الاوزاعي في شغل
فاكهون قال شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله اتباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من
سبعين منكم قال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال
صلى الله عليه ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجمع للحور العين
يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان
لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في
الجنة يتغنين يقلن نحن الجوار الحسان خبئنا لازواج كرام قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة
الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت يسمعه الجن والانس وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله
تعالى وتقديسه ۰ **بيان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة** وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة
نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابد ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا
ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه ۰ وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك
اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت
الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد

له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان
الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي اتذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر
لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلث وثلثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما
بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت في الجنة فاذا
الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال كعب خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التورية بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح
المؤمنون • فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رضي الله عنه جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء
وان انهارها لمن ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا يسفه الاحلام ولا
يصدع منه الرؤس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على بال بشر ملوك ناعمون ابناء ثلث وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء
كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها
لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون
فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء السبعين حلة قد
طهر الله تعالى الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في
قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم
بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس
فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة
والعشي • قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة
ان في الجنة حورا يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس
فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله جل جلاله

قال الله عز وجل للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة
وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى
القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهو مخرج في الصحيحين • وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم
عند الله تعالى موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما هذا الموعود الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب
فينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه غاية الحسنى ونهاية
النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء
وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما سائر
نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى

ختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل به

وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو
ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا
وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من

من كل

كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا بحق متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام
نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمنا بالرحمة
والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله
تعالى لا وسيلة لنا الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير
والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة • ويروى انه اذا كان يوم القيامة اخرج
الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله
تعالى لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا يا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم
يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين
هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يقول يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل
النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار
فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى الكفار ذلك
قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل
الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره • ويروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى ان قارون استغاث بك فلم تغثه وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه • وقال سعد بن بلال يامر الله تعالى يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى لهما ذلك بما
قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسالهما عن فعلهما
فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم اكن لاتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها
بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم
فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي • ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه • وقال الصنابحي دخلت على
عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه
الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق
يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم قال اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول
افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله تعالى شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله عز
وجل يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا
به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم
يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا • وكان ابو سعيد يقول
ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله
تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج بها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما
فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى
الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم

يعرفهم أهل الجنة بها يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم
فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول الله تبارك وتعالى لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي
فلا أسخط عليكم بعده أبدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري أيضا عن ابن عباس قال خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط ورأيت سوادا كثيرا فرجوت
أن يكون أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل
لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك
أصحابه فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله وهؤلاء هم أبناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين
لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام آخر
فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا لا يخرج إلينا إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث
قال لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة الأيام
المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا قال أكمل لك
العدد من الأعراب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وإن زنى قال نعم وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر
وقال أبو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله فقال وإن زنى وإن
سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا
فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم
إلا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة في
خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي وألصقته إلى بطنها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها
تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتها
ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فإن الله تعالى أرحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على أفضل السرور
وأعظم البشارة فهذه الأحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء تبشرنا بسعة رحمة الله فنرجو الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه
ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ٥ تم كتاب ذكر الموت وهو آخر كتاب إحياء علوم الدين ٥

كتبه العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى محمد بن الجميل بن علي الرومي عفا الله عنه
ورزقه كاتبه شيء يسره في القيامة أن يراه وقد اتفق الفراغ من تحرير هذا الكتاب
في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وستمائة الحمد لله وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما ٥